

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والإسلامية
قسم العلوم الإنسانية
فرع التاريخ

جامعة الحاج لخضر
باتنة

الجزايرة في الدولة الإسلامية

- من صدر الإسلام حتى سقوط بغداد -

1هـ - 656هـ / 622م - 1258م

(بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه العلوم في التاريخ الإسلامي)

إشراف :
أ.د كمال بن مارس

إعداد الطالب :
رابح أولادضياف

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
مسعود مزهودي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر	رئيسا
كمال بن مارس	أستاذ التعليم العالي	جامعة 8ماي45قائمة	مشرفا ومقررا
محمد فرقاني	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا مناقشا
يوسف عابد	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	عضوا مناقشا
رشيد باقوة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1434 - 1435 هـ / 2013 - 2014م

قال الله تعالى:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَزْبَنَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ
مِئَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

(سورة البقرة الآية: 261)

إهداء

• قال الله تعالى (وقل ربني ارحمهما كما ربياني صغيرا).

إلى روح والدِّي رحمهما الله تعالى برحمته الواسعة وجعل مثواهما الجنة، وجزاهما

خير الجزاء عمًا بذلاه من أجل أن ييسر لي سبيل العلم، وجعل الله ذلك

في ميزان حسناتهما آمين.

• إلى زوجتي أم شهاب وأبنائي شهاب الدين، مروة، صفا الذين صبروا طيلة

انشغالي عنهم.

• إلى إخوتي وأخواتي.

إلى أولئك جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع

شكر و تقدير

الحمد لله القديم فلا أول لوجوده، الدائم الكريم فلا آخر لبقاءه ولا نهاية لوجوده، المقدس فلا تقرب لحوادث حماه، المنزه عن التغيير فلا ينجو منه سواه.

وصلّى الله على رسوله محمد سيد العرب والعجم المبعوث إلى جميع الأمم، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين. يسعد الباحث أن يتقدم بحبيل الشكر وعظيم الامتنان والعرفان إلى من شرفني بالتملمز على يديه ومنحني من فكره الرشيد ورأيه السيد ما أعاني على إنجاز هذه الرسالة ووطأ لي العقبات وذل لي الصعوبات بتوجيهاته السامية، وإرشاداته الكريمة، فتمكنت من الخوض في كتابية موضوع الرسالة، بعزم وثقة ويقين فكل الشكر والوفاء والتقدير إلى أستاذي الفاضل: الأستاذ الدكتور أكمل بن مارس" والذي سعدت بإشرافه على الرسالة وبما قدمه لي من توجيهات وتوصيات كريمة، فهو لم يتجمل علي بأي مساعدة طيلة فترة الإشراف، فله مشاعر الاحترام والتقدير والشكر، وجزاه الله خيراً الجزاء.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله حق حمده لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه وأصلي وأسلم على من أرسله الله رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين وبعد : أثبت الواقع والتاريخ أن قوة الأمة تقاس بقوة أفرادها وسلامتها متعلقة بسلامتهم ،لذلك اعتنى الإسلام بهما معا على حد سواء ،ونظم الحياة تنظيما رائعا مؤداه تحقيق العيش الكريم والأمن للفرد والمجتمع.

ومما لا شك فيه أن الإنسان يحتاج في حياته إلى كثير من أسباب العيش التي لا تقتصر على النواحي المادية فحسب ،وإنما يحتاج كذلك إلى غيرها من الأمور العديدة لتحقيق المقاصد التي جاء بها التشريع الإسلامي ،وهي المحافظة على الدين والنفس والعقل والمال والعرض وغيرها من المقاصد الأخرى اللاحقة بها على اعتبار الدرجة والقدر من حيث الحاجة إليها أو بالشكل الذي تستوجبه حياة الإنسان في الإسلام في اليسر والعسر.

ومما لا شك فيه أيضا أن الإنسان في مجتمع الإسلام لا يستطيع أن يحصل على كل ما يريده، لأن كل إنسان ميسر لما خلق له، كما أن الدراية بأساليب الكسب والعيش ومتطلبات الحياة الدنيوية قسمة بين الناس ،لذلك فاختلاف القدرات العقلية والبدنية والمعرفية والتفاوت في الغنى والفقر و في مختلف مظاهر هذا الاختلاف والتفاوت إنما ليتخذ الناس بعضهم لبعض سخرًا.

فالفرد في المجتمع الإسلامي بذلك هو في حاجة إلى جهد غيره ومعاونته وتضامنه من منطلق ذلك الاختلاف والتفاوت ،لما قد يصيبه من أزمات فقد يصاب أحيانا إما بالمرض أو العجز أو غيرها وهي أسباب و معوقات قد تمنعه من الكسب والسعي وتدفع به إلى الفقر والفاقة.

وبما أن التشريع الإسلامي الذي اتسم بمصدره الرباني الذي جعله معصوما فقد تضمن الأحوال التي يعجز فيها الإنسان عن الكسب بالمرض أو تحيط به المسكنة والعوز، أو ينشغل عنه بطلب علم أو أداء عبادة كأداء فريضة الحج أو المجاورة لبيت الله الحرام أو ملازمة دور العبادة للزهد والتصوف مثلما درج عليه الصوفية الملازمين للأربطة والخوانق ، لذلك أعد الإسلام الحياة للإنسان إعدادا متكاملًا فهو الذي أطعمه من جوع وأمنه من خوف ،فأورد مضامين تشريعية تحقق له الأمن والخير والسعادة ومن ضمن هذه التشريعات ما يتعلق بمعاني وقيم التضامن والتكافل.

فمظهر التضامن والتكافل من أهم ميزات المجتمع المسلم ومن أبرز مظاهر الولاء للأمة ، فهو ضمانة المجتمع لبعض أفراده الذين تضيق عليهم سبل العيش والكسب لذلك فهو موازنة وتنسيق بين أفراد المجتمع في نظرة الإسلام إلى المال وتوزيع الثروة والإنتاج ، وفي الحقوق والواجبات والخدمة العامة.

وبالنظر إلى كون الفرد المسلم مكلف في كثير من الأحيان تكليفا عينيا تجاه نفسه فهو مكلف في أحيان أخرى تجاه مجتمعه ، بمعنى أنه يمارس حقه في أن يكون في مجتمع مسؤولا عنه في حال الفاقة والعجز.

لذلك فالتكافل الاجتماعي والتضامن ينسحب على جميع شؤون الفرد في الحياة ، فيهتم بحال المريض والضعيف والعاجز والفقير والمسكين والغارم ، وطالب العلم .. وغيرهم من خلال المبادئ المنبثقة من العقيدة والأخلاق كالأخوة والولاء والنصرة والإيثار والإنفاق في سبل الخير وكل القيم الإنسانية- قيم التراحم-التي تضمنها الإسلام في منظومته التشريعية .

فكل ما يتعلق بأحوال الفقراء والمساكين والعاجزين وممن يجب إسعافهم، ومساعدة من تكاثرت ديونه ، والقيام على الأيتام ومن لا عائل لهم كالعميان والمقعدين والمرضى والمجذومين والأرامل والمطلقات، فجعل الإسلام لذلك موارد مالية تَكْفُل وجود هذه القيم، ومن هذه الموارد زكاة الأموال بمختلف أنواعها ، والنذور و الكفارات والوصية والغنائم والأضاحي والركاز والأوقاف والضيافة والجرايات وغيرها من سبل الإنفاق سواء على سبيل الوجوب أم النفل.

وقد حث الإسلام على الإنفاق في سبل الخير لتحصيل الأجر والثواب والنص القرآني صريح في هذا التوجيه حيث جاء في قول اله تعالى(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ)¹. وقوله (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا نُحِبُّونَ)² ، وغيرها من نصوص القرآن الكريم التي تدل على الدعوة إلى الإنفاق والتصدق. وقد ورد كذلك في صحيح الحديث النبوي ما يؤكد مشروعية هذا التصرف المالي وهو قوله: (إذا مات بن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) (رواه مسلم)³. وغيرها من نصوص أخرى من الحديث الشريف التي وردت في هذا السياق.

وهي نصوص مرجعية عند فقهاء الإسلام في مشروعية الوقف والصدقات الجارية في الإسلام ، وهي تحث على الإنفاق لتحقيق قيم التعاون والتكافل.

وقد كانت الاستجابة العملية لهذه النصوص عظيمة تجسد عظمة الإسلام وعظمة البعد الإنساني للحضارة الإسلامية، وذلك من خلال الشواهد التاريخية التي أوردتها مصادر التاريخ الإسلامي عن اهتمام المسلمين بالإنفاق في سبل البر والإحسان تطوعا ابتغاء الأجر والثواب عند الله تعالى ، وذلك منذ العصر الأول للإسلام فقد ثبت في آثار قطعية أن النبي عليه الصلاة والسلام قد وقف أموالا في هذا الوجه وكذلك صحابته من بعده.

كما تسابق الخلفاء والسلاطين والأمراء ورجال الدولة من الوزراء والكتاب والعلماء والصالحون من أصحاب اليسر والأغنياء رجالا ونساء في هذا الشأن بوقف العقارات والعمائر والأسيلة والآبار والأشجار و إجراء الأموال وغيرها، وقفا وجرارية تقربا وابتغاء للأجر والثواب، فكان ذلك مشهدا رائعا وذكرا حسنا، وصوره مشرقة في مظاهر الحضارة الإسلامية، لما كانت تقدمه من الخدمات في الميادين الحيوية للمجتمع الإسلامي في شؤونه المختلفة سواء كانت هذه الشؤون تعبدية أو تعليمية أو صحية أو غيرها.

ومن ثم جسدت هذه المبادرات الشعور الفردي بالمسؤولية الجماعية ، فكان المسلمون هم السباقين في هذا المجال لأن هذه المسؤولية التي تتم عن قيم حضارية عالية لم تظهر في الغرب الأوروبي والأمريكي إلا بعد قرون من الزمن، عندما نرى بعض مراكز البحوث والدراسات ، وبعض المؤسسات التعليمية والصحية والاجتماعية عندهم تمول

1 - سورة البقرة : الآية 267.

2 - سورة آل عمران: الآية 92.

3 - رواه مسلم.

أحيانا من أموال وتبرعات ما يوصي به الأثرياء والميسورون بعد أن تؤول أموالهم إلى هذه المؤسسات بعد موتهم ، ومع ذلك فإن هذا التبرع مختلف في مضمونه على ما عليه الحال عند المسلمين لأن ما يوقف من العقارات وما يجرى من الأموال على من جعلت لهم يكون ذلك في حياة المتبرع وبعد موته، بينما عند غيرهم من الغربيين لا يكون غالبا إلا بعد أن استيئسوا من الحياة والتمتع بتلك الأموال وأدركهم الموت.

لذلك فموضوع الإنفاقات المالية -ترجيحا للفظ القرآني عندما سماها كذلك في قوله تعالى (وَمَا تَنْفَقُوا مِنْ خَيْرٍ)¹ و(حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ)² و(وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ)³ و(أَنْفَقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ)⁴ وغيرها- التي بذلها أهلها على المؤسسات العبادية و التعليمية والصحية على مر عصور التاريخ الإسلامي هو موضوع يندرج ضمن التاريخ الحضاري للحضارة الإسلامية في جانبها المادي، وأعتقد أنه من المواضيع التي لم تحظ بالاهتمام و الدراسة المتخصصة كما هو الشأن في مواضيع التاريخ السياسي والعسكري، وما قدم حوله عند القدامى والمعاصرين لا يخرج عن طابع المعالجة الفقهية من حيث المسائل والأحكام التنظيرية لا غير.

وهذا ما حفزنا وشد اهتمامنا لدراسة هذا الموضوع دراسة تاريخية مضمونها الحديث عن الجرايات التي كان يرصدها ذوو البر والإحسان من رجال الدولة و أصحاب السلطة الرسمية فيها أو غير رسميين على المؤسسات التعبدية والتعليمية والصحية بغية الأجر والثواب، و أن يكون الموضوع بعنوان "الجراية في الدولة الإسلامية من صدر الإسلام حتى نهاية العصر العباسي" (1- 656 هـ/622-1258 م).

ولمعالجة هذا الموضوع والبحث في حيثياته لا بد من النظر في بعض الإشكاليات المتعلقة به والإجابة عن بعض التساؤلات التي تراود الباحث وهو يبحث في هذا الموضوع والتي ينبغي أن تجيب عنها هذه الدراسة ، ولعل من أهم هذه الإشكاليات والتساؤلات :

ما معنى الجراية؟ وما هي ضوابطها؟ وفيما تكون من حيث الاعتبار العيني لها؟ هل تقتصر على النقد والطعام أم تكون في غيرهما؟ هل يمكن أن تكون في العقارات؟ ما الفرق بينها وبين الوقف؟

ما هو الدور الذي ساهمت به الجراية كمظهر وسلوك في المجتمع الإسلامي في الحياة العلمية والرعاية الصحية في الحضارة الإسلامية؟ وغيرها من التساؤلات التي نسعى لتوضيحها والإجابة عنها من خلال هذه الدراسة.

منهج الدراسة:

اعتمد الباحث على المنهج التاريخي الوصفي لأنه المنهج الملائم لطبيعة الدراسة ،حيث قام الباحث بجمع المادة العلمية من الروايات التاريخية التي أوردتها المصادر وتحليلها، والاعتماد على ما تضمنته الدراسات التاريخية الحديثة التي تتقاطع مع هذه الدراسة بالشكل الذي ينسجم مع طبيعة الدراسة تاريخيا وموضوعيا.

حدود الدراسة:

تناولت هذه الدراسة الحدود الموضوعية و الزمانية الآتية:

1 - سورة البقرة: الآية 272.

2 - سورة آل عمران: الآية 92.

3 - سورة سبأ: الآية 37.

4 - سورة البقرة: 267.

- أما الحدود الموضوعية لها فهي تدرس في تاريخ خدمات الجراية في الدولة الإسلامية، المتمثلة في شؤون العبادة والتعليم والرعاية الصحية.

- وأما الحدود الزمانية فإن هذه الدراسة تبحث في أهم فترة في تاريخ الحضارة الإسلامية من بداية صدر الإسلام إلى نهاية العصر العباسي (1-656 هـ / 622-1258 م) والتي تنقسم بدورها إلى ثلاث فترات رئيسية ،وهي فترة الدولة الإسلامية في عهد النبوة والخلافة الراشدة ، وفترة العصر الأموي وفترة العصر العباسي، ويدخل ضمن هذا الحيز التاريخي الدويلات المستقلة عن دولة الخلافة سواء المنضوية تحت سلطة الخلافة أو المستقلة عنها ،على اعتبار أنها دار للإسلام والمسلمين.

مبررات الدراسة:

1- أن موضوع الدراسة لم ينل حقه من البحث من طرف الباحثين ،فهو بحسب اطلاعنا واسترشادنا بالخبرة العلمية من المتخصصين لم تقرد له دراسة مستقلة ، بحيث أننا لم نقف سوى على بعض الإشارات العارضة مع أن المصادر التاريخية قد ورد فيها عن موضوع الجراية ما شجعنا على دراسته.

2- التعرف على جوانب من الحياة الاجتماعية للمجتمع الإسلامي، كالتعرف على أحوال المتصوفة في الأربطة والخوانق، والرعاية الصحية التي يحظى بها المرضى بالبيمارستانات، وأحوال أهل العلم من العلماء والطلبة وما كانوا يكابدونه في سبيل ذلك ،ومدى التزام المسلمين آنذاك بالقيم السامية للإسلام الذي أبدى اهتماما كبيرا بمعالجة مشكلة الفقر والفقراء من خلال المنظومة التشريعية التي جاء بها ، ونظرته إلى المال من حيث وجوب إنفاقه وتحريم اكتنازه.

3- كما تكمن أهمية الموضوع في معرفة كثير من جوانب الحياة الاقتصادية وتأثيرها على المجتمع الإسلامي والسلطة كذلك لما للمال والإمكانات الاقتصادية من تأثير على الحياة السياسية للبلاد الإسلامية.

4- علاقة الجراية والأعمال الخيرية عموما بالنشاط الثقافي والتربوي للمجتمع الإسلامي، ودورها في تيسير عملية طلب العلم والاهتمام به من حيث تسخير الإمكانات المالية لذلك.

5- الاستدلال على علاقة السلطة بالعامّة والعكس حيث أن لحمة الولاء تجاه السلطة توجهها سياسة السلطة تجاه الرعية في إطار اهتمامها بإدارة شؤون الأمة ،وما تقدمه لها من خدمات عامة التي يفترض أنها شأن من شؤون السلطة من غير فضل ولا منّة ، وهي قاعدة كبرى من قواعد نظام الحكم في الإسلام تحدد درجة الولاء وحسن الانقياد.

6- التعرف على بعض جوانب ما أنجزته الحضارة الإسلامية في شأن العمائر كبعض المنشآت التعبدية مثل المساجد والجوامع والأربطة والخوانق.

7- التعرف على ما قدمته الحضارة الإسلامية في مجال التربية والتعليم بإنشاء المؤسسات التعليمية كالمدارس ومعرفة نظمها الدراسية ومناهجها التعليمية ، وطرق أدائها في المجال العلمي والمعرفي في إطار ما يقتضيه سياق البحث.

8- عرض جوانب من مظاهر الاهتمام بالرعاية الصحية في الإسلام ، والمستوى الذي بلغته الحضارة الإسلامية في مجال الطب والعناية بالمرضى، من خلال المنشآت الصحية كبناء البيمارستانات وتزويدها بالخدمات الطبية المختلفة والأطباء والأدوية والأغذية وغيرها من الخدمات.

9- الاستدلال على مدى درجة الاستجابة لأحكام الشرع الإسلامي ومبادئه في المعاملات المالية وما أوجبه من ضرورة التكافل الاجتماعي ومحاربة الفاقة والحرمان.
الدراسات السابقة:

بعد المراجعة والبحث تبين للباحث أن الموضوع لم يطرق من قبل ولم تقرد له دراسة علمية متخصصة تتحدث عن خدمات الجراية في الدولة الإسلامية إلا ما كتب عن الوقف وهي دراسات إما فقهية نظرية بعيدة عن الطرح التاريخي أو ما ذكر عرضاً في كتب الحضارة الإسلامية.

خطة الدراسة:

أما خطة الدراسة لمعالجة هذا الموضوع فإنها تتكون من مدخل و أربعة فصول وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع ، وقد جاءت هذه الخطة متضمنة لعناصر الموضوع على النحو الآتي:

أما المدخل فإنه يعرض مفهوم الجراية لأن هذا المصطلح يبدو أنه غير مألوف وغير متداول ربما لارتباطه إجرائياً بالوقف ، أو كونه صورة من صور الوقف إذ الوقف يختص بالعقارات وما لا يمكن نقله بشكل عام كالذور والأراضي والأسيلة من الآبار والعيون، بينما الجراية تكون في ما يستهلك ويبلى حين الانتفاع به كالطعام واللباس والعطور من المشمومات والطيب والشموع والزيت للإنارة والصابون للتنظفة وغيرها أو ما يقوم مقامها من النقد من الدنانير والدرهم لأنها يمكن تحصيلها بالعبوض المالي وفي هذه الحال فالمال قد يكون من عوائد الوقف ومن ثم تكون الجراية صفة يتحول إليها الوقف وهو أمر سيأتي بيانه.

أما الفصل الأول فقد خصص للحديث عن الجراية على أماكن العبادة التي أنشأت بغرض أداء العبادة كالصلاة أو الاعتكاف والذكر بالجوامع والمساجد، أو الانقطاع عن الدنيا وعن مشاغلها للتفرغ للعبادة والزهد بالأربطة والخوانق، ودور الضيافة الرمضانية التي تقدم الإطعام في شهر رمضان للفقراء والضعفاء والمعوزين من العامة، أو المنقطعين من عابري السبيل والغرباء، وما كانت تؤديه هذه الدور في مناسبات خاصة كاستقبالها للحجاج في موسم الحج.

ويتضمن هذا الفصل الحديث عن الجرايات التي أرصدت على الحرمين الشريفين بالإنفاق على المجاورين أو الخدمات التي سخرت للحجيج في مواسم الحج ، وتوزيع الأرزاق على أهل الحرمين ، ويندرج ضمن الأموال التي بذلت من أجل التوسعة ، و الكساوى لبيت الله الحرام وغيرها من الخدمات.

والجراية على الصوفية والمقيمين بالأربطة والخوانق من الفقراء و الأرامل والأيتام والمطلقات ممن لا عائل لهن، والحديث عن دور الضيافة الرمضانية وإرهاصات نشأتها في الإسلام وما كان يجري عليها من الطعام للفقراء والمحتاجين وغيرهم، وكذلك دور ضيافة الحجيج وكلها مرتبطة بالشؤون التعبدية.

أما الفصل الثاني فقد كان للحديث عن الجراية على أماكن التعليم قبل نشأة المدارس ، ونعني بها الأماكن التي عرفت نشاطاً علمياً وتعليمياً قبل أن يهتدي المسلمون إلى تأسيس المدارس، ومن هذه الأماكن كتّاب تعليم القراءة والكتابة وتعليم القرآن الكريم ، والأربطة والخوانق ذات الوظيفة المزدوجة كونها مكاناً يقيم به أهل التصوف، وما شهدته إلى جانب ذلك من نشاط علمي كغيرها من أماكن التعليم ، وكذلك الأمر بالنسبة لدور القرآن الكريم والحديث الشريف.

أما الفصل الثالث فقد خصص لدراسة ما كان يُجرى على المدارس الإسلامية في مختلف الأمصار التي أنشأها الخلفاء والسلطين والوزراء والأمرء ورجال الدولة وغيرهم كمؤسسات تعليمية رسمية مهمتها تدريس العلوم المختلفة للمنتسبين إليها، لذلك يعالج هذا الفصل نشأة هذه المدارس والأسباب التي دفعت إلى إنشائها، وخدمات الجراية التي أُجريت على هذه المدارس، كما تضمن كذلك الحديث عما أُجري على بعض العلماء سيما المنتسبين إليها كونهم محور وأساس النشاط العلمي ومصدره بهذه المدارس.

أما الفصل الرابع فهو يتعلق بدراسة الجراية على مرافق الرعاية الصحية في الإسلام وهي البيمارستانات، و يبحث في أمر اهتمام المسلمين بشأن الرعاية الصحية، ونشأة البيمارستانات في الإسلام عبر مختلف عصور الدولة الإسلامية حتى نهاية العصر العباسي، وأنواع هذه المرافق الصحية وما تقدمه من الخدمات الصحية، وما كان يجري عليها من الأموال لهذا الغرض.

كما يبحث في شأن اهتمام الوزراء والأمرء المسلمين والعلماء والصالحين بإنشاء البيمارستانات من أجل تقديم الخدمات الصحية للوافدين عليها من المرضى والتكفل بهم. وفي الأخير خاتمة تضمنت النتائج التي خلصت إليها الدراسة في الحدود الموضوعية والزمانية لهذا الموضوع.

صعوبات الدراسة:

لقد واجه الباحث أثناء إعداده لهذه الدراسة بعض الصعوبات والعقبات أهمها:

- 1- صعوبة الوصول إلى المادة العلمية المتناثرة في بطون المصادر المختلفة كمصادر الحوادث التاريخية وكتب التراجم والوفيات والمصادر الجغرافية ومصادر الفقه الإسلامي والحديث وكتب الحسبة وغيرها، مما يصعب من مهمة الباحث في الوصول إلى المادة العلمية إذ يتطلب ذلك كثيرا من الوقت والجهد من أجل تجميعها وتصنيفها ثم تحليلها وصياغتها.

- 2- خلو الدراسات التاريخية الحديثة من معالجة مثل هذه المواضيع التي تتطلب أدوات منهجية وعلمية خاصة، ودراية ببعض مصطلحات ومسائل الفقه الإسلامي أثناء تحليل المادة العلمية وصياغتها في شكل دراسة تاريخية وفق منهجية صحيحة، وما وقف عليه الباحث في الدراسات الحديثة سوى دراسات فقهية تراعي المدلول الفقهي والتنظيري، بعيدة عن التحليل التاريخي.

- 3- كما واجه الباحث في إعداد هذه الدراسة صعوبة كبيرة في تعريف بعض المصطلحات الطبية المعاصرة لفترة الدراسة وأسماء الأدوية والعقاقير، ومصطلحات بعض المكايل والموازن والقياسات وغيرها.

- 4- إغفال المصادر الحديث عن الجرايات المرصودة لبعض المؤسسات التعبدية أو التعليمية أو الصحية، فلم توضح طبيعة هذه الجرايات وماهيتها ومقدارها وتاريخ إجرائها وتفاصيل أخرى كثيرة.

نقد المصادر:

السمعاني:

أبو سعد السمعاني (506-565 هـ/1112-1169 م) هو أبو سعد عبد الكريم ابن الإمام الحافظ أبي بكر محمد ابن العلامة أبو المظفر السمعاني منصور بن عبد الله التميمي

السمعاني المروزي الشافعي ولد أبو سعد السمعاني يوم الاثنين الحادي والعشرين من شعبان سنة 506هـ/1112 م في مدينة مرو، نشأ في أسرة اشتهرت بالعلم والصلاح، فنشأ في حب العلم وطلبه، فقد حضر وهو في الرابعة مع والده عند مسند زمانه عبد الغفار بن محمد الشيرويني، ثم بعد موت والده كفله أعمامه وهو صغير، وقد كان من العلماء الذين أكثروا الترحال، فقد ارتحل إلى نيسابور، وبيت المقدس وبغداد، والبصرة، وحلب، ودمشق، وصور، ومكة المكرمة، و همذان، وصنعاء توفي الحافظ أبو سعد السمعاني سنة 565 هـ/1169 م في مرو ودفن فيها.

من أشهر تصانيفه التي أحصاها أهل التراجم بثلاثة عشر مصنفا كتاب "الأنساب" الذي يعد عمدة ما كتب في التراجم، حيث شرع في جمعه بسمرقند سنة 550 هـ/1155 م، فأورد أسماء المترجم لهم على حروف المعجم فذكر أسماءهم وسيرتهم وما قال الناس فيهم وإسنادهم كما ذكر شيوخهم، وقد أثنى عليه ابن الأثير الثناء الحسن وقد اعتمدت عليه الدراسة لما ورد فيه من أخبار وأحوال المترجم لهم.

ابن الجوزي:

ابن الجوزي، أبو الفرج (508-597هـ/1116-1201م) الشيخ الإمام، العلامة، الحافظ، المفسر، المحدث، المؤرخ، شيخ الإسلام، كتب بخطه كثيراً من كتبه إلى أن مات، كان ذا حظٍ عظيم، وصيت بعيد في الوعظ، يحضر مجالسه الملوك، والوزراء وبعض الخلفاء، والأئمة والكبراء، وقيل إنه حضر في بعض مجالسه مائة ألف. وقال: "كتبت بأصبعي ألفي مجلد" ومن تصانيفه المهمة: "المنتظم في التاريخ الملوك والأمم"، "زاد المسير في التفسير"، "جامع المسانيد"، "الوفا في فضائل المصطفى". وغير ذلك.

ويعد تاريخ ابن الجوزي (ت 597 هـ/1200م) "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" من أهم المصادر التي استفاد منها البحث لما تميز به هذا المصدر من استقراء لمظاهر الحياة الاجتماعية مرتبة على السنين مما يسهل رصد تطور تلك المظاهر، وسرد قصص ملوك العالم وجميع الأنبياء انتهاءً بأحداث القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي. تناول ابن الجوزي في كتابه التاريخ العام من بدء الخليقة إلى سنة 564 هجرية.

وقد تميز عما سبقه من كتب التاريخ بأنه يجمع بين كونه سرداً تاريخياً للأحداث على مدار السنوات، وبين احتوائه على تراجم لمختلف الأعلام من خلفاء وملوك ووزراء وفقهاء ومحدثين ومؤرخين وشعراء ومصنفين وغيرهم.

ابن الأثير:

أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري عز الدين ابن الأثير، من أهم مؤلفاته "الكامل في التاريخ" وهو تاريخ عام في 11 مجلداً، منذ الخليقة وابتداء أول الزمان حتى عصره، حيث انتهى عند آخر سنة 628هـ/1213م أي إنه يعالج تاريخ العالم القديم حتى ظهور الإسلام، وتاريخ العالم الإسلامي منذ فجر الإسلام حتى عصره، والتزم في كتابه بالمنهج الحولي في تسجيل الأحداث، فهو يسجل أحداث كل سنة على حدة، وأقام توازناً بين أخبار المشرق والمغرب وما بينهما على مدى سبعة قرون وربع قرن، وهو ما أعطى كتابه طابع التاريخ العام أكثر من أي تاريخ عام لغيره، وفي الوقت نفسه لم يهمل الحوادث المحلية في كل إقليم، وأخبار الظواهر الجوية والأرضية من غلاء ورخص، وقحط وأوبئة وزلازل.

وتمثل منهج المصنف في أنه يذكر في كل سنة حادثة كبيرة مشهورة، ثم يؤرخ لها، أما الحوادث الصغار فقد أفرد لجميعها ترجمة واحدة في آخر كل سنة، تبدأ بقوله: «ذكر عدة حوادث»، وإذا ذكر بعض من نبغ وملك قطرًا من البلاد، ولم تطل أيامه، فإنه يذكر جميع حاله من أوله إلى آخره عند ابتداء أمره، لأنه إذا تفرق خبره لم يعرف للجهل به، وذكر في آخر كل سنة من توفي فيها من مشهوري العلماء والأعيان والفضلاء، ومن ثم فقد جمع المصنف في كتابه هذا ما لم يجتمع في كتاب قبله.

ولم يكن ابن الأثير في كتابه ناقل أخبار أو مسجل أحداث فحسب، وإنما كان محللاً ممتازاً وناقداً بصيراً، حيث حرص على تحليل بعض الظواهر التاريخية ونقد أصحاب مصادره، وناقش كثيراً من أخبارهم، وتجد لديه النقد السياسي والحربي والأخلاقي والعملية يأتي عفواً بين ثنايا الكتاب، وهو ما جعل شخصيته التاريخية واضحة تماماً في كتابة على الدوام.

وتعود أهمية هذا المصدر إلى أنه استكمل ما توقف عنده تاريخ الطبري في سنة 302 هـ/914م، وهي السنة التي انتهى بها كتابه، فبعد الطبري لم يظهر كتاب يغطي أخبار حقبة تمتد لأكثر من ثلاثة قرون، كما أن الكتاب تضمن أخبار الحروب الصليبية مجموعة متصلة منذ دخولهم في سنة 491 هـ/1097م حتى سنة 628 هـ/1230م، كما تضمن أخبار الزحف التتري على المشرق الإسلامي منذ بدايته في سنة 616 هـ/1219م. وقد كتب ابن الأثير تاريخه بأسلوب ثري مرسل لا تكلف فيه، مبتعداً عن الزخارف اللفظية والألفاظ الغريبة، معتنيا بإيراد المادة الخبرية بعبارات موجزة واضحة.

وقد أفاد الدراسة بما أورده عن أوقاف و جرايات بعض المترجم لهم من الخلفاء والسلاطين والعلماء والصالحين وما أورده من ذكر لبعض المدارس والربط والخوانق والمارستانات.

ابن شداد:

ابن شداد (613- 684 هـ / 1217-1285 م) محمد بن علي بن إبراهيم، أبو عبد الله، عز الدين ابن شداد الأنصاري الحلبي، مؤرخ من رؤساء الكتاب، ولد بحلب وقام برحلة إلى حران ومصر، وناب عن الملك السعيد بركة خان في مأتم الملك الظاهر بيبرس، في دمشق سنة 676 هـ/1277م وكان معظماً عند الأمراء محبوباً لديهم تولى ديوان الرسائل عند عدة من الملوك، واستوطن الديار المصرية بعد استيلاء التتار على حلب.

وتوفي بالقاهرة سنة 684 هـ/1285م. له (الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة) جزآن منه عن دمشق وحلب، ولم ينشر قسم الجزيرة، و (سيرة الملك الظاهر) و (تاريخ حلب).

ويعد كتابه "الأعلاق الخطيرة" من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة حيث أورد ذكر الربط والخانقوات والمدارس الموجودة بظاهر حلب وباطنها كما أورد ذكر واقفيها وتاريخ بنائها وتفاصيل مهمة.

الدَّهَبِيُّ:

شمس الدين شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز (673-748 هـ/1275-1347م)، التُّرْكَمَانِي الأَصْل، ثم الدمشقي، المقرئ الإمام الحافظ، محدِّث العصر، ومؤرخ الإسلام، طلب الحديث وله ثماني عشرة سنة، فسمع الكثير، ورحل، وعني بهذا الشأن، وتعب فيه، وخدمه إلى أن صارت له فيه قدم راسخة. قال السخاوي عنه: إن المحدثين عيال في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة:

المزيّ، والذهبي، والعراقي، وابن حجر. كُفّت بصره سنة 741 هـ/1340 م. و تصانيفه كثيرة تقرب من المائة، نذكر التي أفادت منها الدراسة: تاريخ الإسلام، سير أعلام النبلاء، طبقات الحفاظ، طبقات القراء، مختصر تهذيب الكمال، تذكرة الحفاظ، العبر في خبر من غير، الإعلام بوفيات الأعلام، المعين في طبقات المحدثين .

من أهم ما أفادت منه الدراسة مصنفه "سير أعلام النبلاء" وهو كتاب تراجم عام اختصره المؤلف من كتابه الكبير " تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام " المعروف بتاريخ الإسلام، والكتاب مرتب على التراجم بحسب الوفيات ابتداء من الصحابة إلى نهاية القرن السابع الهجري. ونظم المؤلف كتابه على الطبقات، فجعله في أربعين طبقة تقريبا، على طريقة كتب التراجم، بحيث كل طبقة تتضمن جيلا كاملا، وقد أفادت منه الدراسة أيما فائدة من خلال تلك التراجم لأشهر الأعلام، وقد اعتمد المؤلف فيه إلى ذكر الاسم الكامل لصاحب الترجمة، ونسبه ومناقبه، ومكانته العلمية، ومولده، ونشأته، وعلمه، وشيوخه، وتلامذته، وأثاره ومصنفاته، وتاريخ المولد والوفاة، مضمنا النقد في مكانه المناسب، مع نقد الأحاديث، وتقديم الردود على المتعصبين فقد كان لهذا المصدر فوائد كثيرة منها: الإطلاع على تراجم الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء وكذلك تراجم الخلفاء والقادة السياسيين بل وحتى أرباب الملل والنحل وغيرهم .

السبكي:

أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي(727-771هـ/1327-1327م) فقيه شافعي، ومؤرخ وقاضي القضاة في دمشق، انتقل إلى دمشق مع والده الفقيه تقي الدين السبكي وهو صغير فسكنها وعاش حياته وأصبح من أشهر القضاة في دمشق وتوفي بها. كان طلق اللسان، قوى الحجة، انتهت إليه قضاء القضاة في دمشق ثم عاد إلى دمشق وأكمل مسيرته في الفقه والقضاء توفي ودفن في دمشق.

من أشهر مؤلفاته "طبقات الشافعية الكبرى" الذي اعتمدت عليه الدراسة وهو مصنف جمع فيه مؤلفه تراجم أعلام المذهب الشافعي حسب طبقاتهم، وقد اشتمل الكتاب على مقدمة طويلة، تحدث فيها المؤلف عن فضل لا إله إلا الله، وأركان الإسلام الخمسة، وفضل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومكانة قريش وفضلها، ومناقب الإمام الشافعي، وقول أما بعد في الخطبة، واشتملت المقدمة أيضا على بعض مما أنشد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم من الأشعار والأراجيز، وعمد المؤلف إلى تقسيم الكتاب إلى سبع طبقات، بدأ بالطبقة الأولى، فالثانية وهكذا، يذكر في كل طبقة اسم الفقيه ونسبه، وروايته ودرجته بين أهل العلم وشيئا من مآثره، وبدأ الطبقة الأولى بالترجمة لأحمد بن خالد الخلال أبو جعفر البغدادي العسكري، وانتهى بالطبقة السابعة حيث ترجم فيها لمن توفي بعد المائة السابعة.

وقد استقت منه الدراسة أخبار المترجم لهم وما أورد من ذكر لأعمالهم الخيرية وما بذلوه من الإنفاق في سبل الخير على أماكن العبادة و طلبية العلم وفي مختلف الشؤون الأخرى ك مجال الرعاية الصحية وغيرها.

ابن كثير:

عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر البصري ثم الدمشقي صاحب التفسير المشهور والمعروف بتفسير ابن كثير. ولد بالبصرة، ثم رحل إلى دمشق مع أخيه سنة

706هـ/1306م بعد وفاة أبيه. سمع من علماء دمشق وأخذ عنهم مثل الأمدي وابن تيمية الذي كانت تربطه به علاقة خاصة تعرض ابن كثير للأذى بسببها. كان ابن كثير من بيت علم وأدب، وتتلذذ على كبار علماء عصره، فنشأ عالمًا محققًا ثقة متقنًا، وكان غزير العلم واسع الاطلاع إمامًا في التفسير والحديث والتاريخ، ترك مؤلفات كثيرة قيمة أبرزها البداية والنهاية في التاريخ وكتاب تفسير القرآن العظيم، وهو من أفضل كتب التفسير لما امتاز به من عناية بالمأثور وتجنب للأقوال الباطلة والروايات المنكرة، توفي ابن كثير بعد أن كُفَّ بصره، ودفن في دمشق. أما ابن كثير فقد أضاف إلينا العديد من المعلومات ذات الصلة بحياة المجتمع من خلال كتابه "البداية والنهاية" لما ورد فيه من التراجم للأعلام والمشهورين.

ابن أبي أصيبعة:

موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة بن أبي أصيبعة السعدي ولد ابن أبي أصيبعة في مدينة دمشق في بيت علم 600 هـ / 1203 م وأدب وكان والده أمير الكحالين (أطباء العيون) في دمشق. تعلم الطب عن أبيه وتعلم منه شتى أمراض العيون، ثم ذهب وتعلم على أيدي كل من يحسن هذه الصنعة؛ ليزيد من علومه وخبراته، سافر إلى القاهرة وعمل بالبيمارستان الناصري الذي أنشأه صلاح الدين، وأخذ يعمل ليلاً نهاراً على تحصيل العلم، فاشتهر بذكائه وحسن مداواته لأمراض العيون، ووصلت شهرته إلى سمع عز الدين ملك مدينة صرخد أو صلخد وهي إحدى مدن جبال حوران جنوب شرقي دمشق، فأرسل في طلبه، فأرسل إليه، وأعجبه مناخ صرخد، فمكث فيها حتى وافته المنية سنة 668 هـ / 1269م. وقد ترك ذكراً خالداً ومؤلفاً ضخماً لأمين الدولة وزير الملك الصالح، وهو من أفضل كتب تراجم الأطباء، ويمتاز هذا الكتاب بأنه أوسع وأوفر مادة جمعه، وقضى السنين الطوال محققاً ومدققاً حتى تمكن من تأليف كتابه هذا، وسماه "عيون الأنباء في طبقات الأطباء" حيث ترجم فيه للأطباء اليونان والرومان والهنود والعرب والفرس، وتحدث عن الحياة الطبية في كل منطقة واحتوى على أكثر من ثلاثمائة وثمانين طبيباً وحكيم ومنجم ومهندس، وربما ركز ابن أبي أصيبعة على الأطباء كونه طبيباً، وخلال ترجمته للأطباء قام الباحث بقراءة كل طبيب على حده واستطاع أن يتعرف على كل البيمارستانات التي عملوا فيها.

لذا ترجع أهمية كتاب ابن أبي أصيبعة لموضوع البحث إلى أنه ذكر فيه معظم البيمارستانات التي كانت موجودة في تلك المدة الدراسية لهذا البحث، فقد تحدث عن بيمارستانات سبقت عهده بكثير، لذلك فقد استفادت الدراسة من معلوماته في الفصل المتعلق بالبيمارستانات.

أبو شامة:

شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت 665 هـ / 1266 م) يعد أبو شامة من كبار الفقهاء والمحدثين في عصره، حيث كان متفوقاً في علوم النحو والعربية، بالإضافة إلى مؤلفاته التاريخية القيمة. وقد أفاد البحث من كتاب أبي شامة المسمى "الروضتين في أخبار الدولتين" وبخاصة في الفصل الثالث والرابع عند الحديث عن جرايات نور الدين محمود بن زنكي، و

وصف لنا مدى حرص نور الدين محمود بن زكي على متابعة أمر أوقافه سيما
البيمارستان النوري ومدارسه.

النعيمي:

محي الدين أبو المفاخر عبد القادر بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن نعيم،
المتوفى سنة 927هـ/1520م، اشتهر النعيمي بالتاريخ والحديث، وألف كتباً كثيرة أهمها:
"الدارس في تاريخ المدارس"، وهو من أهم كتب تاريخ الشام بعد ابن عساكر، سواء عن
علمائها أو أطبائها، ولقد أمدنا النعيمي بمعلومات مهمة ودقيقة في كثير من الموضوعات
التي تناولها البحث، خصوصاً في ذكر المدارس والبيمارستانات الإسلامية.

المقريزي:

أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي مؤرخ
الديار المصرية. أصله من بعلبك، ونسبته إلى حارة المقارزة (من حارات بعلبك في أيامه)
ولد بالقاهرة سنة 766 هـ/1364 م ونشأ بها وولي فيها الحسبة والخطابة والإمامة مرات،
واتصل بالملك الظاهر برقوق، فدخل دمشق مع ولده الناصر سنة 810 هـ/1407 م.
وعرض عليه قضاؤها فأبى. وعاد إلى مصر وتوفي في القاهرة سنة (845 هـ/1441 م).

ويعد كتابه الخُطط المقريزية المسمى بـ «المواعظ والاعتبار بذكر الخُطط والآثار» من
المصادر التي استفادت منها الدراسة لأنه يعد مصدراً مهماً كتب عن أحد الأقاليم المعنية
مكاننا بهذا البحث وهي مصر، فأورد لنا عرضاً شاملاً لتاريخ مصر الإسلامية منذ الفتح
الإسلامي حتى القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، ويعد مصدراً لا غنى عنه
للمهتمين بدراسة آثار مصر الإسلامية.

فأورد لنا الكتاب وصفاً تفصيلياً ودقيقاً بالقصور والجوامع والمدارس والخوانق
والحارات والأخطاط والدور والحمامات والقياسر والخانات والأسواق والوكالات التي
وجدت في مصر خلال تسعة قرون. وتحدث عن أحوال نيلها وخراجها وجبالها، وكثير
من مدنها وأجناس أهلها، وذكر قلعة الجبل وملوكها. وترتكز هذه القائمة في الأساس على
الملاحظات الشخصية للمقريزي وعلى مصادر لم تصل إلينا. ولم يرتبه على السنين لعدم
ضبط وقت كل حادثة، وإنما جعله مرتباً على ذكر الخُطط والآثار.

كتب التراجم والطبقات:

اعتمدت الدراسة على عدد من كتب التراجم والطبقات، كان أهمها كتاب ابن خلكان.

ابن خلكان:

أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن خلكان (ت: 681 هـ/1283 م) لم يبلغ بعد
التاسعة والعشرين من العمر، ثم عين قاضياً للقضاة في دمشق سنة 659 هـ/1260 م، كان
ابن خلكان إماماً ذكياً وبارعاً عالماً بالشعر والتاريخ وأيام الناس.
بدأ ابن خلكان في تأليف كتاب "وفيات الأعيان" بالقاهرة سنة 654هـ/1256 م وكان
عمره آنذاك ست وأربعون عاماً، ويعد هذا الكتاب من أهم المصادر في التراجم والتاريخ.
وتكمن أهميته في كون مصنفه اعتمد على مصادر عدة منها تاريخ دمشق لابن عساكر
والنوادير السلطانية لابن شداد، وقد ترجم للعديد من الأسماء التي ورد ذكرها في البحث.

ولقد أفاد هذا الكتاب الدراسة في ترجمته لبعض أصحاب الجرايات والأوقاف وصف بيمارستان صلاح الدين الأيوبي، وأهم أعماله الحضارية، كما أفاد البحث أيضاً من كتاب ابن خلكان والمسمى "وفيات الأعيان" في الفصل الثاني خصوصاً عند ذكر جهود السلطان صلاح الدين الأيوبي في بناء اليمارستان الصلاحي، ودور صلاح الدين في بناء العديد من المدارس واليمارستانات سواء في مصر أو الشام، خصوصاً بيت المقدس، وكيف كان يتابعها بنفسه.

كتب الجغرافيا والرحلات:

قدمت كتب الجغرافيا معلومات قيّمة عن الكثير من المدن والقرى الوارد ذكرها، وعن تواجد المدارس و اليمارستانات ومواضعها، أما كتب الرحلات فقد كان لأصحابها دور كبير في جمع المعلومات المتنوعة من خلال مشاهداتهم وتجاربهم وعلاقاتهم العامة والخاصة مع الناس، وذهابهم إلى المساجد والمدارس واليمارستانات وزيارتها ووصفهم للنظام الإداري فيها، ومن تلك الكتب ، رحلة ابن جبير (ت: 614/هـ 1217 م)، ورحلة ابن بطوطة

(ت: 703/هـ 1304م) اللذين كان لهما دور كبير في ذكر هذه المؤسسات.

ومن كتب الجغرافيا الأخرى التي أفادت الدراسة:

- "المسالك والممالك" للإصطخري إبراهيم بن محمد (ت 350 /هـ 960م).

- "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" للمقدسي المعروف بالبشاري محمد بن أحمد (ت: 380 /هـ 990م).

"آثار البلاد وأخبار العباد" للقزويني زكريا بن محمد بن محمود (ت:682/هـ 1283م) إضافة إلى كتاب معجم البلدان لياقوت: شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي ، (ت: 626 /هـ 122م) ، ومصادر أخرى قد لا تقل أهمية عن التي ذُكرت.

نقد المراجع:

- من أهم المراجع التي اعتمدت عليها الدراسة "خدمات الأوقاف في الحضارة الإسلامية إلى نهاية القرن العاشر الهجري" لصاحبه رعد محمود البرهاوي حيث تضمن هذا المرجع دراسة عن الخدمات التي كانت تقدمها الأوقاف للمؤسسات العبادية والتعليمية والصحية ، وأخرى متعلقة بالشؤون الاجتماعية ، وخدمات أخرى في مجالات مختلفة . وقد استفادت الدراسة من هذا المرجع كونه يتقاطع في بعض محاوره مع ما نبحت فيه ، سيما في مجال الخدمات المتعلقة بالتعليم في المدارس و الرعاية الصحية التي كانت تقدمها اليمارستانات.

- "تاريخ اليمارستانات في الإسلام" لأحمد عيسى بك(ت:1365 /هـ 1945 م) ، هذا الكتاب عبارة عن موسوعة في تاريخ اليمارستانات في الإسلام، بيّن فيه المؤلف بياناً رائعاً لعظمة التمدن الإسلامي، وما حفل به من أمجاد بذل في سبيله من جهاد حتى أظلت رايته البلاد وسعد بخيره العباد، وقد بدأ المؤلف بالتوثيق لليمارستانات (المستشفيات) الإسلامية بخيمة السيدة رفيدة التي تعتبر أول مستشفى ميداني حربي في التاريخ الإسلامي.

واستفاد منه البحث بما ورد فيه عن نشأة اليمارستانات في البلاد الإسلامية وتطورها وما كان بها من الأطباء ، وأخبارا عن مؤسسيها وما كان يقدم بها من الخدمات.

- "الخدمات العامة في بغداد(400-656 /هـ 1009-1258م)" لـ : عبد الحسين مهدي الرحيم ، وقد عرض فيه الحديث عن الخدمات العامة ببغداد على مدار قرنين ونصف

تقريباً، التي كانت على شكل جرايات وأوقاف في مجالات مختلفة على المؤسسات التعبدية مثل المساجد والربط والخوانق وغيرها ، والتعليمية مثل المدارس ، والصحية كالبيمارستانات.

ويعد مرجعا مهما في مجاله لما اعتمده من منهج متميز في نقد المادة التاريخية المستقاة من المصادر في هذا المجال.

- "دليل خارطة بغداد قديما وحديثا" ل: مصطفى جواد وأحمد سوسة ، وقد استفادت منه الدراسة في تحديد أماكن المساجد والمدارس والربط والخوانق و البيمارستانات والقصور والقيساريات بالعاصمة بغداد ، هذا فضلا عما تضمنه من مادة خبرية مهمة.

- "الأوقاف في بغداد (العصر العباسي الثاني)" ل: محمد عبد العظيم أبو النصر، وهي دراسة تتقاطع مع البحث في جزئيات كثيرة سيما فيما يتعلق بالأوقاف على المساجد والمدارس والبيمارستانات ، وأهمية المرجع كذلك فيما تضمنه من تفاصيل عن طبيعة هذه الأوقاف و واقفيها وتاريخ وقفها وأحوال عمائرها وما تعرضت له من عوادي الزمن ونظارها وغيرها من التفاصيل.

ومراجع أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها منها:

- "الربط الصوفية البغدادية وأثرها في الثقافة الإسلامية " ل: مصطفى جواد.و" المدارس في مكة في العصرين الأيوبي والمملوكي" ل: فواز بن علي بن جنيدب الدهاس.و"الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية" ل: محمود دياب.و" النفقات وإدارتها في الدولة العباسية" ل: ضيف الله يحي الزهراني. وكذلك "الإدارة التربوية في المدارس في العصر العباسي" ل: محمد علي الرجوب.و"المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى" ل: محمد مير سعد الدين. وغيرها من المراجع التي أفادت الدراسة.

وفي الأخير أشكر الله الذي بنعمته تتم الصالحات شكرا يليق بجلاله على حسن عونه وتوفيقه ، وأرجو أن تكون هذه الدراسة المتواضعة قد بلغت مقصدها ولو نسبياً، وهذا مبلغ الجهد والله المستعان.

المدخل:

تعد الجراية من المبرات الخيرية التي ساهمت بشكل واضح وفَعّال في الحضارة الإسلامية بتوفير الخدمات العامة في الدولة الإسلامية عبر مختلف عصورها في مجالات مختلفة مثل أماكن العبادة والتربية والتعليم والرعاية الصحية، من خلال تلك الخدمات التي يتلقاها أهل العلم من الطلبة والعلماء، والتي تبذل كذلك في الشؤون الاجتماعية كالتكفل بالمحتاجين والفقراء والمعوزين، والمسجونين وذوي العاهات المعيقة عن الكسب والسعي للرزق، والمتعلقة كذلك بالشؤون الصحية كالجراية على المرضى والمقيمين بالمؤسسات، وغيرها من المجالات المتعددة.

تُعرف الجراية في اللغة أنها الجاري من الوظائف، ويقال جرى له ذلك الشيء ودرّ له بمعنى دام له، وأجريت عليه كذا أي أدت¹، لذلك فالجراية تفيد معنى الاستمرار والدوام ، والصدقة الجارية هي الصدقة المتصلة كالوقوف المرصودة لأبواب البر² .

وقد ورد في الحديث الشريف ما يؤيد هذا المعنى ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له) الحديث رواه مسلم³ . لأن الميت ينقطع عمله وينقطع تجدد الثواب له إلا في هذه الأمور الثلاث لاتصالها به كونه كان سببها، لأن الولد من كسبه وهو المتسبب فيه، وكذلك العلم الذي يتركه بعد موته من تعليم أو تصنيف⁴.

و قد وردت عدة آثار في ذكر الجراية منها رواية لابن ماجة وغيره بسند صحيح عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن قتادة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (خير ما يخلف الرجل ما بعده ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة تجري يبلغه أجرها، وعلم يعمل به من بعده)¹.

¹ - محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منطور الأنصاري: لسان العرب ، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ج 14، ص142.

² - محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية ، بيروت، (د،ت)، ج37، ص350.

³ - مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، (د،ت)، ج3، ص1255.

⁴ - محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني: سبل السلام، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط4، القاهرة، 1379هـ/ 1960م، ج 3، ص87.

والظاهر أن من ضوابط الجارية حتى تتضبط بالمعنى اللغوي الذي وضعت له أن تكون مستمرة ودائمة، قال الزبيدي : جرى له الشيء دام² ، واستشهد بقول ابن حازم :
 غذاها بقارض يجري عليها ومحض حيث ينبعث العشار .
 وقال ابن الأعرابي: أجريت عليه كذا أي أدمت له، وصدقة جارية دائمة ومتصلة³.
 أما الجارية من حيث كونها من المبرات الخيرية فهي:
 ما يعطى للفقراء والمحتاجين من أهل العلم أو ذوي العاهات⁴، وغيرهم من ذوي الحاجة من طعام أو كسوة أو ما يقوم مقام ذلك من النقد أو ما يصلح به الإنسان حاله في مختلف أمور عيشه ويكون ذلك في اليوم أو الشهر على وجه الدوام .
 أن الجارية تمنح للفقراء والمحتاجين من أهل العلم وأصحاب العاهات والمرضى من المجذومين ،من غير أن يكون لذلك عوض سوى الأجر والثواب والتقرب إلى الله تعالى .
 لذلك فمن ضوابطها من حيث ما تكون فيه الجارية أنها تكون في النقد والطعام واللباس والمنافع المتعلقة ببعض الأعيان، ولا تكون في غير المنقولات كالعقارات من الأراضي والدور والعمران ،وإلا كانت كالوقف وبعض وسائل الإنفاق المالي كالعطاء⁵ والرزق⁶ والفرص⁷ و القسم⁸ وغيرها من الوجوه التي توزع بها الأموال⁹ على النحو الذي تتضمنه الجارية إلا أن أشبهها بالجارية هو الوقف كما سيأتي بيانه.

¹ - ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، (د،ت)، ج1، ص88. محمد ناصر الدين الألباني : إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتبة الإسلامي، ط2، بيروت، 1405 هـ/1985م، ج6، ص29.

² - الزبيدي :المصدر السابق ،ج37، ص350.

³ - ابن منظور :المصدر السابق ،ج14، ص142.

⁴ - عبد الحسين مهدي الرحيم:الخدمات العامة في بغداد(400-656هـ/1009-1258م)،دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد، 1978، ص26.

⁵ -- هو مقدار مخصص من المال تقدمه الدولة للناس يسمى العطاء ، ويعد العطاء من أهم أبواب الصرف والأساس الذي يعتمد عليه الناس في أمور عيشهم ، ويعتمد العطاء بالدرجة الأولى على الوضع المالي لمقدرات الدولة، فمقدار العطاء لم يكن ثابت الموارد إلا أن أساس الأمر هو توزيع الموارد المالية على المسلمين والمقاتلة على وجه الخصوص. صالح أحمد العلي: العطاء في الحجاز تطور تنظيمه في العهود الإسلامية الأولى، مستخرج من مجلة المجمع العلمي العراقي بغداد 1970، ص45.

⁶ -الرزق: هو مواد تموينية من الغذاء كانت تخصص لأهل المدينة زمن الخليفة عمر رضي الله عنه. صالح أحمد العلي، المرجع السابق، ص45. مهدي الرحيم: المرجع السابق، ص89.

⁷ -الفرص: هو فرض العطاء للناس لأول مرة، وأورده عليهم مرة ثانية بعد حرمانهم منه. مهدي الرحيم: المرجع السابق 89.

⁸ -القسم: هو غير العطاء ولعله اضافة إلى العطاء. نفسه، ص89.

⁹ - عبد الحسين مهدي الرحيم: المرجع السابق ، ص26-27.

أما **الوقف** في اللغة هو الحبس¹، والمنع²، والحبس يعني المنع من التصرفات مطلقاً سواء كان المنع حسياً أم معنوياً، ومنه الموقف لأن الناس يوقفون أي يحبسون للحساب³، والوقف جمع أوقاف و وقوف، والغالب أن يطلق الحبس على الوقف⁴، كما يطلق التسبيل على الوقف وجميعها يعني الوقف⁵.

وحسب المعنى اللغوي للوقف هو الحبس والمنع، بينما الجارية هي الاستمرار والدوام. أما الوقف في اصطلاح الفقهاء:

يعرف الوقف عند الفقهاء بعدة تعريفات تختلف فيما بينها باعتبار الضوابط الفقهية للوقف وأشهرها و أدقها تعريف ابن قدامة الذي قال بأنه **(تحبیس الأصل وتسبیل الثمرة)**⁶.

وهو التعريف المناسب للوقف لأنه يتطابق مع ما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال لعمر بن الخطاب في شأن الوقف (أحبس الأصل وسبل الثمر)⁷، كما أن هذا التعريف يوافق الصورة التي تكون عليها الجارية حين اقترانها بالوقف لأن تحبیس الأصل هو الوقف والتصدق بالثمر هو الجارية.

ويعرفه فقهاء المالكية: **(جعل المالك منفعة مملوكة، و لو كان مملوكاً بأجرة، أو جعل غلته كدراهم لمستحق، بصيغة مدة ما يراه المحبس)**⁸.

¹ - أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري: المحلى بالآثار، دار الفكر، بيروت، (د،ت)، ج8، ص149.

² - مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، بيروت، 1426هـ/2005م، ج1، ص537.

³ - برهان الدين إبراهيم بن موسى بن أبي بكر بن الشيخ علي الطرابلسي الحنفي: كتاب الإسعاف في أحكام الأوقاف، دار الجزيرة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د،ت)، ص3.

⁴ - علي الصعيدي العدوي المالكي: حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، 1412هـ، ج2، ص341.

⁵ - زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي: مختار الصحاح، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، ط5، بيروت، 1420هـ / 1999م، ج1، ص141.

⁶ - أبو محمد موفق الدين بن قدامة المقدسي الدمشقي: المغني، مكتبة القاهرة، القاهرة، (د،ت)، ج6، ص3.

⁷ - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، حقق هذا الجزء أكرم البوشي بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1982، ج14، ص420.

⁸ - محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر، بيروت، (د،ت)، ج4، ص76. وهبة الزحيلي: الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ط1، 1991، ج8، ص155.

ومضمون التعريف أن المالك يمنع العين -وهي مصدر المنفعة - عن أي تصرف يقتضي التملك، ويتبرع بمنفعتها لجهة خيرية تبرعا لازما لمدة، سواء كانت محددة زمنيا أم على التأبيد مع بقاء ملكية العين للواقف¹.

من حيث مدة الوقف حسب التعريف أنه قد يحدد بمدة زمنية أو يكون على التأبيد أما الجراية تكون في الغالب يومية أو شهرية، بمعنى أنها تمنح كل يوم أو عند نهاية كل شهر.

كما أنها قد تكون مؤقتة مرتبطة بظروف خاصة قد تزول بزوالها على خلاف الوقف فإنه ينعقد على الدوام والاستمرار.

الوقف هو التصديق بالمنفعة مع بقاء الملكية للواقف وأصل ذلك حديث ابن عمر (أن عمر أصاب أرضا من أرض خيبر، فقال: يا رسول الله، أصبت أرضا بخيبر، لم أصب مالا قط أنفس عندي منه، فما تأمرني؟) فقال إن شئت حبّست أصلها وتصدقت بها، فتصدّق بها عمر، على ألا تباع ولا توهب ولا تورث في الفقراء وذوي القربى والرّقاب والضيف وابن السبيل، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويُطعم غير متمول².

بينما الجراية لا تحتل التملك لأنها لا تكون في العقارات وكل ما كان أصله ثابت مثل (الأراضي، المباني، الأشجار..) أو المعادن الموجودة في باطن الأرض أو الآبار والأسيلة وغيرها³.

كما أن الجراية تكون في ما يتعلق بطعام الإنسان وكسوته أو بصحته، فهي متعلقة بالمنقولات من الطعام واللباس والدواء وغيرها، كالجراية على أهل العلم من العلماء وطلبة العلم بما يحتاجون إليه من الطعام واللباس والأجور، وعلى أهل الربط والخانقاوات والمرضى في البيمارستان من حيث توفير تلك الضروريات من الأكل والكسوة والدواء وغيرها من الخدمات.

لأن ما يستهلك لا يجوز وقفه بل يكون جراية كالطعام الذي يستهلك والشمع الذي يستصبح به والريحان الذي يشم وغيرها.

¹ وهبة الزحيلي : المرجع السابق، ج8، ص155.

² مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري: المصدر السابق، ج3، ص1255.

³ وهبة الزحيلي : المرجع السابق، ج8، صص 161-163.

والتعريف الثاني للوقف عند الفقهاء وهو المعروف عند الجمهور من الحنفية والحنابلة والشافعية على الأصح (حبس مال يمكن الانتفاع به، مع بقاء عينه ، بقطع التصرف في رقبته من الواقف وغيره ، على مصرف مباح موجود تقرباً لله تعالى)¹.

ووجه الخلاف بين التعريف الأول والثاني هو خروج ملكية العين الموقوفة من ملكية المالك، حيث يصبح الموقوف في حكم ملك الله تعالى ،وعلى هذا النحو يمنع الواقف من التصرف في الموقوف، ويلزم التبرع بريعه على جهة بر وخير وقد استدلوا على ذلك بحديث عمر المذكور آنفاً، إلا أن الحديث لا يدل على خروج الموقوف عن ملكية الواقف².

أما تعريف الإمام أبي حنيفة للوقف فهو (حبس العين على حكم ملك الواقف والتصدق بالمنفعة على جهة الخير)³.

وعلى رأي الإمام أبي حنيفة لا تزول ملكية الموقوف للواقف، ويمكن له الرجوع فيه، ويصح بيعه، لأن الراجح عند أبي حنيفة أن الوقف جائز غير لازم إلا بأحد أمور ثلاثة:
الأول :

فإذا حكم القاضي لزم الوقف لأن حكمه ينهي الخلاف، فرأيه مرجح في حال الخلاف فإذا حكم باللزوم لزم الوقف، فإذا اختصم الواقف مع الناظر إذا أراد الناظر⁴ أن يرجع في الوقف بحجة عدم اللزوم فإذا قضى القاضي باللزوم لزم الوقف وبطل الرجوع⁵ لأن القاضي الشرعي، وهو مجتهد حسب الشروط الشرعية لولاية القضاء، واجتهاده معتبر شرعاً.

أما الثاني:

1 - نفسه، ج8، ص154-155.

2- وهبة الزحيلي : المرجع السابق، ج8، ص155.

3- عبد الغني بن طالب بن حمادة بن إبراهيم الغنيمي الدمشقي الحنفي: اللباب في شرح الكتاب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية ، بيروت ،(د،ت)، ج2، ص180.

4- الناظر: هو من يتولى حفظ الوقف وعمارته وإيجاره وزرعه والمخاصمة فيه، وتحصيل الغلة من أجرة أو زرع أو ثمر وقسمتها بين المستحقين، وحفظ الأصول والغلال على الاحتياط، وعليه الاجتهاد في تنمية الموقوف وصرفه في جهاته من عمارة وإصلاح وإعطاء مستحق. أنظر شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ،دار الكتب العلمية ،بيروت، ط1، 1415هـ / 1994م، ج3، ص552-553.

5- الطرابلسي : المصدر السابق ، ص3. الشربيني : المصدر السابق : ج3، ص ص549-553.

أن يعلق الوقف بموت الواقف فيقول إن مت وقفت داري على كذا، فيلزم
وحكمه حكم لزوم الوصية بثالث المال ولا تلزم ولا تنفذ إلا بعد موته¹.

والثالث:

إذا كان الوقف للمسجد و أخرج الوقف عن ملكه وجعله للمسجد، فإن أذن فيه
للصلاة وقامت فيه الجماعة ولو صلى فيه منفردا لزم الوقف وخرج المال الموقوف من
ملكية الواقف وصار ملكا لله تعالى².

وقد تكلم أئمة أهل العلم في شأن الوقف وأهميته، فقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله
(من يرد الوقف يرد السنة التي أجازها النبي صلى الله عليه وسلم وفعلا أصحابه)، وذكر
للإمام مالك بن أنس أن شريحا بن الحارث قاضي الكوفة (ت: 78هـ/697 م) كان لا يرى
الحبس -الوقف- فقال الإمام مالك: (تكلم شريح ببلاده، ولم يرد المدينة فيرى آثار الأكابر
من أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين وهذه صدقات النبي صلى
عليه وسلم سبعة حوائط، وينبغي
للمرء أن لا يتكلم إلا فيما أحاط به خبرا)³.

وينقسم الوقف باعتبار الجهة التي وقف عليها في الابتداء إلى قسمين: خيرى وأهلي أو
ذري ، والوقف الخيري هو الوقف الذي أرصد أول الأمر لجهة خيرية لمدة معينة أو
مطلقة، كأن يقف أرضه لمدرسة أو بيمارستان لتلك المدة كان الوقف خيريا، ولو جعله
بعد ذلك على شخص معين أو أشخاص معينين. والوقف الأهلي أو الذري هو الوقف
الذي كان ابتداء على شخص أو أشخاص معينين ، حتى ولو جعل آخره لجهة خيرية⁴.

¹ - محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي: المبسوط ، دار المعرفة ، بيروت، 1414هـ/1993م ، ج12، ص27.

² - السرخسي، المصدر السابق ، ج12، ص30.

³ - مشعل عبد العزيز البكر: أهمية الوقف في الإسلام ،مجلة أوقاف ،العدد7، السنة الرابعة ، نوفمبر 2004 م، الأمانة العامة
للأوقاف، الكويت، ص124.

⁴ - وهبة الزحيلي : المرجع السابق ، ج8، ص161.

ومن خلال مفهوم الوقف ونظرة الفقهاء إلى أحكامه وضوابطه يمكن إجمال الفوارق الموجودة بين الوقف والجارية في:

- أن الجارية تمنح للفقراء والمحتاجين من أهل العلم وأصحاب العاهات والمرضى من المجذومين، من غير أن يكون لذلك عوض سوى الأجر والثواب والتقرب إلى الله تعالى.

- أنها تكون في النقد وهو ما يقوم مقام الطعام والكسوة والدواء لأن هذه الأغراض تعوض بالنقد، على خلاف الوقف فلا يجوز وقف النقد عند بعض الفقهاء.

- أن الوقف يكون على الفقراء والأغنياء على خلاف الجارية لا تكون إلا على الفقراء.

- الوقف هو التصديق بالمنفعة مع بقاء الملكية للواقف بينما الجارية لا تحتل التمليك لأنها لا تكون في العقارات.

- أن الوقف قد يتضمن الجارية من حيث أن منفعة الوقف المنفصلة عنه كمن وقف الأشجار وتكون ثمارها لجهة خيرية، ففي هذه الحال الأشجار موقوفة والثمار تستهلك، وأصبحت في الصورة القابلة للتلف ولا ينسحب عليها وصف الوقف-الثمار- لأنها لا تدخر وقابلة للتلف وينسحب عليها معنى الجارية إذا أرصدت لجهة خيرية.

- كما أن نفقات الجارية قد تكون بعضاً من أموال الوقف فقد ورد في تاريخ ابن خلدون ما يفيد هذا المعنى (وما أدري ما فعل الله بالمشرق والظن به نفاق العلم فيه واتصال التعليم في العلوم وفي سائر الصنائع الضرورية والكمالية لكثرة عمرانها والحضارة ووجود الإعانة لطالب العلم بالجارية من الأوقاف التي اتسعت بها أرزاقهم. والله سبحانه وتعالى هو الفعّال لما يريد وبيده التوفيق والإعانة)¹.

وهو اعتمادنا في القول بأن الجارية من الوقف وصورة من صورته بما يجري من أموال الوقف على من جعلت لهم الجارية.

¹ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي: كتاب العبر، وديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، ط2، بيروت، 1408 هـ / 1988 م، ج1، ص551.

الفصل الأول

الهجرة على أماكن العبادة.

أولاً: المساجد

ثانياً: الأربطة

ثالثاً: الخوانق

رابعاً: دور الضيافة الرمضانية..

خامساً: دور ضيافة الحج.

إن المؤسسات التعبدية هي الأماكن التي أنشأت بغرض أداء العبادة كالصلاة أو الاعتكاف والذكر مثل الجوامع والمساجد، أو الانقطاع عن الدنيا و مشاغلها للتفرغ للعبادة والزهد كالأربطة والخوانق، أو بغرض البر والإحسان وتحصيل الأجر والثواب كدور الضيافة الرمضانية التي تقدم الطعام في شهر رمضان للفقراء والضعفاء والمعوزين من العامة، أو المنقطعين من عابري السبيل والغرباء، وما كانت تؤديه هذه الدور في مناسبات خاصة كاستقبالها للحجاج في موسم الحج.

فالحديث عن الجارية على هذه المؤسسات التعبدية التي أنشأت بغرض التعبد أو الزهد أو تحصيل الأجر والثواب يعني ما أجري عليها من أموال التي مصدرها من الأوقاف أو من غيرها، لأن العوائد المالية للأوقاف تخرج من صفة الوقف إلى الجارية كونها أموالاً أي نقداً، وكما هو معلوم في الفقه الإسلامي أن صفة الوقف تتعلق بالعقارات كالأراضي والدور والأشجار والآبار وغيرها من غير المنقولات ولا تصدق على النقد والطعام وكل ما من شأنه أن يفنى بالاستهلاك أو التلف.

تعتبر المساجد والجوامع والأربطة والخنقاوات مرافق أو مؤسسات تؤدي وظيفة تعبدية، والانقطاع عن عوارض الدنيا والتجرد للعبادة، وما يصاحب ذلك من حياة التصوف والزهد والإعراض عن مشاغل الحياة وبهرجتها، وهذا ما درج عليه أهل التصوف والزهد بالأربطة والخانقاوات، فما يقدم للمجاورين كالمجاورين للحرمين، أو ما يعطى للفقراء وأصحاب العوز بالجوامع والمساجد من طعام أو خدمة مجانية، أو ما يبذل على أصحاب الخدمة من المتطوعين لخدمة المساجد من غير سخرة من مال من أجل تأمين رزقهم فكل ذلك هو من باب الجارية التعبدية، وكونها جارية لأنها صدقات مالية يرتجي بها

أصحابها الأجر والثواب، وكونها تعبدية لأنها تبذل لمن أجريت عليهم لارتباطهم بالحرمين أو بالجوامع والمساجد.

ويتضمن هذا المعنى ما أجري من الأموال على هذه الأماكن بغرض صيانتها وتجديد هياكلها ومرافقها وتوسعتها، كما هو الشأن بالنسبة للحرمين الشريفين، أو ما تنزود به هذه المؤسسات من وسائل الإنارة من الزيت والشمع والطيب والسجاد وغيرها مما تحتاجه الجوامع والمساجد من التعهد والصيانة من وقت لآخر.

وكذلك الأمر بالنسبة للأربطة والخوانق التي هي دور يقيم بها الصوفية والمنقطعون للعبادة والزهاد من الرجال والنساء، فما يجري عليهم من المال والطعام والكسوة والخدمة المجانية طيلة إقامتهم بها هو كذلك من الجارية التعبدية.

كما أن الاهتمام بالمواسم الدينية ذات الطابع الديني التعبدية مثل موسم الحج وشهر رمضان فإنها تدخل في هذا السياق كونها شعائر دينية تعبدية.

فالمساجد والجوامع والأربطة و الخوانق وأداء مناسك الحج وصيام شهر رمضان شؤون تعبدية لذلك اصطلاحنا على ما كان يجري على هذه المؤسسات التعبدية سواء من أموال أو مؤن أو غيرها مما يدخل في معناها بالجارية على أماكن العبادة.

ومن المؤسسات التعبدية التي كانت محل اهتمام من المنفقين الميسورين الذين كانت لهم مخصصات مالية تجرى عليها هي:

أولاً- المساجد:

1- الحرمين الشريفين:

لقد كانت العمارة الدينية من أهم الميادين التي كانت محور اهتمام الخلفاء والوزراء والأمراء والصالحين من العلماء وغيرهم، كبناء المساجد و الإنفاق والجارية عليها، والاهتمام بترميمها وصيانتها في مختلف أمصار البلاد الإسلامية.

إلا أن المصادر المتاحة لم تورد لنا معلومات كافية عن المساجد والجوامع، وعن طبيعة وقدرة تلك الإنفاقات المتعلقة بها التي أرصدت لخدمتها لا سيما في القرون الأولى، فقد ظهر الاعتناء ببناء المساجد بشكل واسع بعد عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبدأ

ظهور بنائها في الدولة الإسلامية منذ العهد الراشدي عند تخطيط المدن الجديدة مثل الكوفة والبصرة والفسطاط¹.

كما زاد الاعتناء ببناء المساجد بعد عملية الفتوح الإسلامية في الأقاليم لا سيما في العصر الأموي، وإن أخذ تأسيسها طابعا شخصيا ، مثلما كان عليه الأمر عندما قام الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (86-96 هـ/705-714م) بتوسيع المسجد الحرام ، وعمّر المسجد النبوي الشريف ووسّعه²، وبنى جامع دمشق³.

وقد ذكر اسم المسجد الحرام في القرآن الكريم في خمسة عشرة موضعا، ستة في البقرة، الأول: قال الله تعالى (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)⁴، أما الثاني (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ)⁵، والموضع الثالث (وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)⁶، والرابع (وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ

1 - ففي خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب إلى ولاته على الأمصار يؤمرهم ببناء المساجد في الأقاليم التي هم عليها ،فقد روي أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة، ويتخذ للقبائل مسجدا، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك، وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك. أنظر تقي الدين أحمد بن علي المقرئ: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1418هـ / 1997م، ج4، ص5. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط1، القاهرة، 1968، ج1، ص132. حورية عبده سلام: إقليم الموصل في العصر الأموي دراسة حضارية، دار العالم العربي، ط1، القاهرة، 2008م، ص30.

2- أورد الطبري أن الوليد بن عبد الملك أعاد بناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر سنة 88 هـ/706م، وبعث الوليد إلى صاحب الروم يعلمه أنه أمر بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يعينه فيه فبعث إليه بمائة ألف مثقال ذهب ، وبعث من الفسيفساء بأربعين حملا ، وأمر أن يتتبع الفسيفساء في المدن التي خربت فأرسلها إلى الوليد، فبعث الوليد بذلك إلى عمر بن عبد العزيز، وفي هذه السنة بدأ عمر في بناء المسجد. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، ط2 ، القاهرة ، 1968 ، ج6 ، ص 436-437. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي: معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1977 ، ج5 ، ص87. السيوطي : حسن المحاضرة ، ج2 ، ص218. طه عبد القادر عمارة : تاريخ عمارة وأسماء المسجد الحرام حتى نهاية العصر العثماني، منشورات مركز أبحاث الحج ، جامعة أم القرى ، مكة، (د،ت) ، ص20.

3 - ذكر ابن كثير أن الوليد بن عبد الملك بنى مسجد دمشق الذي لا يعرف في الأفق أحسن بناء منه ، وقد شرع في بنائه وتحسينه مدة خلافته وهي عشر سنين، فلما أنهاه انتهت أيام خلافته. أبو الفدا إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي: البداية والنهاية ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، الجيزة ، 1997 ، ج12 ، ص402.

4 - سورة البقرة: الآية 144.

5- سورة البقرة : الآية 149.

6 - سورة البقرة : الآية 150 .

عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ¹، أما الخامس (ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)²، وجاء في السادس (وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ)³. وفي سورة المائدة (أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)⁴.

وفي سورة الأنفال (وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)⁵، وفي سورة التوبة في ثلاثة مواضع، الأول قال الله تعالى: (إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)⁶، والموضع الثاني: (وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)⁷، أما الثالث (فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ)⁸. وفي الإسراء قوله تعالى (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)⁹. وموضع في سورة الحج (وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ)¹⁰. وفي سورة الفتح موضعين، الأول:

(وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ)¹¹، والموضع الثاني: (لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ)¹².

من النصوص القرآنية المتقدمة يتبين أن كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام فالمراد به الحرم، إلا في قوله تعالى: (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) فإنه أراد به الكعبة، وأما ابن أبي الصيف اليميني¹³ فقال بعد ذكر المواضع الخمسة عشر منها ما أراد

¹ - سورة البقرة : الآية 191 .

² - سورة البقرة : الآية 196 .

³ - سورة البقرة : الآية 217 .

⁴ - سورة المائدة : الآية 2 .

⁵ - سورة الأنفال : الآية 34 .

⁶ - سورة التوبة : الآية 7 .

⁷ - سورة التوبة : الآية 19 .

⁸ - سورة التوبة : الآية 28 .

⁹ - سورة الإسراء : الآية 1 .

¹⁰ - سورة الحج : الآية 25 .

¹¹ - سورة الفتح : الآية 25 .

¹² - سورة الفتح : الآية 27 .

¹³ - محمد بن إسماعيل بن أبي الصيف اليميني، فقيه الحرم الشريف بمكة، توفي سنة 609 هـ/1212م. ابن كثير: المصدر

السابق ، ج17، ص33.

به الكعبة كقوله : (فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) ومنها ما أراد به مكة كقوله: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ)، وقد روي أنه أسري به صلى الله عليه وسلم من بيت أم هانئ بنت أبي طالب ، ومنها ما أراد به الحرم¹ كقوله تعالى: (إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ)².

وقال: وقد روى النسائي في سننه من حديث ميمونة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (صلاتي في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الكعبة)³ ، وروى أيضا من حديث أبي هريرة (إلا الكعبة). وفي رواية ابن ماجة.

(وصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة)⁴ مع ذكر المساجد يظهر أنه أراد مسجد مكة والمصلي فيه مصلي بمكة ، ويظهر أن الكل داخل في الاسم المذكور في القرآن إلا أن الإطلاق ينصرف إلى المسجد الذي قدر به الطواف، ولذا يقال : كُنَّا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وخرجنا من المسجد الحرام ، واعتكفنا في المسجد الحرام وبتنا فيه ، ولا شك أن مساجد الحرم متعددة ، واختص هو من بينها بالمسجد الحرام بالعرف⁵.

ويعد المسجد الحرام أول بيت ومسجد وضع لله تعالى على وجه الأرض قال الله تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ)⁶ بنى هذا البيت أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام

¹ - محمد بن عبد الله الزركشي: إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغي، مكتبة الثقافة الدينية، ط4 ، القاهرة ، 1982، ص 59 - 60.

² - سورة التوبة: الآية 28.

³ - ابو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي: المجتبى من السنن المعروف بالسنن الصغرى ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية ، ط2 ، حلب ، 1406هـ/1986م، ج5، ص213.

⁴ - ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د،ت)، ج1، ص451.

⁵ - نفسه، ج1، ص60-61.

⁶ - سورة آل عمران: الآياتان 96-97.

وابنه إسماعيل وقد أخبر بذلك الذكر الحكيم في قول الله تعالى (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)¹.

كانت بيوت العرب الساكنين حول الحرم تحيط به من كل جوانبه ، وكانت بينها الأزقة التي تؤدي إلى المسجد الحرام ، ويدخل المسلمون من خلال تلك الأزقة ليؤدوا الصلاة وليطوفوا بالبيت العتيق ، وفي ذلك الحين لم يكن حول البيت حائط يحيط به ، حتى جاء عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (13-23هـ/634-643م) فبنى حوله حائطا جداره قصير، ولما ازداد عدد المسلمين في خلافته وصار المسجد الحرام لا يستوعب عدد الوافدين عليه من المصلين أمر بشراء الدور المجاورة للمسجد وهدمها وضم مساحتها إلى المسجد الحرام ، وكانت سنة 17 هـ/ 638 م أول توسعة للحرم ، كما جعل له لأول مرة مصابيح لإنارته ليلا².

وفي خلافة عثمان رضي الله عنه (23- 35 هـ/643-655 م) وفي السنة السادسة والعشرين من الهجرة زاد في المسجد الحرام ، ووسّعه فاشترى بيوتا أخرى حول الحرم من أصحابها فأبى آخرون فقام بهدمها ، ووضع الأثمان في بيت المال، فصاحوا بعثمان، فأمر بهم فحبسوا ، وقال لهم: أتدرون ما جرّأكم عليّ؟ ما جرّأكم عليّ إلا حلمي، قد فعل بكم عمر فلم تصيحوا به. فكلّمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فأطلقهم. وجعل في المسجد أروقة ، فكانت أول أروقة اتخذت للحرم ، ولم يكن قبل ذلك أروقة أو سقف³.

وأدخلت في العهد الأموي كذلك توسعات إلى المسجد الحرام على الإضافات التي أقامها الخلفاء الراشدين ، ومن أبرز هذه الأعمال ما قام به عبد الله بن الزبير⁴، أثناء

1 - سورة البقرة : الآية 127.

2- الطبري: المصدر السابق، ج 4 ، ص 68. أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العربية، ط1، بيروت، 1992، ج4، ص231. ابن الأثير: أبو الحسن علي الشيباني المعروف بابن الأثير: الكامل في التاريخ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1977، ج2، ص 382. محمد ماجد عباس خلوصي: عمارة المساجد، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1998، ص 49.

3- الطبري : المصدر السابق، ج4، ص 251 . ابن الجوزي: المنتظم ، ج 4 ، ص 360. ابن الأثير : الكامل، ج 2، ص 481. ابن كثير: المصدر السابق، ج10، ص 224. محمد ماجد عباس خلوصي: المرجع السابق، ص 49.

4- عبد الله بن الزبير: هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق وهو صحابي جليل ، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث ، وروى عن أبيه و عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهم ، وعن غيرهم ، وعن جماعة من التابعين ، وشهد اليرموك وهو صغير ، وحضر خطبة عمر

ولايته فبنى الكعبة في أيامه ، ورد بناءها كما كانت عليه ، فهدم بناءها لأنه مال جدارها مما رميت به من حجارة المنجنيق عندما حاصر الحجاج بن يوسف الثقفي عبد الله بن الزبير سنة 73هـ/692 م¹ ، فهدم الجدران حتى وصل إلى أساس إبراهيم ، وكان الناس يطوفون ويصلون من وراء ذلك ، وجعل الحجر الأسود في تابوت في سرقة² من حرير وادخر ما كان في الكعبة من حلي وثياب وطيب عند الحجة في خزنة البيت³ ، حتى أعاد بناءها على ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يبنها عليه من الشكل⁴.

وفي سنة 75هـ/694 م قام عبد الملك بن مروان بتزيين رؤوس الأعمدة في أروقة المسجد الحرام بالذهب ، وجعل في رأس كل عمود خمسون مثقالا من الذهب ، كما أمر بإضاءة الشارع الواقع بين الصفا والمروة فوضع مصباحا كبيرا مقابل الحجر الأسود⁵. وفي سنة 88هـ/706 م أمر الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-714م) واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز⁶ بهدم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهدم بيوت

بالجابية ، وقدم دمشق لغزو القسطنطينية ، وببيع له بالخلافة أيام يزيد بن معاوية ، ولما مات يزيد غلب على الحجاز واليمن والعراق ومصر وخراسان وسائر بلاد الشام إلا دمشق ، وتمت البيعة له سنة 64 هـ / 683 م ، وكان الناس بخير في زمانه ، إلى أن ظفر به عبد الملك بن مروان على يد الحجاج بن يوسف الثقفي فقتله سنة 73 هـ / 692 م. ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج4 ، ص ص 121-129. أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي المعروف بابن الأبار: الحلة السرياء ، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف، ط2 ، القاهرة ، 1985 ، ج1 ، ص ص 24-28. ابن كثير : المصدر السابق ، ج12 ، ص ص 186-187. تقي الدين محمد بن أحمد الحسيني الفاسي المكي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمود محمد الطناحي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1969، ج5، ص ص 141-145. ابن الخير محمد بن محمد الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق ج. برجستراسر، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 2006، ج1، ص 49.

¹- ابن كثير : المصدر السابق، ج12، ص 187. تقي الدين الفاسي المكي: العقد الثمين، ج5، ص 144.

²- سرقة : جيد الحرير ، مفردها سرقة ، وجمعها سرق . وقال الشاعر :

يرفلن في سرق الحرير وقزه يسحب من هدايه أذيا لا

وفي حديث عائشة: قال لها رأيتك يحملك الملك في سرقة من حرير ، أي قطعة من جيد الحرير، وجمعها سرق. وفي حديث ابن عمر: رأيت كأن بيدي سرقة من حرير. وفي حديث ابن عباس: إذا بعتم السرقة فلا تشتروه ، أي إذا بعتموه نسيئة، وإنما خص السرقة بالذكر لأنه بلغه أن تجارا يبيعهونه نسيئة ثم يشترونه بدون الثمن، وهذا الحكم مطرد في كل المبيعات، وهو الذي يسمى العينة. جمال الدين ابن منظور الأنصاري: لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، 1414هـ ، ج 10، ص 157.

³- الطبري : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 582 .

⁴- ابن كثير : المصدر السابق ، ج 11 ، ص 691.

⁵- محمد ماجد عباس خلوصي : المرجع السابق، ص 50.

⁶- عمر بن عبد العزيز: هو أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، الإمام الحافظ المجتهد، الزاهد، أشج بني أمية، خامس الخلفاء الراشدين، أمه أم عاصم بنت

أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإدخالها في المسجد ، واشترى ما في مؤخره ونواحيه حتى صار مائتي ذراع في مائتي ذراع¹.

ومن اهتمامات الوليد بالحرم النبوي أن زخرفه بالفسيفساء والمرمر وجعل سقفه مموها بالذهب وجعل على جدرانه الآيات القرآنية²، كما اتخذ له أربع مآذن، وأنشأ له شرفات³، وقد بلغت كلفة توسعة الحرم النبوي الشريف وتزيينه حوالي أربعين ألف دينار⁴. وفي سنة 91هـ/709 م حج بالناس الوليد بن عبد الملك ، وقسم بالمدينة دقيقا كثيرا وذهبا كثيرا، وأتية من ذهب وفضة وأمواالا، ثم كسا المسجد النبوي من كسوة الكعبة التي كانت معه، وهي من ديباج غليظ ، وطيب كان معه⁵.

وفي العصر العباسي (132- 656 هـ/749-1258 م) لما حج المنصور سنة 137هـ/754 م، رأى صغر مساحة المسجد الحرام وضيقه فعزم على توسعته ، وإضافة ما حوله من الدور ، فأمر المنصور عامله على مكة زياد بن عبد الله الحارثي⁶ أن يراعي

عاصم بن عمر بن الخطاب، ولد بالمدينة المنورة سنة 63هـ/682. قال أنس رضي الله عنه: ما صليت وراء إمام قط أشبه برسول الله من هذا الفتى، قال ميمون بن مهران: ما كان العلماء عند عمر إلا تلامذة، ولي سنة 99هـ/717م، توفي في 25 رجب 101هـ/719م، ولما جاء نعي عمر قال الحسن البصري: مات خير الناس فضائله كثيرة. أبو نعيم أحمد الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، (د، ت)، ج5، ص253. ابن الجوزي: المنتظم: ج7، ص ص 69-72. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص58. الذهبي: تذكرة الحفاظ، منشورات دائرة المعارف العثمانية، ط1، الهند، 1958، ج1، ص ص 118-120. سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1982، ج5، ص114. العبر في أخبار من غير، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1985، ج1، ص91. ابن كثير: المصدر السابق، ج12، ص ص 676-680.

¹ - الطبري : المصدر السابق ، ج6 ، ص435 . ابن الجوزي: المنتظم ، ج6، ص283. ابن الأثير: الكامل ، ج4 ، ص246. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير و الأعلام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي، بيروت، (د، ت) ، ج6، ص31.

² - أبو إسحاق إبراهيم بن ديسيم الحربي: المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، منشورات دارالرياسة، الرياض، 1969، ص372. ³ - محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله: الدرر الثمينة في تاريخ المدينة، اعتناء لجنة من كبار العلماء والأدباء، منشورات مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، 1956، ص373.

⁴ - نفسه ، ص373-374.

⁵ - ابن الأثير: الكامل، ج4، ص263. ابن كثير: المصدر السابق، ج12، ص434.

⁶ - زياد بن عبيد الله الحارثي: هو زياد بن عبيد الله بن عبد الله الحارثي خال السفاح، وفد على عبد الملك ، وقيل على مروان بن محمد ، وجده عبد الله وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان اسمه عبد الحجر فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، وولي زياد الحرمين للسفاح والمنصور، وأقام الحج للناس سنة 133 هـ / 750 م ، ثم عزله المنصور، وتوفي في حدود

ذلك ، فكانت زيادة المنصور ضعف ما كانت عليه مساحة المسجد الحرام من قبل، كما أمر بزخرفته بالفسيفساء والذهب والنقوش الزخرفية الأخرى¹، وقد بلغت تكلفة ذلك مائة ألف دينار².

وقد اعتاد خلفاء بني العباس إجراء الأموال على أهل مكة والمجاورين للحرم والقاصدين له ، ففي سنة 160 هـ / 776 م حجَّ بالناس الخليفة المهدي بن جعفر المنصور (158-169 هـ / 774-785 م) ففرق في أهل مكة مالا عظيما جدا، كان قد حمل معه ثلاثين ألف درهم ، ومائة وخمسون ألف ثوب³ ، وجاءه من مصر ثلاثمائة ألف دينار ، ومن اليمن مائتا ألف دينار ففرقها كلها في أهل مكة والمدينة⁴.
وذكر أنه شكا الحجة⁵ إلى المهدي أنهم يخافون على الكعبة من الهدم من كثرة ما عليها من الكساوى ، فأمر بتجريدها من تلك الكساوى التي كانت عليها ، فلما انتهوا إلى كساوى هشام بن عبد الملك وجدها من ديباج ثخين جدا ، وبقية كساوى الخلفاء قبله وبعده من عمل أهل اليمن، فلما جردها طلاها بالخلوق⁶ ، وكساها كسوة حسنة جدا، وقيل أنه استفتى مالك بن أنس في إعادة بناء الكعبة إلى ما كان بناها ابن الزبير من موضعها على الوجه الذي كان يوده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك: دعها على حالها فإنني أخشى أن يتخذها الملوك ملعبة فتركها كما كانت⁷.

150 هـ / 767 م .صلاح الدين خليل أيبك الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط و تركي زكي ، دار إحياء التراث العربي، ط1 ،بيروت ،2000، ج15، ص

¹ - الطبري:المصدر السابق،ج7،ص500.ابن الجوزي:المنتظم،ج8،ص22.محمد ماجد عباس خلوصي:المرجع السابق،ص50.
² - ضيف الله يحي الزهراني:النفقات وإدارتها في الدولة العباسية من سنة(132 هـ/243 هـ)،مكتبة الطالب الجامعي،ط1،مكة، 1986، ص399.

³ - الفاسي المكي:الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة ،تحقيق محمد زينهم ،الدار الثقافية للنشر،ط1،القاهرة ، 2004، ص199.

⁴ - ابن الأثير: الكامل، ج5 ، ص 236.

⁵ - الحَجَبَةُ: وهم حجة البيت وفي الحديث (قالت بنو قصي فينا حجابة) يعنون حجابة الكعبة، وهي سدانتها، وتولي حفظها وهم الذين بأيديهم مفاتيحها. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي:تاج العروس من جواهر القاموس،مجموعة من المحققين ، دار الهداية، القاهرة، (د،ت)،ج2، ص239.

⁶ - الخلق : الطيب.الزبيدي: المصدر السابق: ج3 ، ص66 و ج6 ، ص 365 .

⁷ - ابن الجوزي:المنتظم،ج8،ص238.ابن الأثير:الكامل،ج5،ص236.ابن كثير:المصدر السابق،ج13،ص484. محمد بن أحمد بن علي تقي الدين أبو الطيب المكي الحسني الفاسي:شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام،دار الكتب العلمية، ط1، بيروت ، 1421هـ/2000م ،ج1، ص136.

وأمر بعمارة المسجد الحرام والتوسعة فيه بإضافة الدور المجاورة له ،وكلف بذلك قاضي مكة محمد بن عبد الرحمن بن هشام الأوقصي، فعمد إلى شراء الدور المعنية بالتوسعة ، و عوض أصحابها بأثمانها¹ ، وقد بلغت نفقات تلك التوسعة ثمانية عشرة ألف دينار² .

وفي سنة 167 هـ / 783 م أمر المهدي بزيادة كبيرة في المسجد الحرام³ ، فدخل في ذلك دور كثيرة ، وولى أمر التوسعة يقطين بن موسى⁴ الموكل بأمر الحرمين ومصالحهما فلم يزل في إنجاز مشروع التوسعة حتى مات المهدي⁵ ، ولما حج المأمون سنة 212 هـ / 827 مفرق أموالا كثيرة في الحرمين⁶ .

وقام المعتمد على الله العباسي⁷ (256-279 هـ / 869-892 م) ببناء وترميم بعض أجزاء المسجد الحرام ، حيث جدد السقف في سنة 271 هـ / 894 م ، و نقشه بالزخارف المتعددة الألوان ، وأصلح العمودين الذين سقطا في الجانب الغربي منه¹ .

¹ - أبو الوليد محمد بن عبد الله الأزرقى : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدي الصالح ملحق ، منشورات دار الثقافة، مكة ، 1978 ، ج2، ص 74.

² - الزهراني: المرجع السابق، ص399.

³ - لما حج المهدي سنة 164 هـ / 780 م شاهد الكعبة المشرفة غير متوسطة، لأن المسجد الحرام قد اتسع من الجهة الشمالية والشرقية والغربية، أما الجهة الجنوبية لم تكن فيها زيادة كبيرة بسبب مجرى سيل وادي إبراهيم، فعزم على أن يوسعه حتى يوسط الكعبة في المسجد الحرام فعهد بذلك إلى يقطين بن موسى. أنظر : محمد ماجد عباس خلوصي: المرجع السابق، ص52-53.

⁴ - يقطين بن موسى: كان أحد الدعاة لدولة بني العباس ، وكان حازما داهية ، وقد احتال حيلة عظيمة ، وذلك حين حبس مروان بن محمد بجران إبراهيم الإمام العباسي صاحب الدعوة ، تحيرت الشيعة فلم تدر من الإمام من بعده ، فقال لهم يقطين : أنا أعلمكم ، فمضى إلى الشام، فوقف لمروان فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا رجل تاجر، قد بعث بضاعة من رجل، ولم أقبض ثمنها حتى أخذته رسلك فحبسوه، فإن رأى أمير المؤمنين أن يجمع بيني وبينه لأطالبه بمالي؟ قال : نعم، فأرسل به إليه مع غلام، فلما رآه قال: يا عدو الله، إلى من تركت بعدك آخذ مالي منه ؟ فقال: إلى ابن الحارثية، يعني أخاه عبد الله السفاح، فرجع يقطين إلى الدعاة من بني العباس فأعلمهم بما قال، فبايعوا السفاح. ابن الجوزي: المنتظم، ج9، ص125. ابن كثير: المصدر السابق، ج 13، ص637-638.

⁵ - الطبري : المصدر السابق ، ج 8 ، ص 164. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص255. أبو محمد عبد الله المكي: المصدر السابق، ج1، ص274. ابن كثير: المصدر السابق، ج13، ص532.

⁶ - تقي الدين الفاسي المكي: الزهور المقتطفة ، ص 199.

⁷ - الخليفة المعتمد على الله : هو أحمد بن جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد ، ويكنى أبا العباس ، ولد بسامراء سنة 229 هـ / 843 م ، بويع بالخلافة سنة 256 هـ / 869 م ، انهمك في اللهو واللذات ، وانشغل عن الرعية ، فكرهه الناس

ومن خلفاء بني العباس الذين اهتموا بتوسعة المسجد الحرام والجرية على أهل الحرم الخليفة أبو العباس المعتضد (279-289هـ / 892-901م)² فضم إليه دار الندوة فهدمت وحفر أساسها ،وجعل لتلك الزيادة جدراناً وسقوفاً وشرفات ،وقد كانت تلك الزيادة مساوية للمسجد الحرام ، وقد عمل لما زاده منارة عرفت بمنارة باب زيادة³.

وقام الخليفة المقتدر بالله(295-319هـ/907-931م)⁴بتوسعة جديدة بزيادة على باب إبراهيم ، وزاد البابين من الجهة الغربية للمسجد الحرام المعروفين بباب الخياطين وباب بني جمح⁵، وكان سخياً جواداً، فقد أجرى على الحرمين وفي طريقهما في كل سنة 315 ألف و426 ديناراً⁶.

وأحبوا أخاه طلحة ، وهو أول خليفة قهر وحجر عليه ، ووكل به ، وكانت خلافته ثلاث وعشرين سنة ، إلا أنه كان مقهوراً مع أخيه الموفق واستيلائه على الأمور مات وهو كالمحجور عليه سنة 279 هـ / 892 م . ابن كثير : المصدر السابق ، ج 14 ، ص 643-644 . جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي : تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد أحمد عيسى ، دار الغد الجديد ، ط1 ، القاهرة ، 1428 هـ / 2007 م ، ص 338 - 339 . ابن العماد شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العسكري الحنبلي ، دمشق : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، ط1 ، دمشق ، 1408 هـ / 1988 م ، ج 3 ، ص 326 .

¹ محمد ماجد عباس خلوصي : المرجع السابق ، ص 54 .

² الخليفة المعتضد بالله : هو أحمد أبو العباس بن ولي العهد الموفق طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ، ولد سنة 242 هـ / 856 م ببيع له بالخلافة سنة 279 هـ / 892 م بعد عمه المعتمد ، وكان ملكاً شجاعاً ، مهيباً ، ظاهر الجبروت ، وافر العقل ، شديد الوطأة ، كان قليل الرحمة ، ذا سياسة عظيمة ، قد لقي الحروب ، قام بالأمر أحسن قيام ، وهابه الناس ورهبوه أحسن رهبة ، وسكنت الفتن في أيامه لفرط هيئته ، وكانت أيامه طيبة ، كثيرة الأمن والرخاء ، أسقط المكوس ، ونشر العدل ، ورفع الظلم عن الرعية ، فكان يجلس للنظر في المظالم ، وكان يسمى السفاح الثاني ، لأنه جدد ملك بني العباس ، اعتل المعتضد ومات سنة 289 هـ / 901 م . المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري : نشوار المحاضرة و أخبار المذاكرة ، تحقيق عبود السالجي المحامي ، دار صادر ، بيروت ، 1391 هـ / 1971 م ، ج 1 ، ص 269 . ابن كثير : المصدر السابق ، ج 14 ، ص 698-699 . السيوطي : تاريخ الخلفاء ص 341-342 .

³ محمد ماجد عباس خلوصي : المرجع السابق ، ص 54 .

⁴ المقتدر بالله : هو أبو الفضل جعفر بن المعتضد ، ولد سنة 282 هـ / 895 م ، ولي الخلافة وعمره ثلاث عشرة سنة ، كان جيد العقل صحيح الرأي ، ولكنه كان مؤثراً للشهوات ، وغلبت عليه النساء ، أئلف أموالاً كثيرة ، استوزر أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات ، فسار أحسن سيرة ، وكشف المظالم ، وحض المقتدر على العدل ، ففوض إليه الأمور لصغره ، واشتغل باللعب واللهو ، واستوزر علي بن عيسى فسار بغيعة وعدل وتقوى ، وأبطل الخمر و المكوس ، قتل سنة 319 هـ / 931 م . السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص 349-354 .

⁵ محمد ماجد عباس خلوصي : المرجع السابق ، ص 54 .

⁶ ابن الجوزي : المنتظم ، ج 13 ، ص 63-64 .

ولقد أبدى عضد الدولة البويهى(ت: 372هـ/972 م)¹ في عهد الخليفة الطائع لله(363-393هـ/973-1002م)²اهتماما بالخدمة للحرمين الشريفين وبالإنفاق على الحجيج الوافدين إليهما ، فقد أجرى النفقات والصدقات على المجاورين للحرمين وأهل البيوتات³، ورفعت الجباية عن قوافل الحجيج ،وما كان يقع عليهم من ضروب التعسف، وأقيمت لهم السواني التي تمدهم بالماء ، وحفرت الآبار ، وأجريت الينابيع، وحملت مختلف الكساوى للكعبة المشرفة، وبذلت الصلات للأعيان والمقيمين بالمدينة ، وغيرهم من الفقراء وأهل العوز والفاقة ، وجُلبت لهم الأقوات من البر والبحر⁴.

وفي سنة 366هـ/976 م حجت جميلة بنت ناصر الدولة بن حمدان⁵ في موكب عظيم، فكان يضرب المثل بحجها ، وذلك أنها اتخذت أربعمئة محمل فلا يدرى في أي محمل هي، ولما وصلت إلى الكعبة أنفقت أموالا كثيرة بلغت عشرة آلاف دينار ، و من برها كذلك في هذا الحج أنها كست المجاورين بالحرمين كلهم ، وأنفقت أموالا جزيلة في ذهابها وإيابها في هذا الموسم⁶.

وفي سنة 369 هـ/979 م جدد عضد الدولة (ت: 372 هـ/982 م) المساجد والمشاهد

¹ - أول من تسمى بشاهنشاه ، وأول من خطب له على المنابر مع الخليفة ، امتدحه الشعراء بمدائح هائلة كالمتمتبي وغيره ، كان عاقلا فاضلا حسن السياسة شديد الهيبة ، بعيد الهمة ، كان يحب العلم والفضيلة ، وكان يقرأ عنده كتاب(إقليدس)، وكتاب النحو لأبي علي الفارسي وهو (الإيضاح والتكملة)، الذي صنفه له.ابن كثير : المصدر السابق ، ج 12 ، ص ص 411- 413.

² -الخليفة الطائع: هو أبو بكر عبد الكريم بن المطيع ، بويغ له بالخلافة يوم خلع أبيه سنة 363 هـ/ 973 م ، أعاد للخلافة سائر عهدها وطرد الديلم عن العراق ، قبض على الطائع وحمل إلى دار السلطنة وأحضر الشهود والقضاة والفقهاء والأشراف والأمراء وأشهد عليه بالخلع من حضر من الهاشميين وغيرهم . علي بن محمد المعروف بابن العمراني : الأنباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق قاسم السمراي، دار الأفاق العربية، القاهرة، 1999، ص 179. ابن كثير: المصدر السابق، ج 15، ص 501. أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرقي الفارقي: تاريخ الفارقي، تحقيق بدوي عبد اللطيف عوض، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1959، ص 63.

³ - ابن كثير : المصدر السابق ، ج 12 ، ص 412.

⁴ - عبد الحسين مهدي الرحيم : المرجع السابق ، ص 50.

⁵ - هي جميلة بنت ناصر الدولة الحسن بن عبد الله بن حمدان صاحب مدينة الموصل، كانت من أجمل النساء عقلاً وجمالاً، وقيل: إنها لم تتزوج لشهامة عندها حتى لا يحكم عليها أحد من الرجال، وقد ذكر الثعالبي في كتاب بيتمة الدهر فقال: " كانت بنو حمدان أوجههم للصباحة، وألسنتهم للفصاحة، وأيديهم للسماحة، وعقولهم للرجاحة . وكانت جميلة من أشرف نساء زمانها، تكرم العلماء وتعظم الفضلاء، وفي سنة ست وستين وثلاثمئة خرج عليهم أمير طيء دغفل بن مفرج، وقتل أبا تغلب وتفرقت غلمانها، وحملوا أخته جميلة وزوجته بنت سيف الدولة إلى حلب، فأخذ سعد الدولة صاحب حلب أخته وتركها عنده، وأرسل جميلة بنت عمه إلى بغداد فاعتقلها عضد الدولة في حجره، ثم أركبها على جمل سنة إحدى وسبعين وثلاثمئة، ونادى عليها: هذه قبيحة أخت أبي مغلوب. ثم ألقاها في الدجلة وغرقها وماتت. عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي: بيتمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، 1403 هـ/1983م، ج1، ص 37. ابن الجوزي: المنتظم، ج 14، ص 248.

⁶ - ابن كثير : المصدر السابق، ج 15، ص 376.

وأجرى على الفقهاء والأئمة والمحدثين والمتكلمين والأطباء وغيرهم الأرزاق والجرایات ، وأصلح طريق الحجاج من بغداد إلى مكة، وأرسل الصدقات والصلوات للمجاورين بالحرمين¹.

ومن عمال عضد الدولة الذين اشتهروا بالجرایة على الحرمين وعلى الحجاج الوافدين إليهما ، بدر بن حسنويه (ت: 405 هـ / 1014 م)² وكانت جرایاته وصدقاته متصلة على الفقهاء والأشراف والقضاة والشهود والأيتام والضعفاء ، وكان يصرف كل سنة ألف دينار إلى عشرين رجلا يحجون عن والدته وعن عضد الدولة لأنه كان المتسبب في ملكه ، وبلغت جرایته على الحرمين وخفر الطريق ومصالحها كل سنة مائة ألف دينار، وكان يحمل إلى الحرمين والكوفة وبغداد من الأموال ما يفرق على الأشراف والفقهاء والقراء وأهل البيوتات فلما توفي انقطع ذلك وأثر في أحوال أهله ووقف أمر الحج³. كما اشتهر بدر بن حسنويه بما كان يقدمه في مواسم الحج من الأموال لأجل تحقيق الأمن للحجاج في الطريق حيث بلغت تسعة آلاف دينار ، كما أجرى الأموال على أبناء المهاجرين والأنصار بالحرمين، وعلى الفقراء وأصحاب الحاجات ببغداد، بلغت في مجموعها في كل سنة عشرين ألف دينار⁴.

ومن الذين عرفوا بإجرائهم الأموال على المقيمين المجاورين للحرمين عبد الواحد بن أحمد بن الحسين أبو سعد الدسكري⁵ (ت: 486 هـ / 1093 م)⁶، رجل صالح، فقيه

¹ - ابن كثير: المصدر السابق ، ج15، ص 398.

² - بدر بن حسنويه : ومن إنفاقاته وصدقاته ، أنه كان يتصدق في كل جمعة بعشرة آلاف درهم على الضعفاء والأرامل ، ويصرف كل سنة ثلاثة آلاف دينار إلى الأساكفة و الحذائين بين همدان وبغداد ليصنعوا للمنقطعين من الحجاج الأحذية ، وكان يصرف لتكفين الموتى كل شهر ألف درهم، ويعمر القناطر، واستحدث في أعماله ثلاثة آلاف مسجد، وخان للغرباء ، وكان يكثر من الصلاة والتسبيح ، لا ينقطع بره عن أحد لذنب ، فإن مات أعاد ذلك على ولده. ابن الجوزي: المنتظم ، ج15، ص105.

³ - ابن الجوزي: المنتظم ، ج15 ، ص 105. ابن الأثير: ج8 ، ص82-83.

⁴ - عبد الحسين مهدي الرحيم : المرجع السابق ، ص 51.

⁵ - الدسكري : نسبة إلى الدسكرة ، وهي قريتان إحداهما على طريق خراسان يقال لها دسكرة الملك ، وهي قرية كبيرة تنزلها القوافل. أبو سعد عد الكريم بن محمد بن منصور التيمي السمعاني: الأنساب ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى اليماني ، مكتبة القاهرة، 1980 ، ج5، ص311.

⁶ - أبو سعد الدسكري: عبد الواحد بن أحمد بن الحسين الدسكري ، أبو سعد الفقيه ، صحب أبا إسحاق الشيرازي ، وتفقه عليه ، روى الحديث ، وكان مؤلفا لأهل العلم ، برع في الفقه ، وكانت له معرفة بالأدب ، وارتقت درجته وارتفعت، روى عن أبي الحسن بن علي بن المذهب وغيره ، قيل أنه لما حج عطش الحجاج في تلك السنة ، فسألوه أن يستسقي لهم، فتقدم وقال: اللهم إنك تعلم أن هذا بدن لم يعصك قط في لذة، ثم استسقى فسقي الناس مات سنة 486هـ / 1093 م. ابن الجوزي : المنتظم ، ج17، ص7. تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي

ديّن ورع ، ذكر السبكي في طبقاته قال أنه: قد حج وأنفق مالا صالحا على المجاورين الفقراء بالحرمين¹.

وممن اشتهروا أيضا بالإتفاق والجرية على الحرمين والمجاورين لهما من الحاج والعباد والفقراء الوزير أبو جعفر جمال الدين الجواد²، ولقب بالجواد لما اشتهر به من البذل والإتفاق على أصحاب الحاجة والمعوزين والأرامل والفقراء³، و ذكر أنه واسى الناس بماله في قحط حتى باع بَقْيَارَهُ⁴.

وبنى سور مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما كان خرب من مسجده ، وكان يحمل في كل سنة إلى مكة والمدينة من الأموال و الكسوات للفقراء والمنقطعين من العباد بالحرمين⁵،ومن مآثره كذلك أنه جدد بناء مسجد الخيف⁶ بمنى وغرم عليه أموالا عظيمة ، وبنى الحجر بجانب الكعبة، وزخرفها وزهبا ، وعملها بالرخام⁷.

ومن ذلك أيضا أنه ساق الماء إلى عرفات ، وبنى مسجدها، ودرّجه فجعل له سلما يصل إليه إذ كان الناس يجدون صعوبة في الوصول إليه، وأكمل أبواب الحرم وجددها ، وبنى على المدينة النبوية سورا وما كان خرب من مسجده⁸.

بن عبد الكافي السبكي: طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار إحياء الكتب العربية، ط1، القاهرة، 1964، ج5، ص224. ابن كثير: المصدر السابق، ج16، ص137.

¹ - المصدر السابق ، ج5، ص224.

² -الوزير جمال الدين الجواد: هو الوزير صاحب الملقب بالجواد ، أبو جعفر محمد بن علي بن أبي منصور الأصبهاني وزير صاحب الموصل الأتابك عماد الدين زنكي الذي ولّاه نيابة الرحبة و نصيبين ، واعتمد عليه ، وكان كريما نبيلاً ، محبباً على الرعية ، دمث الأخلاق ، كامل الرياسة ، له في أعمال البر والخير الشيء الكثير حتى لقب بالجواد، وزر بعد ذلك لغازي بن زنكي، ثم من بعد لأخيه مودود ، ثم أنه استكثر إقطاعه وثقل عليه ، فسجنه سنة 558 هـ / 1162 م ، فمات مضيقاً عليه بعد عام من سجنه ، وكانت جنازته مشهودة من الضعفاء والأيتام ، ثم نقل بعد عام ودفن برباط بناه لنفسه بالقرب من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمقدار خمسة عشرة ذراعاً، كان يتصدق كل يوم على بابه بمائة دينار، ويفتدي من الأسارى في كل سنة بعشرة آلاف دينار ، وظلت صدقاته وافدة إلى الفقراء والفقهاء حيث كانوا من بغداد وغيرها ، كان أسخى الناس ، وأكثرهم بذلاً للمال ، رحيماً بالخلق ، متعطفاً عليهم ، عادلاً فيهم .ابن الجوزي: المنتظم، ج18، ص161.ابن الأثير: الكامل ، ج9 ، ص471-472. ابن خلكان: المصدر السابق ، ج5 ، ص144. الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج20، ص349-350.

³ - الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 20، ص349.

⁴ - بقياره: بقيار كلمة فارسية،وهي عمامة كبيرة ، يعتمرها الوزراء والقضاة والكتاب.الذهبي:سير أعلام النبلاء،ج20، ص349.

⁵ - السبكي : المصدر السابق ،ج5، ص224.

⁶ - الخيف: ما انحدر من غلظ الجبل ، وارتفع عن مسيل الماء ، ومنه سمي مسجد الخيف من منى . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج2، ص412.

⁷ - ابن الأثير : الكامل ، ج 9 ، ص471 .

⁸ - ابن كثير : المصدر السابق ، ج16، ص411-412.

وفي عهد الخليفة الناصر (575-622 هـ/1179-1225م)¹ وعند وفاة زوجته سلجوقه خاتون (ت 584 هـ / 1188م)² أمر جماعة من أهل التقوى والصلاح أن يحجوا عليها، وفرق على الحجاج الوافدين إلى الحرمين الشيء الكثير من المال والطعام والكسوة والأدوية وغيرها³.

وكذلك والدته السيدة الفاضلة صاحبة البر والإحسان زمرد خاتون⁴(ت: 599هـ/ 1202م) كانت سالحة كثيرة البر والصدقات ، حجت مرة فأنفقت ثلاث مائة ألف دينار تصدقت بها على أهل الحرمين ، وكان معها نحو ألفي جمل ، وأصلحت البرك والمصانع ، وعمرت التربة عند معروف الكرخي⁵ والمدرسة التي إلى جانبها⁶.

¹ - الخليفة الناصر: هو أبو العباس بن المستضيء بأمر الله ، ولد سنة 553 هـ/1138 م ، بويع له بالخلافة سنة 575 هـ / 1179 م، ولم يل الخلافة أحد أطول مدة منه إلا المستنصر العبيدي، فقد كانت مدة حكمه نحو الستين سنة ، فإنه أقام فيها سبعة وأربعين سنة، وظلت خلافته في عز ورخاء، ووقع الأعداء والمخالفين، كان شديد الاهتمام بمصالح الملك، لا يخفى عليه شيء من أحوال رعيته كبارهم وصغارهم، تأتبه الأخبار من كل مكان، وأصحاب أخباره منتشرين في مختلف أرجاء البلاد، وكانت له حيل وخدع غامضة لا يفتن لها أحد، توفي سنة 622 هـ/ 1225 م. الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج45 ، ص84 ، وما بعدها. ابن كثير: المصدر السابق، ج17، ص ص 133-135. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 404.

² - سلجوقه خاتون : بنت قلع أرسلان بن مسعود بن قلع أرسلان زوجة الخليفة الناصر ، وكانت زوجة نور الدين صاحب حصن كيفا من قبل، قدمت بغداد للحج و عادت إلى بلدها ، فتوفي عنها زوجها، فوصفت للخليفة وأخبر بجمالها الزائد فتزوجها بعد أن خطبها من أخيها، وأحبها الخليفة فوجد بها وجدا كبيرا ، بنت لها رباطا وتربة بالجانب الغربي فتوفيت قبل فراغ العمارة، وحضر جنازتها كافة أعيان الدولة وكان ذلك سنة 584 هـ/ 1188 م. ابن الأثير : الكامل، ج10، ص179. الذهبي : تاريخ الإسلام : ج41، ص179. الصفدي : المصدر السابق، ج15، ص 185.

³ - عبد الحسين مهدي الرحيم : المرجع السابق ، ص 55.

⁴ - زمرد خاتون : هي الست الجليلة المصونة زمرد خاتون، التركية الجبهة ، أم الخليفة الناصر لدين الله بن المستضيء ، كانت سالحة عابدة ، كثيرة البر والصلوات والأوقاف والصدقات ، عاشت في خلافة الناصر أربعاً وعشرين سنة نافذة الكلمة مطاعة الأوامر ، حجت ووقفت المدارس والربط والجوامع ، ولها وقوف كثيرة ، عمرت المصانع بطرق الحجاز الشريف، وأصلحت الطرقات ، لما ماتت سنة 599 هـ / 1202 م كانت جنازتها مشهودة ، وصلى عليها خلق كثير ، ودفنت في التربة التي بنتها لنفسها ، واستمر العزاء بسببها شهرا كاملا، ولبست ثياب العزاء عنها سنة كاملة ، وأمر الخليفة بتقريب ما خلفته من ذهب وجوهر وثياب . ابن الأثير: الكامل ، ج10، ص284. الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج42 ، ص386. الصفدي: المصدر السابق، ج14، ص143. ابن العماد: ج6 ، ص163.

⁵ - معروف الكرخي: هو معروف بن الفيرزان ويقال له ابن علي ، أبو محفوظ ، ويعرف بالكرخي نسبة إلى كرخ بغداد ، وكان أهله نصارى ، وكان صبيا في الكتاب يقول معلمهم وهو يعلمهم معتقد النصارى أب وابن فيصبح أحد أحد، وأسلم وروى الحديث، وكان من كبار الزهاد في الدنيا، وذكر مرة عند الإمام أحمد بن حنبل فقيل: هو قليل العلم ، فقال أحمد: وهل يراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف ، وكان سفيان بن عيينة يقول : لا يزال أهل بغداد بخير ما بقي فيهم معروف ، توفي رحمة الله عليه سنة مائتان للهجرة. ابن الجوزي: المنظم، ج10، ص88. ابن عبد الرحمن السلمي: الطبقات الصوفية ، تحقيق أحمد الشرباصي ، دار مؤسسة الشعب ، القاهرة ، ط2 ، 1419 هـ / 1998 م، ص 28 .

⁶ - الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج42، ص 86. ابن العماد: المصدر السابق ، ج6، ص163.

وقد كان الخليفة الناصر يكلف أحد الفقهاء من أهل الخير والصلاح، مثل عبد الودود بن محمد بن المبارك أبو المظفر¹ (ت: 618 هـ / 1221 م) ليكون وكيلا عنه لحمل كسوة الكعبة المشرفة والأموال التي كان يجريها على الفقراء الملازمين للحرمين الشريفين ، وكل ما يتصدق به على الفقراء والمحتاجين من الحجاج والمقيمين بثواب الخلفاء وأهليهم².

وكان الخليفة المستنصر (623-640هـ/1226-1242م)³ يرسل كسوة الكعبة الشريفة والصدقات التي كان يجريها على المجاورين للحرمين، ومن وكلاء الخليفة الذين كانوا يقومون بهذه الخدمة أبو بكر بن الحبير⁴ وغيره⁵.

¹ - أبو المظفر عبد الودود بن محمود: هو عبد الودود بن محمود بن المبارك بن علي أبو المظفر بن أبي القاسم، المعروف والده بالمجبر البغدادي قرأ المذهب الشافعي والأصول على أبيه ، وتعلم الخلاف والجدل ، ولحق بمصاف الفقهاء ،تولى الإعادة بالمدرسة النظامية حين كان والده مدرسا بها، ورتب على السبيل الذي أخرجه الخليفة الناصر بطريق مكة ، وشكره الخاص والعام، وولي الوكالة للخليفة الناصر، فاشتهر بالديانة والأمانة، وحج مرارا، كان متواضعا ، حسن الأخلاق، توفي سنة 618 هـ / 1221 م. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج44، ص411.الصفدي:الوفاي بالوفيات، ج19، ص192.السبكي:المصدر السابق، ج8، ص317.ابن كثير:المصدر السابق، ج17، ص111.

² - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج44، ص411.الصفدي:الوفاي بالوفيات، ج19، ص192.عبد الحسين مهدي الرحيم:المرجع السابق ، ص55-56.

³ - المستنصر بالله: أبو جعفر المنصور بن محمد الظاهر بن أحمد الناصر، وأمّه أم ولد رومية، ولد سنة 588هـ/1192 م ، وبويع له بالخلافة سنة 623هـ/1226 م، وكانت خلافته سبعة عشرة سنة إلا ستة أشهر، كان شهما جوادا شجاعا حسن التدبير، ترك آثارا

جليلة، لعل أهمها المدرسة المستنصرية، وتوفي سنة 640هـ/1242 م.كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أمد الشيباني البغدادي المعروف بابن الفوطي:الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق مهدي النجم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2003م، ص16.إسماعيل بن العباس بن رسول الأشرف الغساني:العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك تحقيق شاكر محمود عبد المنعم، دار التراث، بيروت، دار البيان، بغداد، 1975، ص420-421.أحمد بن علي بن عبد القادر المقرئ:السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997، ج1، ص344.حمزة بن أحمد بن عمر المعروف بابن سباط الغري:صدق الأخبار المعروف بتاريخ ابن سباط، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، ط1، طرابلس، 1413هـ/1993 م، ج1، ص327.حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري: تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، دار صادر، بيروت، (د، ت)، ج2، ص370.

⁴ - أبو بكر بن الحبير : هو أبو بكر محمد بن يحيى بن المظفر بن علي بن نعيم المعروف بابن الحبير السلامي، شيخ صالح عالم فاضل ، كان حنبليا ثم صار شافعيًا ، درس بعدة مدارس للشافعية ، تولى عدة مهام في دولة المستنصر وكان مقدما عنده ، كان فقيها أصوليا ، عالما بالخلاف ، ودرّس بالنظامية ، وخلع عليه ، وظل ملازما لها حتى توفي سنة 639 هـ / 1241 م ، عن ثمانين سنة ودفن بباب حرب. ابن كثير : المصدر السابق، ج17، ص258.

⁵ - عبد الحسين مهدي الرحيم : المرجع السابق ، ص56.

وقد عرف عن السلطان العادل نور الدين محمود(ت: 569 هـ / 1173 م)¹ بإنفاقاته وأوقافه السخية على الحرمين الشريفين².

ونذكر ابن كثير أن نور الدين محمود وقف وقفا على من يعلم الأيتام والقرآن ، وجعل لهم نفقة وكسوة ، وعلى من يقرئ الأيتام ، وعلى المجاورين بالحرمين³. ومن الذين اشتهروا في هذا المجال أيضا مظفر الدين كوكبري⁴ أمير إربل⁵، الذي كان يقيم في كل سنة سبيلا للحاج ، ويسير معه جميع ما تدعو إليه حاجة المسافر في الطريق ، ويسير صحبته أمينا معه خمسة أو ستة آلاف دينار ينفقها بالحرمين على المحتاجين وأصحاب الرواتب، وله بمكة إنفاقات عدة في مختلف الخدمات⁶.

2-المساجد والجوامع:

إن أغلب الأخبار التاريخية التي أوردتها المصادر عن العمارة الدينية تتعلق غالبا

¹ نور الدين محمود : هو الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي، كان ملكا عادلا ، زاهدا عابدا ورعا متمسكا بالشرعية مائلا إلى الخير مجاهدا في سبيل الله ، كثير الصدقات ، بنى المدارس في بلاد الإسلام مثل دمشق وحلب ومنبج والرحبة ، وبنى بمدينة الموصل الجامع النوري ، وبحمأة الجامع الذي على نهر العاصي، وجامع الرها، وجامع منبج ومارستان دمشق، ودار الحديث بها، وغيرها من المناقب ، توفي سنة 569هـ / 1173م. شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة : كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1422 هـ / 2002 م، ج2، ص ص 200-208. جمال الدين محمد بن سالم بن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال، نشر عن مخطوطات كمبردج وباريس واستانبول، (د،ت)، ج1، ص 109-111. صلاح الدين خليل أيبك الصفدي: أمراء دمشق في الإسلام، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ط2، بيروت، 1983، ص 99. محمد بن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د،ت)، ج3، ص 291-292.

² ابن كثير: المصدر السابق، ج16، ص481. رعد محمود البرهوي: خدمات الأوقاف في الحضارة العربية الإسلامية إلى نهاية القرن العاشر الهجري، المجمع العلمي، بغداد، 2002، ص 59.

³ ابن كثير: المصدر السابق، ج16، ص481.

⁴ مظفر الدين كوكبري: هو السلطان المعظم مظفر الدين أبو سعيد كوكبري بن علي بن بكتكين بن محمد التركماني كان محبا للصدقة ، متواضعا ، خيرا، سنيا يحب الفقهاء والمحدثين ، بنى مدرسة للشافعية والحنفية ، كان يمد بها السماط ويحضر السماع كثيرا ، لم يكن له لذة في شيء غيره ، كان يمنع من دخول منكر إلى بلده، وبنى للصوفية خانقاهين وكان ينزل إليهما للسماع ، وكان في السنة يفتدي الأسرى بالجملة، ويخرج سبيلا للحج ، ويبعث للمجاورين بخمسة آلاف دينار، وأجرى الماء إلى عرفات ، ولد سنة 549 هـ / 1154 م بإربل وتوفي سنة 630 هـ / 1232 م. ابن خلكان : المصدر السابق، ج4، ص ص 113-117. الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج22، ص 334-335.

⁵ إربل: قلعة حصينة ، ومدينة كبيرة ، ولقلعتها خندق عميق ، وفي هذه القلعة أسواق ومنازل ، وجامع للصلاة ، وهي شبيهة بقلعة حلب، وتقع بين الزابيين ، وهي من أعمال الموصل. ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج1، ص138.

⁶ ابن خلكان: المصدر السابق، ج4 ، ص117.

بالإنفاق على إنشاء وتعمير المساجد ،دون أن تفصل في طبيعة هذه الإنفاقات ومقدارها ، كما أنها تقتصر في الغالب كذلك على مساجد عاصمة الخلافة بغداد ، وعلى الإنفاق على الحرمين الشريفين بمكة والمدينة.

ولا تشير المصادر إلى الإنفاقات على تلك العمائر الدينية التي أنشأت في مختلف الأقاليم الإسلامية الأخرى التي كانت في شكل جريات مالية أو عقارات ووقفية إلا النزر القليل، وهذا ما يرجح أن مسؤولية تمويل حاجاتها كان من بيت المال. وفي حدود ما أورده المصادر يبدو أن الإنفاق على المساجد سواء ما كان على وجه الجريات أو الوقف قد ظهرت في القرن الثالث للهجرة على العموم¹.

ومن المساجد التي اشتهرت بالصرف والإعاشة على المقيمين المجاورين بها من الفقراء أو أهل العلم من الطلبة والعلماء ، واستقادت من أموال الجارية والوقف :

جامع الرصافة الكبير الذي شيده المهدي (158-169هـ/774-785م) سنة (143هـ/760م) قبل توليه للخلافة شرق بغداد ،وقد كان هذا المسجد مأوى للفقراء ، وقد شهد حركة علمية بارزة من خلال تلك الحلقات العلمية التي كانت تقام به، وقد لازمه المحدث أبو الغنائم الدجاني (ت: 463هـ/1070م)²، فذكر أنه كان له مال فافتقر آخر عمره ، فجمع له أهل الحديث شيئاً من المال فلم يقبله ، وقال : يا فضيحتنا آخذ على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا والله³.

جامع ابن طولون نسبة إلى منشئه وهو أحمد بن طولون⁴، حيث تذكر المصادر أن ابن طولون ركب يوماً إلى الصيد فغاصت قدم دابة بعض أصحابه في الأرض في مكان في

¹ - رعد محمود البرهاوي: المرجع السابق، ص 54.

² - أبو الغنائم الدجاني : هو أبو الغنائم محمد بن علي بن الدجاني ، من أهل باب الطاق ، سمع أبا الحسن علي بن عمر الحربي ، وأبا طاهر المخلص ، وأبا القاسم عيسى بن علي الوزير وآخرون ، وروى عنه أبو بكر الأنصاري ، وأبو منصور بن زريق القزاز، كان ثقة في الحديث ، توفي سنة 463 هـ / 1020 م . ابن الجوزي: المنتظم ، ج16، ص136-137. السمعاني : المصدر السابق ، ج5 ، ص282.

³ - ابن الجوزي : المنتظم ، ج16، ص 136-137.

⁴ - أحمد بن طولون: هو أبو العباس أمير الديار المصرية، وباني الجامع المنسوب إليه، ملك دمشق والعواصم والشغور مدة طويلة، كان أبوه طولون من الأتراك الذين أهداهم نوح بن أسد بن سامان الساماني عامل بخارى للمأمون سنة مائتين وقيل للرشيد سنة مائة وسبعين، كان مولده سنة أربع عشرة وقيل عشرين ومائتين، قيل أنه ليس ابن طولون إنما متبناه، درس القرآن الكريم، وكان حسن السيرة ، ولي مصر سنة 254 هـ/ 868 م في خلافة المعتز بالله(252-255هـ/866-868 م) ، بنى الجامع المشهور الذي بلغت كلفته 120 ألف دينار، كان عاقلاً حازماً كثير المعروف والصدقة، متديناً، يحب العلماء وأهل الدين، تمكن

البرية، فأمر ابن طولون بالكشف في المكان فوجد كنزا فيه من المال ما قيمته ألف ألف دينار فبنى من ذلك الكنز الجامع وتصدق بمعظمه¹، وبدأ في بناء الجامع سنة (263هـ/876 م) وتم تشييده سنة (266 هـ/879 م) فغرم عليه ابن طولون 120 ألف دينار²، وقد كان محبا للخير والتصدق على الفقراء، وكان يجري الأموال على أهل المساجد كل شهر ألف دينار³.

وذكر ابن جبير في رحلته عندما زار مصر أواخر القرن السادس الهجري عن مسجد ابن طولون فقال: (وبين مصر والقاهرة المسجد الكبير المنسوب إلى أبي العباس أحمد بن طولون، وهو من الجوامع العتيقة الأنيقة الصنعة الواسعة البنيان، جعله السلطان مأوى للغرباء من المغاربة يسكنونه، ويحلقون فيه، وأجرى عليهم الأرزاق في كل شهر)⁴ فوجد أولئك المقيمين بهذا المسجد من تلك الجرايات عونا لهم ففترغوا للعبادة⁵.

وذكر المقدسي أن جميلة بنت ناصر الدولة الحمداني قد وقفت على مسجد النبي يونس عليه السلام في الموصل أوقافا جليلة، ولا شك أن عوائد هذه الأوقاف أموالا عينية تنفق في سبيل خدمات هذا المسجد⁶.

ومسجد الشيرازي⁷ الذي ينسب إلى أبي عبد الله محمد بن أحمد بن موسى الشيرازي (ت: 439هـ/1047م) ويقع هذا المسجد في الجانب الغربي من بغداد، وقد كان

له المحبة في قلوب الناس ونشأ على الخير والصلاح، كان يميل إلى المذهب الشافعي ويكرم أصحابه، كان يتصدق من ماله الخاص في الشهر بألف دينار، كان من أحفظ الناس تلاوة للقرآن، وأطيبهم صوتا، طلب الحديث فلقى الشيخ وسمع منهم، ذكر أنه لما مرض خرج المسلمون بالمصاحف واليهود بالتوراة والنصارى بالإنجيل إلى الصحراء والمساجد يدعون له، توفي سنة 270هـ / 883 م معتلا. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص338. ابن كثير: المصدر السابق، ج14، ص587-590.

¹ - أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي: شذرات العقود في تاريخ العهود، تحقيق أبي الهيثم الشهباني، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط1، 1428 هـ/2007 م، ص197. ابن الجوزي: المنتظم، ج12، ص232. ابن الأثير: الكامل، ج6، ص338.

² - ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص173. ابن كثير: المصدر السابق، ج14، ص590.

³ - ابن الجوزي: شذرات العقود، ص197.

⁴ - أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي: رحلة ابن جبير، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (د،ت)، ص113 و244 و245.

⁵ - نفسه، ص53.

⁶ - شمس الدين المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1411 هـ/1991 م، ص146. سعيد الديوه جي: تاريخ الموصل، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1982، ج1، ص182.

⁷ - الشيرازي: هو محمد بن أحمد بن موسى، أبو عبد الله الواعظ الشيرازي، قدم بغداد وأظهر الزهد والتقشف والورع وعزوف النفس عن الدنيا فاقتن به الناس، وعمر مسجدا خرابا بالشونيزية فسكنه وسكن معه فيه جماعة من الفقراء، وكان يحضر مجلسه

الشيرازي من الوعّاظ المشهورين بهذا المسجد ، وكثر أتباعه لِمَا كان لمواعظه من تأثير عليهم ، ولِمَا تضمنته كذلك من حثٍ على الجهاد واستثارة شعورهم وحماسهم على ذلك ، فكان سببا في إقامة المجاورين به، والظاهر أن روح الجهاد وصفة الوعظ بمسجد الشيرازي قد استقطبت كثيرا من الناس الذين أجروا الأموال على المقيمين به ، وكان الشيرازي يقبل ما كان يعرض عليه من الأموال، فكثرت أمواله حتى لبس الثياب الناعمة¹.

ومسجد ابن نقطة الزاهد² الذي ينسب إلى عبد الغني بن أبي بكر بن أبي نصر بن عبد الله الحنبلي(ت: 583هـ/1187 م)، يقع بالقرب من محلة الزبيبة³ شرق بغداد، وقد كان ابن نقطة دينًا سمحًا ، وكانت لمسجده جرايات كثيرة، قد تصل أحيانا إلى ألف دينار في اليوم الواحد فيفرقها ، و لا يدخر من ذلك المال شيئا لا لنفسه ولا للفقراء المجاورين معه ، ويقول نحن لا نعمل بأجرة يعني لا ندخر ما نفطر عليه⁴، ولعل صغر هذا المسجد جعل بعض المصادر تعتبره زاوية وليس مسجدا⁵.

وبما كان يتحصل عليه من إعانات مالية من أصحاب البر والإحسان تكفل بمجموعة من الفقراء الذين سكنوا معه⁶.

والجامع الكبير المعروف بجامع ابن المطلب بالجانب الغربي من بغداد عند قصر عيسى، بناه أبو المظفر حسن ابن الوزير هبة الله بن محمد بن علي بن المطلب

خلق كثير ، وأظهر أنه يريد الغزو فتبعه كثير من الناس ، وسار نحو أذربيجان ، فانضم إليه كثير من الأتباع، ومات هناك سنة 439 هـ/ 1047 م . ابن الجوزي: المنتظم ، ج15، ص311. ابن كثير : المصدر السابق، ج15، ص407.

¹ - ابن الجوزي: المنتظم، ج15، ص311. ابن كثير: المصدر السابق، ج15، ص407. عبد الحسين مهدي الرحيم: المرجع السابق، ص333.

² - ابن نقطة الزاهد: عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع بن نقطة الزاهد، ونقطة هي امرأة ربت جده فاشتهر بها، ذكر أنه كان له زاوية ببغداد يأوي إليها الفقراء، تزوجته أم الخليفة الناصر بخرابية من خواصها وجهازتها بعشرة آلاف دينار، توفي سنة 583 هـ/ 1187 م. الصفدي: المصدر السابق، ج19، ص23-24. ابن العماد: المصدر السابق، ج6، ص457.

³ - محلة الزبيبة : هي محلة في طرف بغداد الشرقي من نهر معلى ، يقال لها تل الزبيبة ، قال ياقوت : وهي محلة دنيئة يسكنها الأراذل، نسب إليها بعض المتأخرين . معجم البلدان، ج2، ص42. ج3، ص131.

⁴ - الصفدي : المصدر السابق، ج19، ص23-24. ابن العماد: المصدر السابق، ج6، ص457.

⁵ - عبد الحسين مهدي الرحيم: المرجع السابق، ص333.

⁶ - نفسه ، ص334.

البغدادي (ت: 587هـ/1191م)¹، كان متصوفا زاهدا، كثير الحج والصدقات والأوقاف، كبير الشأن وافر الحرمة²، وبنى مدرسة للشافعية ورباطا بشرقي بغداد، كان ذا أموال وافرة رصد جرابيتها على الموصل لمنشآته العبادية والعلمية، ووقف عليها عدة قرى³.
ويبدو أن حياة التصوف التي عُرف بها فخر الدولة بن المطلب واسترجاعه لأمواله التي صودرت منه كانت سببا في كثرة ما رصده لوجوه البر ، ومنها الأموال التي أجراها لهذا الجامع ، ولا شك أنها كانت تتفق في شؤونه العامة المختلفة وحاجات الساكنين فيه من الفقراء والمحتاجين⁴.

ومسجد ابن جرادة نسبة إلى بانيه محمد بن أحمد بن الحسين بن جرادة⁵، أحد كبار تجار بغداد ،وهو من ذي الثروة والمروءة ، سكن بغداد وكانت له بها دار عظيمة بباب المراتب⁶ يضرب بها المثل، وكانت تشتمل على ثلاثين دارا وبستانا وحماما ، ولها بابان وعلى كل باب مسجد إذا أذن في أحدهما لم يسمع الآخر ، وهو الذي بنى مسجده بنهر

¹ - أبو المظفر حسن البغدادي: هو فخر الدولة أبو المظفر بن الوزير هبة الله بن محمد بن علي بن المطلب، كان أبوه وزير الخليفة، تصوف زمن الصبا، وبنى مدرسة ورباطا ومسجدا، وكان كثير المجاورة فيه، كان صاحب خير وعبادة، يأتيه الكبراء ولا يذهب إلى أحد، ولد بعد التسعين والأربع مائة، وتوفي سنة 578 هـ/1182 م. ابن الأثير: الكامل، ج10، ص118. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج21، ص98. تاريخ الإسلام، ج40، ص257.

² - محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه: مضممار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشي، دار الهناء، القاهرة، 1967، ص13.

³ - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج40، ص257. سير أعلام النبلاء، ج21، ص98.

⁴ - ابن شاهنشاه: المصدر السابق، ص16.

⁵ - ابن جرادة : محمد بن أحمد بن الحسين بن جرادة أحد كبار التجار ببغداد وهو من ذوي الثروة والمروءة ، قدرت أمواله بنحو ثلاث مائة ألف دينار كان أصله من عيكرا ، فسكن بغداد وكانت له بها دار عظيمة ، وقد كانت زوجة الخليفة القائم حين حدثت فتنة البسا سيري سنة 450 هـ / 1058 م نزلت عنده في جواره ، فبعث إلى الأمير قريش بن بدران أمير العرب بعشرة آلاف دينار ليحمي له داره ، وهو الذي بنى المسجد المعروف به ببغداد، توفي سنة 476 هـ / 1083 م. الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج32 ، ص 177 . ابن كثير: المصدر السابق ، ج16، ص89.

⁶ - باب المراتب :هو أحد أبواب دار الخلافة ببغداد ، وكان من أجل أبوابها وأشرفها ، وكان حاجبه عظيم القدر نافذ الأمر ، كانت الدور فيه غالبية الأثمان عزيزة الوجود في أيام السلاطين ببغداد لأنه كان حرما لمن يأوي إليه. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص312.

معلی¹، وقد ختم فيه القرآن ألوف الطلاب²، كما اشتهر ببناء المساجد، وجعل لها الأوقاف الكثيرة³، التي تمولها بالأموال التي تضمن استمرار الخدمات بها⁴. ويظهر أنه كان لهذا المسجد نصيباً من الأموال التي وقفها ابن جرادة على مساجده، لما كان يقوم به من خدمة دينية وعلمية للطلاب والمدرسين الذين وجدوا في هذه الأموال دعماً لاستمرارهم في التدريس لمدة طويلة، إلا أن هناك من الباحثين من يشكك في عدد الطلاب المتخرجين منه⁵.

ومن الملازمين لهذا المسجد الإمام سبط الخياط(ت: 541هـ/1146م)⁶، الذي أمم بمسجد ابن جرادة بضعا وخمسين سنة، قرأ عليه خلق كثير، وكان من أكابر العلماء، عارفاً بالقراءات توفي وهو ملازم لمسجد ابن جرادة⁷، ويبدو أن سبب طول إقامته بهذا المسجد لمدة بضع وخمسين سنة هو توفر أسباب الإعاشة به من خلال الإنفاقات المالية المرصدة للمسجد وما يجري على المجاورين له من الأموال والطعام وغيرها من الخدمات. وجامع عمرو بن العاص فقد ذكر ابن جبیر عند زيارته لمصر، أنه كان يجري عليه ثلاثون ديناراً مصرياً كل يوم تتفق في مصالحه المختلفة، كمرتبات القيمين عليه وأئتمته والقراء فيه⁸.

ومسجد القرويين بفاس:

وهو من مساجد المغرب الإسلامي التي أجريت عليها الأموال لخدمتها، فقد أوقفت عليه الأحباس الوقفية من قبل الأمراء والأعيان في ذلك العصر التي كان يتم الصرف

1- نهر معلی: أشهر محلة ببغداد وفيها دار الخلافة، وهو نهر يدخل من باب بيّن، ويعرف كذلك بالفردوس، وينسب إلى المعلی بن طریف مولى المهدي، وكان من كبير قواد الرشيد، جمع له من الأعمال ما لم يجمع لأحد، ولي المعلی البصرة وفارس والأهواز واليماة والبحرين. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص324.

2- ابن الجوزي: المنتظم، ج16، ص233. ابن كثير: المصدر السابق، ج16، ص89. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج18، ص451.

3- محمد عبد العظيم أبو النصر: المرجع السابق، ص15.

4- عبد الحسين مهدي الرحيم: المرجع السابق، ص128.

5- محمد عبد العظيم أبو النصر: الأوقاف في بغداد العصر العباسي الثاني، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، 2002، ص14-15.

6- سبط الخياط: هو أبو محمد عبد الله بن علي بن أحمد بن عبد الله المقرئ سبط أبي منصور، ولد سنة 464 هـ/1071 م، الفقيه، الحنبلي، النحوي، شيخ المقرئين بالعراق، وصاحب التصانيف حفظ القرآن الكريم وسمع الحديث، وقرأ بالقراءات على جده الزاهد أبي منصور، وبرع في العربية، وقرأ عليه خلق كثير، وكان من أئدى الناس صوتاً بالقرآن، توفي سنة 541 هـ/1146 م. ابن الجوزي: المنتظم، ج18، ص52. أبو محمد اليافعي المكي: المصدر السابق، ج3، ص210. ابن العماد: المصدر السابق، ج6، ص210.

7- ابن الجوزي: المنتظم، ج18، ص52. ابن العماد: المصدر السابق، ج6، ص210.

8- ابن جبیر: المصدر السابق، ص24.

منها على العاملين بهذا الجامع من مؤذنين وأئمة وخطباء ، ونظرا لوفرة العوائد المالية المخصصة لهذا الجامع فقد تُصرف في بعض الشؤون الاجتماعية الأخرى كتخصيص بعض الأموال للفقراء والمساكين¹.

والمسجد النوري الذي أنشأه السلطان نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي عندما زار الموصل سنة 566هـ/1170م²، ومكث بها أياما³، فشكى إليه أهلها ضيق المسجد الجامع الأموي بالمصلين ، وذكروا له أن في وسط المدينة بالموصل خربة واسعة تصلح لإنشاء مسجد جامع بها ، وأشار عليه شيخه معين الدولة عمر الملا⁴ بشرائها وبناء الجامع عليها، فكلفه نور الدين بشرائها وشراء ما حولها من الخرب والدور والحوانيت⁵. وأعطى السلطان نور الدين الشيخ عمر الملا ستين ألف دينار وأمره بعمارة المسجد⁶، ثم زار نور الدين الموصل وتفقد عمارة جامع⁷، فقام بتجهيزه بمختلف اللوازم وفرشه بالبسط والحصران، وعين له المؤذنين وخطيبا ، ورتب له ما يلزمه من الخدمات، وأجرى عليه من أموال الأوقاف ما يضمن ذلك، فأوقف عليه قرية من قرى الموصل، وقيسارية كبيرة من كبرى قيساريات الموصل نكر أن عدد دكاكينها كانت 699 دكانا أرصدت عوائدها المالية جارية على الجامع⁸.

¹ - محمد القطري : الجامعات الإسلامية ودورها في مسيرة الفكر التربوي ، دار الفكر العربي، القاهرة، (د، ت) ص112.
² - ابن الأثير: الكامل ، ج 10 ، ص30. التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية في الموصل، تحقيق عبد القادر أحمد طليعات ، دار الكتب الحديثة، القاهرة ، ص87-88 . ابن العماد : المصدر السابق، ج6، ص359. كمال بن مارس : العلاقات الإقليمية والحروب الصليبية (الموصل حلب) من 464-583 هـ / 1071-1187 م، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، 2004، ص73.
³ - ذكر ابن الأثير وغيره أنها أربعة وعشرين يوما. ابن الأثير: الكامل ، ج6، ص31. ابن كثير: المصدر السابق، ج16، ص446.
⁴ - عمر الملا : معين الدولة عمر الملا كان من الصالحين العابدين الأخيار، وسمي بالملا لأنه كان يملأ تنانير الجص عند بناء الجامع ، وقد كانت له زاوية يقصد فيها ، وله في كل سنة دعوة في شهر المولد ، يحضره الملوك والأمراء والعلماء والوزراء ، ويحتفل بذلك، وكان نور الدين صاحبه يستشير في أموره، وهو الذي أشار عليه في مدة مقامه بالموصل بجميع ما فعله من الخيرات. الفتح بن علي البنداري: سنا البرق الشامي (562هـ-1166م/583هـ-1178م) اختصار كتاب البرق الشامي للعماد الكاتب الأصفهاني، تحقيق : فتحية النبراوي ، مكتبة الخانجي، القاهرة 1979، ص52. ابن الأثير: الكامل، ج10، ص31. ابن كثير: المصدر السابق، ج16، ص446-447.
⁵ - ابن الأثير: الكامل، ج10، ص31. سعيد الديوه جي: تاريخ الموصل ، ج1 ، ص335.
⁶ - ابن العماد : المصدر السابق، ج6 ، ص359.
⁷ - وفي زيارة نور الدين هذه ، فبينما هو جالس إلى دجلة جاءه مستشاره عمر الملا ، واستخرج ما معه من الدفاتر التي قيد بها مختلف الإنفاقات التي صرفت في بناء الجامع وغيره من المبرات التي كلف بها نور الدين شيخه ، وقال له: (يا مولانا أشتهي أن تنتظر فيها)، فقال له نور الدين: (يا شيخ عملنا هذا لله فدع الحساب ليوم الحساب). سعيد الديوه جي: تاريخ الموصل، ج1، ص335.

⁸ - سعيد الديوه جي: تاريخ الموصل ، ج1 ، ص335.

وغيرها من المساجد التي أرصدت لها الأموال الجارية، إلا أن المصادر لم تقصح عن تلك المساجد ولا عن أصحاب تلك الجرايات إلا ما ذكر عرضاً من خلال ما كتب عن التراجم والسير وغيرها من المضان التي يقف فيها الباحثون على المادة المتعلقة بمثل هذا الموضوع.

ثانياً- الأربطة :

1- المعنى التاريخي للرباط في الإسلام:

المعروف أن الرباط هو الإقامة بالثغور المعرضة لغارات العدو للدفاع عنها ، والرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدو، والأصل فيه أن يربط كل واحد من الفريقين خيله، ثم صار لزام الثغر رباطاً، والرباط في الأصل الإقامة على جهاد العدو¹ ومن ذلك فالرباط قد أطلق بادئ الأمر على المكان الذي يربط فيه جند المسلمين للجهاد في سبيل الله ترصداً للعدو واستعداداً له، ثم صار الرباط بعد ذلك يطلق على المكان الذي يربط فيه الصوفية للعبادة والانقطاع لله تعالى والتوبة ومجاهدة النفس والحد من شهواتها وهذا ما ينطبق على المعنى الثاني للرباط²، ويعرفه المقرئ بقوله: (والرباط هو بيت الصوفية ومنزلهم، ولكل قوم دار، والرباط دارهم)³.

لكن تطور الرباط بعد ذلك فأصبح مأوى للعاجزين والنساء الأرامل والمطلقات واليتامى والفقراء ومسكناً للفقهاء وأحياناً لكبار العلماء، وبذلك أصبحت الربط تؤدي خدمات اجتماعية مختلفة وعلمية كالوعظ والإقراء ورواية الحديث والإفتاء ومنح الإجازات العلمية، وتصنيف الكتب⁴.

وقد انتشرت الربط في مختلف الأمصار الإسلامية في مصر والشام والجزيرة العربية وبلاد المغرب الإسلامي ، وقد اختلفت الأسماء التي أطلقت على الربط من إقليم إلى آخر منها: الحصون والمحارس ودور المرابطين ، ومع إقبال الناس على المرابطة اتصفت تلك

¹ - ابن منظور : لسان العرب ، ج 7 ، ص 302 .

² - سعيد إسماعيل علي: معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986، ص 595.

³ - المقرئ: الخطط ، ج 4 ، ص 302.

⁴ - سعيد إسماعيل علي : المرجع السابق، ص 595.

الربط بأداء وظائف أخرى إلى جانب الوظيفة العسكرية مثل التدريس والتصنيف من قبل العلماء والفقهاء المرابطين بها¹.

وكان الاهتمام بتشييد الربط المختلفة الكبيرة والصغيرة بادئ الأمر من قبل الحكام²، وحين استقرت البلاد الإسلامية اتجهت الربط نحو أداء وظائف علمية وتعليمية وتعبدية، فحظيت هذه المؤسسات باهتمام ورعاية المسلمين ، فكثر الأوقاف في هذا الشأن، مما أدى إلى ازدهار الربط لا سيما في القرنين الثالث والرابع الهجريين التاسع والعاشر الميلاديين بفضل تلك الأموال التي وقفت عليها من أهل البر والإحسان³.
ومما ساعد على ذلك أيضا أن الواقفين أنشأوا فيها الخزائن ووقفوا لها الكتب ، وعينوا لها القوام ومن يقوم بصيانتها وبترتيبها ومناولتها، وتوفير السكن والإعاشة بها، فقصدها طلاب العلم من مختلف الأمصار⁴.

2- الجارية على الربط التعبدية:

يرجع ظهور الربط في الإسلام إلى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه (23-35هـ/643-655 م) عندما بني بيتا للمتفرغين للعبادة لبعض عبادة البصرة وأجرى عليهم ما يحتاجون إليه من الطعام والشراب والكسوة في ولاية عبد الله بن عامر⁵

¹ - محمد بن أحمد بن صالح الصالح: الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع ، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ط1، الرياض، 2001، ص 174.

² - سعيد إسماعيل علي: المرجع السابق ، ص 596.

³ - محمد بن أحمد بن صالح الصالح: المرجع السابق، ص 174.

⁴ - سعيد إسماعيل علي: المرجع السابق ، ص 596. الصالح: المرجع السابق ، ص 174.

⁵ - عبد الله بن عامر: هو عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة بن خبيب بن عبد شمس بن عبد مناف ، ولد بمكة بعد الهجرة بأربع سنين ، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة في عمرة القضاء حمل إليه وهو ابن ثلاث سنين فحنكه فتأبقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم في فيه، وقد كان عبد الله بن عامر ابن خال عثمان بن عفان، ولم يزل شريف القدر كريما سخيا، فلما ولي عثمان الخلافة ولّاه البصرة ، فقال أبو موسى الأشعري وكان واليا على البصرة : (أتاكم فتى من قريش كريم الأمهات والعمات والخالات ..)فتح بلادا كثيرة من خراسان ، وقتل يزدجر في ولايته ، وعمل السقايات بعرفة ، ولما قتل عثمان لحق بالشام فولّاه معاوية البصرة وزوجّه بابنته هند، توفي سنة 59هـ / 678 م. المنتظم، ج 5، ص 311-314. ابن الأثير: الكامل، ج 3، ص 366. الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج 4 ، ص 165.

على البصرة في خلافة عثمان رضي الله عنه¹.

مع العلم أنه هناك ملحوظة ينبغي الإشارة إليها ونحن بصدد الحديث عن حياة الصوفية في الربط وما كان يجرى عليهم من الأموال بما يكفل عيشهم لشرف ما حملوا عليه أنفسهم من لزوم العبادة وتزكية النفس دون أن يشغلهم عن ذلك شغل، وهي مسألة حياة الفقر والزهد التي درج عليها أهل التصوف² حيث أن حياة الفقر هي اختيار وأساس تقوم عليه معاني التصوف عندهم³. ومن أولى الربط التي ظهرت في القرن الثاني الهجري :

رباط المنستير وهو بين المهديّة وسوسة بإفريقية ، وهو أول رباط شيد في العصر العباسي بإفريقية شيد من قبل الوالي العباسي هرثمة بن أعين⁴ سنة (179هـ/795م)، و أقام فيه جماعة من الصالحين المرابطين قد حبسوا أنفسهم على العبادة ، وقد أجرى عليهم أهل القيروان الأموال والصدقات⁵.

ورباط عبد الله بن المبارك نسبة إلى منشئه، فقد كان رجلا صالحا توفي سنة(181

¹ - المقريزي : الخطط ، ج 4 ، ص 282 .

² - يعود ظهور التصوف في الإسلام إلى القرن الثاني الهجري، ويبدو أن مصطلح التصوف لم يظهر في الأيام الأولى من الإسلام عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد الصحابة رضي الله تعالى عنهم مع تضمن هذه الفترة لمعاني التصوف، ومن هنا فكلية التصوف لم تظهر إلا في أواخر القرن الثاني الهجري، وكل ما ظهر في هذه الفترة هو الزهد التابع من الإسلام ، وأول من سمي بالصوفي هو أبو هاشم الصوفي(ت:150هـ/767م).لويس ماسنيون: الإسلام والتصوف ، دار الشعب، القاهرة ، 1399هـ/1979م، ص15.عبد الرحمن عبد الواحد الشجاع: الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة اليمنية، صنعاء، 1425هـ/2004م، ص166.

³ - أحمد بن عبد الله السهروردي: غرر اللطائف مختصر عوارف المعارف، مخطوط بموقع المخطوطات لجامعة الملك سعود ، المرقم : 218/2177، 320 ورقة، الورقة 14 ظ .

⁴ - هرثمة بن أعين: ولّاه الرشيد إمرة إفريقية ، فسار هرثمة إلى القيروان فقدمها في ربيع الأول سنة 179هـ/ 795 م ، فأمن الناس وسكنهم ، وبنى القصر الكبير بالمنستير سنة 180 هـ / 796 م ، وبنى سور المدينة طرابلس مما يلي البحر ، ولما رأى هرثمة ما بإفريقية من الاختلاف كتب إلى الرشيد يستعفي فأمره بالقدوم عليه في العراق ، فسار عن إفريقية في رمضان سنة 181هـ/ 797 م ، فكانت ولايته سنتان ونصف. ابن الأثير: الكامل، ج5، ص300.

⁵ - ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج5، ص209 - 210 . سعيد إسماعيل علي: المرجع السابق، ص597.

هـ/797 م¹، وهو منصرف من الغزو²، بناه بمدينة مرو وقد كانت له تجارة واسعة فبلغت ثروته نحو الأربعمئة ألف³، فكان ينفق أمواله على الفقراء في السنة مائة ألف درهم⁴

وهذا ما يرجح أن رباطه قد كان له الحظ الوافر من تلك الصدقات و الإنفاقات التي كان يبذلها ابن المبارك رحمه الله.

أ-أربطة بغداد:

رباط شيخ الشيوخ:

وينسب هذا الرباط لأبي سعيد النيسابوري الصوفي⁵، وقد أورد ابن الجوزي حادثة عن بناء هذا الرباط، أن أبا سعيد الصوفي كان يجمع جماعة من الفقراء ويخرج معهم ويدور في قبائل العرب من حلة إلى أخرى، وقدم مرة من البادية فنزل عند صاحبه أبي بكر الطرثيثي، وكانت له زاوية صغيرة فقال له: يا أبا بكر لو بنيت للأصحاب موضعاً أوسع من هذا، وأرفع باباً. فقال له: إذا بنيت رباطاً للصوفية فاجعل له باباً يدخل فيه جمل براكبه، فذهب أبو سعيد إلى نيسابور فباع جميع أملاكه، وجاء إلى بغداد وكتب إلى الخليفة القائم بأمر الله (422-467 هـ / 1030-1074م) يلتمس منه خربة يبني فيها رباطاً، فأذن له فبنى الرباط وجمع الأصحاب، وأحضر أبا بكر الطرثيثي، وأركب جملاً

¹ - عبد الله بن المبارك: هو الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك الحنظلي، مولى بني حنظلة من أهل مرو، الفقيه الحافظ الزاهد، ذو المناقب العديدة والسيرة الحميدة، تفقه على سفیان الثوري ومالك وروى عنه الموطأ، وكان كثير الانقطاع محبا للخلة شديد التورع، كان مولده سنة 118 هـ / 736 م، والأخبار في مناقب ابن المبارك وشماله أشهر وأكثر من أن يحتاج إلى ذكرها، كانت فيه خصال لم تجتمع في أحد من أهل العلم في زمانه في الدنيا كلها، كان فقيها ورعا عالما بالاختلاف حافظا يعرف السنن، رحالاً في جمع العلم، شجاعاً ينزل الأقران، ويكشف الأبطال، أدبياً يقول الشعر فيجيد سخياً بما ملك من الدنيا، توفي سنة 181 هـ / 797 م، رحمه الله، السمعاني: المصدر السابق، ج4، ص251. ابن خلكان: المصدر السابق ج3، ص34. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج8، صص378-421. عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان الياضي اليمني المكي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997، ج1، ص294. ابن العماد: المرجع السابق، ج2، ص ص361-421.

² - أحمد عبد المنعم بن يوسف بن صيام الدمنهوري: إتحاف المهتدين بمناقب أئمة الدين، مخطوط بموقع الأزهر الشريف، مصر، تحت رقم: *-- 321406، 42 ورقة، الورقة رقم 8 ظ.

³ - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج8، ص409.

⁴ - ابن العماد: المصدر السابق، ج2، ص361.

⁵ - هو أحمد بن محمد بن دوست أبو سعيد النيسابوري الصوفي كان كثير السفر، وحج مرات عديدة من غير نفقة ولا زاد فكان يتنقل من قبيلة إلى أخرى ويضيف عندهم حتى وصل مكة، و بنى رباطاً ببغداد، توفي سنة 477 هـ / 1084 م، ودفن بمقبرة باب أبرز وقد جاوز التسعين سنة. ابن الجوزي: المنتظم، ج16، ص235. ابن كثير: المصدر السابق، ج16، ص91.

ودخل راكبا من الباب، فقال: يا أبا بكر قد امتثلت ما أشرت ، وذكر أيضا أن هذا الرباط تعرض للهدم بفعل الغرق الذي حدث سنة (466 هـ / 1073 م) ، فأعادته أجود ما كان عليه¹.

كانت لهذا الرباط على ما يبدو أوقاف كثيرة سخرت عوائدها لخدمة المقيمين به من الصوفية وسد نفقات تعميره وصيانته على مر السنين، وقد تعاقب عدد من النظار الذين أشرفوا على أو قافه منهم ابن واقفه أبو البركات إسماعيل(ت: 541هـ/1146 م)² وقد تولى مشيخة الرباط بوصية من أبيه وعمره لا يتجاوز الإثنتي عشر سنة³ ، ولعل السبب في الوصية لابنه بالمشيخة على الرباط لغزارة العوائد المالية لأوقاف الرباط من أجل حمايتها من الضياع⁴.

وقد توالى أحفاد أبي سعيد الصوفي على نظارة الرباط منهم أبو القاسم عبد الرحيم(ت: 580 هـ/1184م) وهو حفيد أبي سعيد الصوفي ثم أخوه أبو سعيد عبد اللطيف(ت 595 هـ/1198م) وأبو الفتوح الأمين (ت: 608 هـ / 1211م)⁵ ومن بعده أخوه زين الدين عبد الرزاق الذي كان يجمع بين النظارة على الرباط وعلى المارستان العضدي إلا أنه ترك النظارة على المارستان وفضل النظارة على الرباط⁶.

و قد حظي هذا الرباط بعوائد مالية غزيرة لمدة من الزمن أرصدت للإنفاق على أهله من الصوفية والفقراء لتأمين أرزاقهم من المأكل والمشرب وغيره ، فقد ذكر ابن الفوطي في حوادث سنة (643 هـ / 1245 م) أن المحب أبي عبد الله محمد بن محمود

¹ - ابن الجوزي: المنتظم ، ج 16 ، ص 235.

² - أبو البركات إسماعيل : هو إسماعيل بن أحمد بن محمود بن دوست أبو البركات بن أبي سعد الصوفي ولد سنة 465هـ / 1072 م،سمع الحديث وحدث،توفي في جمادى الأولى سنة 541هـ/1146م ودفن إلى جانب الزوزني، اجتمع مشايخ الربط وأرباب الدولة والعلماء وأقاموا له مأتما أنفق فيه نحو ثلاثمائة دينار على المأكل والمشروب والخلوى. ابن الجوزي: المنتظم، ج 18، ص 50، ابن الأثير: الكامل، ج 9، ص 344. ابن العماد: المرجع السابق، ج 6، ص 209.

³ - ابن الجوزي : المنتظم ، ج 6 ، ص 235.

⁴ - عبد الحسين مهدي الرحيم : المرجع السابق ، ص 141.

⁵ - هو المعين أبو الفتوح عبد الواحد بن أحمد بن علي الأمين شيخ الشيوخ ببغداد وكان محل ثقة الخليفة وقد توفي بجزيرة كاس مضى إليها رسولا من الخليفة،قال ابن الأثير أنه كان من أصدقائه وأنه كانت بينهما مودة متأكدة وصحبة،وله كتب حسنة وشعر جيد وله دراية بالفقه وعلوم أخرى،جعل النظارة على الرباط بعد موته لأخيه زين الدين عبد الرزاق بن أحمد وقد كان ناظرا على المارستان العضدي فتركه واقتصر على الرباط توفي سنة 608 هـ/1211م. ابن الأثير: الكامل، ج 10، ص 357.

⁶ - ابن الأثير : الكامل ، ج 10 ، ص 357.

بن النجار الحافظ المتقن (ت: 643هـ/1245م)¹ حين قدم بغداد سنة (624هـ/1226م) وقد مات أهله فسكن دارا في محلة الظفرية² فعرض عليه السكنى في رباط شيخ الشيوخ فأبى وقال: إني قادر على المسكن ومعى ثلاثمائة دينار فما يحل لي أن أرتق من وقف³.

وقد تميز هذا الرباط بجودة ما كان يجرى عليه من الطعام المقدم للساكنين فقد أورد ابن الجوزي عن صاحبه أنه كان يقيم برباط عتاب⁴ فخرج يوما فرأى الخبز النقي فقال في نفسه: إن الصوفية لا يرون مثل هذا فإن قدر لي بناء رباط شرطت في سجله أن لا يقدم بين يدي الصوفية خشكار - ما خشن من الطحين - ، فهم الآن على ذلك⁵.
ورباط الزوزني⁶:

وهو من أقدم الأربطة في بغداد ، ينسب إلى أبي الحسن علي بن محمود⁷ الذي توفي سنة (451هـ/1146م) ،أورد الخطيب البغدادي من نكر لهذا

¹ - هو المحب أبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار الحافظ المتقن ، ولد سنة 578 هـ / 1182 م ، حفظ القرآن وقرأ علم النحو وسمع الحديث ، وأجاد في كتابة التاريخ وقرأ فنون الأدب ورحل إلى الحجاز وجاور مكة ثم ارتحل إلى بلاد الشام والجزيرة والموصل وخراسان ، ودام ترحله في هذه الأمصار نحو من ثماني وعشرين سنة أخذ فيها عن العلماء والمشايخ ، واشتمل معجمه في التراجم على نحو من ثلاثة آلاف شيخ وأربعمائة امرأة ، وجمع مصنفات كثيرة منها "الذيل على تاريخ بغداد" و"نثر الدرر" و"العقد الفائق في عيون أخبار الدنيا ومحاسن الخلائق" قدم بغداد سنة 624 هـ / 1226 م ومات بها سنة 643 هـ / 1245 م. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ، ص 165-166. ابن العماد: المصدر السابق ، ج 7 ، ص 392.

² - محلة الظفرية: هي محلة كبيرة بشرقي بغداد، وإلى جانبها محلة أخرى كبيرة تعرف بقراح ظفر وهي في قبلي باب أبرز والظفرية في غربيه قال ياقوت: وأظنهما منسوبتين إلى ظفر أحد خدم دار الخلافة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 4، ص 61.

³ - ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ، ص 166.

⁴ - رباط عتاب : كان يقع في الجانب الغربي من بغداد ، تأسس قبل رباط شيخ الشيوخ أبي سعيد الصوفي الذي سكن هذا الرباط قبل بناء رباطه ، و كان هذا الرباط موجودا قبل سنة 466 هـ / 1073 م ، و أقام به إلى جنب شيخ الشيوخ عبد الرزاق الصوفي الغزنوي توفي سنة 493 هـ / 1099 م. ابن الجوزي : المنتظم، ج 16 ، ص 234.

⁵ - ابن الجوزي : المنتظم ، ج 16، ص 235.

⁶ - الزوزني : نسبة إلى زُوْزْن وهي بلدة حسنة كبيرة بين هراة ونيسابور ، كانت تعرف بالبصرة الصغرى لكثرة ما خرج منها من الفضلاء والأدباء وأهل العلم. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 3 ، ص 158.

⁷ - هو علي بن محمود بن إبراهيم الزوزني أبو الحسن صحب أبا الحسن الحصري وروى عن أبي عبد الرحمن السلمي وهو الذي نسب إليه رباط الزوزني المقابل لجامع المنصور ، ويعرف بشيخ الصوفية قال: صحبت ألف شيخ وأحفظ عن كل شيخ حكاية ، توفي في رمضان سنة 451 هـ / 1059م عن خمس وثمانين سنة . ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج 8 ، ص 351. ابن كثير : البداية والنهاية ، ج 15 ، ص 778.

الرباط بأنه كان موجودا قبل سنة (409 هـ / 1018م) فقال عنه دون أن يذكره باسمه (رباط الصوفية الذي عند جامع المنصور)¹.

وذكر لويس ماسنيون أن هذا الرباط أنشأ سنة (360هـ/1067 م) وأنه أول رباط حقيقي للمتصوفة في بغداد وذكره باسم رباط الزوزانية².

وكانت تجري على هذا الرباط جريات على الفقراء والملازمين له ، وقد كانت له أوقاف تدر عليه بالأموال، فقد كان أبو القاسم الصوفي المتوفى سنة (591 هـ/1194 م) مشرفا على أوقافه ، وأبو الوفاء أحمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروزآبادي³ الذي توفي سنة (528 هـ/1133 م)، وأبو حفص التركستاني⁴ المتوفى (602 هـ/1205 م) الذي أقام ببغداد و تولى مشيخة الرباط والنظر في أوقافه ، وابن الدبقي سنة (612 هـ/1215 م) الذي تولى جباية أمواله الوقفية⁵.

رباط البسطامي:

وسمي برباط البسطامي نسبة إلى أبي الحسن علي بن أحمد البسطامي⁶ الصوفي الذي توفي سنة (493 هـ/1099 م) وقد بنى له هذا الرباط أبو الغنائم بن المحلبان¹ على شاطئ دجلة بنهر عيسى غربي بغداد لذلك ينسب الرباط إلى منشئه ابن المحلبان².

¹ - أبو بكر أحمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي : تاريخ بغداد وذيوله ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، 1417 هـ / 1996 م ، ج 5 ، ص 135 .

² - آلام الحلاج شهيد التصوف الإسلامي ، ترجمة الحسين مصطفى حلاج ، شركة قدمس للنشر والتوزيع، ط1 ، بيروت ، 2004، ص113.

³ - هو أبو الوفاء أحمد بن إبراهيم الشيرازي الفيروز آبادي من فيروز آباد أحد بلاد فارس خدم شيوخ الصوفية ، سكن الرباط الزوزني المقابل لجامع المنصور ، كان ذا أخلاق لطيفة ، كان يحفظ من سير الصالحين وأخبارهم توفي سنة 528 هـ / 1133 م ، صلى عليه خلق كثير منهم أرباب الدولة وقاضي القضاة ، دفن على باب الرباط وعمل له تابين كبير أنفق فيه مال كثير على عادة الصوفية إذا مات لهم ميت.الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج36،ص161.ابن العماد : المصدر السابق ، ج6 ، ص 137 .

⁴ - هو أبو جعفر عمر بن إبراهيم بن عثمان التركستاني الأصل الواسطي المولد والدار ، عرف باشتغاله بالوعظ لما كان له من حظ البلاغة وحسن العبارة ، كما روى الحديث ببغداد وغيرها ، كان كثير الترحال إلى الحجاز والجزيرة وديار بكر وخراسان و غزنة التي أوفد إليها رسولا من الديوان إلى ملكها ، وأقام هناك مدة ثم عاد وأقام بشيراز ومات بها سنة 602 هـ / 1205 م.أبو طالب علي بن أنجب تاج الدين المعروف بابن الساعي الخازن: الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، عني بنشره مصطفى جواد ، المطبعة الكاثوليكية ، بغداد، 1934، ج9، ص184.

⁵ - محمد عبد العظيم أبو النصر:المرجع السابق ، ص23.

⁶ -هو أبو الحسن علي بن أحمد البسطامي الصوفي شيخ رباط بن المحلبان،كان لا يلبس إلا الصوف شتاء وصيفا ويظهر الزهد،وحيث توفي وجد له أربعة آلاف دينار مدفونة فتعجب الناس من ذلك.المنتظم:ج17،ص57.ابن الأثير: الكامل،ج9،ص30.

وقد حظي هذا الرباط بالجرية المالية الوفرة والمستمرة حيث روي أنصاحبه البسطامي لما مات ترك من الأموال ما يزيد عن أربعة آلاف دينار وهي أموال عظيمة، وهذا ما يرجح أن هذه الأموال هي بعض مما كان يجرى على هذا الرباط³.
رباط بهروز الخادم⁴:

نسبة إلى منشئه مجاهد الدين بهروز بن عبد الله الخادم الأبيض الغياثي (ت: 540 هـ/1145م) الذي بناه للصوفية ببغداد على دجلة عند سوق المدرسة النظامية سنة (502 هـ/1108م)، وقد كان صاحب همة عالية في عمل المصالح الجليلة⁵ وعمارة البلاد، كثير الإنفاقات فوقف عليه أموالاً جيدة⁶ من عوائد الأوقاف الكثيرة التي وقفها على هذا الرباط⁷، كما بنى رباطاً آخر للخدم بأعلى ببغداد⁸.
وقد تولى إدارة أموال هذه الأوقاف العديد من النظار منهم أبو عبد الله الرازي

1- أبو الغنائم ابن المحلبان : هو محمد بن ميمون بن محمد أبو الغنائم النرسي ويعرف بأبي الكوفة لأنه كان جيد القراءة في الصغر فلقبوه بأبي ، ولد سنة 424 هـ / 1032 م ، سمع الحديث وكتب وسافر ، كان حافظاً ثقة صالحاً دينا توفي سنة 510 هـ / 1116 م . ابن الجوزي: المنتظم ، ج 17 ، ص 151 .

2 - ابن كثير : المصدر السابق ، ج 16 ، ص 173 .

3 - عبد الحسين مهدي الرحيم : المرجع السابق ، ص 346 .

4- بهروز الخادم: هو بهروز بن عبد الله، أبو الحسن الخادم الأبيض مجاهد الدين مولى السلطان محمد بن ملك شاه السلجوقي، ولي الوزارة بالعراق نيفا وثلاثين سنة، وبنى رباطاً ببغداد للصوفية على دجلة ورباطاً آخر للخدم بأعلى البلد، كان حسن السيرة متديناً، كثرت إقطاعاته، وأوقفه في أعمال البر، كان صاحب كلمة في عمارة البلاد، واسع الصدر، عالي الهمة، وكانت تكريت إقطاعاً له، فاستتاب عليها شاذي جد صلاح الدين الأيوبي، توفي سنة 540 هـ / 1145 م، ودفن برباطه المستجد بشاطئ دجلة المعروف برباط الخدم . ابن الأثير: الكامل، ج 9، ص 336. ابن خلكان: المصدر السابق، ج 7، ص 141. الصفدي: المصدر السابق، ج 10، ص 192-193. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 36، ص 534-535 .

5 - فقد ولي العراق نيفا وثلاثين سنة ، فأصلح النهروان وأجرى فيه الماء بعد أن حل به الخراب لعدة سنوات، وشق النهر المعروف بالمجاهدية، وأتم عمارة دار السلطنة السلجوقية، وأكمل عمارة جامع السلطان الذي كان في العيوانية قرب دار السلطنة المذكورة، كما بنى رباطين أحدهما على دجلة عند سوق المدرسة النظامية على الشط الذي يعرف برباط الدرجة . مصطفى جواد: الربط الصوفية البغدادية وأثرها في الثقافة الإسلامية ، الدار العربية للموسوعات، ط 1، بيروت، 2006، ص 46 .

6- ابن خلكان: المصدر السابق، ج 7، ص 142 .

7- ابن تغري بردي جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، ط 1، بيروت ، 1992، ج 5 ، ص 268 .

8 - الصفدي: المصدر السابق، ج 10، ص 192 .

(ت: 590 هـ/1193م)¹، وأبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد الله (ت:591 هـ/1194م)، ومن الواضح أن هذه الأوقاف التي رصدها بهروز الخادم على هذا الرباط كانت سببا في استمرار تقديم الخدمات على المقيمين بهذا الرباط من الصوفية إلى فترة طويلة من الزمن²

رباط الغزنوي:

وينسب إلى أبي الحسن الغزنوي علي بن الحسين (ت: 551 هـ/1156 م)³ قد أنشأته له السيدة خاتون حرم الخليفة المستظهر حينما قدم إلى بغداد سنة (516 هـ/1122 م) بباب الأزج ووقفت عليه الأوقاف الكثيرة و أرصدت عوائدها المالية على هذا الرباط ، وقد سمع الغزنوي الحديث وكان يعظ الناس فصار له جاه عظيم فمالت إليه الأعاجم وكان السلطان مسعود السلجوقي يأتيه فيزوره ، وكان الغزنوي يميل إلى التشيع ولا يعظم بيت الخلافة كما ينبغي، ولما تحسسوا منه ذلك منع من الوعظ فانصرف الناس عنه⁴، ولما مات السلطان مسعود أهين الغزنوي فلم يتحمل الإهانة والذل بعد العز فمرض ومات من مرضه ذاك⁵.

رباط رئيس الرؤساء :

وقد بناه أبو الحسن محمد بن المظفر بن علي بن مسلمة (ت:542هـ/1147م)⁶ ويعرف كذلك برباط (الدركاه) بالقرب من دار الخلافة ، وقد جعله واقفه مقاما للفقراء

¹ - هو محمد بن حمزة بن علي بن طلحة بن علي الرازي الأصل البغدادي المولد والدار. أبو عبد الله محمد بن سعيد ابن الديبهي، ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد، تحقيق بشار معروف ، دار الحرية ، بغداد ، 1979، ج 2 ، ص 104.

² - محمد عبد العظيم أبو النصر: المرجع السابق ، ص 25.

³ - علي بن الحسين بن عبد الله : هو أبو الحسين علي بن الحسين بن عبد الله الغزنوي الواعظ نزيل بغداد سمع الحديث بغزنة وبغداد ،كان له قبول عظيم عند السلاطين والخلفاء والعامه،ولما مات السلطان السلجوقي الذي كانت له عنده حظوة أهين الغزنوي وأعرض عنه الخليفة المقتفي لإقبال السلطان عليه ، وصدورت أمواله فقد كانت معه قرية فأخذت منه وطولب بغلتها عند القاضي، ومازال الغزنوي يلقي الذل بعد العز إلى أن توفي في محرم سنة 551هـ/1156 م.الذهبي: تاريخ الإسلام،ج38،ص 58-61.

⁴ -ابن الأثير : الكامل،ج9، ص 411.ابن كثير :المصدر السابق ، ج 16 ، ص 378-379. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج 5 ، ص 309 .

⁵ - ابن الجوزي : المنتظم ، ج 18 ، ص 109-110.

⁶ -هو محمد بن المظفر بن علي بن مسلمة أبو الحسن بن أبي الفتح بن أبي القاسم الوزير،ولد سنة 484 هـ/1091 م سمع الحديث ورواه ، وانزوى وتصوف وجعل داره التي في دار الخلافة رباطا للصوفية ووقف عليه الأوقاف الوفيرة ، توفي سنة 542 هـ / 1147 م ، ودفن قريبا من رباط الزوزني مقابل الجامع.الذهبي: تاريخ الإسلام،ج37،ص123.

والصوفية والغرباء وخصه بجميع أمواله¹ لخدمة المقيمين به ، ويتميز هذا الرباط أنه لم يكن حكرا على الصوفية فقط بل آوى إليه مختلف فقراء بغداد وعابري السبيل²، وهو إشارة واضحة على كثرة عدد المنتسبين إليه³.

ورباط ثقة الدولة :

أقامه أبو الحسن علي بن محمد الدريني المعروف بابن الإبري(ت: 549هـ/ 1154 م)⁴

الذي كان ثقة الدولة ومن المقربين للخليفة المقتفي لأمر الله(530-555هـ/1135-1160م)⁵ وهو الذي لقبه "ثقة الدولة"⁶ بنى مدرسة للشافعية و رباطا للصوفية بباب الأزج على شاطئ دجلة ، ووقف عليه وقوفا حسنة جعل وارداتها المالية جارية على المقيمين بالمدرسة والرباط⁷.

رباط صدقة :

¹- ابن الجوزي : المنتظم ، ج 18 ، ص 61.

²- الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني: تاريخ دولة آل سلحوق، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980، ص 73.

³- محمد عبد العظيم أبو النصر: المرجع السابق ، ص 25.

⁴- هو أبو الحسن علي بن محمد الدريني المعروف بثقة الدولة ابن الأنباري كان من الأمثال الأعيان ، كان فيه أدب وشعر، بنى مدرسة لأصحاب الشافعي على شاطئ دجلة بباب الأزج وإلى جانبها رباطا للصوفية، ولد سنة 445 هـ / 1053 م ، وتوفي سنة 549 هـ / 1154 م. ابن خلكان: المصدر السابق، ج2، ص 478.

⁵- المقتفي لأمر الله : هو الخليفة أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله ولد سنة 489 هـ / 1095 م ، بويغ له بالخلافة وعمره أربعون سنة ، كان عالما أدبيا شجاعا حليما دمث الأخلاق، ولي الخلافة سنة 530 هـ / 1135 م، كان جديرا بالإمامة ، لا يجري أمر في دولته إلا بتوقيعه ،سمع الحديث والفقه ،جدد باب الكعبة ،كان محمود السيرة ذا دين وعقل وفضل ورأي وسياسة ،جدد معالم الإمامة ،ومهد رسوم الخلافة ،وباشر الأمور بنفسه،وغزا غير مرة ، وامتدت أيامه وعادت بغداد والعراق إلى يد الخلفاء ،ولم يبق له منازع،ولم يزل أمره في تزايد وعلو إلى أن مات سنة 555هـ/ 1160 م.أبو شامة المقدسي دمشقي:الروضتين،ج1،ص 343-344. ابن واصل: المصدر السابق،ج1، ص 131 . أحمد بن عبد الله القلقشندي : مآثر الإنافة في معالم الخلافة، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ،مطبعة حكومة الكويت،الكويت،(د،ت)،ج1،ص181.السيوطي:تاريخ الخلفاء،ص395-397. حسين الديار بكري:تاريخ الخميس،ج2،ص362.المستشرق زامبور:معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي،إخراج وترجمة زكي محمد حسن بك وآخرون،دار الرائد العربي،بيروت،1400 هـ / 1980م،ص4.

⁶ - ويبدو أن هذا الرباط محسوبا على الخليفة نظرا لعلاقة صاحب الرباط بالخليفة المقتفي ، كما يبدو أيضا أن تلك الفترة شهدت تنافس بين الخليفة المقتفي والسلطان مسعود السلجوقي على بناء الأريطة من أجل استمالة العامة. عمر سليم عبد القادر التل : متصوفة بغداد في القرن 6 هـ/ 12 م ، دار المأمون،ط1،عمان، 2009، ص 192.

⁷- ابن خلكان: المصدر السابق ، ج2، ص 478. مصطفى جواد: الربط الصوفية البغدادية ، ص46.

أسسه الشيخ صدقة بن الحسين بن وزير الواسطي¹ ، الذي قدم إلى بغداد من واسط سنة (553 هـ/1108 م) ، وموقع هذا الرباط بالجانب الشرقي من بغداد بقراح القاضي²، وأسكنه أتباعه من الفقراء ، وقد كان ينفق ما يُجْرَى على الرباط من الأموال ولا يستتقي منه شيئاً لنفسه ، فإذا جاءه فتوح يقول : أنا لا آخذ شيئاً إنما سلموه إلى أصحابي³.

رباط فخر الدولة ابن عبد المطلب :

وقد أنشأ هذين الرباطين أبو المظفر الحسن بن عبد المطلب (ت: 578هـ/1182 م) الذي اشتهر بتصوفه وزهده منذ صباه ، كان كثير الحج والصدقات والأوقاف كبير الشأن، له جامع بغربي بغداد وله مدرسة بشرقيها، فجعل الرباط الأول وقفا على الصوفية من الرجال ، وكان يقع إلى شرقي بغداد عند دار الذهب ، وقد كان زاهداً في الدنيا بعد إن بسطت له لأنه كلف أن يكون وزيراً مراراً، وكان يبدي الخشونة في خطابه لأرباب الدولة، وكان له مكانة ينفرد بها عند الخليفة الناصر لدين الله ، وما كان يتخلف عن خدمته أحد من أرباب الدولة وأصحاب العلم و الأدب و التصوف⁴.

ووقف عليه أوقافاً كثيرة جعل عوائدها جارية على أهل الرباط ، أما الرباط الثاني جعله وقفاً على النساء المتصوفات وحبس عليه أملاكه للإنفاق على عمارته ومئونة المقيمين به من الفقراء والمحتاجين ومن يقوم على خدمتهم⁵.

رباط أبو الحسن الكاتب⁶:

¹ - هو صدقة بن الحسين بن أحمد بن محمد وزير أبو الحسن الحافظ ، كان والده من المتقدمين في الدنيا بواسط ، وترك هو ما كان عليه والده وأهله ، وطلب العلم وتزهد وسلك طريق الفقر والتجريد ، وأكل الخشن من الطعام وعمل على مجاهدة النفس ، وسمع الحديث ، وكان يعرف التفسير والفقه والأدب وله شعر جيد ، اجتمعت حوله العامة لما كان يظهره من حياة النقشف ، وميله إلى مذهب الأشاعرة ، كما أظهر ميلاً إلى التشيع وعلم الكلام فذاع صيته بين العامة وبعض الأمراء ، وحصل فتوح أموال كثيرة فابتنى الرباط المنسوب إليه ودفن به سنة 557 هـ / 1182 م . ابن الأثير : الكامل ، ج 9 ، ص 459 . السبكي : المصدر السابق ، ج 7 ، ص 112 . ابن كثير : المصدر السابق ، ج 16 ، ص 404 .

² - قراح القاضي : محلة بالجانب الشرقي من بغداد . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 4 ، ص 316 .

³ - ابن الجوزي : المنتظم ، ج 18 ، ص 154 .

⁴ - محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه : مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط 2 ، القاهرة ، 2005 ، ص 156 - 157 .

⁵ - الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج 40 ، ص 257 . محمد عبد العظيم أبو النصر : المرجع السابق ، ص 27 .

⁶ - هو أبو الحسن البغدادي الكاتب تنقل في الخدم إلى أن تولى أستاذية دار الخلافة لفترة ثم عزل فلزم بيته ، توفي في الخامس والعشرين من شوال ودفن برباطه سنة 590 هـ / 1193 م . الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج 41 ، ص 383 .

شيده علي بن بختيار بن عبد الله أبو الحسن الكاتب البغدادي (ت: 590هـ/1193 م) وهو بمحلة الجعفرية¹ شرق بغداد وقد بناه للمتصوفة ووقف عليه أموالا من أملاكه ، وقد أوردت المصادر نكرا مجملا عن هذه الأوقاف دون أن تفصل في طبيعتها ولا مقدارها إلا أنه يمكن الاستدلال عن أهمية هذه الأوقاف وما تدر به من أموال على الرباط لضمان استمرار الخدمات المتعلقة بالمقيمين به من المتصوفة وذلك أن أبا الحسن الكاتب وخدمته في الوظائف الديوانية ومنها أستاذية دار الخلافة² فيها إشارة واضحة على كثرة أموال هذا الرجل وميله لأهل الخير والصالح من المتصوفة وغيرهم³.

رباط عوض بن سلامة الغراد:

فقد أورد ابن الساعي أن الشيخ عوض بن سلامة الغراد(ت:590هـ/1193م) كان رجلا صالحا ذا بر وإحسان من صوفية بغداد ، اشترى أرضا بظاهر محلة القطيعة وبنى بها رباطا وجمع فيه جماعة من الفقراء ولازم رباطه وانقطع للعبادة⁴ ، ومن الواضح أن ابن سلامة الغراد كان من الميسورين والإشارة التي تدل على ذلك هو شراؤه للأرض التي بنى عليها الرباط ، كما أن إقامة الفقراء برباط ابن الغراد لاشك أنه قد تكفل بنفقاتهم من حيث المأكل والمشرب.

رباط بنفشة :

ينسب هذا الرباط إلى بنفشة (ت: 598هـ/1201م)⁵ جارية الخليفة المستضيء بأمر الله بن المستجد بالله ، الذي بنته سنة (573هـ/1177م) بسوق المدرسة التنشئية⁶ التي بناها خمارتكين التنشي مملوك السلطان تتش بن ألب أرسلان

1- الجعفرية: منسوبة إلى جعفر وهي محلة كبيرة مشهورة في الجانب الشرقي من بغداد.ياقوت الحموي:معجم البلدان ، ج2 ، ص 144.

2- ابن الديبشي : المصدر السابق ، ج12 ، ص 218- 219.

3- محمد عبد العظيم أبو النصر: المرجع السابق ، ص 28.

4- محمد عبد العظيم أبو النصر: المرجع السابق، ص44.

5- بنفشة جارية الخليفة المستضيء بالله ، وكان شديد الميل إليها والمحبة لها ، وكانت كثيرة المعروف والإحسان والصدقة. ابن الأثير: الكامل ، ج10، ص280.

6- المقصود بسوق المدرسة في خطط بغداد سوق المدرسة التنشئية التي بناها الأمير المملوك خمارتكين التنشي مملوك السلطان تتش بن ألب أرسلان السلجوقي لأصحاب المذهب الحنفي لأن الدولة السلجوقية كانت حنفية المذهب، وكانت المدرسة التنشئية في أرض جامع الوزير المجاور لكرسي الجسر الشرقي من الشمال، وكان في القسم الجنوبي منه مسجد المستنصرية المجاور لدار القرآن . مصطفى جواد: الربط الصوفية البغدادية ، ص44.

السلجوقي ووقفها لصالح الفقهاء الحنفية، وقد بنت السيدة بنفشة هذا الرباط للنساء الصوفيات ، وفرقت أموالا كثيرة على المقيمات به¹.

ورباط عماد الدين بن حمزة النسوي²:

موقع هذا الرباط بمدينة نسا، وقد اشتمل هذا على عدة خدمات للمقيمين به، فقد قسم إلى عدة أقسام ، لكل فرقة من الصوفية والفقهاء والعلويين والقدرية قسمها الخاص بها ، كما جعل للمسافرين قسما خاصا بهم، وقد اشتمل هذا الرباط على عدة مرافق لتقديم الخدمات المجانية للمقيمين به، فقد كان به مطبخ يقدم الخبز والأكل، ومرافق أخرى كالحمامات والبساتين الغناء ، كما استفاد من خدمات هذا الرباط سكان المدينة من الفقراء والمحتاجين ،فقد كان الرباط يعولهم بالطعام ويسمح لهم باستخدام الحمامات والتنزه في البساتين، وظلت تلك الخدمات تقدم للمقيمين به إلى غاية مجيء المغول³.

رباط الكاتبة شهدة بنت الأبري:

أقامته شهدة بنت أحمد بن عمر الأبري فخر النساء الكاتبة(ت: 574 هـ)⁴، ويقع هذا الرباط بمحلة رحبة جامع القصر ، وجعلته وقفا على الصوفية، وقد كانت عابدة دينة صالحة ، وكان لها بر وإحسان ، ووقفت عليه البساتين وغيرها من أجل أن تعود غلاتها وما تدر به من مال على المقيمين بهذا الرباط من الصوفية، وقد أشرف على إدارة أوقاف هذا الرباط عدة نظار منهم عبد الله بن خميس⁵.

رباط زمرد خاتون:

¹-ابن الجوزي: المنتظم، ج18 ، ص 238. مصطفى جواد: الربط الصوفية البغدادية، ص43-44.
²- نسا: مدينة بخراسان ، وهي مدينة وبئة جدا، يشعر ساكنها بكثرة التعرق وربما يرجع ذلك لطبيعة مناخها الحار الرطب ، تخرج منها جماعة من أعيان العلماء منهم أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر بن سنان النسائي القاضي الحافظ صاحب كتاب (السنن) .ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج5، ص282.
³- رعد محمود البرهراوي: المرجع السابق، ص 69-70.
⁴- شهدة بنت الأبري:هي شهدة بنت أحمد بن عمر الأبري المدعوة فخر النساء الكاتبة ، سمعت الحديث من ابن السراج وغيره ، وقرأت عليه كثيرا وكان لها خط حسن لذلك تعرف بالكاتبة ، وعاشت مخالطة لأهل العلم ، وكان لها بر وخير ،وقرئ عليها الحديث سنين،وعمرت حتى قاربت المائة،توفيت في محرم 574 هـ / 1178 م،شهد جنازتها خلق كثير،وعامة العلماء ،ودفنت بمقبرة أبرز.ابن الأثير:الكامل، ج10،ص94. ابن العماد:شذرات الذهب،ج6،ص410.
⁵- ابن الجوزي: المنتظم ، ج18 ، ص254. ابن العماد : شذرات الذهب، ج6، ص410.

زمرد خاتون أم الخليفة الناصر (575-622هـ/1179-1225 م)، زوجة الخليفة المستضيء بأمر الله (566-575هـ/1170-1179م)، وأنشأ هذا الرباط مجاوراً لتربة معروف الكرخي، وقد كانت لها وقوفاً كثيرة في الخيرات، فكان لرباطها هذا ولأربطتها الأخرى حظ وافر من أموال تلك الأوقاف، فقد كانت كثيرة الإحسان إلى الزهاد والعلماء والفقراء وذوي الحاجات والفاقة والأيتام¹.

ولها رباط أيضاً بمكة بالجانب الشمالي من المسجد الحرام المعروف برباط أم الخليفة وصار يسمى برباط عطيفة بن أبي نمي نسبة إلى أحد أمراء مكة في ذلك الحين، وقد كان هذا الأمير مسؤولاً ومشرفاً على هذا الرباط، وذكر أن هذا الوالي قد عثر فيه على خشبة من فضة، وأن زمرد خاتون قد وقفته على عشرة أشرف عدة سنوات، وجعلت لهذا الرباط أوقافاً لسد حاجة المقيمين به²، وقد كانت عمارته سنة 579 هـ / 1095 م³.

ورباط المأمونية⁴:

وينسب كذلك إلى السيدة زمرد خاتون⁵، وقد أفتتح هذا الرباط سنة 579 هـ / 1183 م⁶ في محلة المأمونية شرقي بغداد، وقد أجري على هذا الرباط وشيخه وأتباعه، إلا أن المصادر لم تسعفا بمقدار وطبيعة هذه الجرايات⁷.

ورباط الأخلاطية:

ويعرف برباط الأخلاطية وهو نسب السيدة سلجوقة خاتون بنت السلطان قليج

أرسلان

الثاني بن مسعود السلجوقي ملك بلاد الروم (آسيا الصغرى)، قيل أن هذا الرباط بني على رغبة من الخاتون زوجة الخليفة الناصر لدين الله (575-622هـ/1179-1225م)

¹ - ابن الأثير : الكامل، ج10، ص284. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص163. مصطفى جواد: الربط الصوفية البغدادية، ص55-56.

² - تقي الدين الفاسي المكي : العقد الثمين، ج8، ص238-239.

³ - نفسه، ج1، ص118.

⁴ - المأمونية: تنسب إلى الخليفة العباسي عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، وهي محلة كبيرة، طويلة عريضة ببغداد بين نهر المعلى وباب الأرج، وهي عامرة أهلة. ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج5، ص44.

⁵ - مصطفى جواد وأحمد سوسة: دليل خارطة بغداد قديماً وحديثاً، مطبعة المجمع العراقي، بغداد، 1958، ص252.

⁶ - ابن الأثير : الكامل، ج10، ص125.

⁷ - عبد الحسين مهدي الرحيم : المرجع السابق، ص35.

عندما طلبت من زوجها بناء رباط وتربة أي مدفن لها ودار للكتب طلبا للأجر والثواب¹ ، إلا أن الخاتون توفيت سنة 585 هـ / 1179 م قبل تمام البناء بعد أن بلغ قامة واحدة فدفنت فيها ، وكان افتتاحه في تلك السنة فكان يوما مشهودا، دُبح في احتفال فتحه رؤوس كثيرة من الخرفان والدجاج ووزعت الحلوى وغيرها من المأكولات ، وجعلت رئاسة الرباط للشيخ بهاء الدين أحمد بن عبد المنعم المهيني الفقيه الشافعي ، وجعل في باحة الرباط بستان أنيق يشرف على دجلة ويُسقى من مائها ، وأوقف الخليفة على الرباط أوقافا كثيرة جعلت عوائدها جارية على خدمات الرباط ، وقد استفاد من تلك الأوقاف الكثير من الناس في بغداد وغيرها، قصده أرباب البيوت والفقهاء والأعيان والفقراء فلم يرد قاصدا ولا منع سائل².

ورباط دار الفلك:

الذي أنشأه الخليفة الناصر سنة 586 هـ / 1190 م ، وقد خصصه للنساء المتصوفات ، وكان بدار الخلافة ، وجعل على مشيخته ست الخدور بنت علي الرضا بن علي الحسيني مدرس جامع السلطان بالمخرم³ ، ولم تذكر المصادر أنه أجرى على هذا الرباط ، إلا أن جرياته ظلت مستمرة على الربط التي أنشأها مما يوحي بأن هذا الرباط من ضمن الربط التي نالتها تلك الجريات⁴ .

ورباط دار الحريم الطاهري:

¹ - كانت الخاتون امرأة تقية فقد حجت بيت الله الحرام وأوصت أن يحج عنها في كل سنة وأن يخرج عنها من الصدقات الشيء الكثير ، من المال والزاد والكسوة والنعال والأدوية للمرضى ، وأوصت أن يحج من مال تركتها جماعة من أهل الصلاح .مصطفى جواد : الربط الصوفية البغدادية ، ص34.

² - ابن الأثير: الكامل، ج10، ص179، مصطفى جواد: الربط الصوفية البغدادية ، ص33.

³ - المخرم: محلة كانت ببغداد بين الرصافة ونهر المعلى ، وفيها كانت الدار التي يسكنها السلاطين البويهية والسلجوقية خلف الجامع المعروف بجامع السلطان ، خريها الخليفة الناصر لدين الله سنة 578 هـ / 1182 م ، وكانت هذه المحلة بين الزاهر و الرصافة ، وهي منسوبة إلى مخرم بن يزيد بن شريح بن مخرم بن مالك بن ربيعة بن الحارث بن كعب كان ينزله أيام نزول العرب السواد في بدء الإسلام قبل أن تعمر بغداد بمدة طويلة فسمي الموضوع باسمه. ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج5، ص71.

⁴ - عبد الحسين مهدي الرحيم:المرجع السابق ، ص36.

الذي أسسه الخليفة الناصر سنة 589 هـ/1193 م في محلة الحریم الطاهري إحدى محال بغداد الغربية، ونسب هذا الرباط إلى طاهر بن الحسين الخزاعي قائد المأمون وقاتل

الأمین، وأوی إليه عشرة أشخاص من الصوفية وجعل لهم جريات الطعام اليومية عدا المشاهرات ، و ذكر أنه كان يتردد عليهم بالزيارات ، وكان إذا لم يحضر إلى الرباط أرسل طعامه اليومي إلى الصوفية¹، ويعزى سبب إنشاء الخليفة الناصر لهذا الرباط لتعلقه بأحد الصوفية وهو محمد البلخي² ليؤويه ويؤمن له معاشه³، وجعل مشيخة الرباط لبهاء الدين أحمد بن عبد المنعم المهيني الذي كان شيخا لرباط الأخلاطية⁴.

رباط ابن صلايا :

أنشأه أبو حفص عمر بن أحمد بن صلايا (ت: 597 هـ / 1200 م) ويقع في محلة القرية التي في الجانب الغربي من بغداد، وقد وقف عليه الأوقاف الكثيرة التي أجريت أموالها على الفقراء والمقيمين بالرباط⁵ ، وقد كان واقفه من أهل البر والإحسان ومحبا لفعل الخير ومصاحبة الصالحين⁶.

¹ - وأورد ابن الأثير في وصفه لهذا الرباط أنه : (من أحسن الربط ، ونقل إليه -الخليفة الناصر - كتبا كثيرة من أحسن الكتب). الكامل، ج10 ، ص 229.

² - محمد بن محمد البلخي الزاهد : قدم بغداد وأقام بها ، بسوق السلطان في مسجد له قرب دجلة، انقطع للعبادة ، كان رجلا صالحا ورعا ، قيل أنه كان فقيها حنفيا، كان الناس يقصدونه للتبرك ، توفي ببغداد سنة 602هـ / 1205م وكان قد جاوز الثمانين. محي الدين أبو الوفاء القرشي الحنفي: الجواهر المضية في طبقات الحنفية ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ط2 ، الجيزة ، 1413هـ/1993م ، ج3 ، ص 327-328.

³ - وذكر أيضا أن من الأسباب التي أدت إلى عمارة الرباط انه قدم رجل بلخي إلى بغداد يقال له محمد، فكان يأوي إلى مقبرة الإمام أحمد بن حنبل، وإلى مقبرة الشيخ معروف الكرخي وجامع براءا غربي بغداد جنوبا ، وكان يصوم ويفطر على الخبازي من البقول البرية ، وكان يعيش في معزل عن الناس فلا يكلم أحدا ، وكان الناصر لدين الله يتردد عليه فأمر أن يبني له الرباط المذكور، وسأله أن يسكن فيه فأبى وظل يسكن المقابر حتى مات سنة 597 هـ / 1200م، ودفن بمقبرة معروف الكرخي. مصطفى جواد: الربط الصوفية البغدادية ، ص47.

⁴ - عبد الحسين مهدي الرحيم: المرجع السابق ، ص36. مصطفى جواد: الربط الصوفية البغدادية ، ص47.

⁵ - ابن الديبشي : المصدر السابق، ج 12 ، ص 219.

⁶ - محمد عبد العظيم أبو النصر: المرجع السابق ، ص 29.

رباط العميد¹:

ويقع بالجانب الغربي من بغداد ، وقد تمتع هذا الرباط بأموال الوقف كغيره من الأربطة لضمان الإنفاق على المقيمين به²، وقد تولى النظارة عليه أبو الفضل عبد المنعم الاسكندراني المعروف بابن النظروني³ .

ورباط المرزبانية:

وهو أحد الأربطة التي بناها الخليفة الناصر لدين الله أنشأه سنة 599 هـ/1202م على نهر عيسى بن علي⁴ غربي بغداد⁵، وذكر أن الخليفة خص هذا الرباط بالشيخ شهاب الدين السهروردي (ت: 632 هـ/1234م)⁶، كما آوي إليه جماعة من الصوفية⁷، وأجرى عليهم الجرايات لما يكفيهم لسد ما يحتاجون إليه من المال والطعام⁸، وجعل

1- العميد : من المناصب المستحدثة في العصر العباسي أثناء الفترة السلجوقية ، وعرف من تولى هذا المنصب بعميد العراق ، وكان يقيم بالعاصمة بغداد ، ويعين من قبل السلطان السلجوقي ، وكانت له سلطات واسعة حيث يتولى مهام إدارية يضطلع فيها بصلاحيات كبيرة تخوله سلطة مراقبة الخلافة . محمد عبد العظيم يوسف : طغرل بك وتأسيس الدولة السلجوقية (429 - 455 هـ/1037-1663 م) رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الزقازيق ، 1991، ص480. حسين أمين : العراق في العصر السلجوقي، بغداد ، 1965 ، ص202.

2 - محمد عبد العظيم أبو النصر: المرجع السابق ، ص 29.

3 - ابن النظروني : هو أبو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز الاسكندراني المعروف بابن النظروني، كان فقيها مالكيا وكان قد أرسل من الديوان إلى يحيى بن غانية المايريقي، فحصل له منه عشرة آلاف دينار مغربية ، ففرقها جميعها على معارفه وأصدقائه، وكان فاضلا خيرا، وله شعر حسن وكان قيما بعلم الأدب، عين ناظرا على المارستان العضدي بعد مشيخة رباط العميد، توفي بالمارستان العضدي ببغداد، سنة 603 هـ / 1206م. ابن الأثير: الكامل، ج 10، ص332. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج19، ص146.

4 - نهر عيسى بن علي: وهي كورة وقرى كثيرة ، في غربي بغداد يعرف بهذا الاسم . ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج 5 ، ص 321-322

5 - مصطفى جواد وأحمد سوسة: المرجع السابق ، ص185.

6 - شهاب الدين السهروردي: أورد ابن الفوطي في الحوادث الجامعة ص72 أنه الأوحده الكرمانى الذى جعله الخليفة الناصر شيخا للصوفية برباط المرزبانية و خلع عليه وأعطى بغلة ، ونفذ معه حاجب إلى هناك ، وهو شيخ حسن السمات ، قدم ببغداد ونزل بجامع ابن المطلب ، وكان الناس يقصدونه ويحضرون عنده من الفقراء والصوفية ، فاشتهر ذكره ، ويقول الدكتور مهدي النجم محقق الحوادث الجامعة أن رباط المرزبانية يسمى في بعض الأحيان برباط الشيخ شهاب الدين ، بناء الناصر لدين الله بالجانب الغربي على نهر عيسى بالمرزبانية وسمه إلى الشيخ شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي فسكنه مع جماعة من الصوفية. وانظر مصطفى جواد وأحمد سوسة: المرجع السابق، ص185.

7- شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي الدمشقي: تراجم القرنين السادس والسابع المعروف (الذيل على الروضتين)، عني بنشره عزت العطار الحسيني، دار الجيل، ط2، بيروت، 1974، ص32-33.

8- ابن الساعي : المصدر السابق ، ص 99 . عبد الحسين مهدي الرحيم: المرجع السابق، ص36.

المشيخة فيه للشيخ أبي صالح نصر الدين بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلي¹ وخلع عليه وعلى من معه من المقيمين بالرباط².

رباط الشونيزية³:

بني على الجانب الغربي من بغداد بالقرب من مقبرة الشونيزية إلا أن المصادر لم تزودنا بمن أنشأ هذا الرباط ولا تاريخ إنشائه، والراجح أنه أسس في القرن الخامس الهجري⁴، وقد ذكره ياقوت الحموي على أنه خانقاه أثناء ذكره للشونيزية فقال: (وهناك خانقاه للصوفية)⁵، وقد تمتع هذا الرباط كغيره من الأربطة بالأوقاف التي تدر عليه بالأموال لسد حاجات الفقراء المقيمين به فيما يحتاجون من طعام وكسوة ودواء وغيرها من متطلبات العيش ، كما سخرت هذه الأموال في تعمیر الرباط وصيانتته ، وقد كان من نظاره أبو عمر الصوفي (ت : 605 هـ/1208 م)⁶ الذي عمل به كخادم للمقيمين به وناظرا لإدارة أمواله⁷.

رباط القيسرية :

شيد على الجانب الشرقي من بغداد⁸ ، وينسب إلى أبي الفضل العباس بن محمد بن الحسن الهاشمي الصوفي الزاهد(ت: 615 هـ/1218 م) ، وقد سكن هذا الرباط جماعة من الفقراء⁹ ، ولا تتوفر المصادر على عدد ولا أسماء أولئك الفقراء المقيمين به ولا عن مصير الرباط بعد وفاة صاحبه، ومع ذلك فلا شك من وجود جريات مالية للإنفاق على أولئك الفقراء المقيمين به وتأمين أرزاقهم طيلة إقامتهم.

¹ - هو نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الكيلاني قاضي القضاة عماد الدين أبو صالح الجيلي ثم البغدادي الحنبلي ، دُرِسَ وأفتى وناظر ، كان من أعيان المذهب ، ولي القضاء سنة 623 هـ /1226 م ثم عزل بعد أشهر ، كان متواضعا متحريرا في القضاء ، عينه الخليفة الظاهر للنظر على جميع الأوقاف العامة ، وأوقاف المدارس الشافعية والحنفية وجامع السلطان وجامع ابن عبد المطلب ، فكان يولي ويعزل في جميع المدارس حتى النظامية . الذهبي : العبر في خبر من غير ، ج 3 ، ص 218 . الإعلام بوفيات الأعلام ، ص 427 . ابن العماد : المصدر السابق، ج7، ص 281-282.

² - مصطفى جواد: الربط الصوفية البغدادية ، ص52.

³ - الشونيزية: مقبرة ببغداد بالجانب الغربي دفن فيها جماعة كثيرة من الصالحين. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص343.

⁴ - عبد الحسين مهدي الرحيم : المرجع السابق ، ص 148-149.

⁵ - معجم البلدان، ج 3 ، ص 343.

⁶ - أبو عمر الصوفي: هو عثمان بن عمر أبو عمرو الهمداني شيخ الصوفية برباط الشونيزية، قدم بغداد وأقام بها حتى وفاته .

ابن الديبشي : المصدر السابق ، ج3 ، ص 122. الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج 43 ، ص 181.

⁷ - عبد الحسين مهدي الرحيم : المرجع السابق ، ص 149.

⁸ - مصطفى جواد وأحمد سوسة : المرجع السابق ، ص 252.

⁹ - ابن الديبشي : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 178.

ورباط دار الروم¹:

أنشأ هذا الرباط بدار الروم الخليفة المستنصر بالله منشئ المدرسة المستنصرية، وتم افتتاحه سنة 626 هـ / 1229 م² وكان هذا الرباط مجاورا للمسجد ذي المنارة ، أسكن به جماعة من الصوفية وجعل شيخهم الشيخ أبا صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر³ وأجرى عليه وعلى من معه من ساكني الرباط⁴ .

رباط ابن رئيس الرؤساء:

بناه عضد الدين أبو الفتوح المبارك بن عضد الدين محمد الوزير، بجانب داره بقصر عيسى مجاورا لجامع فخر الدولة، ووقف عليه وقوفا كثيرة تجرى عوائدها المالية على أهل الرباط، وكان المبارك أديبا فاضلا مهندسا متقنا، تولى كثير من الخدمات في الدولة العباسية، فعمل في إدارة التشريفات، وجعله الخليفة الناصر لدين الله سنة 606 هـ / 1209 م صدرا للمخزن وهو ما يتعلق بالنفقات والتجهيزات المختلفة للدولة ، لكن يبدو أن قلة معرفته بما أسند إليه من المهام كان سببا في عزله فاستجله الخليفة لما عرض عليه خراج ديوان بعقوبا⁵ خمسة وتسعون دينارا فعزله، فاعتزل ببيته وانقطع عن الناس وانكب على مراجعة العلوم إلى أن توفي سنة 645 هـ / 1248 م⁶.

ورباط عبيد الله العلوي:

¹ - دار الروم: في معجم البلدان دير الروم، وهو بيعة كبيرة حسنة البناء محكمة الصنعة ، وهي ببغداد في الجانب الشرقي منها ، والأصل في هذا الاسم أن أسرى من الروم قُدم بهم إلى المهدي وأسكنوا دارا في هذا الموضع فسميت بهم. ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص 16.

² - عبد الحسين مهدي الرحيم: المرجع السابق، ص 37.

³ - هو نصر بن عبد الرزاق بن الشيخ بن عبد القادر، قاضي القضاة عماد الدين أبو صالح الجيلي ثم البغدادي الحنبلي، ولد سنة 563 هـ / 1167 م، درس وأفتى وناظر وبرع في المذهب وولي القضاء سنة 623 هـ / 1226 م، وعزل بعد أشهر، كان لطيفا ظريفا متدينا كثير التواضع متحريرا في القضاء قوي النفس في الحق بعيدا عن المحاباة والتكلف، ألف في الفقه والحديث "إرشاد المبتدئين" و"مجالس في الحديث" و"أربعون حديثا" توفي سنة 633 هـ / 1235 م . الذهبي: العبر، ج 3، ص 218. عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي: المصدر السابق، ج 4، ص 67.

⁴ - ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ، ص 16.

⁵ - بعقوبا: قرية كبيرة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ ، وهي من أعمال طريق خراسان ، كثيرة الأنهار والبساتين متكاثرة النخل، و بها الرطب والليمون وفواكه كثيرة ، يضرب بها المثل في حسنها ، وهي واقعة على نهر ديال من جهته الغربية ، ونهر جلولاء يجري في وسطها وعلى جنبي نهر سوقان ، وينسب إليها جماعة من أهل العلم مثل أبو الحسن البعقوبي القاضي . ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج 1 ، ص 453.

⁶ - ابن الأثير: الكامل، ج 10 ، ص 350. مصطفى جواد: الربط الصوفية البغدادية ، ص 54.

بنته شمس الضحى شاهلبنى الأيوبية¹، ومكان هذا الرباط عند قبر عبيد الله العلوي الذي يعرف بقبر النذور بالقرب من جامع الرصافة في الجانب الشرقي من بغداد ، وافتتحه الخليفة المستعصم (640-656 هـ/1242-1258م) سنة 650 هـ/1252م ، وأجرى على المقيمين به من الفقراء الجرايات² إلا أن المصادر لم تسعفنا بطبيعة ومقدار هذه الجرايات.

رباط عز الدين بن النيار³:

أنشأه سنة 649هـ/1251م بجوار داره بقراح ابن أبي الشحم في الجانب الشرقي من بغداد، وأسكن فيه جماعة من الصوفية قال ابن الفوطي في جرايتهم(وأجرى عليهم الجرايات من خالص ماله)⁴.

رباط سوسيان:

أورد ابن الفوطي في ذكر حوادث سنة 652 هـ / 1254 م أن الخليفة العباسي المستعصم (640-656 هـ / 1242-1258 م) أمر بوقف دار سوسيان وهي دار الأمير مظفر الدين أبو الفتح سوسيان⁵ المعروف بابن شملة (ت: 598 هـ / 1201 م) وجرايتها من الحجر والبساتين واتخذت رباطا للصوفية ، و جعل الشيخ عبد الصمد بن أبي الجيش⁶ الحنبلي إمام مسجد قمريه¹ شيخا لصوفية هذا الرباط، وتقع هذه الدار على

¹ - شمس الضحى شاهلبنى الأيوبية: وهي السيدة شمس الضحى شاهلبنى بنت عبد الخالق بن ملكشاه بن صلاح الدين يوسف بن أيوب الأيوبية ، تزوجها أبو العباس أحمد بن الخليفة المستعصم ، ثم تزوجها والي العراق علاء الدين عطا ملك الجويني وتوفيت سنة 678 هـ / 1279م . مصطفى جواد وأحمد سوسة: المرجع السابق ، ص108 .

² - ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص 202 . عبد الحسين مهدي الرحيم: المرجع السابق، ص37.

³ - عز الدين بن النيار: هو العدل أبو المكارم الحسين أحمد بن الحسين بن النيار ، روي له حديث عن ختم القرآن عن علي بن أحمد الرزاز، قال: حدثني أحمد بن الحسين الصوفي، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن شجاع، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، عن عمر بن عبد العزيز صاحب بشر بن الحارث، عن بشر، عن يحيى بن يمان، عن سفيان الثوري عن أبي عمرة، قال : (إذا ختم العبد القرآن قبل الملك بين عينه. قال عمر بن عبد العزيز: فحدثت به أحمد بن حنبل فاستحسنه، وقال: هذا من مختبات سفيان).
بلسم بصري عزت ، أخبار الصوفية والزهاد من تاريخ بغداد، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت ، 2004 ، ص54.

⁴ - نفسه، ص 39.

⁵ - هو الأمير مظفر الدين أبو الفتح سوسيان بن شملة ، توفي بقلعة الحديثة غرة رمضان سنة 598 هـ / 1201 م . ابن الساعي : الجامع المختصر، ص 96.

⁶ - عبد الصمد بن أبي الجيش: هو عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبي الحسين بن أبي الجيش بن عبد البغدادي القطفتي، المقرئ المحدث النحوي اللغوي الخطيب الواعظ الزاهد شيخ بغداد وخطيبها ، مجد الدين أبو أحمد وأبو الخير بن أبي العباس، سبط الشيخ أبي زيد الحموي الزاهد، ولد سنة 593 هـ/1196م ببغداد، قرأ القرآن بالروايات وسمع الحديث، وأجازته الحافظ أبو فرج بن الجوزي وغيره، وقرأ الفقه وانتهت إليه المشيخة في القراءات والحديث ، توفي سنة 676 هـ / 1277 م. عبد الرحمن بن أحمد بن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان، مكتبة العبيكان، ط1،

نهر عيسى في الجانب الغربي من بغداد ، من خلال نص الحوادث الجامعة لابن الفوطي يتبين لنا أن لهذا الرباط جرايات على من يقيم به من الصوفية المتعبدین للإنفاق عليهم في مختلف شؤون عيشتهم مما يتيح لهم الإقامة بالرباط².

ب- أربطة الموصل:

رباط سيف الدين غازي³ :

بناه سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي (ت: 544 هـ / 1149م) أنشأ هذا الرباط على باب المشرعة، وجعل له أوقافا كثيرة تنفق عوائدها المالية على خدمة المقيمين بالرباط⁴.

ورباط الشهرزوري⁵:

بناه كمال الدين بن الشهرزوري (492-572هـ / 1098-1176 م) بالموصل ووقف عليه أوقافا كثيرة بالموصل ونصيبين ودمشق ، تضمن استمرار الإنفاق على المقيمين بالرباط والمدرسة بما يصلح حالهم من الطعام والشراب والكسوة والشمع والزيت وغيرها من الأمور⁶.

الرياض، 2005، ج4، ص 135-139. شمس الدين أبو الخير بن الجزري الدمشقي الشافعي، غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره ج.بر جسترار، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2006، ج1، ص349.

¹- ولي في زمن المستنصر مشيخة المسجد الذي بناه المستنصر وجعله دار قرآن وحديث ، ويعرف بمسجد قمريه ثم ولي مشيخة رباط سوسيان. ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج4 ، ص 138 .

²- الحوادث الجامعة ، ص 211. ابن رجب : الذيل على طبقات الحنابلة ، ج4 ، ص 138-139. عبد الحسين مهدي الرحيم : المرجع السابق ، ص 359.

³- سيف الدين غازي: هو سيف الدين غازي بن أتابك زنكي ، صاحب الموصل كان حسن الصورة والشباب ، كانت ولادته سنة 500 هـ / 1106 م ، دامت ولايته ثلاث سنوات ، توفي سنة 544 هـ / 1149 م ، ودفن بالمدرسة التي بناها بالموصل .ابن الأثير : الكامل ، ج9 ، ص 359.

⁴ - سعيد الديوه جي: تاريخ الموصل، ج1 ، ص355.

⁵-الشهرزوري: هو محمد بن عبد الله بن القاسم أبو الفضل قاضي القضاة بدمشق كمال الدين الشهرزوري الموصلية، وله بها مدرسة موقوفة على الشافعية وأخرى بنصيبين ، وكان فاضلا دينا أمينا ثقة ورعا ، ولي القضاء بدمشق لنور الدين محمود زنكي ، واستوزره أيضا ، وكان يبعثه بالرسائل ، وفوض إليه نور الدين نظر الجامع ودار الضرب ، وعمر المارستان والمدارس ، وكانت وفاته سنة 572 هـ / 1176 م بدمشق. ابن الأثير : الكامل، ج10، ص84.ابن كثير: المصدر السابق ، ج16، ص521. سعيد الديوه جي: تاريخ الموصل، ج1 ، ص355-356.

⁶-ابن الجوزي: المنتظم ، ج17 ، ص233. ابن كثير: المصدر السابق ، ج16، ص521. سعيد الديوه جي: تاريخ الموصل ج1 ، ص355-356.

رباط درب دراج¹:

لأبي السعادات بن الأثير² ، الذي اتصل بخدمة الأمير الكبير مجاهد الدين قيمان الخادم إلى أن مات ، فاتصل بعد ذلك بخدمة صاحب الموصل عز الدين بن مسعود وولي ديوان الإنشاء، وكان ذا بر وإحسان، كانت له دار في درب دراج جعلها رباطا ودرّس فيه ودفن به بعد موته وجعل أمواله أوقافا تجري على الملازمين لهذا الرباط³.

ج - أربطة مصر:

رباط بالمقس⁴:

بناه أبو سعيد قراقوش بن عبد الله الأسدي الملقب بهاء الدين ، كان خادم صلاح الدين ، وقيل كان خادم أسد الدين شركوه عم السلطان صلاح الدين ، ولما استقل صلاح الدين بالديار المصرية جعله زمام القصر ، ثم ناب عنه لفترة بالديار المصرية ، وفوض إليه جميع أمورها والنظر فيها واعتمد عليه في تدبير أحوالها ، وقد أبدى قراقوش همة عالية في تدبير الأمور، فبنى القناطر التي بالجيزة على طريق الأهرام ، وهي آثار دالة على كفاءته و علو همته ، وبنى الرباط بالمقس، وله أوقافا كثيرة لم تذكر المصادر الوجوه التي أنفقت فيها أموال وعوائد هذه الأوقاف⁵، ولا شك أنه قد أجرى بعض العوائد المالية لهذه

الأوقاف على رباطه بما يكفل خدمة ومعاش الملازمين له.

¹- درب دراج : محلة كبيرة في وسط مدينة الموصل.ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 2، ص 447.

²-أبو السعادات ابن الأثير: هو المبارك محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني العلامة مجد الدين أبو السعادات الجزري ابن الأثير، ولد بجزيرة ابن عمر سنة 544 هـ / 1149 م ، ونشأ بها ثم انتقل إلى الموصل فسمع الحديث ثم بغداد ، من تصانيفه (جامع الأصول) و(غريب الحديث) و(شرح مسند الإمام الشافعي)، وغير ذلك ، ترجم له أخوه في (الكامل) فقال (كان عالما في عدة علوم منها الفقه والأصول والنحو والحساب وغريب الحديث،وله رسائل مدونة ، وكان كاتباً بارعا يضرب به المثل ذا دين متين ولزوم طريق مستقيم رحمه الله ورضي عنه ، فقد كان من محاسن الزمان ، ولعل من يقف على ما ذكرته يتهمني في قلبي، ومن عرفه من أهل عصرنا يعلم أنني مقصر)، حصل له مرض مزمن أبطل يديه ورجليه وعجز عن الكتابة وأقام بداره ، وأنشأ رباطه المذكور،توفي سنة 606 هـ / 1209 م. ابن الأثير: الكامل، ج10، ص350-351. الذهبي: تاريخ الإسلام ،ج43، ص226-227.السبكي:المصدر السابق ، ج8 ، ص 366-367. ابن كثير: المصدر السابق، ج17، ص8-9.

³- ابن خلكان: المصدر السابق، ج4، ص142. الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج43 ، ص 226.

⁴- المقس: يوجد بالقاهرة على النيل ، وكان قبل الإسلام يعرف بأمن دنين، وكان فيه حصن ومدينة قبل بناء الفسطاط ، فتحه عمرو بن العاص سنة 20 هـ / 640 م. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص175.

⁵- ابن خلكان : المصدر السابق، ج4 ، ص 91-92. نيل دي ما كنزي : القاهرة الأيوبية ، دراسة طبوغرافية ، ترجمة عثمان مصطفى عثمان، مطبوعات المجلس الأعلى للثقافة، ط1، القاهرة ، 2007 ، ص 234.

رباط صفي الدين بن شكر¹:

أنشأه الوزير صفي الدين عبد الله بن علي بن الحسين بن عبد الخالق بن الحسين بن الحسن المنصور صاحب الكبير بن شكر قرب مدرسته الصحابية في سوقة صاحب بالقاهرة، فقد كان ابن شكر مؤثرا لأهل العلم والصالحين كثير البر بهم والتفقد لهم لا يشغله ما هو فيه من كثرة الاشتغال عن مجالستهم ، وكان ذا بر وصلاح ، أنشأ مدرسته الصباحية قبالة داره بالقاهرة²، وبنى مصلى العيد بدمشق ، وبلط الجامع ، وأنشأ الفوارة ، وعمّر جامع المزة³، وكان له في كل بلد من بلاد السلطان ضيعة أو أكثر في مصر والشام فبلغت عوائدها المالية مائة وعشرين ألف دينار سنويا⁴، وهذا ما يرجح أن منشأته الوقفية ومنها المدرسة والرباط قد كان لهما الحظ الوافر من هذه الأموال.

د-أربطة واسط:

فقد شهدت واسط كغيرها من الحواضر الإسلامية إنشاء الربط التي كان بينها الزهاد والمتصوفة وأهل البر والإحسان ، ويبدو أن هذا الاهتمام ظل مقتصرًا على هذه الفئة ، وذلك لعدم توفر ما يدل على أن الدولة قد أنشأت رباطا فيها⁵ ، كما أن تلك الربط التي تم إنشاؤها لم تسعفنا المصادر بطبيعة الخدمات التي كانت تقدم لتلك الأربطة ولا إلى الجهة التي كانت تتحمل أمر الإنفاق عليها .

¹ - ابن شكر : هو عبد الله بن علي بن الحسين بن عبد الخالق بن الحسين بن الحسن بن منصور صاحب الكبير الوزير صفي الدين بن شكر أبو محمد الشيبني الدميري المصري المالكي ، ولد سنة 540 هـ / 1145 م ، وذكر ابن كثير أنه ولد سنة 548 هـ / 1153 م ، تفقه على عدة علماء ، وسمع الحديث وحدث بدمشق ومصر ، كان ذا دهاء مفرد ، وزر للخليفة العادل واستولى عليه ظاهرا وباطنا ، كان يظهر عفة عن أموال الدولة ، حدثت جفوة بينه وبين السلطان العادل الأيوبي فنفاه إلى الشام ، فلما مات العادل عاد إلى مصر ووزر للسلطان الكامل ، كان خليقا بالوزارة ، وكان متواضعا يسلم على الناس وهو راكب ، توفي سنة 622 هـ / 1225 م . الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج22، ص295. الصفدي: الوافي بالوفيات ، ج 17، ص176 ابن كثير: المصدر السابق، ج17، ص141.

² - الصفدي : الوافي بالوفيات، ج17، ص 176.

³ - ابن كثير: المصدر السابق ، ج 17 ، ص141.

⁴ - الصفدي: الوافي بالوفيات ، ج 17 ، ص 176.

⁵ - سليمان عبد القادر المعاضيدي : واسط في العصر العباسي (324 هـ / 656 هـ) ، الدار العربية للموسوعات، ط1، بيروت ، 2006 ، ص241.

رباط الدورقي أبو حفص فخر الدين عمر بن إسحاق الدورقي¹، في الجانب الشرقي من واسط، الذي أسكن فيه جماعة من الفقهاء، وجعل فيه مقرناً للقرآن ومحدثاً وإماماً، وأجرى عليهم الجرايات اليومية والشهرية، كما أنشأ رباطاً آخر قرب المدرسة الشرايية التي بشرقي واسط و ثانيا على شاطئ دجلة، ووقف لهذا الرباط وقفاً للإنفاق على المقيمين به².

هـ - أربطة مكة :

رباط الخاتون :

وينسب إلى منشأته الخاتون³، وهي الشريفة فاطمة بنت الأمير أبو ليلى محمد بن أنور شروان بن زيد الحسيني، ويعرف أيضاً برباط القزويني ورباط ابن محمود نسبة إلى شهاب الدين أحمد بن محمد بن محمود الهندي، ويقع الرباط على يمين الداخل من باب السدة أحد أبواب المسجد الحرام من الجهة الشمالية، وقد أدخل في التوسعة للمسجد الحرام، وقد وقفت هذا الرباط سنة 577 هـ / 1181 م على الصوفية من الرجال الصالحين من العرب والعجم، ووقفت على هذا الرباط داراً بقرية يجرى ريعها عليه، ومن أشهر نزلائه أبو بكر بن عمر الهمداني⁴.

رباط أبي سماحة:

ينسب إلى أحد الملازمين له، بناه قايماز بن عبد الله سلطان الروم والأرمن أبو الفتح قليج بن أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان السلجوقي (588 هـ / 1192 م)⁵ الذي

¹ - هو أبو حفص عمر بن أبي بكر إسحاق الدورقي، كان يتولى أشغال زعماء البيات و ينوب عنهم وكان ذا مال وافر بنى بشرقي مدينة واسط جامعاً يعرف بجامع ابن رقا، و عمر إلى جانبه رباطه المنسوب إليه، توفي سنة 649 هـ / 1251 م. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص 198.

² - ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص 198. سليمان عبد القادر المعاضيدي: المرجع السابق، ص 241.

³ - الخاتون: هي الشيخة الصالحة فاطمة خاتون بنت محمد بن الحسن العميد، كانت صالحة عابدة زاهدة، عمرت مائة وست سنين، كان قد تزوجها أمير الجيوش فبقيت عنده إلى أن توفي، ولم تتزوج بعده بل اشتغلت بذكر الله والعبادة، توفيت سنة 589 هـ / 1193 م. ابن كثير: المصدر السابق، ج 16، ص 661.

⁴ - حسين عبد العزيز حسين شافعي: الرباط في مكة المكرمة منذ البدايات إلى نهاية العصر الأيوبي، جامعة أم القرى، رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية، 1995، ص 69-70.

⁵ - هو صاحب بلاد الروم قلع أرسلان بن مسعود بن قلع أرسلان بن إسرائيل بن سلجوق بن دقاق كان فيه عدل وسياسة وسداد رأي، وطالت أيامه فملك ثلاثين سنة، وكان قد قوي عليه أولاده حتى لم يبق له معهم إلا مجرد الاسم لكبر سنه، وكان قد قسم بلاده بينهم طمعا في طاعتهم وهي قونية وأقسر وسيواس وملطية، فخالفوه وتجبروا وعتوا عليه، وخفضوا قدره حتى ارتفعوا، ووظل كذلك حتى توفي في عامه ذلك سنة 588 هـ / 1192 م. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 41، ص 306. ابن كثير: المصدر السابق، ج 16، ص 649. ابن العماد: شذرات الذهب، ج 6، ص 484.

أنشأه سنة 578 هـ/1182 م ، ويوجد بأعلى مكة بالقرب من المجزرة الكبيرة على يمين الذهاب إلى المعلاة ، ووقف عليه صاحبه دارا تعرف بدار القفطي تعود عوائدها المالية على مصالح الرباط والملازمين له¹.

رباط ربيع:

ينسب إلى من تولى إنشاءه وعمارته، وهو ربيع بن عبد الله المارديني، جد في طلب العلم فارتحل في طلبه إلى أمصار عدة مثل بغداد والموصل والكوفة والإسكندرية ودمشق فسمع الحديث عن كثير من العلماء، وجاور الحرمين لمدة طويلة، وعرف عنه من الصلاح والكرامات الظاهرة، ولأه الملك نور الدين علي بن صلاح الدين الأيوبي واقف الرباط بعمارته، وقد أنشأ هذا الرباط سنة 594 هـ/1197 م، وقفه صاحبه على الفقراء المسلمين الغرباء، وقد أرصدت له أوقاف تعود مستغلاتها المالية جارية على مصالح الرباط والملازمين له².

رباط الموفق:

نسبة إلى واقفه القاضي الموفق علي بن عبد الوهاب الإسكندري (ت: 624 هـ/1226 م)³، ويعرف كذلك برباط المغاربة وذلك لكثرة النازلين به من المغاربة وذكر أنه يقع أسفل مكة ، وقيل بالحزامية وقيل غير ذلك ، وقف هذا الرباط سنة 604 هـ/1207 م على الغرباء الفقراء من أهل الغرب المتعبدين ذوي الحاجة ، وقد كان صاحبه وقفا لم تعرف طبيعته ، كما وقف عليه أهل الصلاح أوقافا تعود على خدمات الرباط والنازلين به⁴.

رباط سيف الدين بن جندر⁵ :

1 - حسين عبد العزيز حسين شافعي : المرجع السابق ، ص 71-72.

2 - نفسه، ص 81-82.

3 - هو علي بن عبد الوهاب بن محمد بن أبي الفرج الرئيس موفق الدين أبو الحسن الاسكندراني المالكي، صدر الإسكندرية وعينها ، ولد سنة 537 هـ/ 1142 م ، وحدث عن السلفي وعن أبي الفتوح نصر الأزهري ، توفي سنة 624 هـ/ 1226 م.الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج 45 ، ص 202.

4- حسين عبد العزيز حسين شافعي : المرجع السابق، ص 97-99.

5- الأمير سيف الدين بن جندر: كان من أكبر الأمراء بجلب، كان كثير الصدقة وقف بها مدرستين إحداهما على الشافعية والأخرى على الحنفية وبنى الخانات والقناطر وغير ذلك من سبل الخير. ابن كثير: المصدر السابق، ج 17، ص 139.

أنشأه الأمير سيف الدين علي بن علم الدين سليمان بن جندر بالرحبة الكبيرة وكانت دارا تعرف ببدر الدين محمود بن الشكري الذي خنقه الملك الظاهر غياث الدين غازي¹، وقد كان من أكابر أمراء حلب، كثير الخير والصدقات الجارية على الفقراء والمحتاجين، وعرف بكثرة أوقافه التي أرصدت أموالها على مدرسته والخانقاه².

رباط التيمي:

واقفه أحمد بن إبراهيم التيمي (ت: 627 هـ/1229)³، وكت سنة وقفه 620 هـ/1233 م وكان هذا الرباط يقع بالمروة على يسار الذهاب إليها، وحسب على المروة المعظمة على جميع الفقراء من أهل الخير والفضل والدين من العرب والعجم على ما يليق بكل واحد منهم في المنازل في هذا الرباط ، وقد وقف عليه صاحبه حماما بأجياد وأوقاف أخرى في المروة بقرب القرارة، تصرف عوائدها لضمان استمرار الخدمات التي يحتاجها الرباط من الصيانة وإدارة شؤونه ، وأسباب الإعاشة للمقيمين به⁴.

وأربطة أخرى، إلا أن المصادر لم تأتي على ذكر الخدمات والمصالح المتعلقة بتلك الأربطة من حيث الإنفاق عليها لصيانتها وتجديدها والإنفاق على مرافقها وتزويدها بما تحتاجه من زيت الإنارة والشمع ، والوسائل المستعملة للنظافة ، والمواد التموينية المتعلقة بشؤون الإعاشة للمقيمين بالرباط وغيرها من الاحتياجات، لذلك نجد أن المصادر قد أسهبت في الحديث عن وقف تلك الدور التي مثلت الأربطة بمعنى أن المادة المتعلقة بذلك مقتصرة على وقف العقار ولا يندرج ذلك ضمن معنى الجارية.

ولم تكن بعض الأربطة تقتصر على العبادة فحسب ، فقد كانت تقيم بعض المناسبات الاحتفالية في المواسم و الأعياد لا سيما عند وفاة شيوخهم فيقيمون الأعراس-حسب مصطلح الصوفية-، وغالبا ما يحضر هذا الاحتفال أعيان الدولة والعلماء وشيوخ الأربطة

¹ عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم ابن شداد: الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، الجزء الأول القسم الأول ، تحقيق: دومنيك سورديل، منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، (د،ت) ج1 ، ق1 ، ص96 .

² شهاب الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي الدمشقي: الذيل على الروضتين (تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين)، عني بنشره عزت العطار الحسيني، دار الجيل، ط2، بيروت، 1974، ص145-146.

³ هو أحمد بن إبراهيم بن عبد الملك بن مطرف أبو جعفر التيمي الأندلسي، ولد سنة 540 هـ/1145 م، رحل إلى المشرق أربع مرات أولها سنة سبعين وخمسائة، أخذ العلم من شيوخ بالإسكندرية ومكة، وكانت له حظوة عند ملوك المغرب، وكان ذا بر وإحسان، وله بالحرمين أوقافا وبر، وكان على طريقة الصوفية، توفي سنة 627 هـ/1229 م الذهبي: تاريخ الإسلام، ج45، ص277-278. تقي الدين الفاسي المكي: العقد الثمين، ج3، ص6-8 .

⁴ حسين عبد العزيز حسين شافعي: المرجع السابق ، ص112-113.

ويقدمون في تلك الاحتفالات مختلف الأطعمة والأشربة وأنواع الحلوى ،وكانت هذه المناسبات يحضرها بعض الخلفاء فتكون فرصة فيكرم الخلفاء أهل الربط ، كما حدث عند زيارة صاحب الموصل الأمير ركن الدين إسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ(ت656هـ/1258م¹) إلى بغداد فعملت له دعوة إلى رباط الخلاطية فحضر هناك وتفرج فيه ، كما عملت له

دعوة أخرى في رباط زمرد خاتون والدة الخليفة الناصر لدين الله².

ثالثاً- الخوانق التعبيدية

يرجع المؤرخون ظهور الخانقاه في البلاد الإسلامية إلى نهاية القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي وذلك عندما بنى المحدث المشهور محمد بن حبان البستي (ت: 354هـ/965م)³ صاحب مصنف صحيح ابن حبان خانقاه في نيسابور حيث درّس فيها مصنفاً⁴.

ويبدو أنها بدأت تظهر بشكل واضح في البلاد الإسلامية خلال القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، وتأخر انتشارها في بعضها إلى مطلع القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي حينما أنشأ لؤلؤ الخادم خادم الملك رضوان السلجوقي أول خانقاه

¹ - الملك الرحيم أبو الفضائل بدر الدين لؤلؤ بن عبد الله الأتابكي صاحب الموصل ، كان من أجل الملوك ، قام بتدبير أستاذه نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن آق سنقر التركي ، ملك الموصل وأعمالها سبعة وأربعين سنة ، وكان له همة عالية ومعرفة تامة ، وكان شديد البحث عن أخبار رعاياه ، وكان يغرّم عن القصاد والجواسيس في كل سنة مالا عظيماً، توفي سنة 656 هـ/1258 م. أبو محمد اليافعي المكي: المصدر السابق، ج4، ص113. ابن كثير: المصدر السابق ، ج17، ص383. ابن تغري بردي: المصدر السابق ، ج7، ص65.

² - ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ، ص 77. رعد محمود البرهاوي: المرجع السابق ، ص75.

³ - ابن حبان: هو الإمام العلامة الحافظ المجود شيخ خراسان أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد الدارمي البستي صاحب المصنفات المشهورة (الأنواع والنقاسيم) و(كتاب التاريخ) و(كتاب الضعفاء)، قال الذهبي: (بنى الخانقاه وقرئ عليه جملة من مصنفاً)، كان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار ، عالماً بالطب وفنون العلم ، صاحب المسند الصحيح ولد سنة بضع وسبعين ومائتين، توفي سنة 354 هـ / 965 م .الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج16، ص ص 92- 94. ابن كثير: المصدر السابق ، ج15، ص281.

⁴ - محمد بن حبان البستي :الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، تحقيق كمال يوسف الحوت ،دار الكتب العلمية ، بيروت، 1996 ، ج 1 ، ص 6. الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج16، ص94. محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية ، مطابع الرسالة، الكويت ،1988، ص243. رعد محمود البرهاوي: المرجع السابق، ص83.

ببلاد الشام بحلب سنة 509 هـ/1115 م والتي تعرف بخانقاه البلاط وهي أول خانقاه أنشأت بحلب¹.

وقد كان للخانقاه وظيفة تعبدية وأخرى تعليمية ، وقد كانت الخوانق من المؤسسات التعبدية التي تشبه الربط في وظائفها الدينية والتعليمية ، فحظيت هي كذلك بالرعاية والعناية من أهل البر والإحسان من المنفقين الميسورين .

وحسب ما أورده المقرئزي فإن أول من اتخذ بيتا للعبادة هو زيد بن صوحان بن صبرة، وذلك أنه عمد إلى رجال من أهل البصرة قد تفرغوا للعبادة وليس لهم ما يكفل حاجتهم من تجارة ولا غلة فبنى لهم دورا وأسكنهم فيها وأجرى عليهم من الطعام والشراب واللباس ما تقوم به مصالحهم².

ومن الخانقاوات التي ذكرت المصادر بعض أحوال إنشائها والجرية عليها:
خانقاه الخاتونية³:

وتنسب إلى مؤسسها عصمة الدين الخاتون بنت الأمير معين الدين أنر زوجة السلطان نور الدين محمود ثم السلطان صلاح الدين الأيوبي، وقد كانت من أعف النساء وأجلهن، وأوفرهن حشمة، ذات بر وإحسان ، وقد بنت هذه الخانقاه للصوفية على الشرف القبلي خارج باب النصر على بانياس ، كما وقفت مدرسة بالصالحية ، وكانت لها أوقافا كثيرة لا شك أنه نال منها الخانقاه والمدرسة حظ وافر من عوائدها المالية للإنفاق على حاجات الملازمين لهما من مأكّل ومشرب ولباس وما يصلح أحوالهم في مختلف الشؤون⁴.

خانقاه الصلاحية(دار سعيد السعداء):

¹- ابن شداد : الأعلام الخطيرة، ج1، ق1، ص 93.

²- المقرئزي: الخطط ، ج4 ، ص281 .

³ -هي الست خاتون عصمة الدين بنت معين الدولة نائب دمشق وأتابك عسكرها ، وقد كانت زوجة نور الدين محمود ثم تزوجها السلطان صلاح الدين بعد نور الدين سنة 572 هـ/1176 م ، وكانت من أحسن النساء خلقا ودينا ، وكانت من أعفهن وأكثرهن صدقة ، توفيت عصمة الدين بدمشق في ذي القعدة سنة 581هـ/1185 م ، ودفنت بتريتها المنسوبة إليها بقاسيون قبلي قبلة شركس.الذهبي: تاريخ الإسلام، ج41، ص120. ابن كثير: المصدر السابق، ج16، ص573.

⁴ -الذهبي: العبر، ج3 ، ص27-28. تاريخ الإسلام ، ج41 ، ص120. ابن كثير: المصدر السابق، ج16، ص573. النعمي عبد القادر بن محمد الدمشقي: الدارس في تاريخ المدارس، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت ، 1990 ، ج1، ص388.

كانت هذه الخانقاه بخط رحبة باب العيد من القاهرة ، وكانت تعرف هذه الدار في العهد الفاطمي بدار سعيد السعداء وهو الأستاذ قنبر ويقال أيضا عنبر أحد الأستاذين المحنكين خدام القصر عتيق الخليفة المستنصر قتل سنة 544 هـ/1149 م ، وقد اتخذها العادل رزيك بن الصالح طلائع بن رزيك سكنا له أيام وزارته ، فأنشأ سردابا من دار الوزارة إلى الخانقاه يمر تحت الأرض ليمر فيه، ثم سكنها الوزير شاور بن مجير أيام وزارته ثم ابنه الكامل ، فلما تولى صلاح الدين مصر أسكن هذه الدار فقراء الصوفية القادمين من مختلف الأمصار وجعلها وقفا عليهم سنة 569 هـ/ 1173 م وولّى عليهم شيخا ، ووقف عليهم بستان الحبانية بجوار بركة الفيل خارج القاهرة و قيسارية الشراب بالقاهرة لتأمين ما يتعلق بعيشهم من نفقات مالية¹.

واشترط واقفها أن من مات من الصوفية الملازمين لهذه الخانقاه وترك عشرين دينارا فما دونها كانت للفقراء ولا يتعرض لها الديوان الذي يتولى هذا الشأن ، ورتب لهم إلى جانب ذلك في كل يوم طعاما ولحما وخبزا وبنى لهم حماما بجوارهم وكانت هذه الخانقاه أول خانقاه أنشأت بمصر وكانت تعرف بدويرة الصوفية ويعرف شيخها بشيخ الشيوخ².

الخانقاه الأسدية:

تتسب إلى شبل الدولة كافور الحسامي حسام الدين محمد بن لاجين ولد ست الشام واقف

المدرسة الشبلية على فقهاء الحنفية التي بطريق الصالحية³، وأوقف الخانقاه على الصوفية إلى جانب المدرسة ، وكان ساكنا للخانقاه ،وقد كانت له أوقاف كثيرة⁴، ووقف عليها القناة والمصنع والساباط أرصدت عوائدها المالية على المدرسة والخانقاه للإنفاق على الواردين عليهما، وقد كان ذا بر وصلاح ،ومن بره أنه فتح للناس طريقا من عند

¹- المقريزي: الخطط ، ج 4 ، ص 282 .

²- نفسه ، ج 4 ، ص 282 . عبد الرحمن جلال الدين عبد السيوطي :حسن المحاضرة ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط 1 ، القاهرة، 1967 ، ج 2 ، ص 260.

³- الصالحية : قرية كبيرة ذات أسواق من غوطة دمشق ، وفيها قبور جماعة من الصالحين، ويسكنها جماعة من أهل البر والصلاح ، وأكثر أهلها على مذهب الإمام أحمد بن حنبل. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 3، ص 390.

⁴ -ابن خلكان:المصدر السابق،ج1،ص307.أبو الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي:تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان المعروف بالتاريخ المنصوري،تحقيق أبو العيد دودو،مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق،(د،ت)، ص 128.

المقبرة غربي الشامية البرانية إلى طريق عين الكرش ولم يكن للناس طريق إلى الجبل من هناك¹.

خانقاه ابن شداد²:

أنشأها أبو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم الأسدي الحلبي المعروف بابن شداد³ قاضي قضاة حلب ، لما ورد الشام على السلطان صلاح الدين لازمه وولاه قضاء العسكر وقضاء القدس ، وهو أول قاض ولي القدس بعد فتوح صلاح الدين ، ثم خدم ولده السلطان الظاهر الذي أنعم عليه بأموال جزيلة فتكاثرت أمواله فبذلها في وجوه البر فعمّر مدرسة بحلب ودار حديث ، وأنشأ الخانقاه المنسوبة إليه فبذل أمواله في الإنفاق على

منشآته الوقفية فكان طلبة العلم يقصدونه من مختلف أنحاء البلاد لما له من علم ومال وجاه⁴.

خانقاه القصر:

أنشأها الملك العادل نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر تحت القلعة، وسميت بهذا الاسم لأن المكان الذي بنيت فيه هو مكان القصر الذي بناه شجاع الدين فاتك ، وبدء في إنشائها سنة 553 هـ / 1158 م، وبنى خانقاه القديم وكلف بالنظر على عمارتها شمس الدين أبو القاسم الطرسوسي⁵.

وقد بنى السلطان نور الدين الربط والخوانق في مختلف أنحاء البلاد للصوفية ، ووقف عليها الأوقاف الكثيرة وأدر عليهم الإدراجات الصالحة من الأموال بما يكفل الحاجات من

1 - الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج 45 ، ص 164.

2- ابن شداد: وابن شداد جد أبو المحاسن واقف الخانقاه لأمه فنسب إليه. الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج22، ص 384.

3 - أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد بن عنتاب الأسدي الحلبي قاضي القضاة بهاء الدين أبو المحاسن ابن شداد، ولد سنة 539 هـ / 1144 م بالموصل ، كان إماما فاضلا ثقة عارفا بالدين والدنيا ، رئيسا مشار إليه متعبدا زاهدا نافذ الكلمة ، كان يشبه بالإمام أبي يوسف في عصره ، دبر أمور الملك واجتمعت الألسن على مدحه والقلوب على حبه لمكارمه ، له مصنفات عدة منها: (ملجأ الأحكام عند التباس الأحكام) وكتاب(دلائل الأحكام) وكتاب(الموجز الباهر في الفقه) وكتاب في سيرة السلطان صلاح الدين(سيرة السلطان صلاح الدين). ابن شداد:الأعلاق الخطيرة ، ج1، ق1، ص 95.الذهبي:سير أعلام النبلاء، ج22، ص ص383-387.السبكي:المصدر السابق، ج8، ص ص360-362.

4 - ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج1، ق1، ص 95. السبكي: المصدر السابق، ج 8 ، ص ص 360 - 362.

5 - ابن شداد: الأعلاق الخطيرة ، ج1، ق1، ص95.

الأرزاق وغيرها ، وكان يحضر مشايخهم عنده ويقربهم ويدينهم ويبسطهم ويتواضع لهم، ولا يرد لهم قولا ويكاتبهم بخط يده ،فإذا أقبل أحدهم إليه يقوم له من مجلسه ويمشي نحوه ويعتقه ويجلسه معه على سجادته ويقبل عليه بحديثه¹.

خانقاهات مظفر الدين كوكبري :

وقد كان من المحبين للصدقات²، فقد بنى أربع خانقاهات بإربل للزمنى والعميان فكان يقيم بها عدد كثير منهم وأجرى عليهم ما يحتاجون إليه في كل يوم ، وكان يتفقد أحوالهم بنفسه كل عصر يوم الاثنين والخميس ، ويدخل إلى كل واحد في بيته ويسأله عن حاله ويعطيه شيئا من النفقة ، ثم ينتقل إلى الآخرين واحدا واحدا فيتفقد أحوالهم جميعهم فيبسطهم ويمزح معهم وجبر قلوبهم ويخفف عنهم ما هم فيه، وبنى دارا للنساء الأرامل والأيتام الصغار ودارا للقطاء، وأجرى الأموال على أهل كل دار لكفالة أرزاقهم وما يحتاجون إليه ، وكان يتفقدهم ويسأل عن أحوالهم ويعطيهم من النفقات زيادة على المقرر لهم³.

كما بنى خانقاهين للصوفية فانضم إليها كثير منهم وأقاموا بهما ، كما كانتا مقصدا لكثير من الناس في أيام المواسم والأعياد ، وأرصد لهما أوقافا كثيرة وفيرة العوائد تنفق في سبيل ما يحتاجون إليه من مأكّل ومشرب وكسوة ومختلف شؤونهم ، وذكر أنه كان ينفق مائتي ألف دينار في السنة على الخانقاه⁴، ومن سافر منهم فإنه يتزود بنفقة تعينه على ذلك ، وكان ينزل إليهم ويتفقد أحوالهم بنفسه ، ويعمل عندهم الساعات الكثيرة من الأوقات⁵.

خانقاه كمشتكين⁶:

1- ابن الأثير: الكامل، ج10 ، ص 57-58. أبو شامة المقدسي الدمشقي:الروضتين ، ج1، ص 106.
2- فكان له كل يوم قناطير مقنطرة من الخبز يفرقها على الفقراء وأصحاب الحاجة في مختلف أنحاء البلاد ، فيجتمع في كل موضع خلق كثير فيفرق عليهم من أول النهار ، وكان إذا نزل من الركوب يكون قد اجتمع عنده خلق كثير فيدخلهم إليه ويعطي لكل واحد منهم كسوة تتناسب مع الفصل شتاء أو صيفا وربما زاده على ذلك دنائير من الذهب. ابن خلكان : المصدر السابق، ج4 ، ص116.
3- ابن خلكان: المصدر السابق، ج4 ، ص 116.
4- الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 22 ، ص 336.
5- ابن خلكان : المصدر السابق، ج4 ، ص116.
6- كمشتكين: هو سعد الدين كمشتكين الخادم مولى بنت الأتابك عماد الدين، كان نائبا للملك إسماعيل بن نور الدين ومدبر أمور دولته والحاكم فيها، قتل سنة 573هـ/1177 م. ابن الأثير: الكامل، ج10 ، ص 87-88. ابن واصل: المصدر السابق، ج2، ص 63.

أنشأها سعد الدين كمشتكين الخادم مولى بنت الأتابك عماد الدين قرب دور بني العديم¹، وكان من أصحاب النفوذ واليسار وسعة المال فمن مبراته بناؤه لهذه الخانقاه وقيامه على المقيمين بها بإجرائه الأرزاق عليهم ، وقد كان كمشتكين نائبا للملك الصالح إسماعيل بن نور الدين صاحب حلب ، لقبه بسعد الدين ، وهو مدبر دولته²، أتهم بتدبير مقتل الوزير أبو صالح ابن العجمي الذي اغتاله الباطنية(الحشاشون)أتباع الحسن الصباح³ فقبض عليه الملك الصالح وعذب وعلق منكوسا ودخن تحت أنفه حتى مات⁴.

خانقاه ست الشام أم الملك الصالح:

وهي الخانقاه التي أنشأتها ست الشام خاتون⁵ بنت الأمير نجم الدين أيوب بن شاذي أم الملك الصالح إسماعيل بن الملك العادل نور الدين تحت القلعة بحلب سنة 578هـ/1182م⁶.

وقد كانت من أكثر النساء صدقة وإحسانا إلى الفقراء والمحتاجين ، وكانت تتفق في كل سنة أموالا كثيرة على أصحاب الحاجة وتهدى في دارها الأشربة والأدوية والعقاقير⁷ وغير ذلك وتفرقه على الناس، فقد كان بابها ملجأ القاصدين من أصحاب الحاجات وهذا ما

1- ابن شداد : الأعلام الخطيرة ، ج1، ق1 ، ص 94.

2- الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 40، ص127.

3- ابن واصل: المصدر السابق ، ج2، ص63.

4- كان السبب في الصراع بين المتنافسين بين مدبري الملك الصالح بن نور الدين، وكان العدل شهاب الدين أبا صالح بن العجمي قد استولى على شؤون التدبير، وكان سعد الدين منشأ الخانقاه قد أسندت له تقدمه الجيوش، وكان قد أقطع حصن حارم ، فكثر حاسدوه على ذلك فتألبوا عليه ومالوا إلى أبي صالح فوقع بينها جفاء، و تسلل أحد أفراد الباطنية فقتلوا أبا صالح العجمي ، فقتل كمشتكين مقاليد السلطة ، فسعى به خصومه إلى الملك الصالح وقالوا له: (ما قتل وزيرك ومشيرك إلا كمشتكين فهو الذي حسن ذلك للإسماعيلية) وقالوا له (أنت السلطان وكيف يكون لغيرك حكم أو أمر) فمزالوا به حتى قبضوا عليه، وطالبوه بتسليم قلعة حارم فكتب إلى نوابه يأمرهم بتسليمها إلى نواب الملك الصالح إلا أنهم لم يستجيبوا لذلك وتحصنوا بها، فجيء بكمشتكين وطلب منهم تسليم القلعة فلم يجيبوه إلى ذلك، فعذب كمشتكين وأصحابه يرونه ولم يستجيبوا لذلك، فذكر أنه علق منكوسا ودخن تحت أنفه حتى مات وكان ذلك سنة 573 هـ/1177 م. ابن واصل: المصدر السابق، ج2، ص63. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج40، ص127. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج24، ص276.

5- ست الشام: هي ست الشام الخاتون بنت أيوب بن شاذي أم الملك الصالح إسماعيل أخت الملوك وعمة أولادهم، أخت السلطان صلاح الدين، كان لها من الملوك المحارم خمسة وثلاثون ملكا ، منهم شقيقها تور نشاه بن أيوب صاحب اليمن واقفة المدرستين البرانية و الجوانية ، كانت كثيرة البر والصدقات ، سيدة الخواتين في زمانها، كانت عاقلة جزيلة الإحسان ، وقفت دارها مدرسة قبل موتها وهي التي إلى جانب المارستان النوري ، وأوقفت عليها أوقافا عظيمة ، توفيت في ذي القعدة سنة 616 هـ/ 1219 م، ودفنت بتربتها بالعونية. الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج22، ص 78-79. ابن كثير: المصدر السابق ، ج17 ، ص 84. ابن تغزي بردي: النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص 217-218. ابن العماد : شذرات الذهب ، ج7 ، ص 120-121.

6- ابن شداد : الأعلام الخطيرة ، ج1، ق1 ، ص 93.

7- ابن كثير: المصدر السابق ، ج17 ، ص83-84.

يرجح أن هذه الخانقاه قد نالت حظا وافرا من هذه النفقات، ولها أوقاف وأربطة مشهورة بدمشق وغيرها¹.

خانقاه أبو بكر بن العجمي:

وقد كانت دارا أنشأها شمس الدين أبو بكر أحمد بن العجمي بحلب وقد كان يسكنها فوقها الشيخ شرف الدين أبو طالب عبد الرحمن² -أخو المذكور- على الصوفية عند موته³ ، وقد كان هذا الأخير من بيت علم ورياسة بحلب ، وكان يدرس بالظاهرية ووقف مدرسة بها، والظاهر أنه كان ميسور الحال وذلك من خلال المحنة التي حلت به على يد التتار الذين قاموا بتعذيبه من أجل المال ، وهذا ما يجعلنا نستأنس إلى أن أوقافه قد نالت حظا مما عنده من الأموال⁴.

خانقاه طغريل أتاك:

أنشأها طغريل⁵ الأمير الكبير شهاب الدين أتاك السلطان الملك العزيز صاحب حلب ومدبر دولته عند باب أربعين، إلا أن المصادر لم تورد ذكر طبيعة الجرايات التي أجريت على هذه الخانقاه إلا أن المكانة التي كان يحوزها هذا الأمير تجعلنا نعتقد بأن هذه الخانقاه قد نالت حظا وافرا من العناية بها من حيث تأمين خدمات المقيمين بها من عباد الصوفية من حيث المأكل والمشرب وغيرها من وسائل العيش بالخانقاه ، لا سيما وأن واقفها من كبار الأمراء الظاهرية⁶.

1 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج 6 ، ص 217-218.

2- هو أبو طالب شرف الدين عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن بن طاهر بن محمد بن الحسين بن علي بن العجمي الحلبي الشافعي، سمع الحديث ورواه ، كانت وفاته حين دخل التتار حلب في صفر فعذبوه من أجل المال بأن صبوا عليه ماء باردا في الشتاء فتشنج فمات وكان ذلك سنة 658 هـ/ 1259 م. الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج 23، ص 348. ابن كثير: المصدر السابق، ج 17، ص 410-411. ابن العماد: المصدر السابق، ج 7، ص 507.

3- ابن شداد : الأعلام الخطيرة ، ج 1، ق 1 ، ص 94. الصفدي: الوافي بالوفيات ، ج 16، ص 262.

4- ابن كثير: المصدر السابق ، ج 17 ، ص 410-411.

5 - طغريل شهاب الدين أتاك السلطان الملك العزيز صاحب حلب ومدبر دولته ، كان خادما رئيسا من كبار الأمراء الظاهرية ، قام بأمر ولد أستاذه أتم قيام ، استمال الأشرف فحظي عنده فكان الأشرف يقول : (والله إن كان لله في الأرض ولي فهو هذا الخادم)، ولما استعاد الأشرف تل باشر دفعها له وقال: هذا برسم صدقاتك فإنك لا تتصرف في أموال الصغير ، وكان قد طهر حلب من مختلف الشرور والفسق، توفي سنة 631 هـ / 1233م ودفن بباب أربعين.الصفدي: الوافي بالوفيات ، ج 16 ، ص 262

6- ابن شداد : الأعلام الخطيرة ، ج 1، ق 1 ، ص 94.

رابعاً - دور الضيافة الرمضانية:

وتعد من مجالات الجراية التعبدية لما كان يقدم بها من الطعام للصائمين من الفقراء وعابري السبيل لتأمين قوت إفطارهم في شهر رمضان فعمت هذه الجراية الفقراء والضعفاء واستراحوا من السعي في تحصيل القوت والاهتمام به طيلة شهر رمضان. وقد عرفت دور الضيافة الرمضانية في أواخر العصر العباسي في مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي¹، وقد أنشأت هذه الدور بأمر من الخليفة العباسي الناصر لدين الله (575 - 622 هـ / 1180 - 1225 م) حيث أمر سنة 604 هـ/ 1207 م ببناء دور بالمحال ببغداد شرقيها وغربيها يقدم فيها الطعام للصائمين من الفقراء في شهر رمضان، فيطبخ فيها صنوف الأطعمة من لحم الضأن والخبز الجيد ، وكان يفرق ذلك في جانبي بغداد ، وجعل في كل دار من يوثق بأمانته وكان يعطي كل صائم قدحا² من الطبخ واللحم ومثا من الخبز ، فكان يفطر كل ليلة على طعامه خلق كثير³.

ولقد أوكل الخليفة الناصر مهمة تنفيذ إقامة تلك الدور إلى قوام الدين نصر بن ناصر صدر المخزن ، فأشرف على تعيين من يوثق به من أهل الصلاح والاستقامة في كل

¹ - وقد كتب الدكتور عبد الحسين مهدي الرحيم تحقيق لطيف في أمر نشأة دور الضيافة الرمضانية ببغداد بأنها لم تكن معروفة في عهد الخليفة العباسي القادر بالله(381-422 هـ/991-1031 م) ، وقد اعتمد على ما أورده ابن الأثير في ترجمته للخليفة القادر بالله ما نصه « كان يقسم إفطاره كل ليلة ثلاثة أقسام ، فقسم كان يتركه بين يديه ، وقسم يرسله إلى جامع الرصافة ، وقسم يرسله إلى جامع المدينة ، يفرق على المقيمين فيهما » قال ولعل في هذا النص إشارة إلى أن دور الضيافة الرمضانية لم تكن موجودة في عهد القادر بالله ، لأنه لو كانت دور الضيافة الرمضانية متوفرة في البلاد لقصدها الفقراء وما احتاجوا إلى الجلوس بالجموع لانتظار ما يرد عليهم من طعام، بل أن أحد الزهاد من الفقراء امتنع عن أخذ الطعام مما كان يرسله القادر قبل صلاة المغرب حفاظا على أداء الفريضة إلا أنه بعد الصلاة ذهب يطلب الطعام من احد البيوت فأطعم طعاما بسيطا ، هذا ما يؤكد عدم توفر البلاد على دور الضيافة الرمضانية لأنها لو وجدت لكان أسهل على هذا المحتاج أن يأوي إليها ولا يسأل حاجته من الطعام من البيوت. ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 198. عبد الحسين مهدي الرحيم :المرجع السابق، ص 42.

² - قدحا: القدر نوعان القدر الصغير = 0.94 لتر والقدر الكبير = 1.88 لتر . فالترهنتس:المكاييل و الأوزان الإسلامية، ترجمه عن الألمانية كامل العسلي، مطبوعات عمادة البحث العلمي الجامعة الأردنية، ط2، عمان، 2001، ص65.

³ - ابن الأثير: الكامل ، ج 10 ، ص 344.

محلة من محال بغداد ، لإحصاء واثبات الفقراء وخصص لهم نفقات الإطعام وأن (يجري لكل واحد رطلين من الخبز الفائق وقدح طببخ فيه نصف رطل من لحم الضأن)¹.

كما قد نال من طعام هذه الدور الفقهاء في جميع المدارس والصوفية في سائر الربط والمنقطعين بالجوامع والمساجد والزوايا من اللحم والدقيق وغيره².

وقد أورد أبو شامة في حوادث سنة 604 هـ / 1207 م ما يوحي بكثرة الفقراء الذين كانت تستوعبهم دور الضيافة الرمضانية ما نصه (وفيها رتب الخليفة في شهر رمضان دور الضيافة ببغداد من الجانبين عشرين دارا في كل دار في كل ليلة خمسمائة قدح وألف رطل من الطبخ الخاص والخبز النقي والحلواء وغير ذلك مستمر في كل رمضان)³، فإذا كان حظ الفرد الواحد قدح من الطعام ورطلين من الخبز فبحسب عدد الأقداح وعدد الدور يكون تعداد الوافدين على دور الضيافة الرمضانية نحو العشرة آلاف فقير ، وهو عدد هائل ما جعل بعض الباحثين يشككون⁴ في دقة عدد الوافدين على هذه الدور.

وطالما أن تمويل هذه الرعاية الاجتماعية من طرف هيئة عمومية رسمية بأمر من الخليفة مما يعني أن الإنفاق عليها يكون من بيت المال، وهذا ما يجعلنا نميل إلى موضوعية هذا التقدير للفقراء الوافدين على هذه الدور مع عدم دقته إلى حد ما، كما أن الإحصاء المذكور قد لا يقتصر على الفقراء وحدهم لأن هذه الدور كانت تؤمن إفطار عابري السبيل وأهل العلم بالمدارس والصوفية بالربط والزوايا وربما غيرهم.

وفي رمضان سنة 630 هـ / 1233 هـ زاد الخليفة المستنصر (623-640 هـ / 1226-1242 م) داران في عدد دور الضيافة الرمضانية الأولى بدار الخلافة لأولاد الخلفاء المقيمين في دار الشجرة⁵ والأخرى بخربة ابن جرادة للفقراء الهاشميين⁶.

¹ - ابن الساعي : الجامع المختصر ، ص 229 - 230.

² - نفسه ص 230.

³ - الذيل على الروضتين، ص 60.

⁴ - عبد الحسين مهدي الرحيم ، المرجع السابق ، ص 43.

⁵ - دار الشجرة : دار من دور الخلافة بناها المقتدر بالله ، وهي دار فسيحة ذات بساتين وسميت بذلك لشجرة كانت هناك من الذهب والفضة في وسط بركة كبيرة مدورة أمام إيوانها وبين شجر بستانها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص421.

⁶ - ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ، ص 51.

وأورد الأشرف الغساني عن حوادث سنة 652 هـ / 1254 م أنه عند حلول شهر رمضان، كانت تفرق الهيئات الوظيفية الرمضانية بمخازن الدولة من الدقيق والغنم والذهب على أرباب المدارس والأربطة والزوايا والمساجد وتفتح دور الضيافة، وتصنع بها الأطعمة لفظور الفقراء جريا على العادة¹.

والواضح أن دور الضيافة الرمضانية لم تجعل لإفطار الفقراء والمحتاجين ، بل سخرت في بعض المواسم والمناسبات الدينية كاستعمالها لاستضافة الحجاج عند رجوعهم من أداء مناسك الحج.

فقد ذكر ابن كثير في حوادث سنة 630 هـ / 1233 م أن دار الضيافة ببغداد قد فتحت للحجيج عندما قدموا من الحج ، وأجريت عليهم النفقات و الكساوى والصلوات². وفي سنة 648 هـ / 1250 م أضيفت أربع دور ضيافة رمضانية جديدة في عهد آخر خلفاء بني العباس الخليفة المستعصم (640هـ - 656هـ/1250-1258م) فصارت ستة وعشرين دارا، ففتحت هذه الدور لأجل إفطار الفقراء والمحتاجين في شهر رمضان³.

والى جانب ذلك فقد عرفت دور الضيافة الرمضانية الفردية إلى جانب دور الضيافة الرمضانية العامة ، حيث اشتهر بعض ممن كانوا يعرفون بأعمال البر والإحسان من الوزراء وكبار التجار واليسورين بإقامة الاسمطة والطبق ودور الضيافة الرمضانية الخاصة للفقراء في رمضان ، وقد كان ذلك تقليدا اجتماعيا في بغداد في شهر رمضان أن الأعيان يحضرون سماط الخليفة عند الوزير ويسمون السماط طبق⁴.

ومن الاسمطة والطبق ودور الضيافة الخاصة التي عرفت في شهر رمضان في بغداد :
سماط الوزير ابن هبيرة⁵ في رمضان:

1 - الأشرف الغساني : المصدر السابق ، ص 603 .

2- ابن كثير : المصدر السابق ، ج17 ، ص 201.

3- عبد الحسين مهدي الرحيم : المرجع السابق، ص45.

4- ابن خلكان : المصدر السابق ، ج 6، ص235.

5-الوزير ابن هبيرة : هو الوزير العادل عون الدين يمين الخلافة أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد بن الحسن بن جهم الشيباني الدوري العراقي الحنبلي صاحب التصانيف ، ولد سنة 499 هـ / 1105 م، قدم بغداد في صباه ، وطلب العلم ، وجالس الفقهاء ، وسمع الحديث وقرأ على القراءات السبع ، وشارك في علوم الإسلام ، ومهر في اللغة وفي المذهب الحنبلي ، نشأ فقيرا فاشتغل بالكتابة وترقى وصار مشرفا على الخزانة ، ثم تولى ديوان الزمام للمقتدي لأمر الله ثم وزيرا له في سنة 544 هـ / 1149 م ثم لابنه المستنجد، كان دينا خيرا متعبدا عاقلا متواضعا حسن الرأي بارا بالعلماء، له عدة مصنفات أشهرها «الإيضاح عن معاني الصحاح» توفي سنة 560هـ/ 1164 م .ابن الجوزي : المنتظم ، ج 18 ، ص ص 166-170. عماد الدين الأصفهاني الكاتب : خريدة القصر وجريدة العصر، القسم العراقي، تحقيق محمد بهجة الأثري وجميل سعيد، مطبعة المجمع العراقي، بغداد، 1955، ج1، ص97. ابن كثير: المصدر السابق ، ج16، ص ص415-417. إسماعيل باشا

كان مقرباً لأولي الفضل والدين¹ ، وكان يكثر من مجالسة العلماء ويبدل لهم الأموال فكان ينفق في هذا الشأن وكان يقول ما وجبت عليّ زكاة قط ، وكان يتحدث بنعم الله عليه لما صار عليه من الرفعة والمكانة ويذكر ما كان عليه من الفقر والعوز قبل الوزارة².

وقد كان لابن هبيرة سماط يقام للفقراء لإفطارهم في رمضان ، وكان ينفق عليه ما يقارب ثلاثة آلاف دينار في شهر رمضان ، ووُصِف هذا الطبق أنّه كان يزيد على ما كان قبله من أطباق الوزراء ، وكان يحضر طبقه كثير من الفقراء و يخلع على المفطرين الخلع السنية³.

طبق الوزير أبو الفرج بن رئيس الرؤساء⁴:

وهو طبق الوزير عضد الدين أبو الفرج بن رئيس الرؤساء وزير الخليفة المستضيء (566-575 هـ/1170-1177 م) ، فقد كان من أهل البر والإحسان جواداً، فكان طبقه الذي يقيمه في شهر رمضان لإفطار الصائمين من الفقراء مظهر من مظاهر حبه لفعل الخير والتصدق على والمحتاجين⁵.

فقد كان للوزير أبي الفرج طبق جميل طول شهر رمضان ، وكان يحضر فيه من الخبز كل ليلة ألف رطل وأربعمائة رطل حلوة سكر⁶.

البغدادي:هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1955، ج 2، ص 521. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق محمد شرف الدين و رفعت بيكله الكيسني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د)، (ت)، ج 1، ص 155.

¹ - الأصفهاني الكاتب: المصدر السابق ، ج 1 ، ص 97.

² - الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 20 ، ص 428.

³ - ابن الجوزي : المنتظم ، ج 18 ، ص 119.

⁴ - هو عضد الدين أبو الفرج محمد بن عبد الله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء أبو القاسم بن المسلمة وزير الخليفة المستضيء بأمر الله (566-575 هـ / 1170-1179 م) ، ولد سنة 514 هـ / 1120 م ، كان أبوه أستاذ دار المقتفي لأمر الله فلما مات ولي هو مكانه إلى أن مات المقتفي فأقره المستجد على ذلك ورفع مكانته ، فلما ولي المستضيء استوزره ، كان حافظاً للقرآن وسمع الحديث، وكان من أهل البر والإحسان، كثير المعروف، وكانت داره مقصدا للعلماء، اغتالته الباطنية وهو يقصد الحج سنة 575 هـ / 1129 م. ابن الأثير: الكامل، ج 10، ص 88-89. ابن العماد: المصدر السابق، ج 10، ص 407.

⁵ - ابن الأثير: الكامل، ج 10 ، ص 88-89.

⁶ - عبد الحسين مهدي الرحيم : المرجع السابق ، ص 49.

دور ضيافة ابن الخياط¹:

وهي دار صالح بن محمد بن سيدهم المدلجي المصري أبو البقاء المالكي الخياط²، كان رجلا صالحا متعففا روى صحيح مسلم وحدث به³، وقد كان لابن الخياط دور فسيحة يصنع فيها الأطعمة للفقراء وله طبق مبذول لهم ، وكان يسدد ديون بعض منهم⁴.

خامسا- دور ضيافة الحجيج :

من الخدمات التي كان الخلفاء يسهرون على تقديمها للحجاج على غرار التوسعة عليهم في مؤن الطعام والماء والإقامة توفير دور الضيافة للحجيج التي توفر لهم خدمات الإقامة بها من الطعام والمسكن حتى يبلغوا أوطانهم.

ذكر ابن الأثير في حوادث سنة 433 هـ/1041 م أن جماعة من البلغار أسلموا حديثا وهم على مذهب الإمام أبي حنيفة، وفدوا على بغداد قاصدين الحج فأقيم لهم من الديوان الإقامة الوافرة⁵.

وهذا يعني أن ما كان يجري على هذه الدور من أموال الإنفاق على الطعام وأسباب الإقامة للحجيج كان من قبل دار الخلافة ، بمعنى أن الدولة هي التي كانت تسهر على مجانية الخدمات من واقع مسؤوليتها وواجبها.

وأورد ابن الجوزي في حوادث سنة 479 هـ/1086 م في عهد الخليفة المقتدي (467 - 487 هـ/1075-1094 م)⁶ أن جماعة من أهل مكة قدموا إلى بغداد

¹ - هو صالح بن شجاع بن محمد بن سيدهم المدلجي المصري أبو البقاء المالكي الخياط سمع الحديث وحدث به روى صحيح مسلم ، كان صالحا متعففا توفي سنة 651 هـ/ 1253 م. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : الإعلام بوفيات الأعلام المجلد الأول ، تحقيق مصطفى بن علي عوض وربيع أبو بكر عبد الباقي، مؤسسة الكتب الثقافية ، ط1 ، بيروت ، 1993 ، ص443 . ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج7 ، ص 28.

² - أبو الطيب التقي الفاسي محمد بن أحمد الحسني المكي: ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق محمد صالح بن عبد العزيز المراد ، مطبوعات معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي مركز إحياء التراث الإسلامي، ط1 ، بيروت، جامعة أم القرى ، مكة ، 1998، ص396-397. جلال الدين عبد السيوطي: حسن المحاضرة، ج1، ص379.

³ - أبو عبد الله شمس الدين الذهبي: المعين في طبقات المحدثين، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الصحوة للنشر، ط1، عمان، 1978 ، ص 289 .

⁴ - عبد الحسين مهدي الرحيم : المرجع السابق، ص 49 .

⁵ - الكامل ، ج 8 ، ص 253.

⁶ - الخليفة المقتدي : كان إماما عادلا تقيا ورعا، قوي النفس عظيم الهمة ، بويح بالخلافة سنة 467 هـ/ 1074 م، كانت أيامه كثيرة الخير واسعة الرزق ، وعظمت الخلافة في عهده أعظم مما كان من قبله، أمر بنفي المغنيات والمفسدين من بغداد، ومنع الناس من الدخول إلى الحمام إلا بالمئزر، وغيرها من المنكرات التي نهى عنها الخليفة المقتدي، توفي في بغداد في محرم سنة 487 هـ/1094 م، وكانت خلافته تسعة عشرة سنة وثمانية أشهر . أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق الفارقي: تاريخ الفارقي ،

فخرج أصحاب الديوان لتلقيهم ، وعادوا والقراء بين أيديهم ، ثم استضيفوا بدار الضيافة واجري عليهم من الضيافة ما جرت به العادة¹.

وفي خلافة الناصر لدين الله (575 - 622هـ/1180 - 1225م) سنة 605 هـ/1208 م قام الناصر ببناء دارا للضيافة للحجيج الوافدين بالجانب الغربي من بغداد على دجلة بالقرب من تربة الشريفة السلجوقية ، وصنعت بهذه الدار الكثير من الأطعمة ، فكان لا يرد عنها أحد من الحجاج ولا من غيرهم عن طعامها ، ومن أقبل إليها من الفقراء وعزم على

السفر يأخذ منها زاده ويكسى ويعطى له دينارا يستعين به².

يظهر أن دور الضيافة للحجيج ظلت في ازدياد مستمر طيلة عصر الخلفاء العباسيين الأواخر، ويرجع ذلك إلى درجة اهتمامهم بالحج وشؤونه ، كما ظلت هذه الدور تقوم على إجراء المؤن والخدمات للحجيج الوافدين إليها أو الفقراء الذين نالوا حظا وافرا من الطعام والمؤن من تلك الدور التي فتحت أبوابها لهم في كثير من الأحوال.

ومما تقدم يبدو أن الاهتمام بتشيد المساجد في الدولة الإسلامية بدأ منذ العهد الراشدي عند تخطيط المدن الجديدة ، وبعد عملية الفتوح الإسلامية في الأقاليم المفتوحة سيما في العهد الأموي وإن أخذ طابعا شخصيا في بعض الأحيان ، ويظهر ذلك من خلال توسيع المسجد الحرام وزخرفته وتعمير المسجد النبوي من قبل الخلفاء الأمويين والعباسيين.

وقد أجرى خلفاء الدولة الإسلامية والسلاطين حتى نهاية العصر العباسي أموالا كثيرة ومؤنا وفيرة على الحرمين ومساجد البلاد الإسلامية وقد حاكاهم في ذلك الأمراء والوزراء و الأعيان والميسورين من العلماء وأهل الصلاح.

وكذلك الأمر بالنسبة للأربطة التي أنشأت من قبل الخلفاء ورجال الدولة والخاصة وغيرهم للعباد والزهاد من الصوفية من باب تبجيل أهل العلم والتقوى والصلاح والتكفل بهم

تحقيق بدوي عبد اللطيف عوض ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1959 ، ص 256. عماد الدين إسماعيل أبي الفدا : المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، (د، ت)، ج 2 ، ص 204. الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج 33 ، ص 211. ابن كثير : المصدر السابق ، ج 16 ، ص 140. حسين الديار بكري: تاريخ الخميس، ج 1 ، ص 402.

¹ - المنتظم ، ج 16 ، ص 256.

² - ابن الساعي : الجامع المختصر ، ص 258-259.

ورعايتهم، وقد بذلوا الجرايات الوافرة لتأمين عيشتهم وتجنبيهم الفاقة والعوز ليتقرغوا إلى ما انقطعوا من أجله .

كما أنشأت الخانقاوات لإيواء العابدين و المتزهدين والأرامل من النساء والفقراء الذين ليس لهم ما يكفل حاجتهم من تجارة ولا غلة ، فبنيت لهم هذه الدور وأسكنوا فيها وأجري عليهم من الطعام والشراب واللباس ما تقوم به مصالحهم.

ودور الضيافة الرمضانية التي كان يقدم بها الطعام للصائمين من الفقراء وعابري السبيل والغرباء لتأمين إفطارهم في شهر رمضان ، فعمت جراياتها من الطعام الفقراء والضعفاء ومن تعسر عليهم تحصيل قوت يومهم ، فاستراحوا من السعي لكسبه طيلة شهر رمضان. وقد استفاد الحجاج من خدمات الجراية التي أرصدت لدور الضيافة الرمضانية في موسم الحج عند رجوعهم من أداء المناسك ، فأجريت عليهم النفقات و الكساوى والصدقات.

الفصل الثاني

- البحرية على أماكن التعليم قبل نشأة المدارس.
- أولاً: كتاب تعليم القراءة والكتابة والقرآن الكريم.
- ثانياً: لمتعلمين بالمسجد.
- ثالثاً: الربط ذات الوظيفة التعليمية.
- رابعاً: النوازل ذات الوظيفة التعليمية.
- خامساً: دور القرآن الكريم والحديث الشريف.

لم يهتد العرب إلى مزاوله القراءة والكتابة إلا بعد مجيء الإسلام، وقد وصفهم القرآن الكريم بالأمية تعبيراً عن تلك الحالة في قوله تعالى (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)¹.

لذلك لم تعرف بلاد الحجاز قبل الإسلام ثقافة قديمة، كما لم يُعرف لسكانها من العرب مساهمات في المدنية المحيطة بهم التي عرفها كل من الأنباط والتدمريون والغساسنة واللخميون، هذا إذا استثنينا حضارة عرب الحجاز الموعلة في القدم التي لم يبق من مظاهرها غير الأساطير والخرافات، وقد خلد القرآن الكريم ذكر هذه الحضارة فقد وصف حضارة أهل اليمن بقوله (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٍ)² ، وقوله تعالى (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا)³.

فلم يرد إلى الحجاز من تلك المدنات وغيرها إلا إشارات من اليهودية والنصرانية وقليل من الحكمة والفلسفة ، فقد كانت قريش من خلال رحلتها في الشتاء والصيف على تواصل مع بعض الشعوب المحيطة بها كالأحباش في الجنوب والفرس في الشرق والروم في الشمال.

¹ - سورة الجمعة الآية 2.

² - سورة سبأ الآية 15.

³ - سورة الروم الآية 9.

ومن خلال ذلك الاحتكاك والاتصال كانت لهم معرفة بسيطة بالكتب المنزلة فاتبعت بعض قبائل العرب اليهودية كأهل يثرب ، والنصرانية في الشمال ونجران والحيرة ، ولم يكتف العرب من الحضارات القديمة بذلك الحظ القليل لذلك كانت مساعيهم حثيثة للاستفادة من الأمم المحيطة بهم ، ولأسباب تاريخية أهملت هذه المرحلة من تاريخهم وعرضت بصورة مشوهة تجعل منهم متخلفين عن الركب الحضاري الذي كانت عليه الأمم المجاورة لهم¹.

لذلك فالعلم بالقراءة والكتابة عند العرب كان قليلا ومحدودا جدا ، وكان مقتصرًا على بعض الأعيان من الأثرياء ووجهاء القوم من المكيين ، وأول من تعلم الكتابة العربية من أهل مكة سفيان بن أمية بن عبد شمس²، وأبو قيس بن عبد مناف بن زهرة وقد تعلم ذلك من بشر بن عبد الملك الذي تعلمها من الحيرة³.

وتذكر رواية لابن خلدون أن الذي تعلم الكتابة من الحيرة هو سفيان بن أمية بن عبد شمس ويقال حرب بن أمية الذي أخذها عن أسلم بن سدره⁴.

ويرى ابن خلدون أن الكتابة من الصنائع الحضرية ، وأنها صناعة شريفة إذ الكتابة من خواص الإنسان التي ميز بها عن الحيوان ، فهي تطلع على ما في الضمائر ، وتتأدى بها الأغراض إلى البلاد البعيدة ، فتتقضي الحاجات وقد دفعت مؤونة المباشرة

¹ - محمد الزاهي : الخلفية التاريخية عند المسلمين و أثرها في المدارس العلمية، مقال بمنشورات جمعية لدور حول المدارس العلمية العتيقة ، مطبعة فضالة،المحمدية ، 1996،ص 34-35.

² -سفيان بن أمية : هو أبو سفيان بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ، رأس قريش وقائدهم يوم أحد ويوم الخندق،أسلم عام فتح مكة ، فأسلم شبه مكره خائف . ثم صلح إسلامه وشهد أبو سفيان قتال الطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورمى يومئذ فذهبت إحدى عينيه ، وشهد يوم حنين وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين مائة من الإبل وأربعين أوقية،رُوي أنه يوم اليرموك كان ينادي يقول : يا معشر المسلمين ، هذا يوم من أيام الله، أبلوا لله بلاء حسنا ، وكان تحت راية ابنه يزيد فكان يصيح : يا نصر الله اقترب، وكان يقف على الكراديس يذكر ويقول : الله الله ، إنكم أنصار الإسلام ودارة العرب ، وهؤلاء أنصار الشرك ودارة الروم ، اللهم هذا يوم من أيامك ، اللهم أنزل نصرك ، نزل المدينة وتوفي بها في خلافة عثمان سنة إحدى وثلاثين وقيل : سنة اثنتين وقيل : سنة ثلاث أو أربع وثلاثين وله نحو التسعين . خليفة بن خياط العصفري : تاريخ خليفة بن خياط ،تحقيق أكرم ضياء العمري ،دار طيبة للنشر والتوزيع،ط2،الرياض،1405 هـ/ 1985 م،ص166.ابو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت، 1427 هـ / 2006 م،ج2،ص 415- 416 .ابن الجوزي: المنتظم ، ج 5،ص ص 27-29.

³ - البلاذري أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داوود : فتوح البلدان ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1988 ، ص 453 .

⁴ - مقدمة ابن خلدون، مراجعة سهيل زكار وخلييل شحادة ، دار الفكر، بيروت، 2001 ، ص525.

لها، ويطلع بها على العلوم والمعارف¹ ، ويذكر البلاذري أن أول من اتخذ هذه المهنة هو رجل من وادي القرى² أقام بها وعلم أناسا بها الخط. لذلك لم تكن الحالة الفكرية والاجتماعية للبيئة العربية قبل الإسلام ملائمة لانتشار القراءة والكتابة ، وقد أدركهم الإسلام على ذلك فلم يكن من المكيين من يقرأ ويكتب إلا سبعة عشرة رجلا فحسب³.
ويظهر أن عدم الدراية بالقراءة والكتابة هي الحالة السائدة في البيئة العربية قبل الإسلام⁴.

وبعد مجيء الإسلام أولى أهمية كبرى للقراءة والكتابة، وضرورة التعلم وطلب العلم، لأن ما جاء به الإسلام من عقيدة وتشريع لا يدرك إلا بذلك، كما أن ما صارت عليه الحياة العربية بعد الإسلام تحتاج إلى القراءة والتدوين ، لذلك ظهرت كثير من الظروف والأسباب التي جعلت الناس يتجهون نحو تعلم القراءة والكتابة .

فعمد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى استخدام من كان يعرف الكتابة ليكتب بين يديه ، وبتوفر الظروف الداعية إلى تعلم القراءة والكتابة أخذ المسلمون بأسباب التعلم، لذلك بدأت تظهر المؤسسات التعليمية وفق الظروف الحضارية -بمختلف مقوماتها- التي تمر بها الدولة الإسلامية، وأولى هذه المؤسسات ظهورا هو الكُتَّاب لذلك سنبحث في أمر الجارية على هذه المؤسسة التعليمية الأولى في الإسلام.

أولا- كتاب تعليم القراءة والكتابة والقرآن الكريم¹:

¹ -ابن خلدون : المصدر السابق ، ص524.

² - وادي القرى: وهو وادي بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى ، فتحها النبي صلى الله عليه وسلم عنوة سنة سبع بعد أن دعاهم إلى الإسلام فامتنعوا عليه وقتلوه ففتحها عنوة ، وغنم أموالها وأصاب المسلمون منهم أثاثا ومتاعا فحسب ذلك وترك النخل والأرض في أيدي اليهود وعاملهم على ما عامل عليه أهل خيبر. ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج 5 ، ص 345.

³ - البلاذري :المصدر السابق ، ص 453.

⁴ - لأن هناك من الباحثين من يرى أن القول بعدم تحكم عرب ما قبل الإسلام في القراءة والكتابة أمر يحتاج إلى دراسة وتحقيق، وأن هناك من الأبحاث المتعلقة بأمر الكتابة تؤكد وجود آلاف من النقوش للخط العربي بأنواعه منها ما يعود إلى عهد قديم ، ومنها القريب من عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، لذلك فإن وجود السجلات المنقوشة على الحجر وغيره يعني وجود سجلات أخرى مكتوبة على أوراق البردي أو الرق أو سعف النخيل ، ويرون أن القرآن الكريم قد أكد ذلك لما جاء في قوله تعالى في سورة الفرقان الآية 5 (وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) وكذلك في سورة الإسراء الآية 90/92 (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا رَعَعْتَ عَلَيْنَا كَسَفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُبٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا) وكذلك قوله في سورة الطور الآية 1/3 (وَ الطُّورِ ، وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ، فِي رَقٍ مَسْشُورٍ) وكذلك في سورة القلم الآية 1 (ن ، وَالْقَلَمِ ، وَمَا يَسْطُرُونَ) وهذه النصوص تشير إلى دراية العرب بالكتابة.
أنظر: حسين محمد سليمان، التراث العربي الإسلامي دراسة تاريخية ومقارنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص203-204.

1- نشأة الكتاب في الإسلام:

الكتابُ لفظة تطلق على المكان الذي يتعلم فيه الصغار، وجمعها كتاتيب، والمعلم الذي يتولى التعليم فيه يسمى أحيانا بالمكتَّب²، قال صاحب اللسان: المكتَّب المعلم، قال اللحياني هو المكتب الذي يعلم الكتابة، قال صاحب اللسان: قال الحسن: كان الحجاج مكتِّبًا بالطائف يعني معلما³، كما يسمى المؤدب أيضا، إلا أن المؤدب يطلق عادة على الذي يؤدب أبناء الخاصة من الخلفاء والأمراء والوزراء والميسورين⁴، فهو مدرس خاص مقتصر على أبنائهم⁵، و المكتب والكتاب موضع تعليم الكتاب والجمع الكتاتيب

والمكاتب⁶.

ويعرف المكتب بأنه عبارة عن "غرفة أو باحة أو دكان يُدرِّسُ به أحد المعلمين الطلاب الصغار، ويشترط في المعلم الأمانة والاستقامة، كما يشترط فيه في كثير من الأحيان أن يكون متزوجا، ويغرس في الأطفال شعائر الإسلام ومحاسن الأخلاق"¹.

¹ - هناك من الباحثين من يرى أن الكتاب لتعليم القراءة والكتابة هو غير الكتاب لتعليم القرآن الكريم مثل أحمد شلبي في دراسته اللطيفة في هذا الباب، وقد خطأ اعتقاد الباحثين بأن الكتاب إنما كان لتعليم القراءة والكتابة والقرآن الكريم معا. أحمد شلبي: تاريخ التربية الإسلامية، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، 1954، ص ص 22-36. والحقيقة أن ما اشتهر به الكتاب في تاريخ التعليم في الإسلام من جمعه بين تعليم القراءة والكتابة وتعليم القرآن الكريم، وكذلك صعوبة التحقيق في الفصل بين الكتابين لقلة الأدلة المسعفة هو ما رجَّح الاعتقاد بأن الكتاب هو نوع واحد، وما يهمننا في هذه الدراسة هو الكشف عن تلك الجرايات (الخدمات المجانية) التي كانت تقدم لطلبة الكتاب مها كان نوعها.

² - أحمد بن محمد بن علي الحسيني القلعاوي السحيمي: السهام الحداد في أعناق معلمي الأولاد، مخطوط بموقع الأزهر الشريف، مصر، المرقم: -313210، 7ورقات، الورقة 1 ط. محمد بن عبد الله الغرناطي الأندلسي المشهور بلسان الدين بن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1424هـ، ج3، ص21، و150، و378.

³ - ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص 699.

⁴ - فقد ظهر في العصر الأموي فئة من المؤدبين لأبناء الخلفاء والخاصة يعلمونهم القرآن والنحو واللغة والشعر، وكان الخلفاء يجزلون لهم العطاء والمكافأة على ذلك، وقد كان لأولئك المؤدبين تأثيرا كبيرا على أبناء الخلفاء الذين قد يصيرون خلفاء، فيتبعون مذاهب وأفكار مؤدبيهم، فقد كان مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية يلقب بمروان الجعدي نسبة إلى الجعد بن درهم مؤدبه الذي كان يقول بالجبر وخلق القرآن. خالد داود الزرو: الحياة العلمية في الشام، دار الأفاق الجديدة، ط1، بيروت، 1971، ص 28-29. محمد سويسبي: التعليم في الجناح الغربي من دار الإسلام وخاصة بإفريقية، (القرن 1هـ - القرن 8هـ)، منشورات المركز الجامعي، تونس، 2005، ص16.

⁵ - منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري، ترجمة سامي الصقار، دار الميرخ، الرياض، 1981، ص52.

⁶ - ابن منظور: لسان العرب، ج1، ص 699.

يجمع الباحثون في تاريخ التعليم في الحضارة الإسلامية أن مراحل التعليم عند المسلمين تكون على عدة مراحل، والمعتبر في هذا التقسيم هو عامل السن والمكان والمادة التعليمية ويعد الكتاب المرحلة الأولى منه².

ومهما يكن من أمر فإن الكتاب قد ظهر كمؤسسة تعليمية منذ أوائل العهد الإسلامي بغرض تعليم الصغار، والظاهر أن سبب ارتباط التسمية بالكتابة لأن الطفل كان يتعلم فيه الكتابة، ثم صار هذا الاسم يطلق على كل مؤسسة تعليمية تعنى بتربية الصغار حتى وإن لم تقتصر وظيفتها على القراءة والكتابة، ثم اقترن هذا الاسم بالمؤسسات التعليمية التي كان همها الأول تعليم الطفل وتحفيظه القرآن الكريم³.

ويظهر أن المساجد اتخذت أول الأمر لتعليم الصبيان ثم ظهر الكتاب مستقلاً

عن

المسجد⁴ في فترة مبكرة من حياة الأمة الإسلامية، حيث ورد ما يشير إلى وجود كتاتيب في المدينة في عهد الخلفاء الراشدين لتعليم الصبيان⁵.

ففي خلافة عمر رضي الله تعالى عنه حين أخذ الفاتحون في نشر الدعوة الإسلامية من خلال حركة الفتوح الإسلامية شعر المسلمون بالحاجة إلى تحفيظ أبناء المسلمين القرآن فقد ذكر ابن حزم قوله (ثم مات أبو بكر وولى عمر، ففتحت بلاد فارس طولا وعرضا، وفتحت الشام كلها والجزيرة ومصر كلها، ولم يبق بلد إلا وبنيت فيه المساجد، ونسخت فيه المصاحف، وقرأ الأئمة القرآن وعلمه الصبيان في المكاتب شرقا وغربا)⁶.

1 - أحمد فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، (د،ت)، ص 63.

2 - محمد عبد الحميد عيسى: تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، 1982، ص 211.

3 - عائشة عبد الله باقاسي: مكة والمدينة من منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السادس الهجري، دراسة تاريخية وحضارية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة، 1413-1414هـ، ص 181.

4 - حسن عبد العال: التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978، ص 186.

5 - ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني: فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن باز، دار الكتب العلمية، بيروت، 1379 هـ/1959 م، ج 9، ص 83.

6 - أبو محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل، ط2، بيروت، 1996، ج2، ص 216.

وباتساع حركة الفتوح الإسلامية ودخول كثير من الناس في الإسلام، أخذت تلك الكتاب في الانتشار في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني¹ اعتمادا على ما أورده القزويني²:

أن الحجاج بن يوسف³ كان في أول أمره معلما لوشاقية سليمان بن نعيم وزير عبد الملك بن مروان⁴، فاختره سليمان ليعمل في بلاط عبد الملك حيث ترقى فيه⁵. وكذلك ما أورده ياقوت الحموي عن كتاب أبي القاسم البلخي (ت: 105هـ/723م) أنه كان يتعلم به ثلاثة آلاف تلميذ، وكان يطوف عليهم على حمار⁶.

¹ - محمد علي الرجوب: الإدارة التربوية في المدارس في العصر العباسي(132/656هـ)، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن، 2003، ص93.

² - زكريا بن محمد بن محمود القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، (د،ت)، ص99.

³ - الحجاج بن يوسف: هو الحجاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر أبو محمد الثقفي، ولد سنة39هـ/659 م وقيل 40هـ/660 م، كان يسمى كليباً ثم سمي الحجاج، ولأه عبد الملك بن مروان الحجاز فقتل ابن الزبير، ثم عزله عنها وولاه العراق، فتح فتوحات كثيرة حتى وصلت خيوله إلى بلاد الهند والسند، بنى واسط سنة84هـ/703 م، في أيامه نقطت المصاحف. توفي في رمضان وقيل في شوال سنة 95هـ/713 م، وقد عُيِّر الحجاج بأنه كان معلم أطفال في الطائف، وكان اسمه كليباً فقال الشاعر في ذمه:

أينسى كليب زمان الهزال وتعليمه سورة الكوثر

رغيف له فلكة ما ترى وآخر كالقمر الأزهر

سفك دماء كثيرة، حدث عن نفسه فقال أن أكبر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدر عليها غيره، قتل سعيد بن جببر، وقتل حطيطة الكوفي العابد الزاهد، قتله الحجاج لتشييعه وميله إلى ابن الأشعث. أبو محمد اليافعي اليميني المكي: مرآة الجنان، ج1، ص154 ابن كثير: المصدر السابق، ج12، ص507 وما بعدها. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج1، ص281. محمد عطية الأبراشي: التربية الإسلامية وفلاسفتها، دار الفكر العربي، ط3، القاهرة، (د،ت)، ص131.

⁴ - عبد الملك بن مروان: هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الخليفة، وولاه معاوية بن أبي سفيان على ديوان المدينة وهو ابن ستة عشر سنة، كما روي عن مالك كذلك قوله: أول من ضرب الدنانير عبد الملك وكتب عليها القرآن، توفي سنة 86هـ/705م. أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بابن واضح الأخباري: تاريخ يعقوبي، مكتبة الغزى، النجف، 1358 هـ/1939 م، ج3، ص14-15. محمد بن سعد بن منيع الزهري: كتاب الطبقات الكبير، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 2001، ج7، ص221. أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي: تهذيب الأسماء واللغات، القسم الأول الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، (د،ت)، ص309. محمد بن مكرم المعروف بابن منظور: مختصر تاريخ دمشق، تحقيق سكينه الشهابي، دار الفك، ط1، دمشق، 1988، ج15، ص219-220.

⁵ - القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، ص99.

⁶ - شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المعروف بمعجم الأدباء، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1414 هـ / 1993 م، ج4، ص1452.

وفي هذه الرواية ما يدل على أن الكتاب كان في أمكنة مستقلة ، وربما يرجع ذلك لورود الأمر بتنزيه المساجد من الصبيان والمجانين لأنهم لا يلتزمون بآداب النظافة، فقد ورد في الحديث الشريف ما يتضمن ذلك النهي لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بتنزيه المساجد من الصبيان والمجانين لأنهم يسودون حيطانها وينجسون أرضها إذ لا يتحرزون من البول وسائر النجاسات¹ .

كما أفتى أئمة الفقه مثل الإمام مالك بن أنس بعدم جواز تعليم الأطفال في المسجد، وكذلك ما ورد في كتب الحسبة² من عدم جواز ذلك ووجوب منع المعلمين من التعليم في المساجد، لأن الصبيان لا يتحفظون من النجاسات بأرجلهم، ولا من ثيابهم³. وأن يُتخذ لتعليم الصبيان حوانيت في الدروب ، وأطراف الأسواق⁴. وقد رُوي أن الإمام الشافعي⁵ دخل الكتاب فلما ختم القرآن دخل المسجد فجالس العلماء وسمع الحديث⁶.

¹ - عبد الرحمن بن نصر الشيرازي : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، نشر بعناية السيد الباز العريني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ، 1365 هـ / 1946 م ، ص 103.

² - ضياء الدين القرشي المعروف بابن الإخوة : معالم القرية في أحكام الحسبة ، علق عليه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، 1421 هـ / 2001 م ، ص 181. الشيرازي : المصدر السابق ، ص 103.

³ - محمد بن أحمد بن عبدون التجيبي: رسالة في القضاء والحسبة ، تحقيق: فاطمة الإدريسي، دار ابن حزم ، ط1 ، بيروت، 2009، ص 71.

⁴ - الشيرازي : المصدر السابق ، ص 103.

⁵ - الشافعي: هو الإمام العالم أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ولد بغزة على المشهور سنة 150هـ/ 767 م ، يجتمع نسبه مع نسب النبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف ، قرأ القرآن وحفظ الموطأ وهو طفل حدث ، عني باللغة والشعر، كان من أعلم الناس بمعاني القرآن والسنة ، لم يفت حتى حفظ عشرة آلاف حديث ، أثنى عليه غير واحد من كبار الأئمة ، منهم عبد الرحمن بن مهدي ، وسأله أن يكتب له كتابا في الأصول فكتب له "الرسالة" ، وقال فيه عمر بن عبيد: "ما رأيت أفصح ولا أعقل ولا أروع من الشافعي" ، وكان أحمد بن حنبل يدعو له في صلاته نحو أربعين سنة، وقال فيه (كان العلم قفلا على أهله حتى فتحه الله بالشافعي) توفي يوم آخر رجب سنة 204هـ/ 819 م رضي الله عنه وأرضاه.الدمنهوري :المصدر السابق ، الورقة 45 و.ابن كثير:البداية والنهاية،ج14،ص132وما بعدها.

⁶ - أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي المعروف ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمزلي ، مؤسسة الريان دار ابن حزم، ط1 ، بيروت ، 1404 هـ / 2003 م ، ج1، ص196.

ومهما يكن من أمر فرغم ذلك التحذير إلا أنه قد اتخذت أمكنة في زوايا المساجد وغرف لتعليم الأطفال، فقد سجل الرحالة في مشاهداتهم ذكرا لتلك الحلقات التي يغشاها الأطفال في المسجد حول معلم يعلمهم القرآن¹.

وقد شهد القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي زيادة عدد الكتاتيب وعدد المقبلين عليها من الصبيان وعدد المعلمين بها، فقد عد ابن حوقل بمدينة بلرم² بصقلية حوالي ثلاث مئة معلم كتاب³.

وبانتشار الكتاتيب في العالم الإسلامي ظهر الاهتمام بما يتعلق بها فقد كان المحتسب يتولى أمر الحسبة على معلمي الصبيان وبما ينبغي لهم أن يكونوا عليه من العفة والصلاح والأمانة والحفظ لكتاب الله تعالى وحسن الخط والدراية بالحساب ، ومراعاة الحالة الاجتماعية له كأن يكون مزوجا ، وقدم المتزوج عن الأعزب ، ولا يتاح للأعزب أن يفتح مكتبا إلا إذا كان على درجة كبيرة من العلم وعُرف بحسن التدين والخير ومع توفر تلك الشروط لا يؤذن له باتخاذ الكتاب للتعليم إلا بتزكية معلومة من أهل العلم المشهود لهم بذلك⁴.

ويشترط فيمن تولى مهمة التعليم أن يكون ملما بطرائق التدريس من أجل إيصال ما لديه من علم ومعرفة إلى من يعلمهم لأن الصبي المتعلم يعد في مرحلة من أهم مراحل

¹ - محمد بن عبد الله ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تقديم محمد السويدي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1989، ج1، ص93. ابن جبير : المصدر السابق، ص 113 و244 و245.

² - بلرم : هي مدينة عظيمة في جزيرة صقلية ، وهي مدينة كبيرة سورها شاهق منيع مبني من حجر ، بها ما يزيد عن ثلاثمائة مسجد . أبو القاسم بن حوقل النصيبي : كتاب صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة للنشر والتوزيع، بيروت ، 1992، ص113. ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج1 ، ص 483.

³ - ابن حوقل : المصدر السابق ، ص120.

⁴ - ابن الإخوة : المصدر السابق، ص 181.

الاكتساب¹، فالمعلم هو الذي يبسط المعرفة ويضعها في قالب مناسب لعرضها على المتعلم²، فهو يسهل على المتعلم الصعوبات ويوضح له الغوامض³. وأن يتفرق بهم ويحرص على صلاحهم وتأديبهم ، وأن لا يبالغ في عقابهم بالضرب والتعنيف إلا بالقدر الذي يصلح حالهم ويحملهم على الإقبال والتحصيل، فلا يجوز للمعلم أن يضرب المتعلمين إلا في الحدود التي ذكرها العلماء (أنه لا يضرب الولد إلا لإصلاحه كتكاسله عن الحفظ وتقريطه فيما علمه)⁴.

كما لا يجوز التعنيف والضرب إلا إذا بدر منه ما يستوجب ذلك كالفحش من القول والاعتداء على غيره من طلبة العلم بعد المعاتبة والتوبيخ وإخبار من يهمله أمره كولييه وغيره، وقد ذكر ذلك الحميسي عن العلماء في هذا الباب بقوله (وإذا ضربه على وقوع فحش منه كضربه وإيذائه غيره ، ونطقه بما لا يمت فلا يجوز إلا إذا تبعه بالمعاتبة أو إخبار من يقبل إخباره بأنه فعل ذلك)⁵

ومن أشهر المعلمين بالكتاتيب الذين بدأوا حياتهم بهذه المهنة ثم ذاع صيتهم بعد ذلك وأصبحت لهم شهرة عظيمة في المجتمع الإسلامي منهم:

الحجاج بن يوسف الثقفي (ت: 95 هـ/ 713 م) و الضحاك بن مزاحم (ت: 105 هـ/ 723 م) والكميت بن زيد (ت: 126 هـ/ 743 م) وعبد الحميد الكاتب (ت: 132 هـ/ 749 م).

أما المناهج المقررة لتعليم الصبيان في تلك الكتاتيب فقد كان القرآن الكريم المادة الأساس أو المحور الكبير الذي تدور حوله العملية التعليمية ، لما فيه من رسوخ الإيمان والعقيدة بقلب المسلم من خلال سور القرآن الكريم وآياته ، ثم تأتي بعد ذلك العلوم المتعلقة به أو الخادمة له كبعض مراتب اللغة والشعر والأقوال والحكم وبعض الأحكام الدينية بالقدر الذي يستجيب لمقدرة الصبي مراعاة لسنه وقدراته العقلية ، فقد كتب عمر بن

¹ -محمود علي عبد اللطيف: التيار الوظيفي في الفكر التربوي عند ابن خلدون ،مجلة المعرفة،العدد 512 السنة 45 ، أيار 2006 ، وزارة الثقافة ، سوريا، ص 256.

² -فاضل خليل إبراهيم: أصول التدريس ومناهج التعليم في فكر ابن خلدون، المجلة الثقافية ،العدد 42، رجب1418هـ/نوفمبر 1997م، الجامعة الأردنية، المؤسسة العربية الدولية للتوزيع والنشر ، عمان ، ص64-65.

³ -تيسير شيخ الأرض:التعليم عند ابن خلدون،مجلة التراث العربي، العددان 15 و16،السنة الرابعة،1404هـ/1984 م دمشق، ص 89.

⁴ - السحيمي : المصدر السابق، الورقة 1 ظ.

⁵ - نفسه ، الورقة 1ظ.

الخطاب إلى الأمصار (أما بعد فعلموا أولادكم السباحة والفروسية ورؤوهم ما سار من المثل وحسن الشعر)¹.

وقد تختلف المناهج التعليمية التي تدرس للأطفال وفق اختلاف الأمكنة والأمصار والاهتمام ببعض العلوم فيعمدون إلى تقديمها وتكثيفها عن الأخرى، إلا أن مدارها جميعا يكون حول القرآن الكريم ، لذلك فالتعليم في العالم الإسلامي كله متشابه من حيث هذا الاعتبار إلا أنه يختلف من مِصرٍ إلى آخر حسب تباين الظروف التاريخية أو الشروط الجغرافية أو الأحوال الاقتصادية والاجتماعية. على خلاف أهل أفريقية فلا يقتصرون في تعليمهم للولدان على القرآن فقط رغم اهتمامهم به من حيث الحفظ والتلاوة ، وروايات قراءته، إلا أنهم غالبا ما يدرسونهم الحديث وبعض العلوم الدينية والخط ، أما أهل الأندلس فقد راعوا تدريس القرآن الكريم، وجعلوه أصلا في التعليم إلا أنهم لم يقتصروا عليه بل يخطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر، وقواعد اللغة العربية وتجويد الخط².

وقد كانت الكتاتيب تعتمد على نظام حر مستقل، حيث يمكن للمعلمين اتخاذ مكاتب للتعليم دون تدخل من الدولة ، فكان الكتاب من مقومات الحياة الإسلامية ، نجده في القرى الصغيرة النائية كما نجده في المدن الكبيرة العامرة ،لأنه أصبح بسبب صلته بالدين من ضروريات الحياة الدنيا والآخرة³.

كما تجدر الإشارة إلى أن الكتاب حتى القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي كانت تقتصر على تعليم الذكور من الصبية دون الإناث لأن تعليم البنات كان في البيوت دون أن يلتحقن بالكتاب ، ويتولى تعليمهن آباؤهن ، أو يتخذ لل بنت معلم خاص ، ويرى بعض الفقهاء انه يكره أن يعلم المعلم البنات مختلطات بالغلما ن لأن في ذلك فساد لهن⁴.

وظلت الكتاتيب تنتشر في الأمصار الإسلامية في كل مكان يؤمها صبيان المسلمين حيث وفرت لهم على اختلاف طبقاتهم قسطا من التعليم لكتاب الله والكتابة، ويصف لنا

¹ - عمرو بن بحر بن محبوب الكناني أبو عثمان المعروف بالجاحظ : البيان والتبيين ، دار الهلال ، بيروت، 1423 هـ / 2002 م ، ج 2 ، ص 125 .

² - عبد الحميد عيسى محمد ، المرجع السابق ،ص 211 و 235.

³ -مصطفى زايد: من المؤسسات التربوية القديمة بالمغرب العربي ،مجلة الدراسات النفسية والتربوية ،العدد9 ،أبريل 1989 م ، المغرب، ص145.

⁴ - حسن عبد العال : المرجع السابق ، ص 187.

ابن جبير في رحلته عندما زار بلاد الشام أواخر القرن السادس الهجري الثالث عشر الميلادي الحالة التعليمية في المكتب بقوله (وتعليم الصبيان للقرآن بهذه البلاد الشرقية كلها إنما هو تلقين ، ويعلمون الخط في الأشعار وغيرها تنزيها لكتاب الله تعالى عن ابتذال الصبيان له بالإثبات والمحو، وقد يكون في أكثر البلاد الملحق على حده والمكتب على حده فينقل من التلقين إلى التكتيب)¹.

كما يخبرنا ابن بطوطة عن معلمي الكتاب ببلاد الشام بأن معلم الخط قد يكون غير معلم القرآن فيقول (معلم الخط غير معلم القرآن ، يعلمهم بكتب الأشعار وسواها، ولا يكتبون القرآن في الألواح تنزيها له ، فينصرف الصبي من التعليم إلى التكتيب، وبذلك جاد خطه لأن معلم الخط لا يعلم غيره)².

وتنقسم كتاتيب تعليم الأطفال من حيث الواردين عليها إلى قسمين الأول يتردد عليه جميع الأطفال من مختلف طبقات المجتمع، دون مراعاة المكانة الاجتماعية والاقتصادية مثل كتاب أبي الفرج المؤدب بن سعيد الحمامي (ت: 580هـ / 1184م) ببغداد بمحلة قراح بني رزين³ حيث تخرج عليه خلق كثير من الصبيان وكان محمود السيرة عند الناس ، مهيبا عند الصبيان ، وقد تتلمذ على يده كثير من أولاد الأعيان، فيقصدون كتابه من جميع أنحاء بغداد لخيره وصلاحه، فكان كتابه مزدحما بالقاصدين⁴.

أما القسم الثاني من هذه الكتاتيب وهي التي خصصت للأيتام ، وقد أنشأت من الأوقاف كالتي أنشأها خالد بن يحيى البرمكي⁵، حيث يذكر الجهشيارى أن خالد بن يحيى البرمكي أمر بإجراء القمح على أهل الحرمين ، وأجرى على المهاجرين والأنصار وعلى أهل الدين والآداب والمروءات واتخذ كتاتيبا لليتامى⁶.

1- المصدر السابق ، ص 245.

2 - المصدر السابق ، ج 1 ، ص 314.

3 - قراح ابن رزين : محلة من محال بغداد تقع بوسطها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص 315.

4- ياقوت الحموي : معجم الأديب ، ج 5 ، ص 2235.

5- خالد بن يحيى البرمكي: هو خالد بن يحيى البرمكي بن جاماس بن بشتا سف أبو البرامكة ، وأول من تمكن منهم في دولة بني العباس ولد سنة 90هـ/709م ، جعل إليه الخليفة السفاح ديوان الخراج وديوان الجند بعد ذلك حل منه محل الوزير وبعد وفاة السفاح أقره المنصور نحو سنة ثم صرفه عن الديوان وقلده بلاد فارس نحو سبع سنين ثم عزله ونكبه ثم رضي عنه وأمره الموصل، ولما ولي المهدي أعاده إلى إمارة فارس، توفي سنة 163هـ / 779م. ابن خلكان: المصدر السابق ، ج 6 ، ص 219-220.الذهبي: تاريخ الإسلام، ج10، ص160-161.الصفدي:الوافي بالوفيات، ج13، ص149-150.

6 - أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى: الوزراء والكتاب، تحقيق عبد الله إسماعيل الصاوي، مطبعة عبد الحميد أحمد حنفي، ط 1 ، مصر، 1938، ص 134.

كما أورد ان عذارى أن الخليفة الأموي في الأندلس الحكم المستنصر (350-366هـ/961-976م) أمر بإنشاء مكاتب لتعليم الصبيان أبناء الفقراء والمساكين والأيتام في قرطبة إذ بلغ عددها 27 مكتبا¹.

و بنى كذلك نور الدين محمود في كثير من بلاده مكاتب للأيتام²، والكتّاب الذي أنشأه مجاهد الدين قايماز³ في الموصل⁴، وغيرها من الكتاتيب التي أنشئت للأيتام.

2-كتاتيب التعليم :

كانت هذه الكتاتيب إلى جانب أنها توفر التعليم المجاني تقدم كذلك خدمات مجانية فتتكفل بروادها من الناحية الاجتماعية فتجرى عليهم الجريات سواء من طرف الدولة أم الأشخاص ، فهي تقدم لهم ما يتعلق بطعامهم ومسكنهم مجانا، أو مساعدات مالية يومية أو شهرية، ففي عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه تذكر الروايات أنه أمر لمن يحفظ القرآن ويتعلمه برزق جار⁵.

كما أرسل الخليفة الأموي الراشد عمر بن عبد العزيز (99-101 هـ / 717-719 م) من قبله وفودا من العلماء لتعليم أبناء البادية وتلقيهم في الدين وأجرى على تلك البعثة الأرزاق الجارية⁶.

وفي عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد كتب إلى الأمصار من أجل عطاء من درس القرآن الكريم والحديث الشريف والعلوم الدينية: (ومن جمع القرآن وأقبل على طلب العلم ومقاعد الأدب فاكتبوه في ألفي دينار من العطاء ،ومن جمع القرآن وروى الحديث

1- المصدر السابق ، ج 2 ، 240-241.

2 - ابن الأثير : الباهر ، ص172.

3- مجاهد الدين قايماز :الخادم الرومي ، أعتقه صاحب الموصل زين الدين بن بكتكين، بنى الجامع المجاهدي ، والمدرسة والمارستان بظاهر الموصل على دجلة ، ووقف الأوقاف الكثيرة بحيث لم يدع بيتا في الموصل إلا وأغنى أهله ، كان دينا صالحا يتصدق كل يوم بمائة دينار ، تولى قايماز قلعة الموصل عام 571هـ/1175م، كان كثير المبرات الخيرية والصدقات في الموصل وأربل توفي عام 595هـ/1198م. أبو شامة المقدسي الدمشقي: الذيل على الروضتين ، ص 14. ابن خلكان: المصدر السابق ، ج 4، ص82. ابن واصل:المصدر السابق، ج2، ص153-154.

4- ابن خلكان:المصدر السابق، ج4، ص83.

5- أبو عبيد الله القاسم بن سلام (ت:224هـ/838م) : كتاب الأموال، إعداد: عاطف علي صالح ، دار عالم الكتب، ط1، بيروت، 1989، ص333.

6 -نفسه ، ص334.

وتفقه في العلم واستبحر فاكتبوه في أربعة آلاف دينار من العطاء وليكن ذلك بامتحان¹ ،
فوضع سلم رواتب لطلبة العلم على النحو التالي:

من جمع القرآن وأقبل على طلب العلم وعمر مجالس العلم يكون راتبه 2000 دينار، ومن
جمع القرآن وروى الحديث وتفقه في العلم واستبحر فيه يكون راتبه 4000 دينار².

كذلك جريات نور الدين محمود(ت: 569 هـ / 1173 م) على مكاتب الأيتام التي بناها
في كثير من بلاده ، حيث أجرى عليهم وعلى معلّميهم الجريات الوافرة ، ويذكر ابن
الأثير أن جريات نور الدين بلغت كل شهر تسعة آلاف دينار³.

كما أجرى مجاهد الدين قايماز على طلبة الكتاب الذي أنشأه للأيتام في دمشق لكل طالب
من طلبة الكتاب الطعام اليومي وكسوة في الصيف وأخرى في الشتاء وكان يتعهد تأمين
هذه الخدمات بنفسه بزيارته لهم⁴.

ثانياً- المتعلمين بالمساجد:

تعد المساجد من أقدم مؤسسات التعليم في الإسلام، لذلك يرتبط تاريخ التعليم بالمسجد
ارتباطاً وثيقاً انطلاقاً من الوظيفة الدينية والدينية التي يقوم بها المسجد في المجتمع
الإسلامي، وقد اتخذ المسجد لإقامة حلقات الدراسة منذ أيام نشأته الأولى.

واستمر المسجد يؤدي وظيفته التعليمية إلى جانب الوظائف الأخرى على مر العصور
الإسلامية وفي مختلف الأمصار دون انقطاع ، ومن الأسباب التي جعلت المسجد مركزاً
تعليمياً هو حاجة المسلمين إلى فهم تلك التعاليم التي جاء بها الإسلام، لا سيما الأحكام
العملية المتعلقة بأفعال المكلف في الإسلام، مثل التي تتعلق بصلاته وزكاته وصومه
وحجه وغيرها من الأحكام التي تحتاج إلى فهم ودراية بها، لأن ذلك أساس صحة أداء
هذه الشعائر على النحو الذي أراده الشارع الحكيم.

وقد اتسعت مهمة المسجد في العصر الأول للإسلام في عهد النبي صلى الله عليه
وسلم وفي عهد الخلفاء الراشدين فكان مكاناً للعبادة، ومركزاً للتعليم وداراً للقضاء وساحة
لاجتماع الحيوش ومنزلاً لاستقبال السفراء والوافدين، ومنبراً لإعلام المسلمين بالقضايا

¹ محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسي الأول مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت ، 1982،
ص258.

² ابن قتيبة الدينوري : الإمامة والسياسة، تحقيق طه محمد الزيني، دار المعرفة، بيروت، (د،ت)، ج 2، ص157.

³ ابن الأثير : الباهر، ص172.

⁴ - ابن كثير : المصدر السابق ، ج 18، ص 157.

الاجتماعية والاقتصادية والسياسية¹، لذلك فإذا حل الإسلام في بلد من بلدان الفتح إلا حلَّ معه المسجد وكما كان أول عمل قام به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلَّ بالمدينة المنورة².

لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة أقام بقباء بضعة أيام أسس أثناءها مسجد قباء³، وهو أول مسجد في الإسلام نزل فيه قول الله تعالى: «لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ، فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّطَّهَرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ»⁴ ويروى أن هذا المسجد أسسه المهاجرون بالمدينة قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، ولما وصل عليه السلام إلى المدينة بنى مسجده بالمريد وشارك المسلمين في بنائه بيديه الشريفتين⁵. ولم يزل مسجد قباء على الهيئة التي بناه عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن بناه الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (99-101هـ/717-719 م) حين بنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام بتوسيعه ونقشه بالفسيفساء، وسقفه بالساج واتخذ له منارة، وجعل له أروقة رحبة⁶.

وكان مسجد قباء تعقد فيه حلقات العلم⁷، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الناس أحكام التشريع بمسجده بالمدينة المنورة، فكان يجلس مع أصحابه يفقههم في الدين ويعلمهم الأحكام، ويقرئهم القرآن ويعظهم ويهذب أخلاقهم، وكان بعض الصحابة يخلفه في مجلسه ليعيد عليهم مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن رواحة⁸ رضي الله عنه، فيقول لأصحابه تعالوا نؤمن ساعة، فيجلسون إليه فيذكروهم الله تعالى، وأحياناً يخرج عليهم رسول الله

1- مصطفى محمد متولي: مدخل إلى تاريخ التربية الإسلامية، دار الخريجي، الرياض، 1992، ص191.

2- عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري المعروف بابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، مصر، 1375 هـ / 1955 م، ج1، ص494، الطبري: المصدر السابق، ج2، ص397.

3- الطبري: المصدر السابق، ج2، ص397. ابن هشام: المصدر السابق، ج1، ص494.

4- سورة التوبة: الآية 108.

5- البلاذري: المصدر السابق، ص ص13-16. الطبري: المصدر السابق، ج2، ص397.

6- قطب الدين الحنفي: تاريخ المدينة، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د)، ص134.

7- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي: إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، (د)، (ت)، ج1، ص64.

8- عبد الله بن رواحة: هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة نقيباً عن أهله، آخى النبي عليه السلام بينه وبين المقداد بن عمرو، شهد غزوة بدر، أرسله رسول الله بعد انتهائها إلى المدينة ليبشر المسلمين بالنصر، وشهد ما بعدها من المشاهد إلى أن استشهد في غزوة مؤتة، كان كثير التعبد لله، وفي سنة ثمان للهجرة أرسل رسول الله جيشاً لمواجهة الروم وأمر عليه زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة، فإن استشهدوا فليترض المسلمون رجلاً فليجعلوه عليهم، ثم ساروا حتى بلغوا بادية الشام فعلموا بأن الروم مائتا ألف بينما جيش المسلمين ثلاثة آلاف، فأرادوا أن يتوقفوا ويرسلوا إلى رسول الله ليعلموه فشجعهم عبد الله بن رواحة على المضي إلى الجهاد فأبلى البلاء الحسن حتى استشهد في المعركة في السنة الثامنة من الهجرة. ابن الأثير: الكامل، ج2، ص113-115. ابن كثير: المصدر السابق، ج6، ص456.

صلى الله عليه وسلم وهم مجتمعون عنده فيسكتون فيجلس إليهم صلى الله عليه وسلم ويدعوهم أن يخوضوا فيما كانوا ويقول "بهذا أمرت وإلى هذا دعوت"¹.

وظل الصحابة يعتقدون تلك المجالس العلمية، وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين فكان أحدهما يدعون الله تعالى ويرغبون إليه، والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال عليه الصلاة والسلام "كلا المجلسين على خير، وأحدهما أفضل من صاحبه، أما هؤلاء فيدعون الله، ويرغبون إليه، فإن شاء أعطاهم، وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل، وإنما بعثت معلما" ثم أقبل وجلس معهم².

وروي أن عشرة من الصحابة كان يدرسون العلم في مسجد قباء إذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم: "تعلموا ما شئتم أن تعلموا، فلن يؤجركم الله حتى تعملوا"³.

وقد اعتنى المسلمون عبر عصور الإسلام ببناء المساجد في جميع ديار الإسلام، وكما فتحوا مصرا من الأمصار إلا وبني فيه مسجد أو أكثر، ففي خلافة عمر بن الخطاب كتب إلى ولايته على الأمصار يأمرهم ببناء المساجد في الأقاليم التي هم عليها، فقد روي أنه كتب إلى أبي موسى الأشعري وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجدا للجماعة، ويتخذ للقبائل مسجدا فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة، وكتب إلى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة، وكتب إلى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك⁴.

ومنذ عهد مبكر في الإسلام جلس كبار الصحابة ومن تبعهم في المساجد اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم يعلمون الناس ويروون الحديث إلى جانب القراءة الذين يعلمون القرآن الكريم لذلك يعدون أول من قام بالتعليم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم⁵.

وظل المسجد في مختلف البلاد الإسلامية مكانا لعقد المجالس العلمية لدراسة القرآن الكريم والتفسير والحديث النبوي والفقه والأخبار والسير والأدب فقد كان مجلس الحسن البصري⁶ (ت: 110هـ / 728م) يؤخذ عنه مختلف العلوم، فمنهم من يأخذ عنه

¹- محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1426 هـ / 2005م، ج1، ص259.

²- ابن عبد البر: المصدر السابق، ج1، ص108.

³- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، نشر بعناية بدوي طبانة، مكتبة ومطبعة كرياضة فوتر سماراغ، أندونيسيا، (د،ت)، ج1، ص63.

⁴- المقرئزي: الخطط، ج4، ص5. السيوطي: حسن المحاضرة ج2، ص238.

⁵- حسن عبد العال: المرجع السابق، ص118.

⁶- الحسن البصري: هو الحسن بن أبي الحسن واسمه يسار أبو سعيد البصري ولد سنة 21 هـ / 641م قبل نهاية خلافة عمر بن الخطاب بسنتين، إمام أهل السنة والجماعة، تربي ببيت النبوة لأن أمه كانت خادمة أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، دعا له عمر ابن الخطاب فقال: (اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس)، شهد خلافة عثمان رضي الله عنه، وحضر الجمعة

الحديث والتأويل وحكم الحلال والحرام ومنهم من يتبع كلامه في العربية، ومنهم من يتعلم منه الحكم والقضاء ومنهم من يسمع منه الموعدة¹.

لذلك لم تقتصر مهمة المسجد على الصلاة فحسب بل تعدته إلى كل ما من شأنه أن يخدم الدين والمجتمع ، كتعليم الأطفال والطلاب ومباشرة أمور القضاء وغيرها ، فقد قامت المساجد بدور علمي كبير منذ تأسيسها ، فكانت تقام بها حلقات علوم الدين، وتدرس فيها علوم اللغة والمنطق والطب².

وقد يكون في المسجد الواحد عدة فقهاء يأخذون عن فقيه إمام يتعلمون منه ويعلمون الناس فقد كان في مجلس زيد بن أسلم (ت: 136هـ/753 م)³ أربعون فقيها يتعلمون منه ويعلمون الناس في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم⁴.

واستمرت هذه المجالس العلمية بالمساجد حتى بعد فتح المدارس وتقرير الجرايات فيها ، فكانوا يعينون من يدرس في هذه المجالس العلوم المختلفة ويجرون الجرايات للدارسين والمدرسين بها⁵. كان التدريس في المساجد كما في المدارس، فقد كان أبو حامد الأسفراييني⁶ (ت: 406هـ/1015م) يدرس الفقه بمسجد عبد الله بن المبارك¹، وكان

معه وسمعه وهو يخطب ، وشهد يوم استشهاده عندما تسلل إليه قتلته وكان عمره إذاك أربعة عشرة سنة ، انقل إلى البصرة سنة 37 هـ/657 م حيث تلقى العلم ، واستمع من الصحابة الذين أقاموا بالبصرة ، عمل كاتباً لأمير خراسان الربيع بن زياد ، لمدة عشر سنوات ، ثم استقر بالبصرة حيث أصبح من أشهر علماء عصره توفي سنة 110 هـ / 728 م . الذهبي: تذكرة الحفاظ ، منشورات دائرة المعارف العثمانية ، ط1، الهند ، 1958 ، ج1، ص123. ابن كثير: المصدر السابق، ج14، ص ص 54-57.

¹ - ياقوت الحموي : معجم الأديباء ، ج5 ، ص 2113.

² - عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد : الإسلام ومؤسساته التعليمية ، دار عمان للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمان ، 1421 هـ / 2000 م ، ص 23.

³ - زيد بن أسلم : هو أبو عبد الله زيد بن أسلم العدوي العمري المدني، والده أسلم مولى عمر بن الخطاب، من أئمة العلم والحديث، كان له حلقة للعلم في المسجد النبوي يدرس فيها الناس الفقه والحديث، روى الحديث عن عبد الله بن عمر وجابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوخ وأنس بن مالك وعطاء بن يسار، وتلقى على يديه مالك بن أنس وسفيان الثوري والأوزاعي وسفيان بن عيينة ، وصفه الإمام الذهبي بأنه الإمام الحجة القدوة الفقيه، وقال البخاري: كان زين العابدين علي بن الحسين يجلس إلى زيد بن أسلم في المدينة ، فكلّم في ذلك فقال: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه، ظهر لزيد بن أسلم في مسند الإمام أحمد بن حنبل أكثر من مئتي حديث، توفي سنة 136هـ/703 م . أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي : المعرفة والتاريخ ، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، (د،ت)، ج1، ص3. الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج1، ص 132-133. سير أعلام النبلاء، ج، ص 316. محمد بن أبي بكر جلال الدين السيوطي: طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1403هـ، ص 60.

⁴ - الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج1 ، ص 100.

⁵ - سعيد الديوه جي: التربية والتعليم في الإسلام ، ص 61.

⁶ - أبو حامد الأسفراييني: الشيخ أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الأسفراييني الفقيه الشافعي انتهت إليه رئاسة الدنيا والدين ببغداد ، واتفق أهل عصره على تفضيله وتقديمه في جودة النظر ، وكان ثقة يذكر أنه كان يحضر درسه سبعائة متفقه ،

إسماعيل بن موهوب الجوالقي² يدرس الأدب بجامع القصر في كل جمعة³، وكان محمد بن خلف الله بن خليفة المعروف بابن الشمي⁴ في القرن السادس يدرس الفقه والأدب في جامع عمرو بن العاص⁵.

و ظل تشييد المساجد في تزايد مستمر لا سيما في الحواضر الإسلامية الكبرى ، ففي القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي أحصى اليعقوبي⁶ زهاء الثلاثين ألف مسجدا ببغداد وحدها، مع العلم أن كل بيت كانت تعد به حجرة للصلاة يطلق عليها مسجد، فالمسجد خلاف الجامع لأن المسجد هو المصلى الذي تؤدي فيه الصلوات الخمس والعيدين ، بينما الجامع هو الذي لا تصح صلاة الجمعة إلا فيه، وهو شرط لصحتها ، فلو أقيمت في المصلى لم تصح.

وبالأندلس بلغ بقرطبة وحدها عدد المساجد أربع مائة وتسعين مسجدا زمن عبد الرحمن الداخل، ثم زادت فيما بعد حتى بلغت ثلاثة آلاف وثمانمائة وثلاثين مسجدا⁷.

وكان الناس يقولون لو رآه الشافعي لفرح به ، وأن الوزير أبا القاسم علي بن الحسين قال : أبو حامد عندي أفقه وأنظر من الشافعي، وروي أنه قابله بعض الفقهاء في مجلس المناظرة بما لا يليق ثم أتاه في الليل معتذراً ، وكانت ولادته سنة أربع وأربعين وثلاثمائة، وقدم بغداد في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، ودرس الفقه بها من سنة سبعين إلى أن توفي ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال سنة ست وأربعمائة ببغداد ودفن من الغد في داره ثم نقل إلى باب حرب في سنة عشر وأربعمائة. الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج5، ص 123. ابن خلكان : المصدر السابق، ج1، ص72-73. الذهبي: العبر، ج2، ص204. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج7، ص234.

¹ - الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، ج5 ، ص 123

² - إسماعيل بن موهوب الجوالقي: هو أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن الجوالقي البغدادي، لغوي وأديب من علماء بغداد، من أهم تلاميذ الخطيب التبريزي وكان من المقربين من الخليفة المقتفي لأمر الله، له مؤلفات مشهورة في الأدب واللغة اشتغل أبو منصور الجوالقي بطلب العلم منذ زمن مبكر فدرس على أعلام عصره، كان متدينا ثقة، غزير الفضل، وافر العقل، كان له اهتمام بعلم الحديث ولهذا ترجم له الحافظ الذهبي في تنكرة الحفاظ. وذكر عنه تلميذه السمعاني أنه كان بارعاً في الفقه والحديث، توفي سنة 540 هـ / 1145 م. ابن الأثير: الكامل ، ج9 ، ص139. الذهبي : تنكرة الحفاظ ، ج4 ، ص55 . ابن كثير : المصدر السابق ، ج16 ، ص206.

³ - السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر، ط2، بيروت ، 1979 م، ج1 ، ص457.

⁴ - هو محمد بن خلف الله بن خليفة بن محمد التميمي القسنطيني المعروف بابن الشمي أبو عبد الله مكتوم، ولد سن ثلاث وتسعين وخمسمائة ، ذو فنون في العلم، حسن المذاكرة، وكان أحد المتصدرين في جامع عمرو بن العاص لإقراء الفقه والأدب ، وأحد الشهود المعدلين بها. السيوطي : بغية الوعاة ، ج1 ، ص101.

⁵ - السيوطي : بغية الوعاة ، ج1 ، ص101.

⁶ - أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي: البلدان، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1422 هـ، ص43.

⁷ - شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ط1 ، بيروت، 1997، ج1، ص540.

فكل هذه المساجد الأندلسية كانت تفتح أبوابها للصلاة ولطلبة العلم للتعلم ، وكانت تجرى الجرايات الوافرة على الأئمة والمؤذنين والقيمين وعلى طلبة العلم ، وقد وجد طلبة العلم في ذلك عونا لهم على التفرغ لطلب العلم فيحصلون على ما يريدون من العلم دون أن يكلفهم ذلك أجرا لأن مدرسيهم كانوا يتلقون راتبا معلوما من الحكام ، كما فتحت لهم دورا بهذه المساجد للإقامة بها ، فيدفعون عنهم مشقة السكن وتكاليفه ، و إلى جانب ذلك فقد كان الطلبة يتلقون صنوفا متعددة من الخدمات التي كان يقدمها لهم القيمون على تلك المساجد فينصرفون إلى الدرس والتحصيل دون أن ينشغلوا من ذلك بشيء¹ .

ومن أشهر المساجد التي عقدت بها حلقات العلم في تاريخ الحضارة الإسلامية المسجد الحرام بمكة المكرمة ، والمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة، والمسجد الأقصى بالقدس ، وجامع عمرو بن العاص بمصر ومسجد البصرة ، ومسجد الكوفة، والجامع الأموي بدمشق، وجامع القرويين بفاس، وجامع المنصور ببغداد، وجامع قرطبة بالأندلس والأزهر بالقاهرة ، وغيرها من المساجد.

ومن أشهر المساجد والجامع التي شهدت حلقات العلم والتعليم في الإسلام:

جامع عمرو بن العاص بالفسطاط:

جرى على عادة المسلمين الفاتحين أن يؤسسوا في الأقطار التي يفتحونها مدنا يختارون موقعها بما يتفق مع مصالحهم الخاصة والعامة، وقد وفق عمرو بن العاص في اختيار المكان الذي تكون مدينته الفسطاط² سواء من الناحية الجغرافية أم الحربية، فمدينة الفسطاط تقع عند رأس الدلتا ، وهو موقع له أهميته من الناحية الحربية والعمرائية ،

¹ - إبراهيم علي العكش: التربية والتعليم في الأندلس، دار الفحاء، ط1 ، عمان ، 1986، ص76.

² - شرع في بنائه بعد أن استكمل فتح مصر عام 21هـ/641 م ، في أرض قيل أنها لقيسبة بن كلثوم أثناء الفتح ولما اختط عمرو بن العاص داره مقابل الأرض التي حازها قيسبة وكانت جنانا ،ولما تشاور عمرو بن العاص مع المسلمين عن مكان المسجد الجامع فرأوا أن يكون منزل قيسبة ، فسأله عمرو فيه فقال قيسبة لقد علمتم يا معشر المسلمين أنني حزت هذا المنزل وملكته ، وإنني أتصدق به على المسلمين وارتحل مع قومه بني سوم فقال فيه أبو قبان بن نعيم بن بدر التجيبي:

وبابليون قد سعدنا بفتحها وحزنا لعمر الله فيئنا ومغنا
و قيسبة الخير بن كلثوم داره أباح حماها للصلاة وسلما
فكل مصل في فنانا صلاته تعارف أهل مصر ما قلت فاعلما

وقال أبو مصعب قيس بن سلمة الشاعر في قصيدة امتدح فيها ابنه عبد الرحمن بن قيسبة:

وأبوك سلم داره وأباحها لجباه قوم ركع وسجود

وقال الليث بن سعد:(كان مسجدنا هذا حدائق وأعابا). المقرئزي : الخطط ، ج 4 ، ص 6. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4 ، ص265.

وبذلك تكون الفسطاط بمنأى من هجوم العدو ، وهي في نفس الوقت قريبة من الأراضي الزراعية الأمر الذي يسهل وصول المؤن والأقوات، ويحمي الفسطاط من جهة الشرق جبل المقطم فهو درعها الواقية من العدو ومن فيضان النيل¹.

وقد كان جامع عمرو بن العاص يؤدي عدة وظائف أهمها من الناجية الثقافية والتعليمية ففي أرواقه وحول أعمدته تعددت حلقات الدروس والوعظ والإرشاد².

لذلك كان جامع عمرو بن العاص مركزا من أهم مراكز التعليم وقد شهد حركة علمية منذ جلس فيه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتعليم الناس في مصر أحكام الدين الإسلامي، ويعد هذا المسجد رابع مسجد أقيم في الإسلام بعد مساجد المدينة والبصرة والكوفة وأول مسجد بني في مصر وأفريقية والمغرب³.

أول ما بدأ به من التعليم في جامع عمرو بن العاص رواية الحديث الشريف⁴ وأول من بدأ رواية الحديث بهذا الجامع عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه في أعقاب تشييد هذا الجامع سنة 21 هـ/641 م⁵.

لا سيما وهو من أكثر الناس حفظا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت له حلقة بالجامع يؤمها العديد من مشاهير التابعين الذين أخذوا عنه مثل أبا عشامة المعافري⁶ ، وسالم بن أبي سالم ، وسويد بن قيس التجيبي ، وعبد الله بن منين اليحصبي ، وعمرو بن الوليد وغيرهم⁷.

¹ - سعاد ماهر محمد: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة، (د، ط)، 1971، ج1، ص 61.

² - نفسه ، ص 18.

³ - المقرئ: الخطط ، ج4، ص 5.

⁴ - اقترن لفظ العلم بالحديث الشريف منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وظل حفاظ الحديث يطلق عليهم هذا اللفظ فكانوا يسمون بالعلماء واستمر هؤلاء يتناقلون الحديث حفظا عن طريق الإسناد أو كتابة ، وخير دليل على ذلك ما أوضحه الخطيب البغدادي في كتابه تقييد العلم وما دونه من الروايات الخاصة بعدم قيام الصحابة بتدوين الحديث مخافة الاشتغال بغير القرآن. أبو بكر أحمد الخطيب البغدادي: تقييد العلم، دار إحياء السنة، بيروت، (د، ت) ، ص 93. السيد طه أبو سديرة : الحركة العلمية في جامع عمرو بن العاص في عصر الولاة (21هـ/254هـ) ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1990، ص 81.

⁵ - السيد طه أبو سديرة : المرجع السابق، ص 47.

⁶ - G. Wiet: Repertoire, Chronologique, tome, 2, p. 65.

⁷ - السيد طه أبو سديرة : المرجع السابق ، ص 47-48.

ومن الحفاظ الذين وفدوا على هذا الجامع الصحابي الجليل جابر بن عبد الله¹ قدم إلى الفسطاط في ولاية مسلمة بن مخلد (44 هـ - 62 هـ / 664-681 م)²، وكذلك الصحابي أبا بصرة الغفاري وأبا أيوب الأنصاري³، وغيرهم من الصحابة الذين وفدوا إلى مصر لذات الغرض⁴.

ومن أشهر الشخصيات العلمية التي برزت في العصر الأموي يزيد بن حبيب (53-128 هـ / 655-745 م) مولى الأزدي من أبرز رواد الحديث في مصر وكانت له حلقة في جامع عمرو بن العاص ، وكان يزيد بن حبيب ثقة كثير الحديث كما تصدر الفتيا بأمر من عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أيام خلافته⁵.
ومن أشهر علماء الحديث في العصر العباسي عبد الله بن وهب (ت: 197 هـ / 812 م) الذي سمع من كثير من الحفاظ ، والليث بن سعد الفقيه المحدث ، الذي كان له أربعة مجالس بجامع عمرو بن العاص كل يوم⁶ وغيرهم كثير.

ومن أشهر الذين درسوا بجامع عمرو بن العاص محمد بن جرير الطبري (ت: 310 هـ / 922 م)⁷ حين وفد على مصر قام بالتدريس به وظهر فضله في التفسير وتدريس

1- جابر بن عبد الله :هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة الإمام الكبير ، المجتهد ، الحافظ ، أبو عبد الله وأبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي المدني الفقيه من أهل بيعة الرضوان آخر من شهد ليلة بيعة الرضوان موتا ،روى علما كثيرا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن أبي بكر وعمر وعلي بن أبي طالب ، وأبي عبيدة ، ومعاذ بن جبل ، والزبير وغيرهم ، وروى عنه خلق كثير ، وكان مفتي المدينة في زمانه ، له ألف وخمسمائة وأربعون حديثا ، غزا ست عشرة غزوة وقيل تسعة عشرة ، توفي رضي الله عنه سنة 74 هـ / 693 م . محمد بن سعد بن منيع الزهري: كتاب الطبقات الكبير، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 2001، ج5، ص531.الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج3، ص189-190.

2- السيوطي : حسن المحاضرة ، ج1 ، ص 181.

3- السيوطي: المصدر السابق ، ج1 ، ص 243 .

4- السيد طه أبو سديرة : المرجع السابق ، ص48-49.

5- أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري : كتاب الولاة والقضاة ، صححه رفن كست ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، 1908 م ، ص 12.المقرئزي : الخطط ، ج1 ، ص73. و ج4 ، ص7.

6- الكندي: المصدر السابق، ص51.

7- الطبري:هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، الإمام أبو جعفر الطبري، ولد سنة 224هـ / 838 م ، روى عن الكثير ، رحل في طلب الحديث، وله (التاريخ) الحافل، و(التفسير) الكامل، وغيرهم من المصنفات النافعة في الأصول والفروع ومن

الحديث والفقہ ، ودرایته بالفقه واللغة والنحو والشعر وكان يملی علی طلبته ما أرادوا من الأبواب فی تلك العلوم¹.

لذلك ظلت حلقات مسجد عمرو بن العاص تعقد به دوریة منتظمة ، وفي أوائل القرن الرابع الهجري كانت حلقات المسجد العلمیة والأدبیة فی أوج نشاطها ، وقد شهد هذه الحلقات كبار أئمة الفقه والحديث منهم أبو القاسم بن قدید الفقیه المحدث وتلميذه أبو عمرو الكندي المؤرخ وأبو جعفر النحاس المصري الكاتب والشاعر ، وأبو بكر الحداد القاضي ، وأبو القاسم بن طباطبا الحسني الشاعر ، والحسن بن زولاق المؤرخ².
ونكر أنه فی سنة 326 هـ/937 م كان لفقهاء الشافعیة فی جامع عمرو بن العاص خمس عشرة حلقة ولفقهاء المالکیة مثلها ولفقهاء الحنفیة ثلاث حلقات³.

والحقیقة أن المصادر التاریخیة لم تسعفنا بالإخبار عن الجریات التي أجراها أصحابها علی هذا المسجد، إلا فی بعض الإشارات العارضة مثلما أورده الكندي فی كتابه الولاية والقضاة أن فی عهد والی مصر عبد العزیز بن مروان (65-85 هـ/684-704 م) أنه أسند القضاء إلى عبد الرحمن بن حجيرة الخولاني ، وكان من أفقه الناس آنذاك وأجرى علیه الرزق فی السنة ألف دینار فكان ینفقها علی أهله وإخوانه ولا یدخر منها شیئاً⁴.
ومن المساجد التي شهدت حركة علمیة مسجد البصرة الذي اختطه عقبة بن غزوان سنة 14هـ/635 م، وكان مجرد مساحة مسقفة بالقصب یقوم سقفها علی عمد من جذوع النخل والخشب⁵.

ذلك (تهذیب الآثار) لكن لم یتمه، وقد روي أنه مكث أربعین سنة یكتب فی كل یوم أربعین ورقة، وكان أحد أئمة العلماء، یُحکم إلى قوله، ویرجع إليه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم یشاركه فیهِ أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله تعالى، وعارف بالقراءات، فقیها بالأحكام، عالماً بالسنن. ابن كثير: المصدر السابق ، ج14، ص846-847. شمس الدین بن الجزري دمشقی الشافعی: غایة النهایة فی طبقات القراء، صححه وعني بنشره ج. برجستراسر ، دار الكتب العلمیة، ط1 ، بیروت ، 2006 ، ج2 ، ص96-97. السیوطی: طبقات الحفاظ ، ج1 ، ص310. حسین الدیار بكري: تاریخ الخمیس ، ج2 ، ص389.

¹ محمد عطیة الأبراشی: المرجع السابق، ص75.

² محمد عبد الله عنان: تاریخ الجامع الأزهر فی العصر الفاطمی ، مطبعة لجنة التألیف والترجمة والنشر، ط2، القاهرة ، 1361 هـ/1942 م ، ج62-63.

³ سیده إسماعیل كاشف: مصر فی عهد الإخشیدیین، مطبعة جامعة فؤاد الأول، (د،ط)، القاهرة، 1950، ص306.

⁴ أبو عمر الكندي: المصدر السابق ، ص317.

⁵ الذهبي: تاریخ الإسلام ، ج3 ، ص129. أبو محمد عبد الله الیافعی البیني المكي: المصدر السابق، ج2، ص61. ابن العماد: المصدر السابق ، ج1، ص160.

وقد كان لمسجد البصرة دوراً مهماً في حركة النهضة الأدبية والعلمية، وقد ارتاده كثير من العلماء و الأدباء يلقون الدروس الأدبية والعلمية ومن أشهر الذين جلسوا للتدريس في مسجد البصرة الحسن البصري، الخليل بن أحمد الفراهيدي، وتلميذه سيبويه، فكان من أبرز المراكز العلمية في الحواضر الإسلامية¹.

كما كان مسجد الكوفة من أبرز المراكز العلمية في العالم الإسلامي حيث درست فيه علوم الفقه والدين واللغة ، ومن أشهر الذين جلسوا للتدريس فيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه يعلم الناس أصول الفقه ، وسعيد بن جبير ، وجبير بن علي الكسائي لتدريس علم التفسير ، كما وضع علم النحو بهذا المسجد من قبل أبو الأسود الدؤلي بطلب من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب².

الجامع الأموي بدمشق:

وكان لمسجد بني أمية الجامع في دمشق دور فعال في الحركة التعليمية الإسلامية قبل إنشاء الجوامع الكبرى في الحواضر الإسلامية مثل الأزهر على يد جوهر الصقلي سنة 361 هـ / 971 م في القاهرة بأكثر من ثلاثة قرون من الزمن، ويمكن أن نعد هذا الجامع الأموي من أقدم الجامعات الإسلامية، التي كان لها دور فعال في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية عبر العصور.

ذكر ابن جبير (ت: سنة 614 هـ / 1217 م) عن هذا المسجد، ووصف ما فيه من نشاط علمي وتعليمي وثقافي، وأنه كانت تقام به الحلقات كل يوم إثر صلاة الصبح لقراءة سبع من القرآن دائماً، ومثله إثر صلاة العصر، لقراءة تسمى (الكوثرية)، يقرأون فيها من سورة الكوثر إلى الخاتمة، ويحضر هذه الحلقات كل من لا يجيد حفظ القرآن، وللمجتمعين على ذلك جارية كل يوم، يعيش منها ما يزيد عن خمس مئة إنسان، وهذا من مظاهر الجرايات التعليمية التي كان يحظى بها هذا الجامع ، لذلك لم تكن تخلو القراءة منه صباحاً ولا مساءً³.

¹ - مصطفى محمد متولي: المرجع السابق، ص 192

² - نفسه ، ص 192.

³ - المصدر السابق ، ص 263 .

وعند فراغ الجماعة الأولى من القراءة صباحاً يستند كل قارئ منهم إلى سارية من سواري المسجد، ويجلس أمامه صبي يلقيه القرآن، و قد رتب للصبيان الذين يقرأون القرآن على قراءتهم جارية معلومة ، فمن كان ميسور الحال من آبائهم ينزهون أبناءهم عن أخذها، ومن كان في حاجة إليها أخذها¹.

ولم يكن الأمر ليقصر على حلقات قراءة القرآن المخصصة للمتعلمين الكبار، والحلقات المخصصة للمبتدئين من الصبيان الصغار، والحلقات الكثرية المخصصة لتعليم الأميين الذين لم يكونوا يحفظون القرآن، وإنما يستطرد ابن جبير ليتحدث عن المدرسين والحلقات العلمية الخاصة والعامة، ومما قاله:

"وفيه حلقات للتدريس للطلبة، وللمدرسين فيها إجراء واسع، وللمالكية زاوية للتدريس في الجانب الغربي، يجتمع فيه طلبة المغاربة ولهم إجراء معلوم ، ومرافق هذا الجامع للغرباء وأهل الطلب كثيرة واسعة، وأغرب ما يحدث به أن سارية من سواريه، هي بين المقصورتين القديمة والحديثة، لها وقف معلوم يأخذه المستند إليها للمذاكرة والتدريس. أبصرنا بها فقيهاً من أهل إشبيلية يعرف بالمرادي"².

وهذا ما يعني أن الجرايات قد أجريت على المنتسبين إلى هذا الجامع من مدرسين وطلبة و كذلك الملتزمين بسواري المسجد للمذاكرة وتحصيل العلم ، كما كان للغرباء الرحالة لطلب العلم وتعليمه حظ وافر من هذه الجرايات ، فقد ذكر ابن جبير أن فقيها من إشبيلية يعرف بالمرادي كان من المنتسبين لهذا الجامع ومن المستفيدين من تلك الجرايات.

ويخبرنا ابن جبير كذلك على أن " للأيتام من الصبيان محضرة - مكان للدرس - كبيرة بالبلد لها وقف كبير، يأخذ منه المعلم لهم ما يقوم به، وينفق منه على الصبيان ما يقوم بهم وبكسوتهم، وهذا أيضاً من أغرب ما يحدث به من مفاخر هذه البلاد"³. لذلك فقد كان الجامع الأموي وغيره من المساجد في مختلف الأمصار الإسلامية، يقدم خدمة كبرى في ميدان العلوم الدينية والنشاطات الثقافية، فأصبح قبلة أنظار الطلبة والعلماء في مختلف أمصار الدولة الإسلامية.

¹- نفسه ، ص 191.

²- ابن جبير :المصدر السابق ، ص 191.

³-المصدر السابق ، ص 245.

لذلك يعد الجامع الأموي من عجائب الدنيا في ذلك العهد، وقد أنفق الوليد بن عبد الملك على بنائه خراج المملكة سبع سنين وحملت حساب نفقاته إلى الوليد على ثمانية عشر بغيرا، ودامت مدة بنائه ثمانية أعوام، وقيل عنه كثير من العجائب، وكان للخطيب البغدادي¹ بهذا المسجد عام 456 هـ / 1063 م حلقة كبيرة².

واستمرت الجرايات على المساجد³ حتى بعد فتح المدارس التعليمية، فكانوا يعينون المدرسين من هذه المدارس لتدريس أنواع العلوم المختلفة بالمساجد ويرصدون الجرايات للمدرسين وللدارسين.

جامع المنصور:

يعد أقدم مسجد جامع ببغداد⁴، كان قبلة لأنظار الأساتذة والطلاب في ذلك العهد، وأشهر مركز للتعليم في الدولة الإسلامية⁵، وفيه جلس إبراهيم بن محمد بن نبطويه (ت: 323 هـ / 934 م)⁶ مدة خمسين سنة يدرس به. والتدريس فيه كان أمنية من أماني العلماء، حيث ذكر ياقوت الحموي أن الخطيب البغدادي لما حج شرب من ماء زمزم وسأل الله أن يحقق له ثلاث حاجات كان من بينها أن يملي الحديث بجامع المنصور، وقد تحققت أمنية الخطيب البغدادي ودرّس في جامع المنصور، وللمكانة العلمية لهذا الجامع فقد كان محل صراع بين المتعصبين للمذهب حيث يذكر ياقوت الحموي أن

¹ - الخطيب البغدادي: هو أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب أبو بكر البغدادي الفقيه الحافظ أحد الأئمة المشهورين المصنفين الكثيرين والحفاظ المبرزين، ولد سنة 392 هـ / 1002 م، اشتهر بالرحلة لطلب العلم، سمع ببغداد والبصرة والكوفة ونيسابور، ودمشق، كما كان يتردد على بيت المقدس، وزار طرابلس وحلب، أملى الحديث بجامع المنصور ببغداد، كما روى (تاريخ بغداد)، أحصى له أصحاب التراجم ستة وخمسون مصنفًا، توفي سنة 462 هـ / 1069 م. الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج3، ص 1135-1136. أبو بكر بن هداية الله الحسيني: طبقات الشافعية، تحقيق عجاج نويهض، دار الأفق الجديدة، ط3، بيروت، 1402 هـ / 1982 م، ص 165-166.

² - ياقوت الحموي: معجم الأدياء، ج1، ص392.

³ - وقد ظلت المساجد تضطلع بدور متميز في الحركة التعليمية حتى بعد نشأة المدارس والخوانق والأربطة والزوايا لما كانت تحظى به من الأموال الوقفية ما جعل النشاط العلمي والتعليمي بها مستمرا. إبراهيم حركات: الدراسة والتدريس في عهد الخلافة، مجلة دعوة الحق، العدد 283، رمضان 1411 هـ / يوليو 1991 م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ص94.

⁴ - مصطفى محمد متولي: المرجع السابق، ص193.

⁵ - حسن عبد العال: المرجع السابق، ص189.

⁶ - هو إبراهيم بن محمد بن عرفة بن سليمان بن المغيرة بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أبو عبد الله العتكي المعروف بنبطويه، ولد سنة 240 هـ / 854 م، سمع الحديث ورواه، وحَدَّث عن الثقات، كان أديبا متقنا في الأدب على دراية بالشعر وفنونه، له مصنفات عدة، توفي سنة 323 هـ / 934 م. القفطي: المصدر السابق، ج1، ص211-213. ابن كثير: المصدر السابق، ج15، ص92.

الحنابلة الذين كانت لهم السيطرة على هذا المسجد في منتصف القرن الخامس الهجري قد اعتدوا على الخطيب البغدادي سنة 451 هـ / 1059 م وهو يدرس بهذا الجامع¹.

ومن أشهر علماء العصر العباسي من الذين جلسوا للتدريس به الكسائي ليقراً في علوم اللغة العربية ، كما كان أبو العتاهية يملئ فيه بعض أشعاره ، وذكر أن مما أنشده :

لهفي على ورقِ الشَّبَابِ وِعُصُونِهِ الخُضْرِ الرِّطَابِ
ذهب الشَّبَابُ وَبَانَ عَنِّي غَيْرِ منتظرِ الإِيَابِ
فلأبكين على الشَّبَابِ وطيبِ أَيَّامِ التَّصَابِي
ولأبكين من البَلَى ولأبكين من الخِصَابِ

وفيه جلس إبراهيم بن محمد بن نفطويه (ت 323 هـ/ 934 م) إلى أسطوانة من المسجد خمسين سنة لم يتغير محله منها ، كما أملى أبو عمر الزاهد كتابه (الياقوت) وعرضه بالمسجد في شهر محرم سنة 323 هـ/ 934².

لذلك فقد كان جامع المنصور من أشهر مراكز التعليم في الدولة العباسية ، كما كان له إلى جانب ذلك دور بارز في الأحداث السياسية والمجالات العلمية والثقافية في المجتمع الإسلامي³.

وقد كان خلفاء بني العباس يبذلون الجرايات الوافرة على المدرسين من العلماء والدارسين من طلبة العلم، فقد أجرى الخليفة الرشيد(170-193هـ/789-808 م) الرواتب على المشتغلين بالتدريس والتعليم والخدمات التي يحتاج إليها المسجد ، وأمر بإنشاء لجنة علمية لاختيار المرشحين لهذا الغرض فقد ذكر ابن قتيبة أن الجراية السنوية على المؤذنين في المساجد بلغت 1000 دينار، وجراية المشتغلين بجمع القرآن والعاملين على تعليم الناس والمقبلين على طلب العلم بلغت 2000 دينار سنويا، وجراية المشتغلين بجمع القرآن ورواية الحديث والفقهاء بلغت 4000 دينار⁴.

¹- ياقوت الحموي: معجم الأدياء ، ج 1، ص 385.

²- حسن عبد العال: المرجع السابق ، ص 189.

³- مصطفى محمد متولي: المرجع السابق، ص 193.

⁴- ابن قتيبة : المصدر السابق، ج 2 ، ص 157.

إلا أن هناك من المدرسين من العلماء من تعفف ولم يقبلها مثل العالم عيسى بن يونس السببي¹ لما أعطاه المأمون ذات مرة مبلغاً من المال (10 آلاف) درهم فلم يقبلها وقال (والله لو ملأت لي المسجد مالا إلى سقفه ما قبلت منه شيئاً على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم)² ، وأمر له بصلة أخرى بلغت (50 ألف) درهم فقال: لا حاجة لي فيها، فرفعهما الخليفة المأمون إلى (100 ألف) درهم قال: (لا والله لا يتحدث أهل العلم أنني أكلت للسنة ثمناً)³.

الجامع الأزهر:

أسسه جوهر الصقلي القائد الفاطمي بمدينة القاهرة ، وتم إنشاؤه ليكون المسجد الرسمي للدولة الذي يلقي فيه الخليفة الفاطمي خطبة الجمعة، وقد اتخذ الفاطميون الأزهر كمركز من مراكز بث الفكر الشيعي ومقارعة الدول السنية في العراق والأندلس، فعملوا على تشجيع الحركة العلمية من خلال بنائهم لجامع الأزهر سنة 359 هـ/969 م الذي تم افتتاحه سنة 361 هـ/971 م⁴.

وكان الجامع يعرف بجامع القاهرة نسبة إلى العاصمة الجديدة ، أما تسميته بالجامع الأزهر فقد جاءت متأخرة قليلاً بعد أن أنشئت القصور الفاطمية في عهد العزيز بالله (ت:386هـ/996 م) فقد أطلق عليها اسم القصور الزاهرة ، فأطلق على جامع القاهرة اسم جامع الأزهر ، وقد تكون تسميته باسم الأزهر نسبة إلى فاطمة الزهراء التي ينتسب إليها

¹ - هو عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السببي أبو عمرو الكوفي، كان محدثاً حافظاً زاهداً ورعاً. قال جعفر اليرمكي: ما رأينا مثل ابن يونس، أرسلنا إليه فأتانا بالرقعة ، وحدث المأمون فاعتل قبل خروجه ، فقلت: يا أبا عمرو، قد أمر لك بخمسين ألف درهم ، فقال: لا حاجة لي فيها، فقلت: هي مائة ألف، فقال: " لا والله ، لا يتحدث أهل العلم أنني أكلت للسنة ثمناً ". ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج 2، ص 136.

² - ابن كثير: المصدر السابق ج14، ص15.

³ - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج2، ص136.

⁴ - عماد عبد السلام رؤوف: مدارس بغداد في العصر العباسي، مطبعة دار البصري، ط1، بغداد، 1966، ص8-9.

الفاطميون¹.

فاقتصر التدريس في الجامع الأزهر على المذهب الفاطمي في الفقه وتعاليم الشيعة في الدين و الفلسفة والتوحيد ، ورتب المعز الفاطمي للتدريس به أكابر العلماء والفقهاء في عصره وكان عددهم ثلاثون عالماً وأجرى عليهم النفقات والأرزاق وأجزل لهم العطاء وبنى لهم منازل فخمة².

فاتخذ لتدريس الفقه الإسماعيلي ، فكانت تدرس فيه كتب الفقيه القاضي النعمان بن حيون (363 هـ/973 م)³ مثل كتاب "دعائم الإسلام" ، وكانت تلقى هذه الدروس بعد صلاة الجمعة من قبل بعض أبناء القاضي النعمان ، وأملوا بعض كتبه فاصطبغ التعليم بالجامع الأزهر بالصبغة الإسماعيلية⁴.

ويعد الجامع الأزهر من أبرز معاهد العلم في الإسلام، ومن أهم العمائر الإسلامية التي تركها الفاطميون للعالم الإسلامي، بدأ الأزهر في أيامه الأولى لإقامة شعائر العبادة إلا أنه ما لبث أن تحول إلى مركز تعليمي كبير يأتيه الطلاب من كل مكان من مختلف الأمصار الإسلامية يتعلمون فيه مختلف العلوم والفنون⁵.

وفي سنة 365 هـ / 975 م أي بعد سنتين من إنشائه جلس قاضي القضاة أبو الحسن علي بن النعمان وقرأ مختصر أبيه المسمى بكتاب "الاقتصار" وقد شهد ذلك جمع كبير من وجهاء الدولة ، ثم توالى حلقات العلم تترا ، فجلس الوزير يعقوب بن كلس⁶ للتعليم وحوله الفقهاء يأخذون عنه الفقه الشيعي¹.

¹ - محمد عبد المنعم خفاجي : الأزهر في ألف عام ، عالم الكتب بيروت ، مكتبة الكليات الأزهرية، ط2، القاهرة ، 1408 هـ/1988 م ، ج1 ، ص 28 .حنان قرقوتي : اللغة العربية والخط و أماكن العلم والمكتبات الترجمة وآثارها ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط1 ، بيروت ، 1427 هـ / 2006 ، ص 59.

² - عبد السلام رؤوف :المرجع السابق، ج1 ، ص 28 .

³ - هو النعمان بن محمد بن منصور القيرواني القاضي ، أبو حنيفة الذي قيل أنه أظهر التشيع إلا أنه كان زنديقا في الباطن تولى منصب قاضي قضاة الدولة العبيدية ، صنف كتابا " ابتداء الدعوة" وكتاب في فقه الشيعة وكتبا كثيرة تدل على انسلاخه من الدين يبدل فيها معاني القرآن الكريم ويحرفها ، مات بمصر في رجب سنة 363 هـ/973 م ، وولي ابنه من بعده. ابن العماد : المصدر السابق ، ج4 ، ص 338.

⁴ -خالد بن عبد الرحمن القاضي:الحياة العلمية في مصر الفاطمية،الدار العربية للموسوعات، ط1، بيروت، 2008، ص135.

⁵ - حسن عبد العال : المرجع السابق ، ص 190.

⁶ - يعقوب بن كلس: يعقوب بن يوسف بن كلس ولد لعائلة يهودية عام 318 هـ / 930 م بغداد، ونشأ بها ، وسافر إلى الشام فأنفذ منها إلى مصر سنة 331 هـ / 942 م ، فاتصل ببعض خواص كافور الإخشيدي فعهد إليه بعمارة داره ، ورأى فيه النجابة والنزاهة، فعينه في ديوانه الخاص ، ولم تنزل حضورته تزداد مع كافور حتى أمر أصحاب الدواوين ألا يصرف شيئاً من المال إلا بتوقيع ابن كلس سنة 336هـ/947 م ، وفي شعبان سنة 356هـ/966 م أظهر ابن كلس إسلامه وصلى في الجامع ، فزادت

و قد خصص جزء من الجامع الأزهر في العهد الفاطمي لتعليم النساء دروس الفقه على المذهب الشيعي الإسماعيلي وازداد النشاط العلمي فيه في عهد العزيز بالله (344-386 هـ / 955-996 م) فأقام حول الجامع دارا يسكنها الفقهاء الإسماعيليون ، وأجرى عليهم الأرزاق².

وقد اتخذ الوزير ابن كس الجامع الأزهر معهدا للتدريس المنتظم ففي سنة 378 هـ / 988 م استأذن الخليفة الفاطمي العزيز بالله في تعيين جماعة من الفقهاء بالأزهر للقراءة والدرس ، وكان عددهم سبعة وثلاثين فقيها يعقدون مجالسهم بالأزهر كل يوم جمعة من بعد الصلاة إلى صلاة العصر³ ، ورتب لهم العزيز دارا للسكنى بجوار الأزهر وأجرى عليهم ابن كلس أرزاقا من ماله الخاص⁴.

وابتداً الأزهر نشاطه العلمي المنظم بخمسة وثلاثين طالبا ولهم النفقة والتشجيع فقد خلع عليهم العزيز في يوم عيد الفطر وحملهم على بغلات ، وفي عام 380 هـ / 990 م صار الأزهر معهدا جامعيا للعلم والتعليم والدراسة ومن هذا التاريخ بدأ الأزهر حياته العلمية وبرز ابن كلس كعلم من أعلام الشيعة في العلم والأدب ، فكان يعقد بداره مجالس علمية وأدبية دورية يغشاها كبار الفقهاء والأدباء والشعراء ، وكان يشرف على هذه المجالس بنفسه ويساهم في أعمالها ويجزل العطاء لروادها⁵.

ومن آثار ابن كلس كتاب في القراءات ، وآخر في الفقه وكتاب في آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وآخر في علم الأبدان والصحة ، كما وضع مختصرا في فقه الشيعة مما سمعه من المعز لدين الله المعروف بالرسالة الوزيرية، وكان يقرأ مصنفاته

حظوته عند كافر ولما كان الوزير جعفر بن الفضل بن الفرات يحسد ابن كلس ويحقد عليه فقد حبسه ثم أطلق سراحه بعد أن بذل الأموال الطائلة ، فتوجه إلى المغرب حيث خدم المعز لدين الله الفاطمي وعاد معه إلى مصر ، واكتسب حظوة عند العزيز بالله الفاطمي وتولى أموره ثم ولي الوزارة ، له عدة مؤلفات في الفقه مثال كتاب يعرف بـ (مصنف الوزير) وآخر يعرف بـ (الرسالة الوزيرية)، توفي سنة 380 هـ / 990 م. ابن الجوزي : المنتظم ، ج 14 ، ص 347 . ابن الأثير : الكامل ، ج 7 ، ص 448 . الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج 26 ، ص 669-670. ابن العماد : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 422.

¹ - حسن عبد العال: المرجع السابق، ص 190.

² - السلفي أحمد بن محمد : معجم السفر، تحقيق عبد الله البارودي ، المكتبة التجارية ، مكة (د،ت) ص 113-114.

³ - محمد القطري: المرجع السابق ، ص 76.

⁴ - أبو العباس أحمد القلقشندى: صبح الأعشى، دار الكتب المصرية ، القاهرة، 1340 هـ / 1922 م ، ج 3، ص 363.

⁵ - محمد عبد المنعم خفاجي ، ج 1 ، ص 38-39.

بداره أو بالجامع الأزهر ويشهد حلقاته تلك الكتاب والنحاة والشعراء فيناظرهم ويجزل لهم العطاء ، وكانت مواعده مبسوسة دائما للوافدين ، فكان كثير الصلوات والإحسان لهم¹. أما فيما يخص الإنفاقات المتعلقة بشؤون الدراسة والمدرسين والطلاب فيرجع إلى الخلفاء وكبار رجال الدولة ، ويظهر أن الإشراف على الجامع الأزهر ظل متبعا بعد الدولة الفاطمية².

و قد ذكر أن في جامع الأزهر سبعمائة وخمسين طالبا يتلقون العلم فيه على المدرسين ولهم الإجراء على ذلك³.

ومنذ أن بدأت الدراسة بالأزهر كان يفد عليه طلبة العلم من مختلف الأمصار الإسلامية ، ولا يؤدي الطلاب عن تعليمهم أي نفقة ، بل في الغالب ما ترتب لهم أعطيات وأرزاق للإنفاق عليهم في حياتهم الخاصة ، مما سهل على طلاب العلم على الرحلة في سبيله ، فكان

الأزهر يضم العدد الكبير من الطلاب الوافدين لتلقي العلم وتجرى عليهم الأرزاق⁴. وقد كان العزيز بالله الفاطمي ووزيره ابن كلثوم أول من رتب النفقة الدائمة للقراء والمدرسين بالأزهر وأوقف الحاكم بأمر الله سنة 400 هـ/1009 م أوقافا على الأزهر للإنفاق على الطلبة والمدرسين⁵ والإنفاقات المتعلقة بالخدمات التي يتلقاها الطلبة والمدرسون تتعلق بالطعام والشراب والإيواء وغيرها مما يلزمهم في عيشهم ويسهل عليهم تحصيل العلم فلا تتحقق إلا بالعوائد المالية التي تدر بها تلك الأوقاف والأعيان المالية فهي جريات.

وقد ظل الأزهر منذ نشأته محل عناية الفاطميين يتعهدونه بالرعاية ، ويبدلون الأموال والعطايا والهبات على من به من العلماء والطلبة ، وقد كان الخلفاء الفاطميون يتعهدونه بأنفسهم⁶ بالصلاة فيه والوقوف على حاله فكان ذلك تحفيزا للشيوخ والطلبة للتفرغ للعلم⁷.

1- محمد عبد المنعم خفاجي ، ج 1 ، ص 38.

2- محمد القطري: المرجع السابق، ص 84.

3- المقرئبي: الخطط ، ج 4 ، ص 57.

4- محمد القطري: المرجع السابق، ص 79.

5- ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة : ج 4 ، ص 224 .

6- فقد كان تدخل الدولة فيما يتعلق بمذهبها الرسمي قويا ، وقد سخرت لذلك دعاة مختصين وأساتذة وفقهاء في المذهب ، فقد كانت تقام الدروس في المذهب داخل القصر وبحضور العاهل الفاطمي . إبراهيم حركات : المرجع السابق، ص 95.

7- محمد عبد المنعم : المرجع السابق ، ج 1 ، ص 40.

وكان الأزهر منذ بداية التدريس به لطلبة العلم قد فتحت أبوابه أمام الطلبة الوافدين من مختلف الأمصار الإسلامية لتلقي الدراسة به ويجرى عليهم الأرزاق¹.

وقد كان طلبة الأزهر يعرفون بالمجاورين وذلك لأنهم يجاورون الأزهر في السكنى كما يسمون كذلك بطلبة العلم ، ولا يؤدي أولئك الطلاب عن تعليمهم أي نفقة ورتبت لهم الجرايات كأعطيات وأرزاق لتأمين أرزاقهم وما يحتاجونه في حياتهم الخاصة، مما سهل على الطلاب سبيل التعلم والإقبال على التحصيل العلمي دون الانشغال بالكسب والسعي².

أما فيما يتعلق بالإنفاق على الأزهر وعمارته فقد تولى ذلك الخلفاء أنفسهم أو من ينوب عنهم من رجال الدولة أو من هم على نحو من الصلاح ومحل ثقة الخلفاء ، وكان العزيز الفاطمي ووزيره ابن كلس أول من أجرى النفقة الدائمة للقراء والأساتذة بالأزهر ، وقد أوقف الحاكم بأمر الله (ت: 411 هـ / 1020 م)³ سنة 400 هـ / 1009 م أوقافا جعلت عوائدها المالية جرايات على الأزهر والمنتسبين إليه ، وقد حذا حذوه الخلفاء والكبراء من بعده⁴.

جامع القرويين بفاس :

وهو من أعظم المساجد التي شيدت في تاريخ العمارة الإسلامية أنشأته السيدة فاطمة بنت الشيخ الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله الفهري القيرواني المعروفة باسم فاطمة أم البنين⁵ ، وكانت نفقات بنائه من مال ورثته عن أبيها ، وكانت بداية بنائه في شهر

1- نفسه ، ج 1 ، ص 54.

2- محمد القطري : المرجع السابق ، ص 78-79.

3- الحاكم بأمر الله : هو أبو علي منصور بن نزار العزيز بالله بن المعز العبيدي ، صاحب مصر والشام والحجاز والمغرب ، كان من غلاة الشيعة الفاطمية ، سفاكا للدماء قتل عددا كبيرا من رجال دولته ، أمر بسب الصحابة مدة وكتب ذلك على أبواب المساجد ثم منع ذلك ، يسير دولته بمزاجية عجيبة يأمر بالشيء ثم يناقضه ويرجع عنه ، منع من تداول بعض أصناف الغذاء وبالغ في المنع إلى حد القتل ، ألزم أهل الذمة بحمل الصلبان في أعناقهم وأمرهم بلبس العمائم السود لتمييزهم عن غيرهم من العامة ، هدم الكنائس ، وضيق على المنجمين ، ومنع النساء من الخروج سبع سنين إلى أن قتل تزهد ولبس الصوف وركب على الحمار ويطوف في الأسواق ويقدم الحسبة بنفسه ، بنى الجامع الكبير بظاهر القاهرة بعد أن شرع فيه والده فأكماله هو ، وبنى جامع راشدة بظاهر مصر ، وأنشأ عدة مساجد بالقرافة روي في شأنه أخبارا عجيبة ، قتل بتدبير من أخته سنة 411 هـ / 1020 م . ابن الجوزي : المنتظم، ج 15، ص 140-143. ابن الأثير : الكامل، ج 8، ص 140-143. ابن العماد : المصدر السابق، ج 5، ص 61-63.

4- محمد القطري : المرجع السابق ، ص 78-84.

5- هي فاطمة بنت محمد، والمعروفة بفاطمة الفهرية ، تكنى بأُم البنين، وعرفت بالفهرية، نزحت وهي فتاة صغيرة مع العرب النازحين من مدينة القيروان إلى أقصى المغرب ونزلت مع أهل بيتها في عدوة القرويين زمن حكم إدريس الثاني حتى تزوجت

رمضان سنة 245 هـ/859 م ، وكان لهذا المسجد مكانة تاريخية كبيرة لدوره الديني والعلمي والسياسي والحضاري¹، فالحديث عن بداية الحركة التعليمية بهذا الجامع كالحديث عن بداية الصلاة به².

وظلت الحركة التعليمية بهذا الجامع تشهد تطورا ونشاطا من عصر إلى آخر لاسيما في القرن السادس الهجري الثالث عشر الميلادي ، وقد سخرت لخدمة هذا الجامع ثروات حبسية كثيرة الأمر الذي شجع على تهافت الطلاب على هذا الجامع لما كانوا يحصلون عليه من الخدمات المجانية المتعلقة بالطعام والشراب والإقامة والمنح المدرسية³ وهي من صور خدمات الجراية على هذا الجامع.

وكان الطلاب المنتسبون إلى القرويين يسكنون بمساكن ملحقة بالجامع وكان كل مبنى منها يتسع لعدد من الطلبة يتراوح بين ستين ومائة وخمسين طالبا ، ويزود الطالب يوميا بجراية من الخبز⁴.

وقد وقفت على القرويين منذ تأسيسه الأوقاف الوافرة ، فقد تسابق الأمراء والأعيان ورجال الدولة على مر العصور في ذلك ، وكانت تصرف العوائد المالية لهذه الأوقاف على العاملين بالجامع من مؤذنين وأئمة وخطباء وكذلك على الطلبة والعلماء ، فقد كان يدرس به كبار العلماء من الذين عرفوا برصيدهم العلمي الوافر، وقد كانوا يعطون جرايات مهمة من عوائد الأوقاف المرصدة له تكفيهم مؤونة الحياة كما كان للطلبة منحا مالية يستعينون بها على التفرغ لطلب العلم⁵.

وأقامت هناك، كان أهلها وزوجها من أصحاب الثراء ، توفي والدها ثم زوجها ثم مات أخ لها فورثت مالا كثيرا شاركتها فيه أخت لها و هي مريم بنت محمد الفهري التي تكنى بأب القاسم ، فلما رأَت فاطمة ضيق المسجد بفاس بالمصلين أرادت أن تخلد نكر والدها على عادة المسلمين بإنشائهم للمساجد كصدقة جارية. فعمدت فاطمة الفهرية إلى مسجد القرويين فأعدت بناءه مما ورثته من ميراثها في عهد دولة الأدارسة في رمضان من سنة245هـ/ 859 م، وزادت في توسعته بشراء الأرض المحيطة به من رجل من هواره، وضمته إلى المسجد، وأنفقت من أجل ذلك مالا كثيرا ، توفيت حوالي سنة 265هـ/ 878 م.

¹ -أحمد الريسوني:الوقف الإسلامي مجالاته و أبعاده،مطبعة المحمدية،المملكة المغربية،1422هـ/2001م،ص29-30.

² -عبد الهادي التازي: القرويين جامعا وجامعة ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972، ج1، ص111.

³ -أحمد الريسوني: الوقف الإسلامي مجالاته وأبعاده،مطبعة المحمدية، المملكة المغربية،1422هـ/2001م،ص34.

⁴ -محمد القطري : المرجع السابق ، ص 106.

⁵ -السعيد بوركية: آثار الوقف في الحياة المجتمعية بالمغرب عبر التاريخ، مجلة دعوة الحق ،السنة الثانية والخمسون العدد284 ،ذو الحجة 1411هـ/يوليو 1991م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية،المغرب،ص117.

ونظرا لغزارة العوائد المالية لهذه الأوقاف فقد كان يصرف منها في الشؤون الاجتماعية المختلفة التي تدخل في إطار أداء القرويين لرسالته كمنارة للعلم والخير ومن ذلك تخصيص جزء من أموال الأوقاف للفقراء والمساكين¹.

وقد ظل هذا الصرح الديني والثقافي على امتداد العصور منبر إشعاع وقلعة من قلاع الدين والفكر والعلم ، وقد تخرج منه عشرات الآلاف من العلماء والمفكرين والمصلحين والدعاة الذين كان لهم دور كبير في تنوير الفكر الإسلامي وتفتيته من كل ما يشوبه من الخرافات والضلالات².

جامع قرطبة :

إن نجاح عبد الرحمن الداخل (138-172 هـ / 755-788 م) في الوصول إلى الأندلس رغم مطاردة العباسيين للأمرء الأمويين، وتأسيسه للدولة الأموية الثانية بالأندلس فتح الباب على مصراعيه أمام المهاجرين الفارين الباحثين عن الأمان والملجأ، فساعد ذلك على هجرة الكثير من المشرقيين بكل ما يحملونه من علوم وأشياء أخرى إلى الأندلس ، فكانت لهم مساهمة فعالة في تطور الحياة العلمية بالأندلس رغم ما شهده حكم عبد الرحمن الداخل من المشاكل السياسية والحروب من أجل تثبيت أركان الدولة الناشئة إلا أن ذلك لم يمنعه من الارتقاء بمستوى الدولة الحضاري إلى درجة كبيرة³.

عمل عبد الرحمن الداخل على تأسيس العمائر، ومن أبرز تلك المنشآت هو إنشاء عدد كبير من المساجد لاسيما مسجد قرطبة الجامع قال بعض المؤرخين في ترجمة عبد الرحمن الداخل أنه لما تمهد ملكه شرع في تعظيم قرطبة فجدد مغانيها وشيد مبانيها وحصنها بالسور وابتنى قصر الإمارة والمسجد الجامع، الذي أنفق في بنائه ثمانين ألف دينار واشترى موضعه إذ كان كنيسة بمائة ألف دينار، وتم بناءه سنة 170 هـ / 786 م⁴.

فكان جامع قرطبة من أشهر المؤسسات الدينية التي عرفت نشاطا علميا في العصر الوسيط ، ومن اكبر الجوامع التي كانت تدرس فيها العلوم الدينية واللغوية ، يفد إليه طلاب المسلمين

¹- نفسه ، ص 112.

²- محمد الحجوي : الوقف الخيري في المغرب قديما وحديثا وأثره الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، مجلة أوقاف العدد 4 السنة الثالثة 2003، الأمانة العامة للأوقاف ، الكويت، ص 96.

³- محمد عبد الحميد عيسى: المرجع السابق، ص 78.

⁴- المقرئ : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 546.

والعجم للدرس والتحصيل لذلك كانت شهرة قرطبة من شهرة هذا الجامع الذي يعد من أكبر المساجد في بلاد الإسلام بناء وتتميقا وطولا وعرضا ، فأصبح يضرب به المثل في العظمة والاتساع وكثرة الزخارف والجمال إلى حد حمل مؤرخو العرب في المغرب والأندلس إلى المبالغة في وصفه إلى حد قريب من الخيال فعظموه وأجلوه وكتبوا في تاريخه ووصفه الفصول الطوال، فقد كرس له الإدريسي في نزهة المشتاق فصلا هاما ، كما جعل له المقري في نفع الطيب فصلا خاصا وغيرهم من نحى نحوهم من المؤرخين في تاريخ جامع قرطبة¹.

وذكر أن الذين يخدمون الجامع في دولة ابن أبي عامر² من أئمة ومقرئين وأمناء

ومؤذنين وغيرهم من المتصرفين مائة وتسعة وخمسون شخصا وقيل أن مبلغ النفقة على

الخدمة به بلغت 35705 دينار و 3 دراهم وثلاث الدرهم³ قيل في حسنه(ليس في معمر

الأرض مثله) ومما جاء من نظم الشعراء في مسجد قرطبة قول دحية بن محمد البلوي⁴:

وَأَنْفَقَ فِي دِينِ الْإِلَهِ وَوَجْهِهِ ثَمَانِينَ أَلْفًا مِنْ لُجَيْنٍ وَعَسْجَدِ
تَوَزَّعَهَا فِي مَسْجِدِ أَسْهُ الثَّقِيِّ وَمَنْهَجُهُ دِينُ النَّبِيِّ مُحَمَّدِ
تَرَى الذَّهَبَ النَّارِي فَوْقَ سُمُوكِهِ يَلُوحُ كَبْرَقِ الْعَارِضِ الْمَتَوَقِّدِ

وقد كان التعليم في الأندلس يشتمل على كل أصناف الأغراض التعليمية، وكان حkra على الذكور دون الإناث ، كما نالت القرى كذلك حظها من الحركة التعليمية ، وكان للعلماء الحظوة والمكانة العالية لذلك سعى إليهم الحكام وبذلوا لهم أسمى مظاهر الاحترام والتبجيل وخلصوا عليهم العطايا والجرايات الوافرة⁵.

1- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (د،ت)، ص 377-378.

2 - هو أبو عامر محمد بن أبي عامر المعافري الملقب بالمنصور أمير الأندلس ، تكفل بالخليفة هشام عندما تولى الخلافة صغيرا فعظم أمره بعد أن استبد بالحكم دونه ، أخدم الفتن الثائرة على الخليفة الصغير ، استمال الجيش فعظم أمره ، كان شهما حسن التدبير ، تلقب بالمنصور ، غزا الفرنج، كان عالما محبا للعلماء يكثر مجالستهم ومناظرتهم ، توفي سنة 393 هـ / 1002 م. أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة أبو حفص الضبي : بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، (د، ت)، ص 91 . ابن الأبار: المصدر السابق ، ج 1 ، ص 277 . ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 301.

3- نفسه ، ج1، ص ص 549-551.

4- المقري :نفع الطيب، ج1، ص ص 558-561.

5- 72- حنان قرقوتي : اللغة العربية والخط و أماكن العلم والمكتبات الترجمة وآثارها ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1 ، 1427 هـ / 2006 ، ص130.

ومن الجرايات التعليمية التي أجريت على المساجد بالأندلس أن فرج بن حديدة بطليوسي¹ (ت 480 هـ/1078 م) كان عالما بالقراءات متصدرا لها، حدث بينه وبين أمير البلد المظفر أبي بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة بن الأفطس ما جعله ينتقل إلى أشبيلية التي كانت في إمارة المعتضد بن عباد فأجلسه هذا الأمير للإقراء بالمسجد الذي بنته أمه بعد أن أجرى عليه راتبا ونفقة من الأحباس فلزمه إلى أن توفي².

وذكر أن الحكام بالأندلس كانوا لا يكتفون ببناء المساجد بل يعينون لها القيمين والخدام وبلغ عدد هؤلاء في المسجد الجامع بقرطبة مائة وتسعة وخمسين من أئمة ومقرئين وأمناء ومؤذنين وغيرهم من المتصرفين ، وكان يعمره من الخطباء والأئمة والمؤذنين والقيمين مائة رجل وعشرات لهم من الدنانير على اختلاف منازلهم ثمن مائة دينار في الشهر مكافأة على رتبهم وتعطيل أشغالهم ، وكان الطلاب يجدون بغيتهم من العلم دون أن يكلفهم ذلك أجرا لأن أساتذتهم يتلقون راتبا معلوما من الحكام كما أنهم كانوا يتلقون أنواعا متعددة من الخدمات التي يقدمها لهم أولئك القيمين³.

ويبدو أن تعفف بعض العلماء عن أخذ الأموال من الحكام قد كان أمرا معروفا في مختلف الأمصار الإسلامية فصار عرفا شائعا الأمر الذي جعل العامة تُتكر على من أخذ من العلماء من عطايا الحكام ، ففي الأندلس يروي أن أحمد بن خالد⁴ فقيه الأندلس وعالمها صنف كتابا في حق العلماء أن يقبلوا جوائز السلطان عندما أنكر عليه أهل بلده

¹ - فرج بن حديدة بطليوسي: كان عالما بالقراءات رتب للإقراء بأشبيلية بالمسجد المنسوب إلى أمه على عهد المعتضد بن عباد بن محمد توفي سنة 480 هـ / 1087 م. أبو القاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال : كتاب الصلة ، نشر بعناية السيد عزت القطار الحسيني ، مكتبة الخانجي ، ط2، القاهرة، 1414 هـ / 1994 م، ص 436-437.

² - محمد عبد الحميد عيسى: المرجع السابق، ص 277.

³ - إبراهيم علي العكش: المرجع السابق، ص 76.

⁴ - أحمد بن خالد: هو أحمد بن يزيد بن محمد بن سالم بن سليمان يعرف بابن الحباب ، كنيته أبو عمر ، سكن قرطبة ولد سنة 246 هـ / 860 م ، كان حافظا متقنا ومن المكثرين لرواية الحديث ، رحل فجاور مكة ودخل اليمن وإفريقية ، كان إمام وقته في الفقه والحديث والعبادة ، ضابطا متقنا خيرا فاضلا ورعا ، جمع علوما كثيرة صنف "مسند حديث مالك" و "فضائل الوضوء" و " حمد الله وخوفه" وغيرها من المصنفات ، توفي سنة 322 هـ / 933 م. عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي أبو الوليد المعروف بابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس ، عنى بنشره وصححه ووقف على طبعه السيد عزت العطار الحسيني ، مكتبة الخانجي ، ط 2، القاهرة ، 1408 هـ / 1988 م ، ج 1 ، ص 42. الضبي: المصدر السابق، ص 175-176. إبراهيم بن علي بن محمد برهان الدين البيعري المعروف بابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ت)، ص 34-35. الذهبي : المعين في طبقات المحدثين ، ص 110. أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت ، (د ، ت) ، ص 393.

قبول جوائز عبد الرحمن الناصر¹ عندما نقله إلى قرطبة وأسكنه دارا من دور الجامع وقربه وأجرى عليه الرزق من الطعام و الآدام².

ومهما يكن من أمر فإن تمويل التعليم بالأندلس كان رسميا وتطوعيا ، فأما التمويل الرسمي فقد كان من طرف الدولة من بيت المال ، فإنه كان يخصص من الموازنة المالية العامة للدولة للتعليم سواء لأمكنة التعليم أو للمعلمين أو للطلاب ، كما عنيت السلطة الحاكمة ببناء المساجد والإنفاق عليها من أجل أن يمارس المسلم فيها عبادته ومن ثم توفير أماكن للتعليم بتلك المساجد ، لذلك فقد كانت السلطات الرسمية تساهم بتقديم المكافآت والرواتب الجارية للعلماء³.

أما التمويل التطوعي فهو ما يكون من طرف الميسورين وذي الإحسان الذين ينفقون من أموالهم في سبيل العلم وأهله على العلماء وطلبة العلم ، فقد ذكر ابن الخطيب في ترجمته لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي قوله(خرج به أبوه عند تغلب العدو عليها - الأندلس- عام ثلاثة وأربعين وستمائة ، ولأبيه إذ ذاك إثراء وجدة أعانته على طلب العلم ، وإرفاد من أحوجته الأزمة في ذلك الزمان من جالية العلماء عن قرطبة واشبيلية)⁴.

ثالثا- الرُّبُط⁵ ذات الوظيفة التعليمية:

1- عبد الرحمن الناصر الأموي: هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأموي سلطان الأندلس المدعو أمير المؤمنين الناصر لدين الله أبو المطرف الأموي المرواني ولي الخلافة بعد جده سنة 300 هـ / 912 م ، كان شهما صارما تلقب بإمارة المسلمين بعد أن ضعفت الخلافة العباسية بالعراق وظهور الشيعة العبيدية بالقيروان ، بسط سلطته على المملكة كلها ، بنى مدينة الزهراء سنة 325 هـ / 936 م ، ملك خمسين سنة ونصفا ، توفي سنة 350 هـ / 361 م . أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد المعروف بابن عبد ربه: العقد الفريد ، دار الكتب العلمية ، ط 1، بيروت ، 1404 هـ ، ج 5 ، ص 239-240. عبد الرحمن بن محمد بن محمد المشهور بابن خلدون الحضرمي الإشبيلي : ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تحقيق خليل شحادة ، دار الفكر العربي، ط 2، بيروت ، 1408 هـ / 1988 م ، ج 4 ، ص 156 . شهاب الدين أحمد بن محمد بن يحيى أبو العباس المقرئ التلمساني : أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، تحقيق مصطفى السقا وآخران ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، 1358 هـ / 1939 م ، ج 2، ص 257-258 . شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، دار كلمات عربية للترجمة والنشر ، القاهرة ، 2012 ، ص 166-167.

2- المقرئ: نفع الطيب ج4، ص220.

3 - إبراهيم علي العكش : المرجع السابق ، ص 53 .

4- لسان الدين ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ، ج 1 ، ص 72.

5 - الربط التي سنذكرها في هذا الفصل هي الربط ذات الأغراض التعبدية والثقافية لذلك سنتعرض لها بالحديث في هذا الموضوع من حيث غرضها التعليمي والثقافي ، وما أُرصد لها من جرايات من أصحاب البر والإحسان على هذا الاعتبار.

ويبدو أن معنى الرباط لم يستقر على مفهوم واحد¹، ففي صدر الإسلام كان يعني القاعدة العسكرية التي ترابط على تخوم الدولة الإسلامية المجاورة للعدو الذي يخشى أن يُغيّر على ثغور الدولة، وجنود هذا الرباط يكونون في الغالب من المتطوعة وربما يكون فيهم حتى العلماء للرباط في سبيل الله إذا استنفروا للحرب، دون أن يكون لهم أجر مقابل مرابطتهم إنما ابتغاء وجه الله ويلتزمون الرباط مع عائلتهم مع التزام العبادة والطاعة ويطلق على هؤلاء اسم المرابطة أو المرابطين².

ومهما يكن من أمر فإن الوصف الذي يهنا في هذه الدراسة عن الربط هو الحديث عنها حينما صارت مسكناً للصوفية، وكونها كانت مراكز علمية فقد كانت الربط والخانقاوات تعمل جنباً إلى جنب مع المدارس بعد نشأتها في تقديم الخدمات للطلبة من حيث الإيواء ورعاية شؤونهم، لذلك فقد كانت الربط والخوانق تجاور المدارس والجوامع، ويسكنها الطلاب والعلماء³.

ويتولى العمل بالرباط الشيخ ممن يعرف بالتصوف والزهد الذي يعتبر الرئيس الأعلى به الذي يعينه مُنشأ الرباط، ويشرف عليه ويدرب المريدين، و الخادم ومهمته القيام على نظافة الرباط وتقديم الخدمات اللازمة للمقيمين به⁴.

لذلك فالرُّبُط لم تكن تقتصر على العبادة فقط بل كانت محلاً للتعليم والتدريس ونشر العلم أيضاً فقد كان وأبو الفتح بن أبي النجم (ت: 620 هـ / 1223 م) الذي كان يُدرس الأدب في رباط الشيخ صدقة⁵. ومحمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى الوشاء (ت: 685 هـ / 1286 م)⁶ يُدرّس بالرباط الناصري بدمشق⁷.

¹ - ينقل المقرئ في الخطط عن الفارسي وغيره أن أصل الرباط ما تربط فيه الخيول، ثم قيل لكل ثغر يدفع أهله عن وراءهم رباط، فالمجاهد المرابط يدفع عن وراءه، والمقيم في الرباط على طاعة الله يدفع بدعائه البلاء عن العباد والبلاد. المقرئ: الخطط، ج 4، ص 302.

² - الشيخ طه الولي: المرجع السابق، ص 105.

³ - يحيى محمود ساعاتي: الوقف وبنية المكتبة العربية استبطان للموروث الثقافي، مطبعة الفرزدق، الرياض، ط 1، 1986، ص 108.

⁴ - عبد الله بن ناصر بن سليمان الحارثي: المرجع السابق، ص 477.

⁵ - عبد الله بن ناصر بن سليمان الحارثي: المرجع السابق، ص 68.

⁶ - هو أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى الوشاء النحوي، كان من أهل الأدب، حسن التصنيف، إخبارياً، أخذ عن المبرد وغيره، كان نحويًا معلماً في الكتاب لتعليم العامة، له عدة مؤلفات منها الجامع في النحو، والمختصر فيه، المقصور والممدود، المذكر والمؤنث، الفرق، خلق الإنسان وغيرها من المؤلفات. السيوطي: بغية الوعاة، ج 1، ص 18.

⁷ - السيوطي: بغية الوعاة، ج 1، ص 18. سعيد الديوه جي: التربية والتعليم في الإسلام، ص 68.

كما بنى فخر الدين عمر بن إسحاق الدورقي رباطا بواسطة وأسكن به جماعة من الفقراء وجعل لهم من يعلمهم القرآن والحديث الشريف¹.

ومن أشهر الرباط التي كانت تؤدي أغراضا تعليمية إلى جانب العبادة التي أنشأها ذوو الشأن في الدولة وأجروا عليها الأموال هي:

رباط المأمونية وقد كان من الأربطة ذات الوظيفة التعبدية والتعليمية، الذي أنشأته السيدة زمرد خاتون والدة الخليفة الناصر وينسب إليها²، وقد افتتح سنة 579 هـ/1183م وقد كان له جريات على شيخ الرباط والمقيمين به من المتعبدين والمتعلمين إلا أنه لم تُعرف طبيعة هذه الجريات³.

وقد زود هذا الرباط بمختلف أصناف الكتب القيمة التي كان يقصدها أهل العلم للمناظرة والبحث، ومما احتوته خزائنه من المصنفات المهمة "كتاب الفنون" لابن عقيل البغدادي⁴ (ت: 513 هـ / 1119 م) الذي طالع منه سبط ابن الجوزي في هذا الرباط نحو من سبعين مجلدا⁵.

ورباط دار الفلك الذي أسسه الخليفة الناصر، واتخذة للنساء المتصوفات، وكانت مشيخته لست الخدور بنت علي الرضا بن علي الحسني، وقد شهد هذا الرباط نشاطا علميا إلى جانب

¹ - سعيد الديوه جي : التربية والتعليم في الإسلام ، ص 68.

² - مصطفى جواد وأحمد سوسة: المرجع السابق ، ص 252.

³ - عبد الحسين مهدي الرحيم :الخدمات العامة في بغداد(400-656هـ/1009-1258م)، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، 1978، ص 35.

⁴ - ابن عقيل البغدادي: هو أبو الوفاء الإمام البغدادي الظفري الحنبلي المقرئ علي بن عقيل بن محمد شيخ الحنابلة ببغداد ، ولد سنة 430 هـ/1038 م ، قرأ القرآن وسمع الحديث وتعلم الفقه والأدب والفرائض والوعظ والأصول وكان يجتمع بجميع العلماء من كل مذهب ، برز على أقرانه في فنون كثيرة ، فكان إماما ورعا وفقهيا مبرزاً ومناظراً جيداً، حسن العشرة مأمون الصحبة، قال الذهبي في ميزان الاعتدال : خالف السلف ووافق المعتزلة في بعض البدع. صنف كتابا كبيرا في أربعمئة مجلد سماه "كتاب الفنون" وكتبا في الفقه سماه "الفصول" في عشرة مجلدات ، كما صنف في علوم شتى ، وقد جاوز الثمانين وكانت وفاته يوما مشهودا ، ودفن قريبا من قبر الإمام أحمد في الثاني من جمادى الأولى سنة 513 هـ / 1119 م. أبو الحسن محمد بن القاضي بن يعلى محمد بن الحسين بن الفراء: طبقات الحنابلة ، صححه وعلق عليه أحمد عبيد ، المكتبة العربية ، ط1، دمشق ، 1350 هـ ، ص 413. ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر ، الجزيرة ، 1988 ، ص 700. الذهبي : معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق طيار آلتى قولاج ، استانبول ، 1995، ج 1 ، ص 900-901. الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، 1995، ص 176. ابن رجب: الذيل على طبقات الحنابلة ، ج1، ص 316. شمس الدين بن الجزري : غاية النهاية ، ج1، ص 492 . أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: لسان الميزان ، عني بنشره سلمان عبد الفتاح أبو غدة ، دار البشائر ، ط1، بيروت ، 2002، ج 5 ، ص 563.

⁵ - محمد عبد العظيم أبو النصر: المرجع السابق ، ص 54.

وظيفته التعبدية ، وهو من الأربطة التي أرصدت لها جرايات من الخليفة الناصر إلا أننا لم نقف على طبيعتها ومقدارها في المصادر¹.

و رباط دار الحريم الظاهري الذي يعد كذلك من الأربطة التي كان لها دور تعليمي إلى جانب دورها التعبدية ، قال عنه ابن الأثير (هو من أحسن الربط ونقل إليه كتباً كثيرة من أحسن الكتب) ، وقد أوقفت هذه الكتب على الرباط ، وأسندت مشيخته إلى الشيخ عبد العزيز بن دلف الخازن الناسخ سنة 635 هـ/1237 م الذي قام بفهرسة هذه الكتب وتنظيمها². وقد حظي بعناية الخليفة الناصر حيث كان يتعهد أحوال المقيمين به بنفسه ، وأجرى عليهم قوت يومهم من الطعام عدا الأموال التي أرصدت لهم كل شهر³.

ورباط دار الروم الذي أنشأه الخليفة المستنصر بالله (623-649 هـ/1226-1251م) سنة 626 هـ/1229م⁴ ، وجعل مشيخته للشيخ أبا صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر⁵ (ت 633 هـ/ 1235 م)⁶، وقد كان مقدما عنده ، فكان يدير شؤون الأوقاف العامة

المدارس الشافعية والحنفية وجامع السلطان وابن المطلب، فكان يولي ويعزل في جميع المدارس حتى النظامية ، ثم عزل من القضاء، وبعد عزله اهتم بالتدريس والإفتاء، وكان يحضر المجالس الكبار ، وأجرى عليه المستنصر وعلى من معه من ساكني الرباط أموالاً جزيلة⁷، والنشاط العلمي الذي قام نصر بن عبد الرزاق ببيان أن هذا الرباط من الأربطة المتعددة الأغراض التعبدية أو التعليمية، كما اتخذ لإقامة بعض الفقراء وأصحاب الحاجات .

1- عبد الحسين مهدي الرحيم : المرجع السابق، ص36.

2- محمد عبد العظيم أبو النصر: المرجع السابق، ص54.

3- نفسه، ص36.

4- عبد الحسين مهدي الرحيم: المرجع السابق، ص37.

5- ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص 16.

6- هو أبو صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلي البغدادي ولد سنة 564 هـ/1168 م ، ولاء الخليفة الظاهر قضاء الحنابلة ، ثم عزله فأقام برباط دار الروم ، كان ورعا حسن السيرة متواضعا له مصنفات في الفقه والحديث مثل "إرشاد المبتدئين " و" مجالس في الحديث" و"أربعون حديثاً"، بعد عزله من القضاء شاع أنه ادعى النسب إلى الحسين بن علي بن أبي طالب فطلب بالبينه على ذلك فعجز فاعتزل الناس حياء ، توفي سنة 633 هـ/1235 م . ابن رجب:الذيل على طبقات الحنابلة ، ج 3 ، ص 411. مجير الدين أبو اليمن العليمي المقدسي الحنبلي : المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد،تحقيق عبد القادر الأرنؤوط و إبراهيم صالح ، دار صادر، ط1،بيروت،1997، ج 4 ، ص ص 205-208.علي بن أنجب المعروف بابن الساعي البغدادي: كتاب مختصر أخبار الخفاء ، المطبعة الأميرية ، ط1 ،بولاق، 1309 هـ، ص124. الذهبي : الإعلام بوفيات الأعلام ، ص 427.

7- مجير الدين الحنبلي : المصدر السابق ، ج 4 ، ص ص 205 - 208 .

ورباط النعال البغدادي الذي ينسب لأبي الثناء محمد بن عثمان الحنبلي الزاهد¹(ت: 609 هـ / 1212 م) كان رجلا صالحا آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، وكان له مجاهدات لنفسه ، ويقع هذا الرباط بباب الأزج شرقي بغداد، ويعد من الأربطة ذات الأغراض التعليمية بالدرجة الأولى ، وقد نافس المدارس بما اختص به من نشاط علمي إلى جانب انه كان مأوى للفقراء وأهل العلم والدين والفقهاء الغرباء المقادسة والشوام الحنابلة الذين كانوا يقصدون أبا الفتح نصر بن فتيان بن المنى الفقيه الحنبلي المشهور(ت: 583 هـ / 1187 م) للتعقه عليه² ، وكان يؤثرهم ويحسن إليهم³ ويبدو أن هذا الرباط قد اختص بالفقهاء المقادسة والشوام للإقامة به⁴.

وقد كان هذا الرباط أشعث المظهر عامرا بالفقهاء والصالحين ، ومن الذين سكنوا به الشيخ موفق الدين المقدسي، والحافظ عبد الغني وأخوه الشيخ العماد ، والحافظ عبد القادر الرهاوي وغيرهم من أكابر الرحالين لطلب العلم⁵.

ويبدو أن اهتمام صاحب الرباط بالمقيمين به من أهل العلم، ومن كان يسكنه من الفقراء، وما كان يحوطهم به من العناية والرعاية قد شملتهم بما يؤمن عيشتهم من حيث المأكل وغيره، كما أن إقامة أولئك الرحالة من طلاب العلم المقادسة والشوام بالرباط فيه إشارة واضحة على أنهم وجدوا فيه ما يؤمن عيشتهم من قبيل صاحبه ومن المنفقين في هذه الشؤون في تلك الفترة حيث صارت جارية الأموال على دور العلم وأماكن التعليم وغيرها تقليدا اجتماعيا في ذلك العصر.

ورباط دار الشط الذي يعد من الرباط ذات الأغراض التعليمية والاجتماعية ، لتعليم النساء وإيواء العاجزات منهن ومن لا تجد ما تتفقه على نفسها ، وقد وقف هذا الرباط

¹ - أبو الثناء النعال : هو الشيخ الصالح الزاهد العابد أبو الثناء محمود بن عثمان بن مكارم النعال الحنبلي ، ولد ببغداد بالبدرية سنة 523 هـ / 1128 م، له عبادات ومجاهدات وسياحات ، بنى الرباط بباب الأزج يأوي إليه أهل العلم من المقادسة وغيرهم ، وكان يؤثرهم ويحسن إليهم ، وقد سمع الحديث وقرأ القرآن ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وكانت وفاته في صفر سنة 609 هـ / 1212 م وقد جاوز الثمانين ودفن برياطه. أبو شامة المقدسي الدمشقي: الذيل على الروضتين ، ص 82. الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج 22، ص 14. ابن كثير : المصدر السابق ، ج 17 ، ص 34.

² - أبو شامة المقدسي الدمشقي: الذيل على الروضتين، ص 82.

³ - ابن كثير : المصدر السابق ، ج 17 ، ص 34.

⁴ - عبد الحسين مهدي الرحيم : المرجع السابق ، ص 358 .

⁵ - مجير الدين المقدسي : الذيل على طبقات الحنابلة، ص 133.

ال خليفة المستعصم بالله العباسي(640-656 هـ/1242-1258 م) ببغداد للنساء سنة 652 هـ/1254 م، ورتبت لمشيخة الرباط إلى إحدى الأميرات العباسيات بنت الخليفة المهدي

لتعليمهن وإرشادهن والإنفاق عليهن وتأمين أرزاقهن¹.

رابعاً- الخوانق ذات الوظيفة التعليمية:

الخانقاوات والخوانق جمع خانقاه ويقال الخانكاه وهي كلمة فارسية معناها بيت، وقيل أصل خانكاه خونقاه أي الموضع الذي يأكل فيه الملك²، وجعلت الخوانق أماكن يختلي فيها الصوفية³ للعبادة والتقشف والهدوء والبعد عن الناس وكثيراً ما ينزلها العلماء والوزراء والمتزهدون⁴، لكنها عادة ما تكون مراكز يختلي فيها الصوفية للعبادة والعلم⁵، وغالباً ما يكون منشأ هذه الدور من المبرات الخيرية التي يقوم بها السلاطين أو الأمراء أو الميسورون⁶.

وقد كان للخوانق إلى جانب وظيفتها التعبدية وظيفة تعليمية لذلك فقد كان الخانقاه يشتمل على مسجد وضريح وأحياناً على مدرسة وكتاب، وأن مسقط الخانقاه المعماري إذا ما قورن بمسقط المدرسة كان مشابهاً له في كثير من الأحيان⁷.

ويظهر أن الخوانق قد ظهرت أوائل القرن الخامس الهجري¹، و يقول المقرئ أن الخوانق (حدثت في الإسلام في حدود الأربعمئة من سني الهجرة لتخلي الصوفية فيها لعبادة الله تعالى)².

1 - سعيد الديوه جي: التربية والتعليم في الإسلام، ص69.

2-المقرئ: الخطط، ج4، ص280.

3- الصوفية: أطلق على الحافظين لقلوبهم عن طوارق الغفلة، واشتهر هذا الاسم قبل المائتين من الهجرة، وغلبت هذه التسمية على هذه الطائفة، فيقال رجل صوفي والجماعة الصوفية، ومن يتوصل إلى ذلك يقال له متصوف والجماعة المتصوفة، وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق والأظهر أنه لقب، أما نسبة الصوفية إلى لبس الصوف فإنهم لم يختصوا بلبس الصوف، و قال السهروردي في الغرر نسبة إلى صفة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنسبة هنا لا تصح على نحو الصوفي، ومن قال من الصفاء فالاشتقاق بعيد، وكذلك إن قيل أنه من الصف كونهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة مع الله لا تصح هذه النسبة في اللغة، ثم إن هذه الطائفة أشهر من يحتاج في تعيينهم إلى قياس لفظ واشتقاق.محب الدين الطبري السهروردي: المصدر السابق، الورقة 28 ظ. المقرئ: الخطط، ج4، ص281.

4-الشيخ طه الوالي:المساجد في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، (د، ط)، ص89.

5-عبد الله عبد الرزاق مسعود السعيد: الإسلام ومؤسساته التعليمية، دار عماد للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2000، ص84.

6- مصطفى محمد متولي: المرجع السابق، ص205.

7- قصي الحسين: المرجع السابق، ص33.

وقد انتشرت الخوانق ببلاد فارس وبلاد الشام ومصر ، ويتسع خانقاه لعدد كبير من المقيمين به قد يصل إلى أربعمئة رجل من الملتزمين بإحدى الطرق الصوفية³ والخوانق كان لها دور بارز في الحركة التعليمية في الحضارة الإسلامية كغيرها من المراكز التعليمية الأخرى التي شهدتها العالم الإسلامي عبر عصور الإسلام ، لذلك تعد الخوانق من المؤسسات الدينية الإسلامية كونها تقوم بأدوار مختلفة دينية وثقافية واجتماعية فقد كانت تدرس بها المذاهب الفقهية والحديث النبوي الشريف ، والقراءات والتصوف⁴ وغيرها من العلوم⁵.

ويبدو أن العلوم التي كانت تدرس في خوانق الصوفية ترتبط بالعلوم التي تساعد المتصوفين على التعمق في فهم التصوف ، والذي يتولى أمر الخانقاه يعرف بشيخ الخانقاه الذي يعين عادة من العلماء الذين يعرفون بالتصوف ويدعا بشيخ الشيوخ⁶. وقد اشتملت الخوانق على مساكن لمبيت الفقراء والصوفية ، و كانت تؤدي فيها الصلوات وتقام فيها الأوراد والأذكار ، وكانت تلقى بها دروساً في الفقه والدين والعربية والتصوف

¹- ويرى بعض الباحثين أن الخوانق قد ظهرت قبل هذه الفترة ، وقد ظهرت قبل ظهور الصوفية ، حيث يرون أن أبا الخير فهد بن جابر الطائي (ت: 225هـ/836 م) تنقل في ديار الشام والتقى بالرهبان و هو في سن الخمسين من عمره واعتزل الناس في جوار دمشق ، وصنف كتاباً سماه (العروج في درج الجمال والخروج من درك الضلال)، كما أورد المقدسي أنه قد لقي في جبل الجولان أبا إسحاق البلوطي ومعه أربعين رجلاً يقتاتون البلوط بعد أن يخلطوه بالشعير البري ويطحنوه ويلبسون الصوف ، ويضيف في حديثه عن الكرامية أنهم أصحاب محمد بن كرام، وأنهم أنشأوا عدداً من الخوانق بإيران وبلاد ما وراء النهر، كما كانت لهم خوانق ببيت المقدس والفسطاط و خوانق كثيرة بالمغرب أحصاها بنحو سبعمائة خانقاه. أبو عبد الله المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص 179، 182 ، 202 ، 238 ، 323 ، 365.

²-المقريزي: الخطط ، ج4 ، 280.

³-عبد الله بن ناصر بن سليمان الحارثي:الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس والسابع للهجرة ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، الدار العربية للموسوعات، بيروت ، ط1، 2007، ص476.

⁴ - الذي صار علماً يدرس بعد أن جنح إلى الفكر والتأمل وظهرت المقامات والاصطلاحات الصوفية ، وأخذ في تدوين الكتب التي تعنى بشرحه وبيان حقائقه ورجاله.محمد علي بن الصديق :إطالة على التصوف المغربي وتاريخه، مجلة دعوة الحق ،السنة الثانية والخمسون العدد285 ، محرم 1412هـ/غشت 1991م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب، ص65.

⁵- عبد الله عبد الرازق مسعود السعيد: المرجع السابق، ص84.

⁶-مصطفى محمد متولي: المرجع السابق، ص205.

والحديث ، وكانت تشتمل على خزائن للكتب والمصاحف القرآنية ، وبعض الخوانق كانت توفر حاجات الطلاب من الأكل والشرب ، والدواء ، وغيرها من الاحتياجات¹.
ومن أشهر الخوانق التي كان لها دور بارز في التربية والتعليم خانقاه سعيد السعداء² التي خصصها صلاح الدين³ لفقراء الصوفية الوافدين من بلاد الشام والجنوب إلى مصر من أجل التحصيل الديني والمعرفي⁴ وجعل لهم بستانا و قيسارية بالقاهرة سنة 569 هـ/1173 م لنفقات الخدمة من مأكّل ومشرب وغيره⁵ ، وقد اتخذت بعض الخوانق للرعاية الاجتماعية لتعليم النساء وإيوئهن⁶.
وأول من اتخذ للمتفرغين للعبادة دورا خاصة بهم وأجرى عليها الجرايات كان على عهد سيدنا عثمان رضي الله تعالى عنه وهو زيد بن صوحان بن صبرة ، حيث أنه عمد إلى رجال من أهل البصرة قد تفرغوا للعبادة طوال اليوم⁷ وليس لهم من أسباب الرزق شيء ، فبنى لهم دورا وأسكنهم فيها وجعل لهم ما يقوم بمصالحهم من مطعم وملبس ومشرب وغيره⁸.

خامسا - دور القرآن الكريم والحديث النبوي.

أ- دور القرآن الكريم:

-
- ¹ - عبد الله عبد الدائم : التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين ، دار العلم للملايين، ط2 ، 1979 م ، ص160 . عبد المهدي : المرجع السابق ، ص78 .
- ² - يذكر المقرئ أن هذا الخانقاه كانت دارا تعرف في الدولة الفاطمية بدار سعيد السعداء وهو الأستاذ قنبر ويقال عنبر وينقل عن ابن ميسر أن اسمه بيان ولقبه سعيد السعداء أحد خدام القصر عتيق الخليفة المستنصر قتل سنة 544هـ/ 1149 م، وبعد أن حكم الناصر صلاح الدين مصر جعل من هذه الدار مقاما لفقراء من الصوفية القادمين من البلاد الشاسعة ووقفها عليهم سنة 599هـ/ 1202 م. المقرئ : الخطط ، ج4 ، ص282.
- ³ - صلاح الدين الأيوبي: هو يوسف بن مروان بن شاذي الكردي الدواني ، السلطان الملك الناصر صلاح الدين ، أبو المظفر ، هو أول ملوك الأكراد ،تسلطن في عاشر محرم سنة 564 هـ / 1168 م ، وتولى على مصر وأنهى حكم الفاطميين سنة 567 هـ/ 1171 م ، فتح بيت المقدس سنة 583 هـ / 1187 م، بنى قلعة الجبل ، والصور الأعظم بمصر حول القاهرة ، توفي سنة 589 هـ/ 1193 م. عبد الباسط بن خليل بن شاهين الملطي: نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، ط1، 1987، ص51-52.
- ⁴ - قصي الحسين: المرجع السابق ، ص32.
- ⁵ - مصطفى محمد متولي: المرجع السابق، ص205.
- ⁶ - سعيد الديوه جي: التربية والتعليم في الإسلام ، ص69.
- ⁷ - قصي الحسين: ، المرجع السابق ، ص32.
- ⁸ - الشيخ طه الولي: المرجع السابق، ص89.

ودور القرآن الكريم التي أنشأها المسلمون كانت بغرض تدريس القرآن الكريم والقراءات وما يتعلق بها من علوم، وسميت بدار القرآن تيمنا بدار الأرقم بن أبي الأرقم التي كان يجتمع فيها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويعلمهم القرآن الكريم¹.

وظل المسجد المكان الأول لتدريس القرآن الكريم والعلوم المرتبطة به حتى بعد ظهور المدارس و دور القرآن الكريم ، وبظهور المدارس كمؤسسات تعليمية نظامية تقوم بتدريس علوم القرآن المختلفة ألحقت بها بعض الدور لتدريس علوم القرآن المختلفة مثل المدرسة الفاضلية في القاهرة التي تولى فيها أبو محمد الشاطبي الرعيني الضرير (ت 590 هـ / 1103 م) منصب شيخ الإقراء². كما ألحقت بالمدرسة المستنصرية³ ببغداد دارا للقرآن الكريم⁴.

كما اتخذت أقسام خاصة بتدريس القرآن الكريم وعلومه بالمدرسة المقدمية والزنجبيلية ومدرسة ابن المنجا ومدرسة الشيخ أبي عمر بدمشق⁵.

وتعد دار القرآن الرشائية⁶ أقدم دار للقرآن الكريم التي أنشأها رشأ بن نظيف بن ما شاء الله أبو الحسن الدمشقي في حدود سنة 400 هـ / 1009 م⁷.

كما اشتهرت ببغداد دار القرآن أنشأتها جارية المستعصم سنة 652 هـ / 1254 م المعروفة بالبشيرية⁸.

1 - نفسه ، ص 66.

2- ابن الخير الجزري: غاية النهاية ، ج1، ص21-22.

3- المستنصرية: عرفت هذه المدرسة بالمستنصرية باسم بانيتها المستنصر بالله أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي الذي دامت خلافته من سنة (623-640 هـ / 1226-1242 م) ، وتسمية المدارس في العصور الإسلامية بأسماء مؤسسيها كان أمرا شائعا كالمدارس النظامية التي أسسها الوزير نظام الملك لذلك تعرف بالنظاميات. كوركيس عواد و مصطفى جواد: المدرسة المستنصرية أول جامعة في العالمين العربي و الإسلامي، دار الوراق للنشر المحدودة ، بيروت ، ط1، 2008، ص14.

4- الأشرف الغساني: المصدر السابق، ص459. ابن كثير : المصدر السابق ، ج17 ، ص 213.

5- ابن الجزري: غاية النهاية ، ج1 ، ص 49 و 53.

6- الرشائية: دار للقرآن الكريم أنشأها رشأ بن نظيف بن ما شاء الله أبو الحسن الدمشقي في حدود سنة 400 هـ / 1009 م ، قال الصفدي في كتابه (الوافي بالوفيات) في تراجم حرف الراء: رشأ بن نظيف بن ما شاء الله أبو الحسن الدمشقي المقرئ قرأ بحرف ابن عامر على أبي الحسن بن داود الداراني وله دار موقوفة على القراء توفي رحمه الله تعالى سنة 444 هـ / 1052 م. الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج14 ، ص 82. النعيمي: المصدر السابق ، ج1، ص9.

7- النعيمي : المصدر السابق ، ج1، ص9.

8- الأشرف الغساني: المصدر السابق ، ص602.

أما بالأندلس فيروي ابن عذارى أن الحكم المستنصر (350-366 هـ/ 961-976 م) قد اتخذ المؤدبين ليعلموا أولاد الضعفاء والمساكين القرآن وأنشأ لذلك حول المسجد الجامع وفي أرياض قرطبة سبعة وعشرين مكتبا¹.

وغيرها من الدور التي أنشأت لهذا الغرض ، وقد اقتصر ذكرنا لهذه الدور على التي أوردت المصادر ذكرا عما أجري لها من الأموال وما رتب لها من الخدمة .

الجريات على دور القرآن الكريم:

ورد في العسجد المسبوك أن شيخ دار القرآن الملحقة بالمستنصرية كان يجرى عليه كل يوم من الطعام خمسة أرطال من الخبز وغرفين طبيخا ، ومن النقد ثلاثة دنانير في كل شهر ، وللمعيد أربعة أرطال خبزا وغرف طبيخا، ومن النقد دينار وعشرة قراريط في الشهر، وللصبيان ثلاثة أرطال خبز وغرف طبيخ، ومن النقد ثلاثة عشر قيراطا وحنة في كل شهر لكل صبي².

كما اشتملت دور القرآن الكريم على محلات خاصة للطلاب الذين يرتادونها وتسهيلات كما هو الشأن في المدارس ، حيث يذكر ابن بطوطة عن أهل واسط وعنايتهم بدور القرآن الكريم فقال "أكثرهم يحفظون القرآن الكريم، ويجيدون تجويده بالقراءة الصحيحة ، وإليهم يأتي أهل العراق برسم تجويد من بها من الشيوخ...و بها مدرسة عظيمة حافلة ، فيها نحو ثلاثمائة خلوة ، ينزلها الغرباء القادمون لتعلم القرآن عمّرها الشيخ تقي الدين عبد المحسن الواسطي³، وهو من كبار أهلها وفقهائها ، ويعطي لكل متعلم بها كسوة في السنة ، ويجري له نفقة في كل يوم ، ويقعد هو وإخوانه أصحابه لتعليم القرآن في المدرسة"¹.

¹ ابن عذارى: البيان المغرب ، ج2، ص240-241.

² الأشرف الغساني: المصدر السابق، ص459.

³ تقي الدين عبد المحسن الواسطي: إبراهيم بن علي بن أحمد بن فضل الإمام القدوة تقي الدين أبو إسحاق الواسطي الصالحي الحنبلي، مسند الشام ولد سنة اثنتين وست مائة ، شيخ الحديث بالظاهرية بدمشق، وكان رجلا صالحا عابدا، تفرد بعلو الرواية، ولم يخلف بعده مثله، وقد تفقه ببغداد، ثم رحل إلى الشام، ودرس بالصاحبة مدة عشرين سنة وبمدرسة أبي عمر، وولي في آخر عمره مشيخة الحديث بالظاهرية بعد سفر الفاروثي ، وكان داعية إلى مذهب وينهى عن المنكر، وكان من خيار عباد الله تعالى، وقد درس بعده بالصاحبة الشيخ شمس الدين محمد بن عبد القوي المرادوي ، ودار الحديث الظاهرية شرف الدين عمر بن خوجا إمام الجامع المعروف بالناصح ، توفي سنة 692 هـ/

أما بالأندلس فيروي ابن عذارى أن الحكم المستنصر لما أنشأ مكاتب تعليم القرآن حول المسجد الجامع وفي أرباض قرطبة أجرى عليهم المرتبات وعهد إليهم بالاجتهاد والنصح ابتغاء وجه الله العظيم².

ب- دور الحديث النبوي:

أول دار حديث شيدت في الإسلام هي الدار التي شيدها نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي بدمشق ووقف عليها وعلى المنتسبين إليه الوقوف الكثيرة تصرف عوائدها المالية على مرافق الدار وما يلزم من الخدمة على طلبتها³.

ثم انتشرت هذه الدور عبر ربوع البلاد حتى صار في بعضها عشرات الدور،

وكان

يدرس بهذه الدور الحديث النبوي الشريف وما يتعلق به شيخ الحديث⁴.

وقد تنشأ دار الحديث من أصحاب الأوقاف في بناية مستقلة تتخذ منها غرف لطلاب الحديث الشريف وتقدم لهم وللشيخ الذي يأخذون عنه خدمات من الأوقاف المرصودة لذلك، أو تكون هذه الدور بأحد الجوامع الكبيرة، أو تكون في جناح خاص في إحدى المدارس مثلما كان عليه الحال بالمدرسة المستنصرية ببغداد وغيرها⁵.

دار الحديث الأشرفية:

وكانت جوار باب القلعة الشرقي غربي العسرونية وشمالي القيمازية الحنفية وكانت دار الحديث الأشرفية دارا لهذا الأمير يعني صارم الدين قايماز بن عبد الله النجمي واقف القيمازية، كان له بها حمام فاشترى ذلك الملك الأشرف مظفر الدين موسى العادل وبناه دار حديث وأخرب الحمام وبناها سكنا للشيخ المدرس بها، وكانت بداية تأسيس هذه

1292 م. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج 6، ص44. ابن كثير: المصدر السابق، ج17، ص661. ابن تغري بردي: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د،ط)، (د،ت)، ج1، ص122.

¹ - ابن بطوطة: المصدر السابق، ج2، ص9.

² - ابن عذارى: المصدر السابق، ج2، ص240.

³ - ابن الأثير: الباهر، ص173.

⁴ - ابن الأثير: الباهر، ص172.

⁵ - سعيد الديوه جي: التربية والتعليم في الإسلام، ص67-68.

الدار سنة 628 هـ/1230 م، وفتحت بعد سنتين ، وكان شيخها تقي الدين بن الصلاح ، ووقف عليها الملك الأشرف الأوقاف¹.

دار الحديث الأشرفية البرانية:

ومقرها على سفح جبل قاسيون على حافة نهر يزيد شرقي المدرسة المرشدية الحنفية وغربي الأتابكية الشافعية بناها الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن العادل الذي بنى دار الحديث الأشرفية السابق ذكرها ، بناها للحافظ جمال الدين عبد الله بن تقي الدين عبد الغني المقدسي² وجعله شيخا لها ، وقرر له جارية من المال فمات قبل انتهاء بنائها ودفن بالسفح³.

دار الحديث الشقيقة:

تنسب إلى صاحبها ابن الشقيقة المحدث نجيب الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي العز مظفر بن عقيل الشيباني الدمشقي الصفار الشاهد⁴ ، وقف داره دار حديث بعد وفاته⁵.

دار الحديث العروية:

¹ - النعيمي: المصدر السابق ، ج1، ص15.

² - هو عبد الله بن عبد الغني بن علي بن سرور المقدسي ثم الدمشقي الحافظ بن الحافظ جمال الدين، ولد سنة 581 هـ/ 1185 م ، سمع بدمشق من عبد الرحمن علي الخرقى و الخشوعي وغيرهما ، وبغداد من ابن كليب وابن المعطوش ، و باصبهان من أبي المكارم بن اللبان وخلق آخرين، وبمصر من أبي عبد الله الأرتاجي ، وكتب بخطه وصنف وأفاد ، وقرأ القراءات على عمه العماد والفقهاء على الشيخ موفق الدين والعربية على أبي البقاء العكبري، كان عالما في وقته في الحفظ والمعرفة والأمانة ، وكان كثير الفضل وافر العقل متواضعا مهيبا جوادا سخيا ، توفي سنة 629 هـ/1231 م.الذهبي:سير أعلام النبلاء، ج22، 317.النعيمي:المصدر السابق، ج1، ص37.ابن العماد :شذرات الذهب، ج7، ص230.

³ - النعيمي: المصدر السابق ، ج1 ، ص36.

⁴ - هو المحدث نجيب الدين أبو الفتح نصر الله بن أبي العز مظفر بن عقيل الشيباني الدمشقي الصفار الشاهد ، ولد بعد سنة 580 هـ / 1184 م ، سمع من ابن طبرزد وغيره كثير، وروى مسند أحمد ، وكان أدبيا ظريفا ، رماه أبو شامة بالكذب ورقة الدين فقال بأنه كان مشهورا بالكذب ، وهو أحد الشهود المقدوح فيهم ، ولم يكن بحال يؤخذ عنه ، وقال أجلسه أحمد بن يحيى بن هبة الله الملقب بالصدر بن سني الدولة في حال ولايته قضاء القضاء بدمشق فأشدد فيه البهائم بن حوط من بحر الكامل:

جلس الشقيقة الشقي ليشهدا	بأبيكما ماذا عدا في ما بدا
هل زلزل الزلزال أم قد أخرج	الدجال أم عدم الرجال نوو الهدى
عجبا لمحلول العقيدة جاهل	بالشرع قد أدنوا له أن يعقدا

توفي سنة 657 هـ / 1258 ، وذكر الكتبي أنه توفي سنة 656 هـ/1258 م ، وأنه وقف داره بدرب البانياس دار حديث ، وتولى مشيختها الشيخ جمال الدين المزي . محمد بن شاکر الكتبي: فوات الوفيات ، دار صادر، بيروت ، (د،ط) ، ج4، ص185.

النعيمي: المصدر السابق ، ج1 ، ص60-61.

⁵ - نفسه ، ج1 ، ص60.

ومقرها مشهد ابن عروة بالجانب الشرقي من صحن الجامع الأموي¹ قال الحافظ ابن كثير في تاريخه عن سنة 620 هـ/1223 م ابن عروة شرف الدين بن محمد بن عروة الموصلية المنسوب إليه مشهد ابن عروة بالجامع الأموي لأنه أول من فتحه و بنى فيه البركة ووقف على الحديث دروساً، ووقف خزائن كتبه فيه².

مما سبق عرضه يتضح أن المؤسسات التعليمية الأولى التي كانت تؤدي وظيفة التعليم والتثقيف قبل أن تنشأ المدارس ، سواء المساجد أو الأربطة أو الخانقوات والكتّاب قد كانت محل عناية السلطة الرسمية في مختلف أمصار البلاد الإسلامية بالإتفاق عليها ببذل الأموال والمؤن وتيسير الخدمات بالقدر الذي يحقق بغية تحصيل العلم لمن يطلبه أو من يُدرّسه دون أن ينشغل بغير ذلك.

وقد كان هذا الاهتمام من طرف الخلفاء أو الرسميين من رجال الدولة كالوزراء أو الأمراء أو المنتسبين إلى هذه الفئة كنساء الخلفاء والسلطين وبناتهم وجواريتهم.

وقد حظيت هذه المؤسسات كذلك بعناية أصحاب الدثور و فضول الأموال ، وأهل اليسار ومحبي الإتفاق والتصدق وفعل الخير من الأغنياء والعلماء ، وأصحاب الثروة والمال من التجار وغيرهم الذين كان لهم حظ وافر في محاكاة السلطة الرسمية في خدمة الحركة العلمية في الحضارة الإسلامية من خلال تلك الإتفاقات التي أجروها على هذه المؤسسات في سبيل نشر العلم والتنوير ، ومن ثمّ خدمة الدين الإسلامي بالتشجيع على تعليم القرآن والحديث النبوي الشريف والعلوم الشرعية المتصلة بهما.

لذلك لعبت هذه المؤسسات دورها الحضاري في الحركة العلمية بما كانت تقدمه من خدمة لكتاب الله تعالى تحفيظاً ودراسة ، ولسنة رسوله صلّى الله عليه وسلّم من خلال تلك الأوقاف التي جعلت دوراً للقرآن الكريم ودوراً للحديث النبوي في مختلف أمصار البلاد الإسلامية.

¹ - النعمي: المصدر السابق ، ج 1 ، ص 61.

² - ابن كثير: المصدر السابق ، ج 17 ، ص 122.

الفصل الثالث

البحرية على المدارس.

أولاً: مفهوم المدرسة الإسلامية.

ثانيا: نشأة المدارس الإسلامية وأسباب ودوافع نشوئها.

ثالثا: خدمات الحجريه على المدارس.

رابعا: الحجريه على العلماء.

كانت المساجد والجوامع المراكز التعليمية الأولى منذ فجر الإسلام التي تلقى فيها المسلمون مختلف العلوم الدينية والأدبية والتاريخية وغيرها، وظلت تؤدي هذا الدور الحضاري طيلة القرون الأولى من التاريخ الإسلامي إلى غاية أواخر القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي، حيث اهتدى المسلمون إلى تأسيس المدارس التعليمية في المشرق الإسلامي، ومع ذلك فقد ظلت المساجد والجوامع تضطلع بأداء مهمتها التعليمية حتى بعد ظهور المدارس.

لذلك سنحاول البحث في أسباب ظهور المدارس ونشأتها، وقبل الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها نبحت في معنى لفظة المدرسة في اللغة والاصطلاح وارتباط هذه اللفظة بالعملية التعليمية.

أولاً: مفهوم المدرسة الإسلامية.

1- المعنى اللغوي للمدرسة:

يقول ابن منظور في لسان العرب¹: دَرَسَ الْكِتَابَ يَدْرُسُهُ دَرَسًا وَدِرَاسَةً وَدَارَسَهُ كَأَنَّهُ عَانَدُهُ حَتَّى انْقَادَ لِحَفْظِهِ، وَقِيلَ دَارَسَتْ: قَرَأَتْ كَتَبَ أَهْلُ الْكِتَابِ، وَدَارَسَتْ ذَاكِرْتَهُمْ، قَالَ: وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ (وَكَذَلِكَ نُنْصِرُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ)²، قَالَ مَعْنَاهُ وَكَذَلِكَ نَبِّينَ لَهُمُ الْآيَاتِ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا وَلَكِي يَقُولُوا إِنَّكَ دَرَسْتَ أَي تَعَلَّمْتَ، أَي هَذَا الَّذِي جِئْتَ بِهِ عَلَّمْتَ، وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَجَاهِدٌ: دَارَسَتْ وَفَسَّرَهَا قَرَأَتْ عَلَى الْيَهُودِ وَقَرَأُوا عَلَيْكَ، وَقَرَأَ: وَيَقُولُوا دَرَسْتَ أَي قَرَأْتَ وَتَلَيْتَ، وَدَرَسْتُ الْكِتَابَ أَدْرَسُهُ دَرَسًا أَي ذَلَّلْتَهُ بِكَثْرَةِ الْقِرَاءَةِ حَتَّى خَفَّ حِفْظُهُ عَلَيَّ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ كَعْبِ بْنِ زَهِيرٍ:

وَفِي الْحُكْمِ أَذْهَانٌ وَفِي الْعَفْوِ دِرَاسَةٌ وَفِي الصِّدْقِ مَنَاجَاةٌ مِنَ الشَّرِّ فَاصْذُقْ

ويظهر أن لفظ المدرسة هو لفظ مشتق في لغة العرب، فقد ورد في قولهم (هذه مدرسة النعم) أي طريق النعم³، واللفظ (دَرَسَ) له عدة معانٍ، فقد يرد بمعنى

¹ - المصدر السابق، ج6، ص 79.

² - سورة الأنعام الآية 105.

³ - أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق محمود باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1 بيروت، 1998، ج1، ص284.

قرأ ما ورد في القرآن الكريم (وَدَرَسُوا مَا فِيهِ)¹ أي قرأوا ما فيه، كما تأتي بمعنى انمى فيقال درست الآثار أي انمحت، وقد أخذ الجاهليون مصطلح (مدارس) من العبرانيين من لفظة (مدراش) medrash التي أصلها (درش) darash التي تقابل (درس) في اللغة العربية وتؤدي هذه الكلمة المعنى المفهوم من لفظة (درس) العربية تمام الأداء². ولما هاجر المسلمون إلى المدينة وجاوروا اليهود فيها رأوا ما لهم بها من "مدارس" جمع "مدراس" يعلمون فيها صبيانهم التوراة والخط العبري، ولذلك قيل في زيد: (يلعب بين صبيان اليهود في المكتب) وورد في حديث علي رضي الله عنه أنه رأى قوما قد سدلو ثيابهم وهم في الصلاة فقال (كأنهم اليهود خرجوا من فُهرهم) قال أبو عبيدة في تفسير الفُهر موضع مدراسهم الذي يجتمعون فيه كالعيد يصلون فيه ويسدلون ثيابهم، وفي رواية (خرجوا من فُهورهم) فالمدراس عندهم كالمدرسة عند المسلمين بعد نشأة المدارس، قال الزمخشري "واجتمعت اليهود في مدراسهم وهو بيت تدرس فيه التوراة" وقال ابن منظور "المدراس فهو البيت الذي يدرسون فيه"³.

فلفظ المدرسة من الألفاظ المولدة عند العرب، وأصلها مأخوذ من العبرانية أو الآرامية، مِدْرَاس أو مِدْرَس و جمعها مدارس ثم خففت فأصبحت تجمع مدارس، واشتقاق لفظة مدرسة في لغة العرب يرجع إلى القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي حيث ورد لفظها في قول دعبل الخزاعي من شعراء تلك الفترة إذ قال:

مَدَارِسُ آيَاتٍ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةٍ وَمَنْزِلٌ وَحَيٍّ مَقْفَرٍ الْعَرَصَاتِ

ولفظ مدارس في البيت الشعري تصح أن تكون جمع (مَدْرَس) و (مَدْرَسَة)⁴.

2- المعنى الاصطلاحي للمدرسة الإسلامية:

تعرف المدرسة عند الباحثين بعدة تعريفات مدارها حول الطبيعة العمرانية للمدرسة، وكذلك نمط التعليم الذي تقدمه تلك المدارس، والذين يقومون بالعملية التعليمية

¹ - سورة الأعراف الآية 169.

² - سعيد إسماعيل علي: معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986، ص 303.

³ - المصدر السابق، ج 6، ص 80.

⁴ - محمد منير سعد الدين: المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى، المكتبة العصرية، ط 1، بيروت، 1995، ص 11.

بالمدرسة، وكذلك طبيعة الجهة التي تقوم بتوفير الخدمات بالمدرسة ومن أهم هذه التعريفات هي:

أ- الأماكن التي أسست لنشر نوع خاص من المعرفة تحت إشراف الدولة التي تنفق عليها الأموال وتحبس لها الأوقاف، وتراقب التعليم فيها، وتعهد لفئة صالحة من الناس وهم المعلمون ليقوموا بتدريس المتعلمين وتثقيفهم، ويختارون وفق لوائح خاصة يضع الواقف شروطه فيها، وتقدم لهم الجرايات والأرزاق، ويجاز فيها المتعلمون بما تعلموا من ضروب المعارف النقلية والعقلية¹.

ب- وهي تلك الدور المنظمة التي يأوي إليها طلاب العلم، وتدر عليهم فيها الأرزاق، ويتولى التدريس لهم وتثقيفهم فئة صالحة من المدرسين والعلماء، ويوسع عليهم الرزق، ويختارون بحسب شروط الواقف، ممن يحسنون القيام بالغرض الذي ندبوا للقيام به، ويجازون بما تعلموا من ضروب المعارف، وكانت هيئة التدريس في الجملة لا تختلف عن هيئة المساجد².

ج- كما تعرف بأنها بنيان خيري فيه ما شابه من الدور والقصور والمساجد والربط، وتتميز دراستها عن الدراسة الكتابية والدراسة المسجدية بالتعليم العالي، والاقتصار على التدريس والتعليم، وعلى الاشمال على الوعظ المشرب بالتعليم على طريقة المساءلة والمجاوبة مشافهة أو كتابة³.

د- وهناك من الباحثين من يرى أن اسم المدرسة يطلق على المكان الذي فيه بيوت للطلبة و أرزاق، ويعتقد أن بعض المدارس لم يكن فيها بيوت إلا أنهم يرون أن المدرسة لم تطلق إلا على المكان الذي فيه بيوت للطلبة ومعالم أي مرتبات وجرايات دارة لهم ولمن يقوم بالتدريس⁴.

1 - محمد منير سعد الدين: دراسات في تاريخ التربية عند المسلمين، دار بيروت المحروسة، بيروت، 1992، ص48.

2 - أحمد أحمد بدوي: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1972، ص30.

3 - محمد منير سعد الدين: المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى، ص12.

4- ناجي معروف: تاريخ علماء المستنصرية، مؤسسة دار الشعب، ط3، القاهرة، 1986، ج1، ص187.

لذلك فمضمون هذه التعريفات أن المدرسة هي منشأة عمرانية، أسست من أجل أداء مهمة التدريس، يقصدها طلاب العلم من أجل التحصيل العلمي على أيدي أساتذة أكفاء وقد يكون أولئك الأساتذة من العلماء الأعلام، تعتمد على نظام تعليمي منظم، وتقدم خدمات مجانية للطلبة القاصدين لها وتتكفل بذلك جهات خيرية سواء كانت نظامية أو خاصة.

ومما تقدم من تعريف المدارس يتضح أن المدرسة لها شروط خاصة وأن تعريفها مستمد من البيوت المخصصة فيها لسكنى الشيوخ والفقهاء والطلبة، لذلك نلاحظ أن البناء قد عمل على مراعاة المسألة أثناء تخطيط المدارس فراعى وجود بيوت للعاملين والدارسين والمدرسين في المدرسة وجميع المرافق الأخرى¹.

ثانياً- نشأة المدارس الإسلامية وأسباب ودوافع نشوئها:

1- نشأة المدارس في الإسلام:

تعددت الآراء حول نشأة المدارس في الإسلام عند المؤرخين القدامى والباحثين المعاصرين وكذلك الدراسات الاستشراقية المهتمة بالتراث الإسلامي، فقد أورد ابن خلكان أن الوزير نظام الملك (408-485هـ/1017-1090م)² هو أول من أنشأ

¹- كامل حيدر : العمارة العربية الإسلامية، دار الفكر اللبناني، ط1، بيروت، 1995، ص26.

²- نظام الملك: هو أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الملقب بنظام الملك قوام الدين الطوسي، ولد يوم الجمعة في الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة 408هـ/1017م بنوقان إحدى مدن طوس التي فتحها عثمان بن عفان على يد عبد الله بن عامر سنة 29هـ/649م، كان من أولاد الدهاقين واشتغل بالحديث والفقاه، ثم اتصل بخدمة علي بن شاذان المعتمد عليه بمدينة بلخ، وكان يكتب له فكان يصادره في كل سنة فهرب منه وقصد دواوين ميكائيل بن سلجوق والد السلطان ألب أرسلان فظهر له منه النصح والمحبة، فسلمه إلى ولده ألب أرسلان، وقال له: اتخذه والدا ولا تخالفه فيما يشير عليك به، فلما ملك ألب أرسلان دبر أمره فأحسن التدبير، وبقي في خدمته عشر سنين فمات ألب أرسلان وازدحم أولاده على الملك، وطّد المملكة لولده ملك شاه فصار الأمر كله لنظام الملك وليس للسلطان إلا التخت والصيد، وأقام على هذا عشرين سنة، وكان مجلسه عامراً بالفقهاء والصوفية، وكان كثير الإنعام على الصوفية كان إذا سمع الأذان أمسك عن جميع ما هو فيه، بنى المدارس والربط والمساجد في البلاد، سمع نظام الملك الحديث وأسمعه وكان يقول: إني لأعلم أني لست أهلاً لذلك، ولكني أريد ربط نفسي في كتاب النقلة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويروى له من الشعر:

بعد الثمانين ليس قوة	قد ذهبت شرة الصبوة
كأنني والعصا بكفي	موسى ولكن بلا نبوة
وقوس بعد طول العمر ظهري	وداستني الليالي أي دوس
فأمشي والعصا تمشي أمامي	كأن قوامها وتسر بقوس

قيل أنه قتل على يد غلام طعنا بالخنجر، وقيل أن السلطان دس عليه من قتله بعد أن سئم طول حياته واستكثر ما بيده من الاقطاعات، وقيل أنه قتل بسبب تاج الملك أبي الغنائم المرزيان بن خسرو فيروز المعروف بابن دارست، فإنه كان عدو نظام الملك وكان كبير المنزلة عند مخدومه ملك شاه، فلما قتل رتبته موضعه في الوزارة، ثم أن غلمان نظام الملك وثبوا عليه فقتلوه

المدارس فاقتدى به الناس¹ إلى جانب الربط والمساجد التي بناها فتعددت مدارسه المعروفة بالنظاميات في بغداد، وبلخ، ونيسابور، وهراة ، وأصبهان ، والبصرة ، ومرو، آمل² ، والموصل³. وليس هذا بصحيح لأن المدارس قد شيدت في القرن الرابع الهجري قبل أن يولد نظام الملك، إلا أن نظام الملك كان له الفضل في إنشاء المدارس الكثيرة وتقرير المعاليم- الجرايات- فيها فعرفت بالنظاميات⁴.

ومن الشواهد الدالة على نشأة المدارس قبل المدارس النظامية التي شيدها نظام الملك:
1- ما ذكره المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم قال: (فقد تقهّهُ وتادّبهُ وتزهّدُ وتعبدتُ وفقهتُ وأدبْتُ وخطبتُ على المنابر وأذنت على المنائر وأقمت في المساجد ونكّرت في الجوامع واختلفت إلى المدارس)⁵ ، فالمقدسي من أهل القرن الرابع ، توفي سنة 378 هـ/988 م والمدارس كانت معروفة في زمنه ، كما قال أيضا في وصف مدينة الري (الري بلد جليل.. و به مجالس ومدارس)⁶.

2- ووصف مدينة أيرانشهر فقال: (أيرانشهر هو مصر الجانب ، وقصبة نيسابور... بلد الأجلة والراسخين من الأئمة.. وأسواق فسيحة، ومجالس أليفة، ومدارس رشيقة)¹.

وقطعوه إربا إربا. وكان مقتل نظام الملك يوم الثلاثاء ثاني عشر من محرم سنة 486هـ/1092 م ، وذكر صاحب مرآة الجنان أنه في العاشر من رمضان قتل الوزير الكبير الحميد الشهير نظام الملك قوام الدين أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي، كان من جلة الوزراء أورد ذلك في حوادث السنة الخامسة والثمانين بعد المائة الرابعة ، وذكر ابن الجوزي في ترجمته أنه عاش ست وسبعون سنة رثاه شبل الدولة أبو الهيجاء مقاتل بن عطية بن مقاتل البكري وكان ختته، فإن نظام الملك قد زوجه بابنته فقال:

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة نفيسة صاغها الرحمن من شرف

عزت فلم تعرف الأيام قيمتها فردها غيرة منه إلى الصدف

السمعاني: المصدر السابق، ج8، ص263. ابن الجوزي: المنتظم، ج16، ص305. ابن خلكان: المصدر

السابق، ج2، ص128. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج33، صص 142-148. عبد الله بن أسعد اليافعي اليميني المكي: المصدر

السابق، ج4، صص 103-104.

¹ - ابن خلكان: المصدر السابق ، ج2 ، ص128.

² - آمل: بضم الميم واللام وهي اسم أكبر مدينة بطبرستان في السهل لأن طبرستان سهل وجبل وهي الإقليم الرابع منها. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص57.

³ - محمد منير سعد الدين: المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1 ، 1416 هـ / 1995 م ، ص13.

4 - سعيد الديوه جي: التربية والتعليم في الإسلام ، ص74.

5 - شمس الدين أبي عبد الله محمد المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص44.

6 - نفسه ، ص390.

3- وقال السبكي في رده على الذهبي (وشيخنا الذهبي زعم أنه-أي نظام الملك- أول من بنى المدارس² وليس كذلك فقد كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك، والمدرسة السعدية بنيسابور بناها الأمير نصر بن سبكتكين أخو السلطان محمود لما كان واليا بنيسابور ومدرسة ثالثة بنيسابور بناها أبو إسماعيل بن علي بن المثنى الأسترابادي الواعظ الصوفي شيخ الخطيب، ومدرسة رابعة بنيسابور أيضا بناها الأستاذ أبي إسحاق الأسفرايني³)⁴.

4- كما ذكر السبكي عدة مدارس شيدها أهل نيسابور منها ما كان قبل نظام الملك حين ترجم لأبي الوليد حسان بن محمد بن أحمد النيسابوري الشافعي⁵: (كان إمام أهل الحديث بخراسان ، وأزهد من رأيت من العلماء ، وأعبدهم ، وأكثرهم تقشفا، ولزوما لمدرسته وبيته)⁶.

1 - نفسه، ص315.

2 - الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج33، ص146.

3 - الأسفرايني: أبو إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الأسفرايني الأستاذ، الفقيه الشافعي المتكلم الأصولي الملقب بركن الدين ، أخذ عنه الكلام والأصول عامة شيوخ نيسابور، وأقر له أهل العراق وخراسان من الذين بلغوا حد الاجتهاد من العلماء المتبحرة في العلوم ، واستجماعه شرائط الإمامة من العربية والفقه والكلام والأصول ومعرفة الكتاب والسنة، رحل إلى العراق في طلب العلم وحصل ما لم يحصل غيره وأخذ في التصنيف الإفادة والتدريس مدة مديدة وخرج له أبو بكر بن منجويه ألف حديث ، وله تصانيف جليلة منها(جامع الحلى في أصول الدين والرد على الملحدين)في خمس مجلدات، بنيت له المدرسة المشهورة بنيسابور، توفي يوم عاشوراء سنة 418هـ/ 1027 م.السمعاني: المصدر السابق، ج4 ، ص238. أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي : تبين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري ، مطبعة التوثيق، دمشق، (د،ط) ، 1347 هـ ، ص 125. ابن خلكان : المصدر السابق ، ج1 ، ص28.ابن كثير : المصدر السابق ، ج 15 ، ص 619.

4 - السبكي:المصدر السابق، ج 4 ، ص 314.

5 - هو أبو الوليد حسان بن محمد بن أحمد بن هارون بن حسان بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص القرشي الأموي النيسابوري، ولد بعد السبعين ومائتين ، كان إمام أهل الحديث بخراسان، وأزهد العلماء ، وأعبدهم ، وأكثرهم تقشفا ولزوما لمدرسته وبيته ، وله مصنف (كتاب المستخرج على صحيح مسلم) ، توفي خامس ربيع الأول سنة تسع وأربعين وثلاثمائة بنيسابور، ذكره ابن تغري بردي في وفيات سنة 349هـ/960 م ، قال(وفيها توفي الإمام أبو الوليد حسان بن محمد الفقيه شيخ أهل الحديث والفقه بخراسان عن اثنين وثمانين سنة)وعلى ذلك يكون ميلاده سنة267هـ/880 م.ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج3 ، ص369.

6 - السبكي:المصدر السابق، ج3 ، ص226-227.

5- وذكر السبكي أيضا في طبقاته الكبرى عندما ترجم لمحمد بن عبد الله بن حمشاذ (ت 388 هـ/998 م)¹ فقال (تجنب السلاطين وأوليائهم إلى أن خرج من الدنيا وهو ملازم لمسجده ومدرسته)².

6- ومدرسة ابن حبان التميمي أبو حاتم (ت 354 هـ/965 م)³ والذي كانت داره مدرسة لأصحابه و مسكنا للغرباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والمتفهمة ولهم جريات يستنفقونها وداره فيها خزانة كتب⁴.

7- وقد ورد ذكر المدرسة في قول بديع الزمان الهمذاني (ت: 398 هـ/1007 م)⁵ في رسالته لأبن أخته (أنت ولدي ما دمت والعلم شأنك ، والمدرسة مكانك، والمحبرة حليفك ، والدفتر أليفك ، فإن قصرت ولا أخالك فغيري خالك والسلام)⁶.

8- وقد ورد في رسائل الهمذاني إشارة كذلك إلى المدرسة الصادية التي أنشأها الأمير شجاع الدولة صادر بن عبد الله في دمشق سنة 391 هـ / 1000 م⁷.

1 - بن حمشاذ:الإمام علما ودنيا نو الدعوة المجابة ولد سنة 316هـ/ 928 م،تفقه بخراسان على أبي الوليد النيسابوري وفي العراق على ابن أبي هريرة،دخل الحجاز واليمن وأدرك الأسانيد العالية،وقرأ علم الكلام،قال فيه الحاكم: الأديب الزاهد،من العلماء الزهاد المجتهدين،كان مجتهدا في العبادة،الزاهدين في الدنيا تجنب السلاطين وأوليائهم إلى أن خرج من الدنيا وهو ملازم لمسجده ومدرسته،واقصر على أوقاف لسلفه عليه قوت يوم بيوم،تخرج به جماعة من العلماء الواعظين،وظهر له من مصنفاته أكثر من ثلاث مائة كتاب مصنف،توفي يوم الجمعة الرابع والعشرين من رجب سنة 388هـ / 998 م،قال عنه الذهبي عاش اثنتين وسبعين سنة وكان من كبار الشافعية.الذهبي:تاريخ الاسلام،ج27،ص128.الصفدي:الوافي بالوفيات،ج3،ص257.السبكي: المصدر السابق،ج3، ص 179-180.

2 - السبكي: المصدر السابق ، ج3، ص180.

3 - أبو حاتم بن حبان التميمي : هو أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي البستي، إمام عصره ، صنف تصانيف لم يسبق إلى مثلها، كان من أوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ ، وكان من عقلاء الرجال ، صنف فخر له من التصنيف في الحديث ما لم يسبق إليه ، وولي القضاء بسمرقند وغيرها من المدن بخراسان ، بنى خانقاه في باغ البزازين المنسوب إليه ، مات في شوال سنة 354هـ / 956 م، ودفن ببست بقرب داره التي هي مدرسة لأصحابه ولهم فيها جريات يستنفقونها . القفطي : إنباء الرؤاة على أنبأه النخاة ، ج3، ص122-123 . السمعاني: المصدر السابق ، ج5 ، ص209-210. الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج16 ، ص 92-93. الذهبي : تذكرة الحفاظ ، ج3 ، ص 921-924 .

4 -السمعاني : المصدر السابق ، ج2 ، ص 210 . ابن العماد : شذرات الذهب ، ج1 ، ص 35.

5 - بديع الزمان الهمذاني: هو أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد أبو الفضل الهمذاني الحافظ المعروف ببديع الزمان صاحب الرسائل الرائعة والمقامات الفائقة ، كان أحد الفضلاء الفصحاء قيل أنه مات مسموما ، وروي عن موته غرائب ، ترجم له الثعالبي في يتيمة الدهر ترجمة لطيفة من أحسن وأروع ما قيل في أدب التراجم ، توفي سنة 398 هـ/1007م.الثعالبي :المصدر السابق، ج 4 ، ص ص 293-296. ابن كثير : المصدر السابق ، ج15 ، ص 253 .

6 - أبو الفضل بديع الزمان الهمذاني : رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني،مطبعة الجوائب بالأستانة العلية، ط1، الأستانة ، 1298 هـ ، ص 231 .

7 - منير سعد الدين: المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى،ص13.

9- وذكر السبكي كذلك مدرسة ابن فورك بنيسابور في ترجمته للإمام محمد بن الحسن بن فورك أبي بكر الأنصاري الأصفهاني¹ الذي توفي سنة 406هـ/ 1015 م ، ورد في الترجمة عن الحاكم بن عبد الله (فقدمنا إلى الأمير ناصر الدولة أبي الحسن محمد بن إبراهيم والتمسنا منه المراسلة في توجهه- أي ابن فورك إلى نيسابور- فبنى له الدار والمدرسة ، وأحیی الله له ببلدتنا أنواعا من العلوم)².

وعليه فمدرسة ابن فورك بنيت قبل سنة 406 هـ/ 1015 م وقبل ميلاد نظام الملك الذي كان سنة 408 هـ/ 1017 م.

10- كما ذكر ياقوت الحموي في معجم الأدياء في ترجمته لعلي بن عبد الله بن أحمد النيسابوري المعروف بابن أبي الطيب³ فقال: (وقد عمل له أبو القاسم علي بن محمد بن الحسن بن عمرو مدرسة باسمه في محلة أسفريس في رمضان سنة عشر وأربعمائة، وأثرها باق إلى الآن)⁴.

11- ومدرسة الأسفرايني(ت: 418 هـ/ 1027 م) كانت مدرسة مشهورة بنيسابور⁵.

12- وكذلك المدرسة التي بناها أبو بكر البستي (ت: 429 هـ/ 1037 م)¹ لأهل العلم على باب داره بنيسابور ووقف عليها من أمواله وكان من كبار المدرسين والمناظرين في نيسابور².

¹ -ابن فورك: هو الأستاذ أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك المتكلم الأصولي الأديب النحوي الواعظ الأصبهاني ، أقام بالعراق مدة يدرس العلم ، ثم توجه إلى الري فلم يطيل مقامه بها حتى راسله أهل نيسابور ودعوه للقدوم إليهم فارتحل إلى نيسابور، فبنى له أهلها مدرسة ودارا ، فأحیی علوما من العلوم ، له مصنفات كثيرة في أصول الفقه والدين ومعاني القرآن حوالي مائة مصنف ، كانت له مناظرات كثيرة بغزنة وهي مدينة عظيمة في تخوم الهند وخراسان ، وعند عودته سم في الطريق ودفن بالحيرة ، وكانت وفاته سنة 406هـ/ 1015 م القفطي : المصدر السابق ، ص 111-112.السبكي : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 127-135 .

² -السبكي : المصدر السابق ، ج 4 ، ص 128 .

³ - ابن أبي الطيب: هو علي بن عبد الله بن أحمد النيسابوري المعروف بابن أبي الطيب ، ولد بنيسابور، وموطنه سانزوار و بها توفي، عمل له أبو القاسم علي بن محمد بن الحسين مدرسة باسمه في محلة اسفرايين سنة 410 هـ/ 757 م وكان تلميذه ، كانت له معرفة تامة بالقرآن وتفسيره ، وله تفسير للقرآن من ثلاثين مجلدا، والتفسير الأوسط من إحدى عشرة مجلدا، والأصغر ثلاث مجلدات، ولما مات لم يوجد في خزنة كتبه إلا أربع مجلدات أحدها في الفقه والآخر أدبي ومجلدان في التاريخ، توفي سنة 458هـ/ 1065 م.الصفدي: المصدر السابق، ج 21، ص 136-137.

⁴ - ياقوت الحموي الرومي : إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأدياء ، تحقيق إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1993، 1 ، ج 4 ، ص 1781.

⁵ - ابن خلكان: المصدر السابق، ج 1 ، ص 28.

13- ومدرسة البشكي³ الإمام عبد الرحيم محمد الأديب الواعظ المتوفى سنة 453 هـ/1061 م ذكر عنه أنه كان (له مدرسة والأصحاب والأسباب والتدريس والمناظرة والنثر والنظم)⁴.

14- والمدرسة البيهقية التي أسسها الإمام البيهقي (ت: 454 هـ/1062 م)⁵ ، وذكر عن أحمد بن عبد الملك النيسابوري (ت: 470 هـ / 1077 م)⁶ أنه كان يؤذن على منارة المدرسة البيهقية احتساباً⁷.

¹ - أبو بكر البستي: هو أحمد بن محمد بن عبيد الله بن محمد أبو بكر البستي الشافعي من أئمة المذهب والمدرسين المناظرين بنيسابور ، كان من أهل العلم والثروة ، بنى لأهل العلم مدرسة على باب داره برأس سكة ووقف عليها جملة من ماله ، وقد عرف عنه بأوقافه بيكر بشتيان ، سمع الكثير بنيسابور والعراق ، أملى الحديث في دار السنة مدرسة السمعي،توفي سنة 429 هـ / 1037 م.الذهبي:تاريخ الإسلام، ج 29، ص 255.السبكي:المصدر السابق، ج 4، ص 80.

² - السبكي:المصدر السابق ، ج 4 ، ص 80.

³ - البشكي: هو عبد الرحيم بن محمد البشكي الأستاذ الامام أبو منصور بن أبي القاسم الأديب الواعظ الأصولي، من أركان أصحاب أبي عبد الله- يعني الحاكم بن عبد الله بن البيع- ، توفي في جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة. أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد الفارسي : المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989، ص 322.الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج 9 ، ص 69.

⁴ - الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج 9 ، ص 69.

⁵ - البيهقي: هو أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي أحد الحفاظ الكبار ، ولد سنة 384 هـ/994 م ، كان حجة في الإتيان والحفظ ، والفقه والتصنيف ، كان أصولياً وفقهياً ومحدثاً ، ورعا دينياً ، قال عنه الإمام الجويني : (ما من شافعي إلا وللشافعي عليه مئة إلا أحمد البيهقي فإن له على الشافعي مئة لتصانيفه في نصره مذهبه ومناقبه) ، من أشهر مصنفاته كتاب (السنن الكبير) و(نصوص الشافعي) و(السنن والآثار) وغيرها من المصنفات التي بلغت ألف جزء ، كانت وفاته بنيسابور ونقل تابوته ودفن ببيهق سنة 458 هـ/1065 م . ابن عساكر الدمشقي : تبين كذب المفترى ، ص 266-267. عبد الغافر بن محمد الفارسي : المصدر السابق، ص 103-104. إسماعيل باشا =

البغدادي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 78. أبو بكر بن هداية الله الحسيني : طبقات الشافعية ، تحقيق عادل نويهض ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ط 3 ، 1402 هـ/ 1982 م ، ص 160.السيد الشريف محمد بن جعفر الكتاني : الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ، نشر بعناية محمد المنتصر بن محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني ، دار البشائر ، بيروت ، ط 3 ، 1993 ، ص 33-34.

⁶ - أحمد بن عبد الملك النيسابوري:هو أحمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد بن عبد الصمد بن بكر، أبو صالح النيسابوري المؤذن الحافظ الصوفي محدث نيسابور، كان عليه الاعتماد في الودائع من كتب الحديث المجموعة في الخزائن الموروثة عن المشايخ الموقوفة عن أصحاب الحديث، وكان يصونها ويتعهد حفظها ويتولى أوقاف المحدثين من الحبر والورق وغير ذلك، وأذن على منارة المدرسة البيهقية سنين احتساباً ووعظ وكان يأخذ صدقات التجار والرؤساء ويوصلها إلى ذوي الحاجات وإذا فرغ جمع وصنف وأفاد وكان حافظاً ثقة دينياً خيراً كثير السماع، وكتب الكثير بخطه وعمل (تاريخ مرو) و كتب عن الخطيب وكتب عنه. ابن جوزي : المنتظم ، ج 16 ، ص 193 . أبو بكر محمد بن عبد الغني المشهور بابن نقطة : كتاب التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد النكن ، ط 1 ، الهند ، 1983 ، ج 1، ص 159. ابن الأثير : الكامل ، ج 8 ، ص 415. الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 18 ، ص 419. ابن كثير : المصدر السابق ، ج 16 ، ص 67.

⁷ - الصفدي: الوافي بالوفيات ، ج 7 ، ص 106.

15- ذكر ياقوت الحموي عند كلامه عن محمد بن إسحاق بن

علي الزوزني (ت 463 هـ / 1070 م)¹ أنه كان يسكن مدرسة السيوري باب عزرة².

وغيرها من المدارس التي شيدت قبل المدارس النظامية ، فقد أثبتت الوقائع أن مدارس كثيرة قد شيدت قبل مدارس نظام الملك بأكثر من مئة وخمسة وستين عاما، وأن طائفة كبيرة من هذه المدارس قد أسسها علماء من العرب المشهورين في منطقة خراسان وما وراء النهر ونيسابور³.

فهذه الشواهد التاريخية تجعلنا نقر يقينا أن المدرسة قد نشأت قبل القرن الرابع الهجري ، وقد توهم من قال أن نظام الملك هو أول من أنشأ المدارس في الإسلام، كما يتبين لنا كذلك أن البحث في أمر أول مدرسة في الإسلام ومكان نشوئها يصعب تحديده. كما يتضح لنا كذلك أن إقليم نيسابور خاصة والشرق عموما هي أول الأقاليم الإسلامية التي نشأت بها المدارس ، ثم انتقلت بعد ذلك فكرة تأسيس المدارس إلى بقية الأقاليم الأخرى في العالم الإسلامي.

فبعد أن تأسست المدارس بخراسان وبغداد انتقلت فكرة تأسيسها إلى الشام حيث أقيمت أول مدرسة في دمشق سنة 491 هـ / 1097 م ، ثم إلى مصر على يد صلاح الدين الأيوبي منذ عام 567 هـ / 1171 م الذي يعد أكبر مؤسس للمدارس بعد نظام الملك بسوريا وفلسطين ومصر ، ثم ظهرت بعد ذلك بالمغرب الإسلامي بما يقارب القرن⁴.

أما عن المدارس التي أسسها نظام الملك يمكن اعتبارها أول عمل رسمي قامت به الدولة الإسلامية لتنظيم الدراسة والحركة التعليمية عموما، وتوفير الظروف المناسبة لأداء عملية تعليمية نموذجية، وتهيئة مستلزماتها وحاجاتها المالية، بتقديم الرواتب والنفقات للمعلمين والمتعلمين، وإتباع نظام معين فيما يتعلق بالتدريس والإدارة والإيواء والمأكل والمشرب⁵.

لذلك كانت بعض المدارس لا سيما النظامية شبيهة بالجامعات الحديثة من حيث سعة بناياتها وقدرة استيعابها للطلبة الوافدين عليها، وتنوع العلوم التي تدرس بها وما فيها من

¹ - الزوزني : محمد بن إسحاق بن داود، القاضي أبو جعفر الزوزني، شاعر مقلد له تصانيف عجيبة مفيدة جدا، كان له من الهجاء نظما ونثرا وطريقة لم يسبق إليها، ما ترك أحدا من الكبار إلا هجاه، قال: ما وقع بصري على شخص إلا تصور في قلبي هجاءه، توفي سنة 463هـ/1070 م ، ومن تصانيفه"شرح ديوان البحترى". الصفدي :الوافي بالوفيات ، ج2 ، ص139.

² - ياقوت الحموي : معجم الأدياء ، ج6 ، ص 2428.

³ - محمد منير سعد الدين: المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى، ص14.

⁴ - حسن عبد العال:المرجع السابق، ص212.

⁵ - محمد منير سعد الدين: المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى ، ص14-15.

معالم و جريات تكفل للطلاب المأوى والنفقة للإعاشة والرعاية الصحية وتقديم الكتاب والكسوة وغيرها من الخدمات المجانية¹.

كما يمكن كذلك اعتبار نظام الملك من الأوائل السابقين الذين فطنوا لاستخدام المدارس لتكوين نخبة مسلمة مثقفة ثقافة عالية أساسها العلم والإيمان للتصدي للأخطار المحدقة بالإسلام دينا ودولة ومقارعة الحجة بالحجة².

ويمكن أيضا اعتبار عمله ذا أهمية كونه بداية عصر جديد من ازدهار الحركة التعليمية حيث أصبحت السلطة الرسمية من السلطان ورجال الدولة مولعين بتأسيس المدارس احتذاء بما فعل نظام الملك³.

2-أسباب نشأة المدارس في الإسلام:

يعتقد بعض الباحثين أن نشأة المدارس في الإسلام كان بغرض الدعوة إلى المذاهب الدينية المختلفة ، ومنهم من يرى أن ذلك راجع إلى تطور العلوم والمعارف وظهور مواد علمية تستدعي الجدل والنقاش، وهذا يتنافى مع آداب المساجد، وما ينبغي لها أن تكون عليه من الهدوء والسكينة، لأن إقبال الناس على حلقات الدرس المختلفة في المساجد وما ينجم عنها من ارتفاع الأصوات وتلاقيها مع بعضها، وما تحدثه من الضجيج الذي يخل بآداب الصلاة وخشوعها، لذلك لم يكن من الممكن أن يستوعب المسجد أن تقام فيه حلقات الدرس وتؤدي فيه العبادة معا .

والحقيقة أن الاهتمام بتأسيس المدارس عند المسلمين في العصر الوسيط يرجع إلى أسباب ودوافع مختلفة يمكن إجمالها في الأسباب الآتية:

أ- الأسباب الدينية:

إن اتساع شمولية مفهوم العلم في الإسلام واحتوائه على كل ما ينفع المسلمين في الدنيا والآخرة، ويحقق مصالحهم ، ويخدم الشرع الإسلامي من حيث فهم خطابه الوارد في كتاب الله وسنة رسوله، والعمل بمضمون هذا الخطاب فكل ذلك يعد علما يجب الأخذ به وتعلمه وتعليمه على وجه الفرض العيني أو الكفائي.

¹ - سعيد الديوه جي : التربية والتعليم في الإسلام ، ص76.

² - محمد منير سعد الدين : المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى ، ص15.

³ - حسين أمين: تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، 1965 ، ص218-219.

لذلك رفع التشريع الإسلامي من قيمة العلم وجعل له مكانة عالية سامية ، من حيث أن العلم والمعرفة مستمدة من الله تعالى الذي أحاط بكل شيء علما، لذلك جعل طلبه عبادة ورباط كالرباط في سبيل الله¹.

وقد ورد ذكر العلم ومشتقاته في نحو تسعمائة موضع في القرآن الكريم، الأمر الذي لم يكن لغيره من الحقائق التي ورد ذكرها في كتاب الله تعالى فهو جل شأنه عالم، وعليم، وعلّام².

لذلك أولى المسلمون أهمية كبرى للعلوم الدينية لأنها مرجع الحياة الإسلامية للفرد المسلم سواء في جانبها العقدي أو العملي أو الأخلاقي، وهي المجالات الثلاثة التي تدور حولها أحكام الشرع الإسلامي، لأن النص الإسلامي في مدلوله لا يخرج عن ثلاثة محاور وهي العقيدة والعمل والأخلاق.

فكان أغلب ما أنتجه المسلمون في تاريخ الحضارة الإسلامية من تراث علمي كان أساسه العلم الديني، ويدخل ضمن إطار العلوم الدينية والعلوم اللغوية، كاللغة والأدب والنحو والبيان، واعتبروا معرفتها والدراية بها أمرا ضروريا على أهل الإسلام، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب حتما.

ومنه فإن نشأة المدرسة في الإسلام كان بدافع الحرص على تعلم العلم الديني، توسيعا للدور الذي كان يؤديه المسجد في هذا الإطار، ولم تختلف المدرسة عن الجامع و المسجد سواء في جانبها العمراني أو الوظيفة التعليمية، غير أن المدرسة كانت أكثر ملائمة واستعدادا للدراسة بشكل دوري ومستمر، وكذلك ما تشتمل عليه المدرسة من مرافق لإيواء الطلاب المنقطعين للعلم وما تقدمه لهم من خدمات مجانية، كما أنها تؤدي نفس الأغراض التعبدية التي يؤديها المسجد، فأقيمت فيها الصلاة كما أقيمت في

1 - عدنان محمد فايز الحارثي: عمارة المدرسة في مصر والحجاز في القرن (9هـ/15م) دراسة مقارنة، مطابع جامعة أم القرى ، مكة، 1979، ج1، ص31.

2 - محمد البوزيري: مكونات العملية التعليمية في الفكر التربوي الإسلامي، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2005، ص35.

الجامع، كما استخدمت كمرفق للقضاء والنظر في المظالم¹. وكانت المدرسة في بداية نشأتها متصلة بالمسجد ولم تتفصل عنه إلا بعد انتشارها في البلاد الإسلامية في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي².

ب- الأسباب السياسية:

إن الصراع المذهبي كان له أثر كبير في نشأة المدارس في البلاد الإسلامية، عندما أخذت المؤسسات التعليمية كوسيلة لمحاربة المخالفين الآخرين ومحو آثارهم، لذلك أقام الفاطميون والسلاجقة والزنكيون والأيوبيون مؤسسات تعليمية لمواجهة خصومهم، فالفاطميون و البويهيون³ مثلوا المذهب الشيعي، والزنكيون والأيوبيون والسلاجقة مثلوا المذهب السني⁴.

لذلك فالقوة والعنف لم تكن تجدي نفعا لحمل المخالفين على إتباع مذهب السلطة، فكانت النظم التعليمية وسيلة تستخدم لمحاربة ومحو آثار المذاهب المخالفة عوضا عن القوة المسلحة والسجن والتقتيل والتعذيب، وغير ذلك من وسائل الجبر والإكراه، وقهر أفكار الخصوم ومبادئهم، وإنما لا بد من محاربة الفكرة بالفكرة والرأي بالرأي، وهو ما ينسجم مع منهج أصول الإسلام في الحوار وإقامة الحجة ومقارعة الدليل بالدليل⁵.

¹ - المظالم: لغة جمع مظلمة بكسر اللام - ما تظلمه الرجل و أراد ظلمه ومظالمته أي ظلمه والظلم بالضم وضع الشيء في غير موضعه-انقصاص من الحق- وتظلم أي أحال التظلم إلى نفسه ومنه شكيا من ظلمه وفي الاصطلاح الشرعي هو عبارة عن التعدي من الحق إلى الباطل قصدا وهو الجور،وقيل التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد.حمدي عبد المنعم: ديوان المظالم نشأته و تطوره واختصاصاته،دار الشروق،ط1 ، بيروت،1981، ص34-35.وولاية المظالم كما يعرفها أبو يعلى الفراء في الأحكام السلطانية(قود المتظالمين إلى التناصف بالرهبة وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبه).أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي:الأحكام السلطانية،تحقيق محمد حامد الفقي،دار الكتب العلمية،بيروت،(د،ط)، 2000،ص73.

² - حسن عبد العال: المرجع السابق، ص213.

³ - فقد كان البويهيون شيعة على المذهب الزيدي الذي نشأوا وترعرعوا في كنفه ، إلا أن ذلك لا يعني أنهم لم يكونوا غلاة متعصبين لمذهبهم ولم يضمروا الكراهية للمذهب السني ، فإنهم لم يعترفوا بسيادة الخليفة العباسي على العالم الإسلامي آنذاك ، وقد أبقوا على الخلافة العباسية لاعتبارات سياسية ليس إلا، فقد استبد البويهيون بالسلطة بعد سيطرتهم على الحكم دون الخليفة العباسي ، فاستولوا على جميع أملاكه وذخائره وخصصوا له راتبا يوميا قدر بخمسة آلاف درهم ولم تؤمن له بانتظام وتوقف هذا الراتب في عهد معز الدولة وجعل للخليفة اقطاعات يعيش منها، وغيرها من أشكال العنف و الإهانة التي تعرض لها خلفاء بني العباس أثناء السيطرة البويهية. إبراهيم سلمان الكروي : البويهيون والخلافة العباسية ، مركز الإسكندرية للكتاب ، ط2، الإسكندرية ، 2008 ، ص 178-179.

⁴ - محمد منير سعد الدين: المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى، ص 16.

⁵ - سعيد إسماعيل علي: المرجع السابق، ص356.

ومن مظاهر اتخاذ المدارس لذلك الغرض ما قام به السلاجقة بعد حكمهم للعراق ودخولهم بغداد في 25 محرم سنة 447 هـ/1055 م وإنهائهم للهيمنة البويهية على الخلافة العباسية، وإذلالهم للخلفاء وسلبهم لسلطانهم والاعتداء عليهم أحيانا، فقدت الخلافة هيبتها وضعف شأنها¹، فأنشأ السلاجقة المدارس في العالم الإسلامي لمحو آثار التشيع، فبنى نظام الملك وزير السلطان ألب أرسلان المدرسة النظامية في بغداد سنة 459 هـ/1066 م²، وذلك لمواجهة الفرق المناوئة لأهل السنة من الشيعة وغيرهم³.

كما أن هذه السياسة التي اتبعتها السلاجقة يحكمها تقدير المصلحة، حيث لاحظ

نظام

الملك أن الأخطار المحدقة بالدولة هي حالة الانقسام التي صارت عليه دولة الخلافة⁴، وشيوع الفرق الإسلامية التي عبثت بالوحدة العقدية للأمة، إلى جانب التيارات الفكرية الأخرى للفرق الكلامية التي أدت إلى تعدد الأهواء والمذاهب والفرق المنحرفة كالباطنية التي استقل أمرها في ذلك العصر وكثرة المتزاحمين على السلطة إلا أن فطنة نظام الملك كحاكم عاقل حكيم عمل على استمالة الأعداء وموالاتة الأولياء فاتبع سياسة الإحسان حتى عم إحسانه العدو والصديق والبغض والحبيب ودعم تلك السياسة ببناء دور العلم للفقهاء وأنشأ المدارس للعلماء وأسس الرباط للعباد والزهاد وأهل الصلاح والفقراء وأجرى الجرايات لطلبة العلم وغيرهم⁵ حتى قدرت النفقات التي بذلها في هذا السبيل 600.000 دينار في السنة على نظامياته التسع أي نحو 67 ألف دينار لكل مدرسة،

¹ - وهناك من يرى أن البويهيين قد ورثوا وضعا قائما قبل هيمنتهم على السلطة فقد فيه الخليفة العباسي صلاحياته كمصدر أول للسلطة في الدولة. Arnold ;SirThomas ;w:TheCaliphate:P68

² - ابن خلكان :المصدر السابق ، ج2، ص129. أبو محمد اليافعي اليمني المكي : المصدر السابق، ج4 ، ص104. الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج33 ، ص146.

³ - كما يبدو كذلك أن مسألة مناوئة سلطة الخلافة العباسية من قبل دعاة التشيع ليس كونها سلطة سنوية فحسب، فإن انقلاب الحكم العربي إلى الحكم التركي أدى إلى ضعف سلطة الخليفة العباسي ثم تلاشيها في النهاية.مصطفى محمد متولي: المرجع السابق ، ص211. -Poole,s :AHistory of Egypt in Middle Ages Lane :P29

⁴ - كما أن هيمنة السلطة السلجوقية لم يكن أمرا محمودا لدى الخلفاء العباسيين لما تعرضوا له من الامتحان ، وجرأتهم على مشاركة الخلفاء في بعض مظاهر السيادة، كما ازدادت علاقة الخلفاء بالسلاجقة سوءا سيما في أواخر حكم السلطان ملك شاه ، لذلك لما تعرضت دولة السلاجقة للضعف والانقسام بعد موته انتهز الخليفة العباسي المسترشد ومن جاء بعده هذه الفرصة وأخذوا يعملون على استعادة ما كان للخلافة من سلطة. Arnold ,SirThomas ,w:TheCaliphate:p80

⁵ - ابن الأثير: الكامل ، ج8 ، ص481. جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، (د،ط)، (د،ت) ، ج3 ، ص223-224. فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص195.

وكان نظام الملك يرمي من وراء ذلك إلى توجيه الرعية وجهة تخدم مصلحة الدولة من أجل بعث الاستقرار والسكينة والأمن¹.

كما أنفق أموالاً عظيمة على النظامية الأمر الذي دعا خصومه إلى الوشاية به إلى السلطان ملكشاه حين قالوا له: (إن الأموال التي ينفقها نظام الملك في ذلك تقيم جيشاً يركز رأيته في سور القسطنطينية)².

فاستدعى السلطان الوزير نظام الملك واستفسر عن الأمر فقال: «يا سلطان العالم، يا ملك البسيطة... قد أعطاك الله تعالى وأعطاني بكم ما لم يعطه أحداً من خلقك، أفلا تعوضه عن ذلك في حملة دينه، وحفظة كتابه العزيز، بثلاث مائة ألف دينار. ثم أنك تنفق على الجيوش المحاربة في كل سنة أضعاف هذا المال، مع أن أقوامهم وأرماهم لا تبلغ رميته ميلاً، ولا يضرب سيفه إلا ما قرب منه، وأنا أجيش لك بهذا المال جيشاً تصل من

دعائهم سهام إلى العرش لا يحجبها شيء عن الله³».

وعلى ذلك كله تضمنت سياسة نظام الملك ضمان مصلحة الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية في نفس الوقت، من خلال مراعاة التوافق والانسجام بين مؤسسات الدولة والسلطنة، وإزالة أسباب الخلاف بينهما، والأمر الثاني وهو الأساس هو الدفاع عن العقيدة الإسلامية من كل ما يشوبها من التيارات الفكرية المنحرفة لا سيما التشيع، وذلك عن طريق نشر العلم وتشجيع العلماء وإنشاء المراكز التعليمية⁴.

إلى جانب ذلك فقد توفرت الرغبة عند بعض الحكام في نشر المذهب الذي يتعبدون عليه، فقد كان نظام الملك أشعرياً شافعيّاً ملتزماً بمذهبه في وقت ظهرت فيه آراء وأفكار متباينة منتشرة في الدولة الإسلامية مثل فرقة المعتزلة والباطنية وغيرها من الفرق من

¹ - حسين أمين: المدارس الإسلامية في العصر العباسي وأثرها في تطوير التعليم، مقال من مجموعة البحوث التي أقيمت في ندوة الحضارة الإسلامية في ذكرى الأستاذ الدكتور أحمد فكري «16-20» أكتوبر 1976، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1983، ص 105.

² - ابن الأثير: الكامل، ج 7، ص 67.

³ - صدر الدين علي بن ناصر الحسيني: زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية، تحقيق محمد نور الدين، دار اقرأ، ط 1، بيروت، 1985، ص 141-142.

⁴ - مريزن سعيد مريزن عسيري: الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، مكتبة الطالب الجامعي، ط 1، مكة، 1987، ص 175.

أصحاب الملل و النحل، وقد كانت مساعي نظام الملك ترمي إلى خدمة مصالح الدولة، وتحقيق الاستقرار لذلك عمل على رعاية هذه السياسة من خلال ممارسة الوصاية على مقررات الدراسة بالنظاميات والتأكيد على التزامها بتلك الثوابت التي أساسها المذهب والعقيدة¹.

وقد عمد نظام الملك إلى إحكام سيطرة الدولة على المدارس التي أنشئت سواء في عهده أم التي بعده، وصارت هذه السياسة تقليدا عند جميع الملوك والسلاطين في عصره كنور الدين محمود في الشام، وصلاح الدين في مصر وغيرها من البلاد الإسلامية، وتجلت هذه السياسة من خلال خدمته للعلوم الدينية تأييدا للمذهب الشافعي مذهب دولته، وتعزيزا للخلافة العباسية في بغداد، وعمل نظام الملك على إلغاء أجرة التعليم التي كان يدفعها الطالب لمعلم هـ، وجعل الدولة هي من تتولى ذلك²، وقد ذكر السبكي في طبقاته ما يؤكد ذلك بقوله (وقد أدت فكري وغلب على ظني أن نظام الملك أول من قدر المعاليم- الجرايات- للطلبة)³.

كما كان للمدارس دور في خدمة السياسة، فقد آزر العلماء السلطة وأعانوها، فكانوا يعملون على نصرته المذهب الذي تتبعه السلطة، وقد كانت السلطة واعية بهذا الدور الذي يؤديه العلماء لذلك عمدت إلى إسناد مناصب التدريس في المدارس إلى كبار العلماء ممن يشهد لهم بالقدرة العلمية والمكانة الفكرية، وما يتمتعون به من مكانة روحية وقيادية عند الأمة، حتى يستطيعوا أن يؤثروا على العامة، كما يمكن من خلالهم تكوين رجال متشبعين بالعلم والإيمان للتصدي للأخطار المحدقة التي تهدد الدولة لا سيما في مجال الفكر والعقيدة وأمور الدين المختلفة⁴.

وقد كان للخلفاء مكانة لدى العلماء، فنظروا إليهم باهتمام إدراكا منهم للدور الذي يؤديه في حياة الأمة، ولأهمية المنصب الذي يتولونه، لذلك حظي الخلفاء بمكانة كبيرة لدى العلماء، وقد ظهر هذا الاهتمام جليا في مؤلفاتهم و مصنفاتهم ووعظهم وخطبهم

¹ - محمد علي الرجوب: المرجع السابق، ص19.

² - عماد عبد السلام رؤوف: المرجع السابق، ص13-14.

³ - السبكي: المصدر السابق، ج3، ص173.

⁴ - محمد منير سعد الدين: المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى، ص 16.

على تأكيد وجوب طاعتهم وإعانتهم، فاستقاد الخلفاء من هذه المكانة، فنالوا بذلك حق الاحترام والتوقير¹.

ج- الأسباب الثقافية:

رغبة كثير من الخلفاء والسلاطين والأمراء والوزراء والولاة والعلماء الذين كان لهم شأن كبير في مجال العلم والاهتمام به وبأهله في نشره وتيسير أسباب الحصول عليه وطلبه، فسخروا لذلك كل الوسائل المتاحة أمام العلماء وطلبة العلم في سبيل تحصيل العلم وتعليمه، ومن مظاهر ذلك الاهتمام هو بناء المؤسسات التعليمية وعلى رأسها المدارس. ومن الأمثلة الشاهدة على مظاهر ذلك الاهتمام أولئك الخلفاء المسلمون الذين اقترنت أسماؤهم باحتضان العلم وحملة لوائه، ورجال السلطة أمثال: نظام الملك ونور الدين زنكي، وصلاح الدين الأيوبي، الذين عرفوا بمدى معرفتهم العلمية الواسعة، وجهودهم في نشر العلم بين الناس في المساجد والمدارس وغيرها من المؤسسات التعليمية المختلفة².

د- إعداد رجال الدولة العاملين في أجهزتها الإدارية:

إن المرافق الإدارية في أجهزة الدولة تحتاج إلى عاملين مؤهلين للعمل بها، مثل الدواوين المختلفة المتعلقة بالنفقات المالية وواردات الدولة من الخراج وغيره، وكذلك المتعلقة بالشؤون التنظيمية كالجيش، والتنفيذية مثل القضاء والمظالم والحسبة، والدينية كوظائف الإفتاء والخطابة وغيرها فكل هذه الوظائف مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالبرامج التعليمية التي تقدمها المدارس، لذلك فالمدارس كانت بمثابة تلك المعاهد التكوينية لتخريج العامل المؤهل للعمل بالمؤسسات الإدارية المختلفة للدولة.

لذلك فالدولة الإسلامية كانت بحاجة إلى إعداد خريجين مؤهلين للقيام بالأعمال الحكومية لاسيما الوظائف المرتبطة بالشؤون السياسية، مثل مناصب الإفتاء والقضاء والخطابة وغيرها من الوظائف المختلفة ذات الشأن، لذلك فقد زُوِّدت المدارسُ الدولةَ بطبقة من العلماء والإداريين ليشغلوا مناصب الدولة ووظائفها الروحية والعلمية لخدمة سياسة الدولة المذهبية³.

فالسلاطين السلاجقة الأوائل اضطروا إلى الاستعانة باستخدام رجال لهم الكفاءة والخبرة لبناء الدولة لا سيما في الشؤون السياسية والإدارية في الوزارة والحجابه وكتاب من أصحاب الخبرة

¹ - عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين: العلماء والسلطة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2009، ص 135.

² - محمد منير سعد الدين: المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى، ص 17.

³ - عماد عبد السلام رؤوف: المرجع السابق، ص 12. سيف الدين درويش غوانمة: تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، دار الحياة للنشر والتوزيع، عمان، 1403هـ/1982م، ص 144-151. أمينة البيطار: التعليم في دمشق في القرن السادس الهجري، مجلة آداب الرفادين، الموصل، جامعة الموصل، العدد الحادي عشر، 1400 هـ/ 1979 م، ص 58.

والدراية لدى الدويلات المستقلة في المشرق مثل الغزنويين وغيرهم¹، ولعل خير دليل على ذلك الوزير نظام الملك الذي تدرّب بغزنة أثناء رحلته العلمية لتولي بعض الأعمال الإدارية والحسابية والإنشاء، واستطاع أن يكتسب خبرة كبيرة من خلال رحلته العلمية الطويلة فتلقى علوماً شتى كاللغة العربية والفقه والتفسير والحديث وعلم

الكلام والتاريخ والحساب، وكان يتقن اللغتين الفارسية والتركية إلى جانب اللغة العربية².

فالمدارس التعليمية كانت ملاذاً لهم لتكوين هذه النخبة من رجال الدولة، فالذين تعلموا في تلك المدارس لم يكونوا موظفين دينيين (مفتين وأئمة..) فحسب فقد صار كثير منهم قضاة ووزراء، وتقلدوا مناصب مختلفة في الدولة، فقد كانت هذه المدارس تكوّن موظفين لهم تأثير على المجتمع من خلال تلك السلطة التي يمارسونها في وظائفهم فيكون وفاءهم وإخلاصهم مضمون عند السلاطين والحكام من حيث ولاؤهم السياسي والتزامهم المذهبي³. هذا فضلاً عن ارتباطهم بالدولة التي يتولون وظائفهم فيها من جهة الأرزاق والعطاء وما يجري عليهم من الرواتب والجرايات الراتبية وما يبذل لهم في سبيل ذلك.

ويورد لنا السبكي في ترجمته لأبي إسحاق الشيرازي (ت 476 هـ/1083 م)⁴ وهو أحد شيوخ المدرسة النظامية ببغداد التي خصه بها نظام الملك حيث قال: (خرجت إلى خراسان فما بلغت بلدة ولا قرية إلا وكان قاضيها أو مفتيها أو خطيبها تلميذي أو من أصحابي)⁵.

ثالثاً - خدمات الجارية على المدارس:

1 - مريزن سعيد مريزن عسيري: المرجع السابق ص 171.

2 - مريزن سعيد مريزن عسيري: المرجع السابق ، ص 174.

3 - محمد منير سعد الدين: المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى، ص 18.

4 - أبو إسحاق الشيرازي: هو إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروز أبادي وهي قرية من قرى فارس، شيخ الشافعية ومدرس النظامية ، ولد سنة ثلاث وتسعين وثلاث مائة ، تفقه بفارس على أبي عبد الله البيضاوي ، قدم بغداد سنة 415 هـ/1024 م وتفقه على القاضي أبي الطيب الطبري ، كان زاهداً عابداً ورعاً، كبير القدر معظماً محترماً، إماماً في الفقه والأصول والحديث ، وفنون كثيرة ، له مصنفات كثيرة نافعة منها (المذهب) في المذهب ، (التنبيه) و(النكت) في الخلاف و(اللمع) في أصول الفقه ، وغيرها من المصنفات توفي سنة 476 هـ/1083 م ، قيل ما عيب عليه شيء إلا دخوله النظامية وذكره الدرس بها، لأن حاله في الزهد والورع خلاف ذلك، كان يضرب به المثل في الفصاحة، إمام الدنيا على الإطلاق ذكر له من النظم: سألت الناس عن خل وفي فقالوا ما إلى هذا سبيل

تمسك إن ظفرت بود حر فإن الحر في الدنيا قليل

أبو إسحاق الشيرازي الشافعي : طبقات الفقهاء ، تحقيق إحسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت، (د، ت)، ص 5-9. جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي: صفة الصفوة ، تحقيق محمود فاخوري و محمود رواس قلعه جي ، دار المعرفة ، ط3، بيروت ، 1985 ، ج4، ص 66-67. ابن كثير: المصدر السابق، ج17، ص85. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج5، ص116. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج32، ص149. السمعاني: المصدر السابق، ج9، ص361.

5 - السبكي: المصدر السابق، ج1، ص89.

يعد إجراء الأموال على المؤسسات التعليمية وعلى رأسها المدارس من أهم المبررات الخيرية التي بذلها أهل البر والإحسان سواء كان على وجه الجارية أو الوقف وبفضلها شيدت المدارس في العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ويذكر التاريخ بكثير من الإعجاب والإكبار طائفة من المسلمين كان لهم باع طويل في إنشاء مدارس علمية كبرى في سائر الأمصار الإسلامية، لذلك كان ازدهار المدارس مرتبط بتطور العقارات الموقوفة من أجلها لأنها مصدر الأموال التي تجرى عليها¹.

يصعب على الباحث تحديد مكان أول مدرسة نشأت في الإسلام، فإن مشاهدات الرحالة في العالم الإسلامي مثل المقدسي تدل على أن المدرسة لم تقتصر على إقليم إسلامي واحد وإنما وجدت في أقاليم مختلفة لذلك فإن دراستنا لخدمات لجارية على المدارس في الدولة الإسلامية تعتمد على وجودها بالمشرق ثم المغرب والأندلس.

1- مدارس العراق:

أ-مدارس بغداد:

يعد تخليص السلاجقة للعراق من أيدي البويهيين ودخولهم إلى بغداد في 25 محرم 447هـ/ 1055م من الأحداث التاريخية المهمة التي أثرت بشكل عميق وسريع على المستوى الديني والسياسي والثقافي، ومجالات أخرى تتسجم مع طبيعة الحكم الجديد بعد إزاحة البويهيين الشيعة عن حكم دولة الخلافة، ومن مظاهر ذلك ما قام به السلاجقة من محو آثار التشيع بنشر المذهب السني وتصحيح عقيدة الناس مما طرأ عليها من حكم البويهيين الشيعة، ومن السبل الكفيلة بذلك أن اهتم السلاجقة بنشر العلم وتمجيده وتيسير سبل تحصيله وإنشاء مؤسساته.

والمدارس من المؤسسات التعليمية التي عرفها العالم الإسلامي منذ القرن الرابع الهجري ، والتي خصص لها أصحابها الجرايات للمنتسبين إليها من الفقهاء والطلبة والقائمين عليها، ومن المدارس التي عرفت بالجارية على طلابها ببغداد هي:

1)-المدرسة النظامية ببغداد:

¹ - أحمد أبو زيد: فضل الأوقاف في بناء الحضارة الإسلامية، مجلة التاريخ العربي، العدد الثالث عشر، 1420هـ/2000م ، مطبعة النجاح الجديدة ، ط1، الدار البيضاء، 1996، ص335 . كامل جميل العسلي : معاهد العلم في بيت المقدس ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، 1402هـ/1981م ، ص 23 . عبد الله منسي السعد العمري ، تاريخ العلم عند العرب ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، ط1 ، عمان ، 1410هـ/1990م ، ص 25.

بُءء في إنشائها سنة 457 هـ/1064 م بأمر من الوزير نظام الملك وزير السلطان ألب أرسلان¹ و فتحت أبوابها أمام القاصدين من طلبة العلم سنة 459 هـ/1066 م²، وقد أشرف على بنائها أبو العميد أبو سعيد أحمد بن محمد النيسابوري الصوفي³، وتعد أول مؤسسة علمية متخصصة في تاريخ الحضارة الإسلامية، أنشئت لتدريس العلوم و الشريعة والأدب، واستقبلت الوافدين من طلبة العلم وهيأت لهم الظروف المناسبة لتحصيل العلم ورفاهية العيش، مما جعلها مثالا يحتذى به لبقية المدارس الأخرى التي نشأت بعدها.

وقد أنفق نظام الملك على بناء نظامية بغداد نحو مائتي ألف دينار و بنى حولها أسواقا و ابتاع ضياعا و حمامات و مخازن و دكاكين و جعلها وقفا عليها⁴.

وقد كانت المدرسة النظامية و المدارس التي شيدت بعدها شبيهة بالجامعات في سعة عمرانها و تنوع العلوم التي تدرس فيها، و ما فيها من الخدمات التي تقدم للطلبة و المدرسين مما يحتاجونه من مسكن و جريات مالية تتعلق بالإعاشة و الصحة و الكسوة و غيرها من الخدمات الضرورية، و من هذه المدارس النظامية و المستنصرية ببغداد، و مدارس أخرى بالشام و القاهرة⁵، و في نظامية بغداد كان يدرس بها 6000 طالب بالمجان⁶.

لذلك فإن الخدمات المتكاملة التي تقدمها المدرسة من أموال الجارية التي تدرها الأوقاف المرصودة لهذا الشأن للطلبة و المدرسين كالمسكن و الطعام و اللباس و الرواتب

1 - ألب أرسلان: هو أبو شجاع ألب أرسلان محمد بن السلطان طغرل بك بن ميكائيل بن تقاق بن سلجوق التركماني الغزي الملك العادل عضد الدولة من عظماء ملوك الإسلام ، خطب له على منابر العراق وخراسان و دانئت له الأمم ، وكان محبوبا عند الرعية غزا بلاد الروم وافتتح قلاعا و أربع الملوك ، توفي سنة 465 هـ /1072 م. ابن الجوزي: المنتظم ، ج 16 ، ص 147. الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج 18 ، ص 414.

2 - ابن الجوزي: المنتظم ، ج 16، ص 91. أبو محمد عبد الله الياضي اليمني المكي: مرآة الجنان، ج 4، ص 64. ابن كثير: المصدر السابق ، ج 16، ص 5. زين الدين عمر بن مظفر الشهير بابن الوردي: تاريخ ابن الوردي ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1996، ص 360. ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج 5 ، ص 253.

3 - أبو سعيد أحمد بن محمد النيسابوري تولى بناء المدرسة النظامية ببغداد بأمر من الوزير نظام الملك، قيل أنه أساء التصرف في مال البناء، فلما علم نظام الملك بذلك هرب أبو سعيد إلى البصرة ثم ندم على ما بدر منه فرجع إلى بغداد معتذرا إلى نظام الملك فقال له نظام الملك (ليس حزني على المال الذي خنته أنت أو غيرك، إنما آسى على الزمان الذي فات ولا أستطيع رده، أردت أن يكون بناء المدرسة محكما مثل المسجد المنصوري و المارستان العضدي) توفي سنة 479 هـ/1086 م. ابن الجوزي: المنتظم، ج 16 ، ص 235. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 8، ص 450. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 32، ص 259-260. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج 5 ، ص 123. ابن العماد: شذرات، ج 5، ص 344.

4 - محمد القطري: المرجع السابق ، ص 62.

5- سعيد الديوه جي: التربية و التعليم في الإسلام ، ص 76.

6- محمد بن عبد العزيز: الوقف في الفكر الإسلامي، منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية المغربية، الرباط، 1996، ص 72.

النقدية، تجعلهم يتفرغون للعلم¹، فمن المدرسين المنتسبين إلى المدرسة النظامية من لازمها مدة طويلة معتمدا على كفاية المدرسة، مثل قاضي الهمامية وكبير أعيان واسط أبو العباس أحمد بن ثابت الهماهي الواسطي (ت 631 هـ/1233 م)² عاش في المدرسة النظامية أربعين سنة لا يخرج منها إلا إلى صلاة الجمعة³.

و من إيرادات المدرسة النظامية المالية من الأوقاف التي وقف عليها نظام الملك تصل إلى 15.000 ديناراً ذهبياً في العام تنفق في تسديد مرتبات المدرسين وما يدفع للطلبة، وكل ما يشمل مؤونة الطعام والكسوة و ما يتعلق بحاجاتهم الصحية من دواء وغيرها من الخدمات كما بلغت نفقات نظامية أصفهان 10.000 ديناراً سنوياً⁴.

فقد اهتم نظام الملك بترتيب الرواتب المالية للطلبة والمدرسين وألغى عن الطالب عبء دفع الراتب لمدرسه مقابل ما يعلمه من دروس، وبذلك أصبحت الدولة هي التي تتكفل بتسديد الراتب بدلاً عن الطالب⁵.

وإلى جانب الإنفاقات المالية فقد جرت العادة أن تتكفل المدرسة بإيواء الطلبة ببناء الغرف والبيوت الخاصة بسكنى المدرسين والطلاب والمعيدين وسائر العاملين بالمدرسة لذلك كانت النظامية وغيرها من سائر المدارس التي تقدم مثل هذه الخدمات تلقى إقبالا واسعا عليها في سبيل الإقامة بها لما تقدمه لهم من علم ميسر وخلوة وانقطاع للدرس وجيرة طيبة و جرايات حسنة⁶.

وبالمدرسة النظامية كان يصرف للمدرسين العاملين بها مرتبات مجزية، ويرى بعض الباحثين أن المدرسة النظامية هي أول مؤسسة تعليمية كانت تدفع للمدرسين مرتبات أجرا على تعليم العلوم وقد أوقف نظام الملك عليها أوقافا عظيمة يصرف منها لتسديد ما يلزم

¹ - ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ، ص64.

² - أبو العباس أحمد بن ثابت الهماهي الواسطي: كان أحد عدول واسط ، وتولى قضاء الهمامية مدة ثم ترك ذلك ، وقدم بغداد وأقام بالمدرسة النظامية يقرئ الناس علم الحساب والفرائض وصنف في ذلك كتابا، وظل ملازما للمدرسة النظامية إلى أن توفي سنة 631 هـ / 1233 م ، وكان شيئا باردا الكلام من يسمع كلامه يظن أنه أبله، وكان متقنا في مسائل الحساب فإذا أُملي أتى بكل حسن. ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ، ص64.

³ - ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ، ص64.

⁴ - محمد علي الرجوب: المرجع السابق ، ص176.

⁵ - عماد عبد السلام رؤوف: المرجع السابق ، ص13-14.

⁶ - نفسه ، ص25.

من الخدمات المختلفة للطلبة والأساتذة¹، ولم يقتصر الأمر على النظامية فحسب، فبعد بناء النظامية أمر ببناء المدارس في سائر الأمصار والبلاد، وأجرى لها الجرايات العظيمة².

وقد زودت المدرسة النظامية بمساكن للطلبة للإيواء وبمبارستان للرعاية الصحية ومكتبة، وكانت تقدم تلك الخدمات مجاناً، مع منح الطالب ديناراً ذهبياً كل شهر ليستعين به في مختلف شؤونه³.

وقال ابن الجوزي أن نظام الملك أجرى للمتفهمة لكل واحد أربعة أرتال⁴ خبز كل يوم⁵. وقد أورد ابن جبير وصفا لأوقاف المدارس ومنها النظامية عندما زار بغداد سنة 580 هـ/1184 م (ولهذه المدارس أوقاف عظيمة وعقارات محبسة تتصير إلى الفقهاء المدرسين بها ويجرون بها على الطلبة ما يقوم بهم ولهذه البلاد في أمر هذه المدارس⁶). وفي النص إشارة واضحة على وفرة الأوقاف المسخرة لهذه المدارس و استمرار الجراية على المنتسبين إليها من الطلبة والمدرسين⁷ من خلال ما تدر به تلك الأوقاف من العوائد المالية التي تنفق في شؤون المؤونة و أرزاق المنتسبين إلى هذه المدارس.

كما خصص في هذه المدرسة العظيمة بناء خاص للمكتبة، والتي ورد ذكر لها باسم دار الكتب في بعض الأحيان، وكانت هذه الدار تحت رعاية الخلفاء والعلماء، فزودوها بالكتب النافعة التي أوقفها العلماء عليها، وكان لهذه المكتبة خزنة ومشرفون يتولون إدارة شؤونها ورعاية طلاب العلم الوافدين إليها⁸.

وقد ظلت جرايات المدرسة النظامية مستمرة لفترة طويلة حيث يشير ابن جبير إلى أنها لا تزال مستمرة على المنتسبين إليها عندما شاهدها سنة 504 هـ/ 1110 م⁹.

¹ - محمد القطري: المرجع السابق ، ص62.

² - ابن الأثير: المصدر السابق، ج 8 ، ص 481.

³ - مصطفى محمد متولي: المرجع السابق ، ص221.

⁴ - الرطل البغدادي: الرطل الشرعي وهو 130 درهما ويساوي 609.375 غ . فالترهنتس: المرجع السابق ، ص31.

⁵ - ابن الجوزي: المنتظم ، ج 16، ص 102 .

⁶ - ابن جبير : المصدر السابق، ص205.

⁷ - عبد الحسين مهدي الرحيم: المرجع السابق، ص180.

⁸ - يحيى وهيب الجبوري: بيت الحكمة ودور العلم في الحضارة الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2006، ص74-75.

⁹ - ابن جبير: المصدر السابق، ص205.

وقد أورد ابن الجوزي أن نظام الملك كان ينفق كل سنة في بغداد مائتي كر¹ وثمانية عشرة ألف دينار²، لذلك يظهر أن جرايات نظام الملك لم تقتصر على المنتسبين إلى المدرسة النظامية بل شملت فئات أخرى من المجتمع ولعلها شريحة الفقراء والمحتاجين³.

(2) - مدرسة أبي حنيفة:

أسسها أبو سعد المستوفي الملقب بشرف الملك (ت: 494 هـ/1100م)⁴ سنة 459 هـ/1066 م

بإزاء مشهد أبي حنيفة في شمالي بغداد الشرقية في محلة باب الطاق⁵، وأنزلها الفقهاء ورتب لها مدرسا⁶، ولم يرد في نص ابن الجوزي ما يشير إلى أنه أجرى عليهم الجرايات، لكن الظاهر أن المدرسة كانت ذات جراية لأن إقامة الفقهاء والمدرسين بها يدل على أنها من نوع المدارس ذات النظام الداخلي، وذكر أن مقدار أوقافها السنوية حسب ما أورده سبط ابن الجوزي قدر بثمانين ألف دينار ولا شك أن هذه الأموال كانت تنفق في شؤون المدرسة ومنها جرايات الطلبة⁷.

(3) - مدرسة عون الدين بن هبيرة:

أسسها الوزير أبو المظفر بن هبيرة (ت 560 هـ/1164 م) سنة 557 هـ/1161 م بالجانب الغربي من بغداد في محلة باب البصرة ، وأقام فيها الفقهاء ورتب لهم الجراية وكان مدرسهم أبو الحسن البراندسي ، و بها دفن الوزير ابن هبيرة¹.

¹ - كُرٌّ: في القرن الخامس الهجري كان الكر الكبير أو الوافي في بغداد والكوفة يساوي 60 قفيرا ، كل قفيز 8 مكايك كل مكوك 3 كيلجات كل كيلجة 600 درهم من القمح = 2700 كغم . فالترهنتس : المرجع السابق ، ص 69.

² - ابن الجوزي: المنتظم ، ج16، ص304.

³ - عبد الحسين مهدي الرحيم: المرجع السابق، ص31.

⁴ - أبو السعد المستوفي: هو محمد بن منصور أبو سعيد المستوفي شرف الملك الخوارزمي كان جليل القدر نبيلاً متعصباً لمذهب أبي حنيفة فوقف مدرسة بمرور للفقهاء الأحناف ووقف فيها كتباً كثيرة ، وبنى مدرسة ببغداد بباب الطاق ، وبنى الأربطة ، عمل خيراً كثيراً ، كان من الميسورين فكان يتجمل في أكله وملبسه ثم ترك ذلك وأقبل على العبادة والاشتغال بنفسه إلى أن مات سنة 494 هـ/1100 م . شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قراوغلي المعروف بسبط ابن الجوزي: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، ج 1 ، تحقيق مسفر بن سالم بن عريج الغامدي ، منشورات مركز إحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، (د،ط)، 1987، ص379-380. ابن الجوزي: المنتظم، ج17، ص 72. ابن الأثير: الكامل، ج9، ص44. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج19، ص188-189. ابن كثير: المصدر السابق، ج16، ص 17.

⁵ - باب الطاق: محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي، وتعرف بطاق أسماء. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص308 و ج 4 ، ص5.

⁶ - ابن الجوزي: المنتظم ، ج16، ص100. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8، ص380. ابن كثير: المصدر السابق ، ج16، ص12.

⁷ - سبط ابن الجوزي : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 379-380.

ويبدو أن هذه المدرسة لم تستمر طويلاً كغيرها من المدارس الأخرى وتوقفت خدماتها و جرياتها عن طلاب العلم ، حيث يذكر سبط ابن الجوزي عن المدرسة في قوله (خربت بعد الوزارة وذهبت أوقافها) وهذا ما يؤكد أن المدرسة لم تستمر إلا مدة قصيرة لتعليم الطلاب وإعاشتهم².

4- المدرسة الشرايية:

اكتمل بناؤها في شوال سنة 628 هـ / 1230 م ، وقد أنشأها شرف الدين إقبال الشرايي (ت: 656 هـ / 1258 م)³ بسوق العجم بالشارع الأعظم المحاذي لسوق السلطان مقابل درب الملاحين، وعهد ببنائها لشمس الدين أبو الأزهر أحمد بن الناقد وكيل الخليفة المستنصر ، وجعل عليها تاج الدين محمد بن الحسن الأرموي⁴ للتدريس بها، وأجريت عليه ومن معه من الفقهاء والعبيد وجميع من انتسب إليها، ويظهر أن يوم افتتاحها كان يوماً مشهوداً حضر فيه جميع المدرسين والفقهاء على اختلاف المذاهب ، كما شهد حفل الافتتاح قاضي القضاة عبد الرحمن بن مقبل ومحيي الدين محمد بن فضلان وعماد الدين أبو صالح نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر⁵.

وقد أورد ابن كثير عن افتتاح هذه المدرسة بقوله (وعمل بصحنها قباب الحلواء فحمل منها إلى جميع المدارس والربط ورتب فيها خمسة وعشرين فقيها لهم الجوامك الدارة كل شهر والطعام في كل يوم والحلوات في أوقات المواسم ، والفواكه في زمانها ، وخلق على المدرس والمعيد والفقهاء يومئذ، وكان وقفاً حسناً)⁶.

1 - ابن الجوزي: المنتظم ، ج18، ص153. ابن كثير: المصدر السابق، ج16، ص403 .

2 - ابن الجوزي: المنتظم، ج8 ، ص240.

3 - شرف الدين إقبال الشرايي: بنى مدرسة بواسطة وإلى جانبها جامعاً، و بنى هذه المدرسة، وجدد بمكة الرباط الذي اشتهر به، وعين عرفة التي في الموقف ، وأجرى ماءها لانتفاع الحج به ، وأوقف على ذلك أوقاف سنوية، توفي سنة 653 هـ / 1255 م .ابن كثير: المصدر السابق ، ج17، ص185-186. النعمي: المصدر السابق ، ج1 ، ص119.ابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص450.

4- تاج الدين الأرموي : هو تاج الدين محمد بن الحسن الشافعي مدرس الشرقية ببغداد ، له مؤلف (الحاصل في مختصر المحصول) ، كان قد صحب فخر الدين الرازي وبرع في العقلية ، وكان له جاه وحشمة ، توفي سنة 653 هـ / 1255 م عن ثمانين سنة .الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج48 ، ص146.أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني: الوفيات ، تحقيق عادل نويهض ، دار الأفاق الجديدة ، ط4 ، بيروت ، 1983 ، ص322.

5 - ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ، ص36-37.

6 - ابن كثير: المصدر السابق، ج17 ، ص186.

5- المدرسة الاصبهانية :

وتنسب إلى منشئها الأصبهيد صباوة بن خمارتكين، أما موقعها فقد كانت بمحلة بين الدريين في الجانب الشرقي من بغداد، أما سنة إنشائها يظهر أنها أنشأت قبل سنة 604 هـ/1207م حيث ذكر ابن الساعي عن تولي ابن الحبير(ت : 638 هـ / 1240 م) التدريس بها والنظر في وقافها¹.

وواضح أنه كان لهذه المدرسة وقف تجري عوائده للإئفاق عليها وعلى المنتسبين إليها فيما يتعلق بالخدمات اللازمة لها و ما يخص أمور الإعاشة للمنتسبين ، وغيرها من الحاجات المختلفة التي لا يمكن تأمينها إلا من خلال تلك العوائد المالية مما وقف لها من منشئها ، على الرغم أن المصادر لم تفصح عن حجم هذا الوقف ولا عن نوعه وطبيعته ، وطالما وجد أصل الوقف فما يهمننا هو ما يدر به من أموال ومن ثم فهي جريات تصرف في شؤون المدرسة.

6- المدرسة البشيرية :

كانت بالجانب الغربي من بغداد² قبالة المدرسة المستنصرية وشيدها "بشير الدولة" بأمر إحدى زوجات الخليفة المستعصم آخر الخلفاء العباسيين في بغداد، وافتتحت سنة 652هـ/ 1254 م، ووقفت عليها الكتب والأموال ، ومن الذين درسوا بها سراج الدين محمد بن أبي فراس الهنايسي الشافعي (ت: 671 هـ / 1272 م)³، وتاج الدين أبو القاسم الموصلني (ت: 685 هـ / 1286 م)⁴، وكانت تضاهي المستنصرية بآثارها ومرافقها.

7- المدرسة المستنصرية:

عرفت هذه المدرسة بالمستنصرية نسبة إلى مؤسسها الخليفة العباسي المستنصر بالله أبي جعفر المنصور الذي كانت خلافته من سنة(623 هـ -1226م/640 هـ -1242 م)، وكان مشروع بنائها سنة 625 هـ/1227 م فاكتمل بناؤها سنة 631 هـ/1233 م ،

¹ - ابن الساعي : المصدر السابق ، ج9 ، 219. ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص 17.

² - الصفدي : الوافي بالوفيات ، ج7 ، ص 40. و ج8 ، ص 238.

³ - الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج15 ، ص 143.

⁴ - نفسه ، ج15 ، ص 562 .

وكانت المدرسة تشتمل على قاعات الدرس ومساكن المدرسين والطلبة و خزائن الكتب والأدوية والمطبخ وغير ذلك من المستلزمات ، وأربعة أووين لتدريس المذاهب الأربعة¹. و بعد اكتمال بنائها حضر الخليفة المستنصر بنفسه إلى المدرسة وحضر معه الشيخ عبد العزيز بن دلف الناسخ الصوفي شيخ رباط الحريم الذي عهد إليه بإثبات الكتب الموقوفة بخزانة المكتبة التي حمل إليها من الكتب ما حمّله مائة وستون حمّالا ، فحضر بين يدي الخليفة وأعقب دعاءه بأن تلا قول الله تعالى (تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا)²، فبدأ خشوع الخليفة وتقاطرت دموعه³.

والحقيقة أن ما تقدم ذكره ما هو إلا تمهيدا للافتتاح الرسمي للمدرسة، ففي يوم الخميس خامس شهر رجب حضر نصيب الدين نائب الوزارة وسائر الولاة والحجاب والقضاة والمدرسون والفقهاء ومشايخ الربط الصوفية والوعاظ والقراء والشعراء وجماعة من أعيان التجار الغرياء إلى المدرسة، وتخيّر لكل مذهب من المدارس وغيرها اثنان وستون نفسا ورتب لها مدرسان ونائبا تدريس ، ثم مد في صحن المدرسة أجمع فكان عليه من الأشربة والحلواء وأنواع الأطعمة ما يجاوز حد الكثرة فتناولوه الحاضرون تعبئة وتكويرا، ثم أفيضت على الحاضرين من المدرسين ومشايخ الربط والمعידين بالمدارس والشعراء والتجار الغرياء ثم أنشد الشعراء المدائح فيها وفي منشئها فمما نظمه العدل أبو المعالي القاسم بن أبي الحديد المدائني الفقيه الشافعي⁴:

ما مثل الفلك العظيم لمبصر	في الأرض قبل أيلة المستنصر
هذا بناء معرب عن قدره	رفعت قواعده بفعل مطهر
حسدت به الأرض السماء ولم يزل	حسد الفضائل في طبع العنصر
أنظر تجد نظم الثريا في ذرى	شرفاته وضياء نور المشتري
ضحك الزمان وذاك بعد عبوسه	ورأى الصواب وذاك بعد تحير

1 - حسن الباشا : مدخل إلى الآثار الإسلامية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، (د، ت)، ص164.

2 - سورة الفرقان الآية 10.

3 - ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص59.

4 - ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص60.

فالأفق بين مفضض ومذهب
والأرض حاسرة القناع كأنها
تزهو بما عمر الخليفة فوقها
بالجانب الشرقي بالشاطئ الذي
ومنها أيضا:

ما حق دجلة أن تقوه بلفظه
غلب العطاء الماء فيها وانثى
إن أصبحت بحرا فإن بناءه
وضع الإمام بها أساس بنائه
قصرا ومدرسة لمن طلب الغنى
هي جنة الفردوس يجري تحتها
حصبائها در النظام وتربتها
أضحى سليمان الزمان وأهله

والجو بين مكوفر ومعنبر
خود تبرج في رداء أخضر
علما لأحكام البشير المنذر
هو طور سيناء كل صاحب منبر

قهرت وأي مساجل لم يقهر
سدا يفوق صناعة الإسكندر
بإفاضة المعروف خمسة أبحر
والموج بين مججم ومزجر
أو رام شأو العالم المتبحر
من ماء دجلة ماء نهر الكوثر
مسك الجنوب وطيبها كالعنبر
مستخدما فيها بجنة عبقر

و تعد المستنصرية أعظم مدرسة علمية شيدت في بغداد في أواخر عهد الدولة العباسية، واعتبر إنشائها خطوة كبيرة نحو التطور في العالم الإسلامي في ذلك العصر من حيث انفراد المستنصرية عن بقية المدارس الأخرى بتدريسها للفقهاء الإسلامي على المذاهب الأربعة، في حين اقتصرت بقية المدارس الأخرى في تدريسها للفقهاء على مذهب واحد كالنظامية التي اتخذت لتدريس المذهب الشافعي.

ومما تميزت به المدرسة المستنصرية عن بقية المدارس الأخرى أن الخليفة المستنصر بالله أمر أن يضاف إلى الفقه و الطب داران دار لتدريس القرآن ودار للسنة النبوية ، فقد شرط المستنصر (أن يكون في دار القرآن المجيد شيخ يلقي القرآن و ثلاثون صبيا أيتاما، و معيد يحفظ الثلاثين ، ويكون للشيخ كل يوم سبعة أرطال خبزا وغرفان طبيخا ، وفي الشهر ثلاثة دنانير وللمعيد في كل يوم أربعة أرطال خبزا وغرف طبيخا، وفي كل شهر دينار وعشرون قيراطا، وللصبيان لكل صبي في كل يوم ثلاثة أرطال خبزا وغرف طبيخا ، وكل شهر ثلاثة عشر قيراطا وحببة)¹.

¹ - كوركيس عواد، مصطفى جواد: المرجع السابق، ص 38.

وأما دار الحديث النبوي فقد شرط المستنصر أن (يكون في دار الحديث النبوي التي بها شيخ عالي الإسناد وقارئان وعشرة أنفس يشتغلون بعلم الحديث النبوي وأن يقرأ الحديث في كل يوم سبت واثنين وخميس من كل أسبوع وشرط لهم الجراية والمشاهدة والتعهد أسوة بالفقهاء)¹.

وذكر ابن الفوطي عن الشروط المتعلقة بهذه المدرسة وملحقاتها وما فرض لها من الجرايات والإنفاق ، فشرط أن يكون عدد الفقهاء مائتين وثمانية وأربعون متفقها، من كل طائفة اثنان وستون بالمشاهدة الوافرة والجراية الدارة واللحم الراتب والمطبخ الدائر إلى غير ذلك من الحلواء ، والفواكه والصابون، والبر، والفرش، والتعهد)².

ومن نصوص الأوقاف المرصودة للمستنصرية أن عوائد جرايات ومشاهرات هذه الأوقاف قد جعلت للطلبة والمدرسين والمعيديين والإداريين والمستخدمين فجعل لكل مدرس عشرين رطلا من اللحم بخضرها وحوائجها وحطبها ، وفي كل شهر اثني عشرة ديناراً وللمعيد سبعة أرطال خبز وغرفان طبيخاً كل يوم وثلاثة دنانير في الشهر، ويجرى على شيخ القرآن كل يوم خمسة أرطال وغرفين طبيخاً وثلاثة دنانير في الشهر، وللمعيد أربعة أرطال خبز وغرف طبيخ ودينار وعشرة قراريط في الشهر، أما الصبية فلكل صبي ثلاثة أرطال خبز وغرف طبيخ ، وثلاثة عشرة قيراط وحبّة في كل شهر³.

كما اتخذ لمنتسبي المدرسة طبيخاً له مشاهدة الخبز واللحم ، كما للنحوي سبع أرطال خبزاً ورطلان لحم وما يصلحه من الخضار والحوائج وثلاثة دنانير في الشهر ، كما تضمنت المدرسة أربعة أئمة وقارئ قرآن والداعي لهم عشرة قراريط في كل شهر مع المشاهدة ، وكان شيخ التلقين ينال ثلاثين درهماً وكذلك معيده⁴.

وطلبة الفقه المنتسبين إلى المستنصرية فقد كان ينال الواحد في الشهر ديناراً فضلاً عن الخبز والطبيخ والحلوى والفواكه والصابون والفرس والحمام وأربعة أرطال من اللحم⁵.

¹ - ابن الفوطي: الحوادث الجامعة ، ص 61.

² - ابن الفوطي ، ص 61. ابن الساعي : المصدر السابق ، 123-124.

³ - الأشرف الغساني : المصدر السابق ، ص 458-459.

⁴ - نفسه ، ص 460.

⁵ - رعد محمود البرهاوي: المرجع السابق ، ص 111.

وبذلك تقدرت المستتصرية عن نظيراتها من المدارس الأخرى في العالم الإسلامي بجمعها في آن واحد المذاهب الفقهية الأربعة¹، وعلوم القرآن والسنة النبوية، وعلم الطب، والعربية والرياضيات والفرائض وجعلها في مكان واحد أنشأ من مبان متعددة متلاصقة مع بعضها البعض².

وقد أوقف الخليفة المستنصر على مدرسته أوقافا عظيمة من أجل أن تظل المستتصرية عامرة ومن شأن هذه الأوقاف أن تكفل لها البقاء وضمان العيش للمنتسبين إليها وقال الذهبي عن أوقافها: (وأوقافها عظيمة غلت في بعض السنين سبعين ألف دينار، قيل إن:

قيمة ما أوقف عليها يساوي ألف ألف دينار)³.

ويبدو أن عدد المنتسبين إلى هذه المدرسة يبين مدى أهمية الأوقاف المرصودة لها فمن الفقهاء (الطلاب) والقيمين على المدرسة نحو الخمسمائة فرد، وعدد فقهاء المذاهب الأربعة زهاء المائتان وثمان وأربعون فقيها، وأربعة مدرسين وشيخ للحديث وشيخ للنحو وشيخ للطب وشيخ للفرائض، فجعل شيخ الحديث أبو الحسن القطيعي⁴ ورتب فيها الخبز والطبخ والحلاوة والفاكهة⁵.

وقد أرصد لأولئك المنتسبين للمدرسة من الجرايات الوافية، حيث رتب مطبخ بالمدرسة للفقهاء لطبخ الطعام فيعطى كل منهم كفايته من الطعام من أجود الخبز والحلاوة والفاكهة، وكانت جرايات الأيتام المنتسبين لدار القرآن الكريم لكل صبي كل يوم ثلاثة أرطال خبز،

¹ - غازي رجب محمد: العمارة العربية في العصر الإسلامي في العراق، منشورات المكتبة الوطنية، بغداد، 1989، ص 261.

² - محمد علي الرجوب: المرجع السابق، ص 106.

³ - شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: دول الإسلام، حققه إسماعيل مروة، دار صادر، بيروت، 1999، ج 2، ص 143.

⁴ - أبو الحسن القطيعي: هو محمد بن أحمد بن عمر بن الحسين بن خلف القطيعي، أبو الحسن بن أبي العباس من أهل القطيعة بباب الأنج، سمع الحديث وهو صغير، ثم طلب العلم بنفسه وكتب بخطه وسافر إلى الشام وسمع من أهلها، وأقام بالموصل، وسمع بها، وصحب أبا الفرج بن الجوزي وقرأ عليه كثيرا من مصنفاته و مروياته، وهو آخر من حدث ببغداد بصحيح البخاري كاملا، توفي سنة 634 هـ / 1236 م، ودفن بباب حرب. الصفدي: الوافي بالوفايات، ج 2، ص 92-93.

⁵ - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 46، ص 6. عبد الحسين مهدي الرحيم: المرجع السابق، ص 34.

وعرق طبيخا وله من النقد في كل شهر ثلاثة عشر قيراطا¹ و حبة، و لمنتسبي دار الحديث لكل واحد أربعة أرطال من الخبز وعرق طبيخا في اليوم ، ومن النقد ديناران وعشرة قراريط في الشهر، أما القراء جعلت جرياتهم مساوية لجريات الأيتام في العين والنقد ، كما أن جريات طلاب الطب مساوية لجريات طلاب الحديث في الخبز والطبيخ والمشاهدة².

و من شروط الواقف أن تُضاعف في كل شهر رمضان المشاهرات³ وذلك لاعتبار أن النفقات تتضاعف في هذا الشهر.

وعمل بالمدرسة مارستانا و رتب فيها مطبخا للفقهاء و مزملة للماء البارد ، وجعل لبيوت الفقهاء الحصر ، والبسط، والزيت، والورق والحبر وغير ذلك ، ولفقيه بعد ذلك في الشهر ديناراً، ورتب لهم حماما وهو أمر لم يسبق إلى مثله⁴.

ومن خلال أصناف تلك الجريات يتضح أن المرصودة منها للمدرسة المستنصرية على المنتسبين إليها من الطلاب كانت ثلاثة أنواع ، جريات عينية تشمل أنواع الطعام والتجهيزات المختلفة، ومنها نقدية متعلقة بالمشاهرات التي يتلقاها المنتسبون إليها، ومنها جريات أرصدت للإنفاق على المؤسسات التي ألحقت بالمدرسة التي تسهر على تقديم مختلف الخدمات لطلاب المدرسة مثل خدمات دار الكتب كتجهيزها بأوراق الكتابة والحبر و الأقلام، وتزويد المارستان بأنواع الأدوية والعقاقير وغيرها من الخدمات⁵.

وما يمكن أن نستنتجه عن جريات ومشاهرات المستنصرية أنها كانت تدفع بشكل يحقق التوازن وحسب أهمية دور المنتسب إلى المدرسة، وأن التكفل بالطلاب من دفع المرتبات لهم وإيوائهم كان بغيته توفير الظروف المناسبة لتحفيز الطلبة على طلب العلم

1 - قيراط: وزنه عند أهل العراق 0.2232غم .فالترهنتس : المرجع السابق ، ص44.

2 -الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج46 ، ص 6. عبد الحسين مهدي الرحيم:المرجع السابق، ص34.

3 - الأشرف الغساني : المصدر السابق، ج2، ص460.

4 - السيوطي: تاريخ الخلفاء ، ص413.

5 - عبد الحسين مهدي الرحيم: المرجع السابق ، ص35.

وتحصيله بعيدا عن كل ما يشغلهم ويلهيهم عن ذلك من مشاغل الحياة، وتربيتهم وتعليمهم على أسس سليمة تضمن ارتباطهم بمدرستهم ومدرسيهم¹.

ويظهر من خلال تلك الجرايات أنها حققت مستوى معاشيا عاليا للمنتسبين إلى المدرسة وذلك راجع إلى سعر الدينار في تلك الفترة والتعامل به وقوته الشرائية، فقد كان الدينار يساوي اثنتي عشرة درهما غالبا، فقد ذكر صفي الدين عبد المؤمن بن فاخر البغدادي أحد طلاب المستنصرية أنه كان له راتب من الديوان كل سنة خمسة آلاف دينار يكون عنها دراهم مبلغ ستين ألف درهم².

ب- مدارس واسط:

بالنسبة إلى مدارس مدينة واسط فلم تسعفنا المصادر عن شأن الإنفاق عليها، ولم نثبت منها إلا ما قد عثرنا عليه في حدود ما ينضبط مع حدود الدراسة وطبيعتها التاريخية والموضوعية.

المدرسة الشرايية بواسط:

تنسب إلى منشئها³ شرف الدين أبي الفضائل إقبال بن عبد الله الشراي الشافعي (ت: 653 هـ/1255 م) وكانت تقع في الجانب الشرقي من المدينة على نهر دجلة لجامع كان قد اندثر، وافتتحت أبوابها لطلاب العلم في السابع عشر من شعبان سنة 632 هـ/1234 م، ووقفها على الشافعية، ورتب بها معيدان واثنتين وعشرين فقيها، وتعد المدرسة الشرايية من أعظم المدارس الشافعية بواسط، وكانت تحظى هذه المدرسة برعاية مباشرة من منشئها فكانت تحت إشرافه، وقد خلع على مدرسيها والمعيدين بها وعلى طلابها وعلى العاملين الذين رتبوا لخدمتها⁴.

2- مدارس الشام:

فقد كانت بلاد الشام من أولى أمصار بلاد الإسلام التي أولت عنايتها بتشديد المدارس وقد بلغ تعدادها مائة ثمان وعشرون مدرسة فكان لها دور كبير في تدريس العلوم ونشرها

¹ - محمد جاسم المحمدي وأسامة ناصر النقشبندي: المستنصرية في التاريخ، منشورات الندوة العلمية لإتحاد المؤرخين العرب و الجامعة المستنصرية ، بغداد، 1986، ص89.

² - ناجي معروف: المرجع السابق، ج1، ص41.

³ - هناك من ينسب هذه المدرسة إلى شرف الدولة محمد بن ورام الكردي الجواني الشافعي. عبد القادر سلمان المعاضيدي: المرجع السابق ، ص235.

⁴ - ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ، ص74. عبد القادر سلمان المعاضيدي ، المرجع السابق ، ص235.

، فكانت مركزا للعلم والعلماء وملجأ لطلبة العلم والعلماء يقيمون فيها ويطعمون ، وقد كان أهالي بلاد الشام من رجال الدولة وغيرهم يتسابقون في تخصيص الأوقاف لها من قرى وحوانيت ومباني وأراضي زراعية وغيرها¹ ومن هذه المدارس :

1-المدرسة الزجاجية:

وهي أول مدرسة أنشئت بحلب أنشأها أبو الربيع سليمان بن عبد الجبار بن أرتق صاحب حلب وبدأ في بنائها سنة 516هـ / 1122 م، وقد كتب على حائطها سنة 517 هـ / 1123 م².

وعندما بدأ في إنشائها عارض الحلبيون بناء هذه المدرسة ويرجع ابن شداد السبب إلى كون أن الحلبيين قد غلب عليهم التشيع في ذلك الحين، فكان كلما بنى من أساسها شيئا في النهار عمد الحلبيون إلى هدمه في الليل إلى أن سئم من ذلك فأحضر أحد الأشراف وهو زهرة بن علي بن محمد بن أبي إبراهيم الإسحاقي الحسيني³ والتمس منه أن يشرع في بنائها بنفسه حتى يكف عن هدم البناء من كان يعارض بناء هذه المدرسة ، وظل هذا الشريف ملازما لعملية البناء يشرف عليها بنفسه حتى تم بناؤها⁴.

ورتب أمر التدريس بها والنظر على أوقافها للشيخ أبو طالب شرف الدين بن العجمي الحلبي الشافعي⁵، وقد كان معروفا بجلالة القدر ومكارم الأخلاق ،من أهل البر والإحسان، كانت له أوقاف جليلة بحلب⁶.

¹ محمود حرياتي : البيمارستان في حلب ودوره في تقدم العلوم الطبية عند العرب ،أبحاث المؤتمر السنوي الخامس لتاريخ العلوم عند العرب ، جامعة حلب ، منشورات معهد التراث العلمي العربي، 1402 هـ/1981 م، ص263.

² ابن شداد : الأعلام الخطيرة ، ج1، ق1، ص 96 .

³ وقد كان هذا الشريف من أكابر الأشراف ، مقدما عند أهل حلب لما كان يُعرف به من الوجاهة ورجاحة الرأي ، محترما يمتثل الناس لأمره ونهيه ، كما حظي بالاحترام والتبجيل عند الملوك فقد رافقه عماد الدين زنكي لما ذهب إلى الموصل سنة 539 هـ / 1144 م حيث مات هذا الشريف سنة 540 هـ / 1145 م.ابن شداد:الأعلام الخطيرة ،ج1،ق1،ص 97.

⁴ ابن شداد: المصدر السابق ،ج1 ، ق1، ص97.

⁵ هو عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن بن طاهر بن محمد أبو طالب بن العجمي الحلبي ولد سنة 480 هـ / 1087 م ، نشأ ببيت حشمة وفضيلة ، رحل إلى بغداد وتفقّه بها ثم رجع إلى حلب وبعثه صاحبها رسولا إلى دمشق ، وتولى عمارة المسجد الذي يبعلبك في أيام أتابك زنكي بن أقسنقر ، ثم حج وجاور البيت الحرام، وتولى عمارة المسجد الحرام ، وبنى مدرسة بحلب ووقف عليها أوقافا جليلة ، كان محبا للعلماء ، توفي سنة 561 هـ / 1165 م. الذهبي : تاريخ الإسلام ،ج39 ، ص 84-85 .العبر ، ج3 ، 290 .ابن العماد : المصدر السابق ، ج6 ، ص 320.

⁶ قطب الدين موسى بن محمد اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بجدير آباد ، ط1، الهند ، 1375 هـ / 1955 م ، ج2 ، ص 19 .الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج23 ، ص 349 .ابن العماد : المصدر السابق ، ج7 ، ص507.

أما ما أجري عليها من الأموال فقد أورد ابن شداد نكرا لأوقاف كانت مرصودة لهذه المدرسة دون تفصيل لطبيعة هذه الأوقاف التي خصصت لأنفاق عوائدها وما تدر به من أموال على المدرسة والمنتسبين إليها .

كما أن ابن شداد قد ذكر أنه لما ملك الأتابك عماد الدين زنكي بن قسيم الدولة آق سنقر حلب سنة 522 هـ / 1128 م زاد في وقف هذه المدرسة¹.

(2) - المدرسة الحلاوية² بدمشق:

كانت هذه المدرسة كنيسة بنتها هيلانة أم قسطنطين وقد صُيرت مسجداً، حيث ذكر ابن شداد أن الفرنج لما حاصروا حلب سنة 518 هـ / 1124 م بعثوا القبور التي كانت بظاهرها عبثاً وتحريقاً ، فعمد القاضي أبو الحسن ابن القاضي أبي الفضل بن الخشاب الحلبي إلى أربع كنائس كانت بحلب فصيورها مساجد وقد كانت هذه المدرسة تعرف بمسجد السراجين³.

ولما ملك نور الدين محمود حلب سنة 543 هـ / 1148 م جعل هذا المسجد مدرسة سنة 544 هـ / 1149 م⁴، واتخذ فيه مساكن يأوي إليها الطلبة ، فكانت من أعظم المدارس صيتاً وأكثرها طلبة وأغزرها جامكية⁵.

ويُذكر أنه أُرصد لهذه المدرسة أوقافاً عظيمة فكان يحمل إليها من الأموال في كل شهر رمضان ثلاثة آلاف درهم ، وكان يُصنع للطلبة طعاماً في ليلة النصف من شعبان في كل سنة حلوى معلومة ، وفي الشتاء ثمن الثياب لكل فقيه شيء معلوم، وفي أيام شرب الدواء من فصلي الربيع والخريف ثمن ما يحتاج إليه من دواء وفاكهة ، والحلوى في الموالد، وتعطى لهم في الأعياد دراهم معلومة، وفي أيام الفاكهة ما يشتهون به بطيخاً ومشمشاً وتوتاً⁶.

¹ - ابن شداد : الأعلام الخطيرة ، ج1، ق1 ، ص 97.

² - ويذكرها ابن شداد بالمدرسة النيفرية النورية. الأعلام الخطيرة ، ج1، ق1 ، ص 100.

³ - ابن شداد : الأعلام الخطيرة ، ج1، ق1 ، ص 110.

⁴ - رضوان أحمد مصلح الليث: المرجع السابق، ص102.

⁵ - ابن شداد : الأعلام الخطيرة ، ج1، ق1 ، ص 110.

⁶ - ابن شداد ، الأعلام الخطيرة ، ج1، ق1 ، ص 100. رعد محمود البرهاوي: المرجع السابق، ص108.

فكانت المدرسة الحلاوية بحلب من أعظم المدارس لما كان يفد عليها من الطلبة وما كانت تتوفر عليه من مشاهرات و جرايات وذلك لما كانت تدر به عوائد الأوقاف المالية المرصودة لهذه المدرسة¹.

(3) - مدرسة الشيخ أبي عمر المقدسي²:

وتنسب هذه المدرسة إلى بانيها الشيخ أبي عمر المقدسي الذي بناها على سفح قاسيون³ بدمشق ، ذكر أن هذه المدرسة تقدم بها الجرايات للمنتسبين إليها للمدرس ثلاثة أرغفة من الخبز في اليوم، ورغيفين للطالب، ويقدم الطعام في شهر رمضان باللحم والحلويات والزبيب والقضامة تقدم يوم الجمعة، وحلويات دهنية وكعك مشبك بالعسل ، وحلاوة في الموسم من شهر رجب ولوزية كما تقدم الجوزية في النصف من شعبان، وكنافة ليلة العاشر من رمضان، كما يقدم في عيد الفطر طعاما حامضا ولحما وهريسة وأرزا وحلوا ، و تقدم أضحية عيد الأضحى، بالإضافة إلى ذلك تقدم خدمات متعلقة بالصحة والنظافة كالحمام لاستحمام الطلبة، ومستلزمات ذلك مثل الصابون والحصر، وسخانة لتسخين الماء في الشتاء لغسل من احتلم كما يعطى لكل منتسب مرة في السنة قميصا وسروالا، كما يتم ختان الفقراء والأيتام لاسيما الذين ينتسبون إلى المدرسة⁴.

(4) - المدرسة الرواحية:

تنسب إلى بانيها زكي الدين أبو القاسم هبة الله بن محمد المعروف بابن رواحة⁵، كانت شرقي مسجد ابن عروة بالجامع الأموي شمالي جيرون وغربي الدولعية وقبلي

¹ - رضوان أحمد مصلح الليث، المرجع السابق ، ص94.

² - الشيخ أبو عمر المقدسي: هو أبو عمر المقدسي الزاهد محمد بن أحمد بن قدامة بن مقدم بن حسن الحنبلي القدوة الزاهد أحو العلامة وفق الدين ، ولد بجماعيل سنة 1133/هـ 528 م ، وهاجر إلى دمشق لاستيلاء الفرنجة على الأراضي المقدسة ، سمع الحديث من أبي المكارم عبد الواحد هلال وطائفة كثيرة ، كتب الكثير بخطه ، وحفظ القرآن والفقه والحديث ، وكان إماما فاضلا زاهدا عبادا قانتا لله خائفا من الله منيبا إليه، كثير النفع طلق الوجه ، ذا أوراد وتهجد واجتهاد ، وأوقات مقسمة على الطاعة بين الصيام والقيام والذكر ، كان عديم النظير بزمانه خطب بجامع الجبل إلى أن توفي سنة 1210/هـ 607 م وله من العمر ثمانون سنة ، أوقف مدرسته على القرآن والفقه ، وقد حفظ فيها خلق كثير ، رحمه الله تعالى. زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري : التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (د،ت) ، ج2 ، ص 202-203 . الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج22 ، ص5. ابن كثير: المصدر السابق ، ج17، ص20. النعمي: المصدر السابق، ج2 ، ص78.

³ - ابن كثير: المصدر السابق ، ج17، ص20.

⁴ - النعمي: المصدر السابق ج2، ص 86-87. رعد محمود البرهاوي : المرجع السابق، ص 109.

⁵ - زكي الدين أبو القاسم هبة الله بن محمد : المعروف بابن رواحة وقيل له ابن رواحة لأنه ابن أخت أبي عبد الله الحسين بن عبد الله بن رواحة، كان أحد التجار ذوي الثروة ، وهو من المعدلين بدمشق، كان محتشما ، وقد ابنتى المدرسة الرواحية بدمشق،

الشرقية الحنبلية، وقد أوقفها على الشافعية، وفوض تدريسها ونظرها إلى الشيخ تقي الدين بن الصلاح الشهرزوري¹، وشرط على الفقهاء والمدرس شروطا صعبة قد يعجز عن القيام ببعضها، وشرط ألا يدخلها يهودي ولا نصراني ولا حنبلي حشوي².
 وشرط في وقفها ألا يتولاها حاكم متصرف، ثم جعل القاضي زين الدين أبو محمد عبد الله بن الشيخ الحافظ عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الأسدي الذي ظل يدرس بها إلى أن تولى نيابة الحكم في حلب سنة 523 هـ/1128 م³.
 وقد كان لهذه المدرسة جرايات لمنتسبيها متعلقة بالمأكل والرواتب النقدية واللباس والمسكن، فالإمام النووي⁴ وهو أحد كبار المذهب الشافعي عاش على جارية المدرسة الرواحية بدمشق لفترة، فقد ورد عنه في ذيل مرآة الزمان قوله: (لما كان عمري تسعة عشر سنة قدم بي والدي إلى دمشق سنة تسع وأربعين⁵، فسكنت الرواحية وبقيت نحو سنتين لم أضع جنبي إلى الأرض، وكان قوتي فيها جارية المدرسة لا غير)⁶.

داخل باب الفرائد، وأخرى بحلب، انقطع في آخر عمره بالمدرسة التي بدمشق توفي سنة 623 هـ/1225 م. أبو شامة المقدسي: الذيل على الروضتين، ص149. ابن كثير، المصدر السابق، ج17، ص156-157. النعمي: المصدر السابق، ج1، ص199-200. ابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص183.

¹ - تقي الدين بن الصلاح الشهرزوري: هو عثمان بن عبد الرحمن بن موسى بن أبي نصر الكردي الشهرزوري الشيخ العلامة تقي الدين أحد أئمة المسلمين علما ودينا، أبو عمرو بن الصلاح ولد سنة 577 هـ/1181 م، سمع الحديث بالموصل وبغداد ونيسابور ودمشق، وتفقّه عليه خلائق وكان إماما كبيرا ومحدثا زاهدا ورعا مفيدا معلما، قال عنه ابن خلكان: (كان أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال وما يتعلق بعلم الحديث وفقه اللغة، وكانت فتاويه مسددة) استوطن دمشق، درّس بالصلاحية بالقدس ثم أقام بدمشق، وولي التدريس بالرواحية والشامية والجوانية ومشخة دار الحديث الأشرفية، توفي سنة 623 هـ/1225 م. ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص243. السبكي: المصدر السابق، ج8، ص326-327. ابن هداية الله الحسيني: المصدر السابق، ص220-221.

² - النعمي، المصدر السابق، ج1، ص199-202.

³ - ابن شداد: الأعلام الخطيرة، ج1، ق1، ص104.

⁴ - محيي الدين النووي: هو يحيى بن شرف بن مرى أبي الحسن بن الحسين محمد بن محمد بن جمعة بن حزام أبو زكريا محيي الدين النووي، الفقيه الشافعي المحدث الزاهد، المتبحر في العلوم، ولد سنة 631 هـ/1233 م، له تصانيف كثيرة ومفيدة، درّس بالمدرسة الفلكية والمدرسة الركنية والمدرسة الإقبالية الشافعية، ولي مشخة دار الحديث الأشرفية، نشر علما جما، وشرح صحيح مسلم، كان كثير التلاوة للقرآن الكريم وذكر الله تعالى، كان معرضا عن الدنيا مقبلا على الآخرة منذ صباه، توفي سنة 676 هـ/1277 م. اليونيني: المصدر السابق، ج3، ص283-284. الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج4، ص1470-1471. السبكي: المصدر السابق، ج8، ص395. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج7، ص237.

⁵ - وهي سنة ستمائة وتسع وأربعين هجرية.

⁶ - قطب الدين اليونيني: المصدر السابق، ج3، ص284.

ونكر الذهبي عنه أنه (قدم دمشق سنة تسع وأربعين فسكن الرواحية يتناول خبز المدرسة)¹.

5- المدرسة الشرفية :

تنسب إلى منشئها الشيخ الإمام شرف الدين أبو طالب عبد الرحمن بن أبي صالح عبد الرحيم المعروف بالعجمي، وقد انفق على بنائها مالا كثيرا ما يزيد عن أربعمئة ألف درهم ، ووقف عليها أوقافا كثيرة تجري عوائدها على المدرسة للإنفاق على مرافقها وعلى المنتسبين إليها من الطلبة والمدرسين، وقد رتب واقفها للتدريس بها ابنه محي الدين محمد الذي ظل ملازما للتدريس بها إلى أن قتل على يد التتار بعد استيلائهم على حلب².

6- المدرسة الهروية :

بناها الشيخ أبو الحسن علي بن أبي بكر الهروي السائح³، الذي طاف البلاد وأكثر الزيارات فاشتهر بالسياحة في البلاد فسمي بالسائح⁴ ، وهو مشهور بنزيل حلب، وله بها رباط⁵ ، كان له حظوة عند الملك الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب، الذي أقام عنده وكان كثير الرعاية له، فبنى له هذه المدرسة بظاهر حلب فكانت تعرف باسمه، ودفن بناحية منها⁶.

1 - الذهبي : تذكره الحفاظ ، ج 4 ، ص 1470.

2 - ابن شداد : الأعلاق الخطيرة ، ج 1 ، ق 1 ، ص 106.

3- أبو الحسن علي الهروي : هو أبو الحسن علي بن أبي بكر بن علي الهروي ، السائح المشهور بنزيل حلب ، طاف البلاد وأكثر الزيارات ، قال ابن خلكان : لم يترك برا ولا بحرا ولا سهلا ولا جبلا في الأماكن التي يمكن قصدها ورأيتها إلا رأها ، ولما سار ذكره بذلك واشتهر به ضرب المثل فيه ، كانت له حظوة عند الملك الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب ، فأقام عنده فكان كثير الرعاية له ، بنى له مدرسة بظاهر حلب وهو مدفون بناحية منها، وله مصنفات منها كتاب (الإشارات في معرفة الزيارات) و كتاب (الخطب الهروية) ، قال الذهبي : رأيت له كتاب (المزارات والمشاهد) التي عاينها في الدنيا فرأيت حاطب ليل وعنده عامية، ذكر ابن شداد وفاته سنة 610 هـ/ 1213 م، أما غيره كابن خلكان والذهبي سنة 611 هـ/ 1214 م. ابن خلكان: المصدر السابق: ج3، ص346-347. الذهبي: المشتبه في أسماء الرجال، مطبع بريل، ليدن، (د،ط)، 1881 م، ص249. تاريخ الإسلام، ج44، ص81-82. ابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص90. كامل حسين بن حسين بن محمد البالي الحلبي الشهير بابن الغزي: نهر الذهب في تاريخ حلب، المطبعة المارونية، حلب، (د،ط)، (د،ت)، ج2، ص293 .

4 - شمس الدين أبي المعالي محمد بن عبد الرحمن ابن الغزي : ديوان الإسلام ، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، 1411 هـ / 1990 م ، ج 4 ، ص 352-353.

5 - الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج 44 ، ص 82.

6- ابن خلكان : المصدر السابق ، ج 3 ، ص 347.

وقد كان لهذه المدرسة سوقا موقوفة عليها تجري محصلاتها المالية على المنتسبين إليها ، وقد أتى الخراب على هذه المدرسة في فترة التتار¹ سنة 658 هـ/1259 م ، وقد خرب بعضها ولم يبق بها ساكن ، كما خرب وقفها².

(7) - المدرسة الشامية الجوانية:

بنتها ست الشام أخت صلاح الدين الأيوبي سنة 628 هـ/1230 م ، أوقفت على الشافعية ، وعهد المدرس بها قاضي القضاة زكي الدين أبي العباس الطاهر أحمد بن محمد بن علي القرشي، والإمام والمؤذن بها والقيم، فأجري على المدرس في كل شهر من الحنطة غرارة³ ومن الشعير غرارة ومن الفضة مائة وثلاثون درهما ناصرية، وجعلت من أوقافها ثمن مائة درهم فضة ناصرية في كل سنة تصرف في ثمن بطيخ ومشمش وحلوى في ليلة النصف من شعبان، وكذا ثمن الزيت والمصاييح والحصر والبسط والقناديل والشمع ، وما تدعو الحاجة إليه، وما فضل كان إلى المدرس الشافعي وإلى الفقهاء والمتفقهة وإلى المؤذن والقيم⁴.

و من خلال الوقفية التي أقرتها صاحببتها على المدرسة نجد أنها قد حددت أسسا لأوجه الإنفاق على المدرسة بحيث:

- يبدأ بما تحتاج إليه المدرسة من مصاييح وزيت وبسط وشمع وقناديل.
- ثم ما قرر للمدرس من غرار الحنطة والشعير و ما يدفع له من النقد وهو مائة وثلاثون درهما فضة.
- ما فضل من مال الوقف يصرف عشر الباقي منه إلى الناظر⁵ مقابل خدمته وإدارته لأوقاف المدرسة والإشراف عليها.

¹ - عندما دخل المغول بغداد هدموا مساجدها واستولوا على محتويات قصورها وأتلفوا كثيرا من الكتب بمكتباتها وقتلوا العلماء وأئمة المساجد وحفظت القرآن وتوقفت المدارس والأربطة. Brown :Literary His of Persia :II p463

² - ابن شداد : الأعلام الخطيرة ، ق1 ، ج1 ، ص108. ابن الغزي : المرجع السابق ، ج2 ، ص293 - 294.

³ - غرارة : مكيال دمشقي للحنطة ، وهي تتألف من 12 مدا دمشقية ، والغرارة الواحدة + مد ونصف مد كانت = 3 أرادب مصرية تقريبا ، والأردب حوالي 69.6 كغم (قمح) أو حوالي 90 لترا باعتباره مكايلا ، وعلى هذا يكون وزن الغرارة حوالي 204.5 كغم (قمح) أو حوالي 265 لترا بوصفها مكايلا. فالترهنتس : المرجع السابق ، ص64.

⁴ - النعيمي: المصدر السابق، ج1، ص227 - 228.

⁵ - الناظر : وهو من يتولى رعاية الوقف وإدارة شؤونه فيأخذ أجره على ذلك ، وأصل ذلك ما فعله عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما ورد في كتاب وقفه (لوالى هذه الصدقة أن يأكل غير متأثلا) وفعل مثل ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من الصحابة والتابعين . محمد أبو زهرة: محاضرات في الوقف، دار الفكر العربي، القاهرة، 1425 هـ/2005 م، ص339.

- نفقة تخرج كل سنة في النصف من شعبان، ثلاث مائة درهم ثمن البطيخ والمشمش والحلوى في هذه المناسبة.

- ويصرف الباقي إلى المنتسبين من الفقهاء والمتفهمة و المؤذن والقيم ويعطى كل حسب نظر الناظر واجتهاده سواء من حيث التسوية أم التفضيل أو الحرمان¹.

(8) - المدرسة الدخوارية:

نسبة إلى منشئها الطبيب الشيخ الإمام مهذب الدين بن عبد الرحيم بن علي بن حامد المعروف بالدخوار (ت: 628 هـ/1230م)²، الذي أنشأها سنة 621 هـ/ 1224 م، ولاشتهاره بصناعة الطب وبراعته وحذقه في معالجة الأمراض، وما أبداه من براعة في معالجة الملك العادل أبي بكر بن أيوب لعدة أصابته سنة 610 هـ/1213 م فكافأه على ذلك فأعطاه مبلغ سبعة آلاف دينار، وفي سنة 612 هـ/1215 م انتشر وباء عظيم فتك بالناس فأصاب الملك الكامل وأعيان من خاصته فعالجهم الطبيب مهذب الدين حتى برئ فأجزل له في المكافأة من الخلع والهدايا فكان مالا كثيرا قدر باثني عشرة ألف دينار وأربع عشرة بغلة بأطواق ذهب والخلع الأطلس، كما عين نظير ذلك من قبل الملك العادل رئيسا لأطباء الشام ومصر، وأوكل إليه أمر الإشراف على الأطباء وإجازتهم على ممارسة الطب ومن تلك الأموال أنشأ المدرسة الدخوارية وقف عليها ضياعا وأماكن للصرف على مصالحتها والمنتسبين إليها و جريات شهرية للمدرسين المشتغلين بها³.

(9) - مدرسة النقيب :

¹ - النعيمي: المصدر السابق، ج1، ص227-228. أحمد شلبي: المرجع السابق، ص373-374.

² - الدخوار: هو مهذب الدين بن عبد الرحيم بن علي بن حامد المعروف بالدخوار، شيخ الأطباء بدمشق، ولد سنة 565هـ/1169 م، وقد وقف داره بدارب العميد بالقرب من الصاغة العتيق على الأطباء بدمشق المحروسة مدرسة لهم، انتهت إليه معرفة الطب، وصنف فيه تصانيف كثيرة، وكانت له حظوة عند الملوك، وكانت وفاته في صفر سنة 628 هـ/1230 م. ابن كثير: المصدر السابق، ج17، ص187. محمد بن طولون الصالحي: القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحيّة، تحقيق محمد أحمد دهمان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (د،ت)، القسم الأول، ص ص 331-333. ابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص224.

³ - ابن كثير: المصدر السابق، ج17، ص187-188. ابن طولون الصالحي: المصدر السابق، ص 332. النعيمي: المصدر السابق، ص101-102. جمال محمد سالم عريكي: فقهاء الشام في مواجهة الغزو الصليبي، (491 هـ-690 هـ/1097-1291م)، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة، 2006، ص395.

تتسبب إلى منشئها السيد الشريف النقيب عز الدين أبو الفتح المرتضى بن أحمد الإسحاقى المؤتمنى الحسينى¹ على أعالي جبل جوشن² ، متاخمة لدار المعز، وهي غاية في العمارة لذلك يقال لها تاج حلب ، بها مساكن للمقيمين بها ومرافق مختلفة ، وهي من أجمل منتزهات حلب³ ، وهي مدرسة من المدارس الحنفية⁴ ، وقد كانت المدرسة في بداية نشأتها مشهرا ثم صيرّه صاحبه مدرسة، وجعل لها وقفا تدر عوائده المالية على المنتسبين إلى المدرسة ، وكان يدرس بها في سنة 654 هـ / 1256 م⁵.

3- مدارس إقليم الجزيرة الفراتية:

أ- مدارس الموصل:

1-المدرسة الكمالية القسوية:

أنشأها أبو الفضل كمال الدين محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري الشيباني(492- 572 هـ / 1098-1176 م)⁶ ، من أشهر علماء الدولة الأتابكية الذي

1- الشريف أبو الفتح المرتضى: هو الشريف أبو الفتح عز الدين بن أبي طالب أحمد بن محمد بن جعفر بن زيد بن جعفر بن الحسين الإسحاقى الحلبي نقيب الأشراف بحلب، ولد سنة 579 هـ/1183 م ،سمع من أعلام العلم ، وحدث بدمشق وحلب ، كان من أعيان الناس ، وهو الذي شهّر ابن العود الذي توفي سنة 679 هـ/1280 م على حمار لما سب الصحابة ، وقد كان المرتضى سني العقيدة ، كثير المناقب والمفاخر ، وهو من نسل أبي بكر الصديق من جهة أمه.الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج48 ، ص157. محمد راغب الطباخ الحلبي: إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، صححه وعلق عليه محمد كمال، دار القلم العربي، ط2 ،حلب، 1409 هـ / 1989 م، ج 4 ، ص 410.

2- جوشن : جبل مظل على حلب في غربيها ، في سفحه مقابر ومشاهد للشيعية ، وكان به معادن النحاس ، فكان يحمل منه النحاس الأحمر. ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج2 ، ص 186.

3- محمد راغب الطباخ الحلبي : المصدر السابق، ج 4 ، ص 411.

4- ذكر ابن شداد أن هذه المدرسة من المدارس الحنفية بظاهر حلب ، وهذا ما يقتضي أن الشريف واقف المدرسة كان حنفي المذهب ، ولم يعرف عنه ذلك ولا أن أحدا من أهله أنه كان كذلك.محمد راغب الطباخ الحلبي : المصدر السابق،ج4 ،ص412.

5- ابن شداد : الأعلام الخطيرة ، ج1،ق1،ص120. محمد راغب الطباخ الحلبي:المصدر السابق،ج4،ص411.

6 - كمال الدين الشهرزوري الموصلى:هو محمد بن عبد الله القاسم أبو الفضل قاضي القضاة بدمشق كمال الدين الشهرزوري الموصلى له بها مدرسة أوقفها على الشافعية وأخرى بنصيبين ، تفقه ببغداد وولي القضاء بدمشق، كما استوزره نور الدين محمود زنكي ، وكان يبعثه بالرسائل ، وفوض له نظر الجوامع ودار الضرب والأوقاف وأموال السلطان ، كان فقيها أصوليا أديبا شاعرا ، فاضلا دينا أمينا ثقة ورعا ، أوقف أوقافا كثيرة منها مدرسة الموصل، كان يهب الألف دينار فما فوقها، يتكلم في الخلاف والأصوليين كلاما حسنا، كان شهما جوادا كثير الصدقة والمعروف ، توفي في محرم 572 هـ/1176 م . ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج10، ص84 . ابن خلكان :المصدر السابق ، ج4 ، ص 241 - 242. السبكي: المصدر السابق، ج6 ، ص 117- 119. ابن كثير: المصدر السابق،ج16، ص521.تقي الدين بن قاضي شهبة دمشقي:طبقات الشافعية،عني بتصحيحه والتعليق عليه الحافظ عبد العليم خان،مطبعة مجلس دائرة المعارف الإسلامية،ط1،الهند، 1399 هـ / 1979م،ج2 ، ص 16-17.ابن العماد:المصدر السابق،ج6، ص 403 - 404.

كانت له أوقاف كثيرة¹ بالموصل ونصيبين ودمشق والمدينة المنورة ، وقد أوقف على هذه المدرسة أوقافا عظيمة، أرصدت عوائدها كجرايات للإنفاق على من يتعلم ويدرس بها ، وقد تولى التدريس بها ابنه محمد بن كمال الدين الشهرزوري (510- 586هـ/1116- 1190 م) الذي درس بالنظامية، وكما درس بها ابنه الآخر جلال الدين عبد الرحمن(ت: 566هـ / 1120م)،

كما درس بها أبو العباس أحمد بن نصر بن الحسين الأنباري(ت: 598 هـ / 1201 م)².
(2) - مدرسة الجامع النوري:

أنشأها السلطان نور الدين محمود بالجامع النوري بعد ما اكتمل بناء الجامع سنة 568 هـ/ 1172 م رأى من المستحسن أن يجمع بين الدين والعلم في هذا الجامع فأنشأ مدرسته فيه³.

وعهد بالتدريس بها إلى عماد الدين أبي بكر التوقاني الفقيه الشافعي وهو تلميذ أحد تلامذة الإمام أبو حامد الغزالي، الذي وصل الموصل في نفس السنة، وأرصد لها وللجامع أوقاف قرية من قرى الموصل وجعلت العوائد المالية لهذه الأوقاف للإنفاق على خدمة المدرسة والجامع⁴.

(3) - المدرسة المجاهدية:

أنشأت سنة 576 هـ / 1180 م وتنسب إلى بانيها مجاهد الدين أبو منصور قيمان بن عبد الله الزيني، وكان من خيرة رجال الدولة الأتابكية، محبا للخير والعلم، أنشأ الكثير من المؤسسات الخيرية، أنشأها بالقرب من جامع المجاهدي، ووقفها على الشافعية، كانت له صدقات جارية كثيرة⁵، ووقف الوقوف الكثيرة على منشأته الخيرية، منها المدرسة المجاهدية والمدرسة التي أنشأها بإربل والخانقاه للصوفية، والمارستان والجسر

¹ - ابن قاضي شهبة : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 17.

² - ابن خلكان :المصدر السابق ، ج 4 ، ص 241 - 242. السبكي : المصدر السابق، ج 6 ، ص ص 117 - 119. ابن كثير: المصدر السابق ، ج 16، ص 521. عبد الله بن ناصر بن سليمان الحارثي: المرجع السابق، ص 407. سعيد الديوه جي : تاريخ الموصل ، ج 1 ، ص 348.

³ - سعيد الديوه جي : تاريخ الموصل ، ج 1، ص 347.

⁴ - عبد الله بن ناصر بن سليمان الحارثي: المرجع السابق، ص 406.

⁵ - ابن كثير : المصدر السابق، ج 16، ص 690.

ورباطا للأيتام وأجرى لهم ما يحتاجون إليه¹، وكل هذه الأوقاف في الريض الأسفل من الموصل، ولم يدع في الموصل بيتا فقيرا إلا وأغنى أهله، وكان يتصدق في اليوم بمائة دينار²، قال عنه ابن الأثير (كان من محاسن الدنيا)³.

4- المدرسة العزية:

تنسب إلى بانيها عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود صاحب الموصل بباب دار المملكة من الجهة الغربية وجعلها وقفا على فقهاء الشافعية والحنفية، وقرر لمن بها من المنتسبين ما لم يعهد في مدرسة أخرى من الفواكه والحلوى والدعوات في المواسم والأعياد والتسريح للوقود والفحم وغير ذلك، وقرر في وقفها من الصدقات كل أسبوع،

وفي الليالي الشريفة والمباركة شيئا كثيرا⁴.

5- المدرسة النورية:

أنشأها نور الدين أرسلان بن عز الدين مسعود الأول (589هـ-607هـ/1193-1210م)⁵ الذي في عهده أعاد هيبة الدولة الأتابكية، وكان محبوبا لدى العامة لما تحلى به من ضروب الشجاعة والشهامة، ومن فضائل أعماله أن بنى هذه المدرسة بباطن الموصل مقابل دار الحكمة ووقف لها أوقافا كثيرة جعلها على سنتين فقيها من الشافعية، وأجرى فيها من الصدقات والتعهدات للصوفية والفقراء⁶.

ب- مدارس سنجار⁷:

¹ - ابن خلكان : المصدر السابق، ج4، ص82 .

² - أبو شامة المقدسي: الذيل على الروضتين، ص 16. سعيد الديوه جي: تاريخ الموصل، ج1، ص349. عبد الله بن ناصر بن سليمان الحارثي: المرجع السابق، ص408 .

³ - ابن الأثير: الكامل، ج 10، ص 263.

⁴ - سعيد الديوه جي: تاريخ الموصل، ج1، ص346. عبد الله بن ناصر بن سليمان الحارثي: المرجع السابق، ص408-409.

⁵ - هو أبو الحارث أرسلان شاه بن عز الدين مسعود قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر صاحب الموصل المعروف بأتابك الملقب بالملك العادل نور الدين، ملك الموصل بعد وفاة أبيه، وكان ملكا شهما عارفا بالأمر، انتقل إلى المذهب الشافعي، ولم يكن في البيت شافعي سواه، و بنى مدرسة للشافعية بالموصل في غاية الحسن والبهاء، كان كثير الأمراض اختلف الأطباء في مرضه الذي توفي به، مات في رجب 607 هـ/ 1210 م . ابن الأثير: التاريخ الباهر، ص197-198. شهاب الدين المقدسي: الروضتين، ج2، ص272. ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص193.

⁶ - ابن الأثير: التاريخ الباهر ص197-198. شهاب الدين المقدسي: الروضتين، ج 2، ص272. ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص193. سعيد الديوه جي: تاريخ الموصل، ج1، ص346-347. عبد الله بن ناصر بن سليمان الحارثي: المرجع السابق، ص 408-409.

⁷ - سنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة قريبة من الموصل. ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج 3، ص 262.

1- المدرسة التي أنشأها عماد الدين زنكي:

وتعد هذه المدرسة أهم مدارس سنجان أنشأها عماد الدين زنكي بن مودود (566-594 هـ / 1170-1197 م)¹ صاحب سنجان كان محبا للعلماء ولا سيما الحنفية ، لذلك بنى لهم هذه المدرسة ، كان شديد التعصب للمذهب الحنفي، كثير الذم للشافعية، وشرط أن يكون النظر في هذه المدرسة للحنفية من أولاده دون الشافعية ، وأن يكون البواب والفراش على مذهب أبي حنيفة².

وكان من خيار الملوك وأحسنهم شكلا وسيرة وأجودهم طوية وسريرة ، شرط لمنتسبي مدرسته طعاما يطبخ لكل واحد منهم في كل يوم ، وقد استحسّن هذا الصنيع ابن كثير بقوله: (وهذا نظر حسن، والفقير أولى من الفقير لاشتغال الفقيه بتكراره ومطالعه عن الفكر فيما يقينه)³.

2- المدرسة العمادية:

أنشأها مجاهد الدين أبو منصور يرفقش بن عبد الله التركي الحنفي، كان أحد مماليك عماد الدين زنكي بن مودود ، وقد أنشئت سنة 594 هـ / 1197 م ووقفها للحنفية ، وأجرى الطعام اليومي لأساتذتها وطلابها، ومن الأعيان الذين درسوا بهذه المدرسة علي بن الحسين بن

علي السنجاري المعروف بابن دبانة (ت: 642 هـ / 1244 م)⁴.

وهناك مدارس أخرى منتشرة في إقليم الجزيرة الفراتية مثل:

ج- مدرسة نصيبين:

أنشأت من طرف أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري ، وأرصد لها أوقافا كثيرة للإفناق من عوائدها المالية على منتسبيها من مدرسين وطلبة ومشتغلين بها¹.

¹ - هو عماد الدين زنكي بن مودود بن آسنقر صاحب سنجان ونصيبين الخابور والرقعة ، كان عادلا حسن السيرة في رعيته عفيفا عن أموالهم وأملاكهم ، متواضعا يحب أهل العلم والدين، ويحترمهم ويجلس معهم ويرجع إلى أقوالهم ، كان شديد التعصب للمذهب الحنفي ، توفي في محرم سنة 594 هـ / 1197 م . ابن الأثير: الكامل ، ج10، ص250.التاريخ الباهر، ص191.

² - ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج10، ص250.

³ - ابن كثير: المصدر السابق ، ج16 ، ص680.

⁴ - هو علي بن الحسين بن علي بن سعيد بن حامد السنجاري المعروف بابن دبانة ، كان فقيها فاضلا ، وله معرفة بالأدب ، روى عن والده شيئا من نظمه ، ودرّس بالمدرسة العمادية بسنجان ، توفي سنة 602 هـ / 1205 م بإربل.ابن أبي الوفاء القرشي الحنفي : المصدر السابق ، ج2 ، ص 327-328.

4- مدارس مصر:

بعد نصف قرن عن نشأة المدارس في المشرق الإسلامي عرفت مصر كغيرها من أقاليم العالم الإسلامي تشييد المدارس كمؤسسات تعليمية على يد السلطة الحاكمة، فأنشئت بالإسكندرية عام 532 هـ/1137م على يد أحد الوزراء الفاطميين أول مدرسة، إلا أن الإرهاصات التي مهدت لنشأة المدارس بمصر كانت إثر تنقل المتخرجين من المدارس المشرقية نحو المغرب والأندلس مروراً بمصر واستقرار بعض العلماء منهم بها لا سيما بمدينة الإسكندرية لأنها مرفأً لسفنهم ، فكان لهم دور بارز في الحياة العلمية لا سيما المذهبية ، من بينهم الطرطوشي ويوسف بن عبد العزيز المايريقي ويحيى بن أبي ملول الزناتي والحافظ السلفي وغيرهم².

فقد أنشأ الطرطوشي لما قدم الإسكندرية مدرسة سنة 490 هـ/1096م ، وقد وفد على هذه المدرسة عدد معتبر من طلبة العلم الذين بلغ عددهم نحو الثلاثمائة وستين طالباً³.

وكذلك مدرسة ابن حديد نسبة إلى مؤسسها زيد بن الحسن بن حديد الذي تولى قضاء الإسكندرية عام 488 هـ/1095م ، وتولى التدريس بها يحيى بن أبي ملول الزناتي وكانت تدرس على المذهب المالكي⁴.

والمدرسة العوفية التي نسبت إلى مدرستها الفقيه المالكي صدر الدين إسماعيل بن عوف الزهري الذي تولى تدريس علوم الشريعة بها فنسبت إليه، وقد أنشأها الوزير السني رضوان بن ولخشي سنة 532 هـ/1137م بأمر من الحافظ لدين الله ، وتعد أول مدرسة رسمية في مصر، وقد أُرصد لهذه المدرسة أموالاً للإنفاق على مصارفها وما يحتاجه الطلبة والمشتغلين بها⁵.

¹ - ابن الجوزي : المنتظم ، ج18، ص233. ابن كثير: المصدر السابق ، ج16 ، ص521. ابن العماد: المصدر السابق ، ج6، ص403.

² - عبد المجيد بدوي: التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس حتى سقوط بغداد، دار الوفاء ، ط2 ، المنصورة ، 1408هـ ، ص190-191.

³ - إبراهيم بن علي بن فرحون : الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، تحقيق محمد أبو النور، دار التراث، القاهرة، 1973، ج1، ص277.

⁴ - عبد المجيد بدوي: المرجع السابق، ص55.

⁵ - أحمد بن علي المقرئ: اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال و آخرين ، مطبعة المجلس الأعلى ، القاهرة ، 1996، ج3 ، ص167.

والمدرسة العادلية أو السلفية نسبة إلى الوزير العادل علي بن السلار الكردي وزير ظافر العبيدي الذي أنشأها سنة 544 هـ/1149 م بعد تحوله إلى المذهب السني، وجعلها وقفا على الشافعية، وعهد بالتدريس بها للحافظ السلفي¹، لذلك تنسب إليه أيضا².

-المدارس المصرية الأيوبية:

بعد أن أنهى صلاح الدين الأيوبي حكم الفاطميين سنة 567 هـ/1171 م ، واستقل بمصر وأقر شرعية الخلافة العباسية، ودعا للخليفة العباسي، عمل على إزالة مظاهر التشيع، فبادر إلى إنشاء المدارس والمساجد التي كانت بدورها تؤدي دورا علميا بارزا لا يقل عن الدور العلمي والثقافي الذي كانت تقوم به المدارس، وكانت هذه المؤسسات العبادية و التربوية والعلمية مرجعا رسميا لتعليم العقيدة الصحيحة ومحو آثار التشيع المذهب الرسمي الذي كانت تتبناه الدولة الفاطمية.

والحقيقة أن الاهتمام الرسمي من طرف الأيوبيين بإنشاء المؤسسات التعليمية لم يكن اهتماما مذهبيا صرف بقدر ما كان اهتماما شخويا بالعلم وأهله، ونشر العلوم الشرعية لأنها المرجعية الأساسية التي تقوم عليها الدولة، هذا فضلا عن الالتزام الشخصي لأولئك السلاطين بمبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وسيرتهم الشخصية حافلة بما عرفوا به من التقوى والورع وتحقيق العدل وخدمة الدين ، وتقديم مصالح الأمة على مصالحهم الخاصة، لذلك فقد أبلوا البلاء الحسن في حركة الجهاد الإسلامي في مواجهة الصليبيين في مرحلة دقيقة من التشرذم والهوان كانت تمر بها الأمة الإسلامية، فكانت تلك الفترة التي برزوا فيها بمثابة عهدا جديدا ودماء جديدة مستوحاة من سيرة العهد الأول لهذه الأمة.

¹ - الحافظ السلفي: هو أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم سلفة الأصفهاني نسبة إلى جده ، الملقب بصدر الدين ، ولد سنة 472هـ/1079 م ، العلامة الكبير مسند الدنيا ومعمّر الحفاظ ، برع في الأدب وجود القرآن بالروايات ، وهو أحد الحفاظ المكثرين ، رحل في طلب الحديث ، ولقي أعيان المشايخ ، وكان شافعي المذهب ، ورد بغداد ، ورحل إلى الإسكندرية سنة 511هـ/1117 م ، واستوطن بها بضعا وستين سنة، توفي سنة 576هـ/1180 م. ابن خلكان :المصدر السابق، ج1، ص105-106. الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج21 ، ص5-6. ابن العماد: المصدر السابق ، ج6، ص420-421.

² - ابن خلكان : المصدر السابق، ج1، ص105. عبد العال سالم مكرم : المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة ، مؤسسة الرسالة ، ط2، بيروت، 1410هـ/1990م، ص 105.

وكان من مظاهر اهتمام ملوك وحكام بني أيوب بإنشاء المؤسسات العلمية وأهمها المدارس أن حرصوا على توفير مصدر دخل ثابت يكفل لمنشأتهم التعليمية الاستمرار في تقديم خدماتها ، ومن أجل ذلك رصدوا لها الأوقاف الوفيرة التي تضمن للملتحقين بها العيش في مستوى مناسب يمكنهم من الانصراف إلى طلب العلم دون عناء كبير¹. فمن المدارس التي شيّدت في العهد الأيوبي وورد في المصادر ما يشير إلى الأوقاف والجرايات التي أرصدت لها:

(1) - المدرسة القمحية:

أنشأها صلاح الدين الأيوبي بمصر بمكان يعرف بدار الغزل التي كانت سوقا للغزل بالقرب من جامع عمرو بن العاص سنة 566 هـ/1170 م ، وأوقفها على الفقهاء المالكية، وتعرف أحيانا بالمدرسة المالكية بمصر²، أما تسميتها بالقمحية لأن الجرايات التي أرصدت للمدرسين والطلبة كانت قمحا، وقد جعل فيها واقفها أربعة من المدرسين لكل منهم تلاميذه، ووقف على تلك المدرسة قيسارية³ في سوق الوراقين بالفسطاط وضبعة بالفيوم⁴ تسمى الحنبوشية ، وكان للمنتسبين إلى هذه المدرسة جرايات من القمح الذي يتحصلون عليه من هذه الضبعة ويفرق بينهم⁵.

(2) - المدرسة الناصرية الأولى:

سميت بالمدرسة الناصرية نسبة إلى منشئها صلاح الدين الأيوبي⁶ الذي أنشأها سنة 566 هـ / 1170 م ، بعد أن هدم سجنا كان يعرف بدار معونة بجوار جامع عمرو

¹ - رشاد عمر المدني : الحياة العلمية في فلسطين في مرحلة الصراع الصليبي الإسلامي ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية بغزة - فلسطين ، 1426 هـ / 2005م ، ص 156.

² - إبراهيم بن محمد بن أيد مر العلائي المشهور بابن دقماق : كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، بيروت، (د،ت)، ج 1 ، ص 95.

³ - قيسارية: القيسارية أحد العماير الهامة وهي تشتمل على مجموعة من الحوانيت.كمال الدين سامح: العمارة الإسلامية بمصر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1991، ص16.

⁴ - الفيوم : موضع بمصر وهي ولاية غربية، قريبة من الفسطاط بينهما مغارة لا ماء بها ولا مرعى ، وهي في منخفض الأرض. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 4 ، ص 286.

⁵ - المقرئزي: الخطط ، ج 3 ، ص 439. نيل دي ما كنزي : المرجع السابق ، ص 187. أيمن شاهين سلام : المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب جامعة طنطا، 1999، ص 101-102.

⁶ - ابن خلكان :المصدر السابق، ج7، ص207.

بن العاص¹، ووقفها على الفقهاء الشافعية ، وكان أول من درس بها ابن زين التجار (ت:591 هـ / 1194 م)² الذي نسبت إليه فيما بعد، وابن قطيطة الوزان، وكمال الدين بن شيخ الشيوخ، والشريف القاضي شمس الدين أبو عبد الله محمد الحنفي قاضي العسكر، ونسبت إليه كذلك فكانت تعرف بالمدرسة الشريفة ، ويعتقد أنهم قد درّسوا بتلك المدرسة على التوالي في العصر الأيوبي أو بعده بقليل³.

وقد أوقف عليها صلاح الدين الصاغة وقرية⁴ للإنفاق على هذه المدرسة بما يكفل تحقيق الخدمات اللازمة للمنتسبين إليها والمشتغلين بها، ويذكر المقرئ بأن لولا تلك الجرايات والمعالم التي كان يتحصل عليها الفقهاء لحل بها الخراب⁵.

(3) - مدرسة ابن الأرسوفي:

تنسب إلى ابن الأرسوفي عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن هبة الله الأرسوفي الشافعي التاجر العسقلاني المتوفى سنة 593 هـ/1196 م ، وكان بناؤها سنة 570 هـ / 1125 م بالبزازين التي تجاور خط النخالين بمصر، وقد أرصد لها الأوقاف الدارة على المدرّس والطلبة الشافعية⁶ وهي حوانيت وقيساريّتان كبرى وصغرى⁷.

(4) - المدرسة التقوية:

نسبة إلى واقفها تقي الدين عمر بن شاهنشاه⁸ وهو ابن أخ صلاح الدين الأيوبي، بمنازل العز الفاطمية على شاطئ النيل بالفسطاط بالقرب من باب القنطرة ، فقد اشترى تقي الدين عمر بن شاهنشاه منازل العز وجعلها مدرسة للشافعية⁹، وقد أنشئت هذه المدرسة

¹ - المقرئ: الخطط ، ج2 ، ص358-359. كان حبس المعونة يقع أمام جامع عمرو بن العاص ، وكان قبل العصر الفاطمي مركزا للشرطة، وأصبح سجنا منذ سنة 381هـ/991 م ، وبقي كذلك حتى عهد صلاح الدين فحوّله إلى هذه المدرسة. نيل دي ما كنزي: المرجع السابق ، ص138.

² - ابن التجار هو أبو العباس أحمد بن المظفر بن الحسين الدمشقي المعروف بابن زين التجار أحد العلماء الشافعية توفي سنة 591هـ/1194 م. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج6 ، ص51.

³ - نيل دي ما كنزي: المرجع السابق، ص 187.

⁴ - ابن خلكان :المصدر السابق، ج7،ص207. نيل دي ما كنزي: المرجع السابق، ص 187.

⁵ - المقرئ: الخطط،ج3 ، ص439.

⁶ - المقرئ: الخطط ، ج2 ، ص394. نيل دي ما كنزي: المرجع السابق ، ص 191.

⁷ - ابن دقماق : المصدر السابق ، ج1 ، ص 98.

⁸ - هو تقي الدين أبو سعيد عمر شاهنشاه،تولى على حماه ومناصب عدة على عهد صلاح الدين (ت:587هـ/ 1191 م). المقرئ: الخطط ج2، ص364.

⁹ - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة ، ج5 ، ص386.

قبل سنة 571 هـ / 1175 م¹، واشترى ما حولها وهي الروضة وحمام الذهب وبنى قريبا فندقا وغيرها من الأملاك ووقفها على المدرسة لتصرف عوائدها المالية على المنتسبين إلى المدرسة².

5- المدرسة السيوفية:

أنشأها السلطان صلاح الدين الأيوبي بالقاهرة سنة 572 هـ / 1176 م ، وهي من دار الوزير المأمون البطائحي³، وجعلها وقفا على الحنفية وعهد بالتدريس بها للشيخ مجد الدين محمد الجبتي وجعل له جارية كل شهر احد عشرة دينارا، وباقي الوقف يصرف على طلبة الحنفية، وقد وقف عليها صلاح الدين اثنين وثلاثين حانوتا بخط سويقة أمير الجيوش وباب الفتوح⁴ وحرارة برجوان⁵ ترجع عوائدها المالية على المدرسة، وسميت بالمدرسة السيوفية لأن سوق السيوفيين كان على بابها⁶، وهي أول مدرسة وُفتت على الحنفية بمصر⁷.

6- المدرسة الناصرية الثانية:

وتنسب إلى منشئها الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي الذي أمر ببنائها سنة 572 هـ / 1176 م قرب قبر الإمام الشافعي رحمه الله، وعهد ببنائها والتدريس بها والنظر على أوقافها إلى العالم الزاهد نجم الدين الخبوشاني⁸، فقد أعطاه السلطان صلاح الدين مالا فبنى به المدرسة⁹، وظلت هذه المدرسة عامرة طيلة العهد الأيوبي من أعظم مدارس مصر¹.

1 - أيمن شاهين سلام : المرجع السابق ، ص 84.

2 - ابن دقماق : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 94. نيل دي ما كنزي: المرجع السابق ، ص 195.

3 - المقرئزي: الخطط ، ج 2 ، ص 462.

4 - باب الفتوح: أحد أبواب القاهرة المعزية وضعه أمير الجيوش. المقرئزي: الخطط ، ج 2، ص 381.

5 - المقرئزي : الخطط ، ج 2 ، ص 366.

6 - نفسه ، ج 2 ، ص 365-366.

7 - نيل دي ما كنزي: المرجع السابق ، ص 192.

8 - الخبوشاني: هو أبو البركات محمد بن الموفق بن سعيد بن علي بن الحسن بن عبد الله الخبوشاني الملقب بنجم الدين الفقيه الشافعي ، ولد سنة 510 هـ / 1116 م ، كان فقيها فاضلا كثير الورع ، وإماما جليلا ، قدم مصر سنة 565 هـ / 1169 م ، درس بالمدرسة الصالحية التي عهد له صلاح الدين ببنائها والتدريس بها والنظر على أوقافها ، من مصنفاته (تحقيق المحيط) في ستة عشر مجلدا ، توفي سنة 587 هـ / 1191 م. ابن خلكان :المصدر السابق، ج 4، ص 239-240. السبكي: المصدر السابق، ج 7، ص 14-15. بدر الدين محمود العيني : عقد الجمال في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق محمود رزق محمود ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ط 2 ، 1431 هـ / 2010 م ، ج 2 ، ص 216 .

9- بدر الدين محمود العيني : المصدر السابق ، ج 2 ، ص ص 215-217 .

ورتب بها مدرسا يدرس الفقه على مذهب الإمام الشافعي وجعل له جراية عن التدريس أربعين دينارا على صرف قدره ثلاثة عشرة درهما وثلث الدرهم، وجعل للناظر على أوقاف المدرسة عشرة دنانير وأجرى له من الطعام من الخبز كل يوم ستين رطلا مصريا، وراويتين من ماء النيل، وجعل فيها معيدين ، ووقف عليها حماما بجوارها وفرنا وحوانيت بظاهرها، و جزيرة الفيل بالنيل².

ويذكر ابن جبير في رحلته عن هذه المدرسة وهو يتحدث عن مشهد الإمام الشافعي رضي الله عنه: (و بنى بإزائه مدرسة لم يعمر بهذه البلاد مثلها، لا أوسع مساحة ولا أحفل بناء، يخيل لمن يطوف عليها أنها بلد مستقل بذاته، بإزائها الحمام إلى غير ذلك من مرافقها، والبناء فيها حتى الساعة، والنفقة عليها لا تحصى)³.

ويظهر أن اهتمام السلطان صلاح الدين بالمدرسة والإنفاق عليها كان الغرض منه أن يحي بها ذكرى الإمام الشافعي رضي الله عنه⁴، وعهد واقفها ببنائها إلى نجم الدين الخبوشاني فكان يقول له: (زد احتقالا وتألقا، وعلينا القيام بمؤونة ذلك كله)⁵.

7- المدرسة الفائزة:

أنشأها صاحب شرف الدين هبة الله⁶ بن صاعد بن وهب الفائزي⁷ قبل وزارته سنة 636 هـ / 1238 م، وقد أوقف عليها عقارات تُجرى عوائدها على خدمات المدرسة والمنتسبين إليها، وتمثلت هذه الأوقاف في حمام مجاور لها ومنزلان وحوانيت وفندق أجرته 15 درهما⁸ وزريبة ، وقد أوقفها على فقهاء الشافعية، ودرس بها القاضي محي

1 - ابن الأثير: الكامل ، ج10، ص 84.

2 - المقرئ: الخطط، ج4 ، ص259.

3 - ابن جبير: المصدر السابق ، ص23.

4 - سعيد إسماعيل علي: المرجع السابق، ص367.

5 - ابن جبير: المصدر السابق، ص23.

6- وقد ذكره ابن دقماق بعبد الله. المصدر السابق ، ج1، ص92.

7 - الفائزي: هو هبة الله صاعد شرف الدين الفائزي، كان نصرانيا وأسلم ، و كان كثير الصدقات والصلوات، عنده طموح ورياسة تسمو نفسه إلى الرتب العالية ، استوزره المعز وكان حظيا عنده ، لا يفعل شيئا إلا بعد مراجعته ومشاورته ، لما قتل المعز أهين الفائزي ثم قتل وقد هجاه الشاعر بهاء الدين زهير بن علي :

لعن الله صاعدا وأباه فصاعدا

وبنيه فنازلا واحدا واحدا

وقد رثاه القاضي ناصر الدين بن المني، وله فيه مدائح وأشعار حسنة يقرضه بها فصيحة رائقة.اليونيني : المصدر السابق، ج 1 ، ص 80. ابن كثير: ج17، ص353-354. ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج 7 ، ص 54-55.

8- ابن دقماق : المصدر السابق ، ج 1 ، ص92.

الدين عبد الله بن قاضي القضاة شرف الدين محمد بن عين الدولة ثم قاضي القضاة صدر الدين موهوب الجزري¹.

(8) - مدرسة ابن رشيق:

وموقعها بخط حمام الريس من مدينة مصر ، أنشأت قبل سنة 640 هـ/1242 م²، وسبب ذلك أن الكاتم من طوائف التكرور³ إذا قدموا من بلادهم قاصدين الحجاز لأداء مناسك الحج يَمرون بمصر وينزلوا عند قاضي القضاة علم الدين بن رشيق، وقد اعتادوا النزول بداره عند حمام الريس، فدفَعوا إليه مالا عمّر به هذه المدرسة⁴، ودرّس بها إلى حين وفاته فعرفت به، وهي من مدارس المالكية، وصار لهذه المدرسة سمعة عظيمة، وكانوا يبعثون إليها المال في كل سنة⁵.

هذا عن المدارس التي شيّدت في العهد الأيوبي بمصر وورد في المصادر ما يشير إلى الأوقاف والجرايات التي أرصدت لها، لأن المدارس التي لم تتحدث المصادر عن الجرايات والأوقاف التي خصصت لها لم نذكرها.

ولم تقتصر نفقات الواقفين على هذه المدارس بل تعدتها إلى مدارس مصر والشام سواء كانت هذه الإنفاقات عمومية من بيت المال كنفقات صلاح الدين الأيوبي أو نفقات خاصة المتعلقة بجرايات الأفراد على المدارس التي أنشأوها.

وعن ذلك يقول ابن جبير (ومن العجب أن القرافة⁶ المذكورة كلها مساجد مبنية، ومشاهد معمورة، يأوي إليها الغرباء والعلماء و الصلحاء والفقراء، والإجراء على كل موضع منها متصل من قبل السلطان في كل شهر، والمدارس التي بمصر والقاهرة كذلك، وحقق عندنا

¹ - المقرئزي: الخطط، ج4، ص203. أيمن شاهين سلام : المرجع السابق، ص100. نيل دي ما كنزي: المرجع السابق، ص206.

² - المقرئزي: الخطط، ج1، ص358.

³ - التكرور: بلاد تنسب إلى قبيلة من السودان في أقصى جنوب المغرب ، وأهلها أشبه الناس بالزنوج. ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص38.

⁴ - ابن دقماق : المصدر السابق، ج1، ص96.

⁵ - المقرئزي: الخطط، ج4، ص203. نيل دي ما كنزي: المرجع السابق، ص209.

⁶ - القرافة : خطة بالفسطاط من مصر ، كانت لبني غصن بن سيف بن وائل من المعافر، فنزلوها فسميت باسمهم ، ثم صارت مقبرة لأهل مصر، و بها أبنية جلييلة ومحال واسعة وسوق قائمة ، ومشاهد للصلحين وترب للأكابر مثل ابن طولون والماذرائي وقبر الإمام الشافعي رضي الله عنه في مدرسة للفقهاء الشافعية.ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج4، ص317.

أن الإجراء على ذلك كله نيف على ألفي دينار مصرية في الشهر، وهي أربعة آلاف دينار مؤمنية)¹.

ويقول أيضا: (وما منها- أي مصر - جامع من الجوامع ولا مسجد من المساجد، ولا روضة من الروضات المبنية على القبور، ولا محرس من المحارس، ولا مدرسة من المدارس إلا وفضل السلطان يعم جميع من يأوي إليها، ويلزم السكنى فيها، تهون عليه في ذلك نفقات بيوت الأموال)².

9- المدرسة المعزية :

وتنسب إلى منشئها السلطان الملك المعز أيبك التركماني الصالحي النجمي سنة 654 هـ/1256 م الذي أوكل أمر عمارتها إلى شرف الدين الفائزي ، وأول من رتب للتدريس بها برهان الدين السنجاري وهو الخضر بن الحسن وظل يدرس بها إلى أن توفي، وقد وُقِفَ عليها حمامين المشهورين بحمامي السلطان³ ، ويكون محصلاهما من النقد جارية على أهل المدرسة.

10- مدرسة بني مزيبيل:

وتنسب إلى الرشيد بن المزيبيل الحنبلي الذي سكن بها ثم ابنه من بعده ، وهي تقع بباب النخالين، بناها رجل كردي وقد دفن بجانب بابها ، وقد كانت لهذه المدرسة أوقافا تجري عوائدها على المنتسبين إليها إلا أنها قد خربت فيما خرب من مصر⁴.

5- مدارس مكة:

إن المكانة الدينية والثقافية التي تحتلها مكة في العالم الإسلامي يجعلها تحظى بنصيب وافر من حركة تأسيس المدارس، وسنقتصر على ذكر المدارس التي أنشأت بمكة حتى نهاية القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، والتي وردت إشارات عن الأموال الموقوفة لها ولخدمة المنتسبين إليها.

فمن هذه المدارس:

1 - ابن جبير:المصدر السابق، ص24.

2 - ابن جبير:المصدر السابق ص53.

3- ابن دقماق : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 92- 83.

4- نفسه ، ج 1 ، ص 98.

1- مدرسة الزنجيلي:

تنسب إلى منشئها و واقفها الأمير فخر الدين عثمان بن علي الزنجيلي نسبة إلى قرية زنجيلية إحدى قرى دمشق كان نائبا لصلاح الدين في عدن ، وقد أوقفها سنة 579 هـ/1183 م، ويظهر أن هذه المدرسة قد وُقت سنة 580 هـ/ 1184 م فابن جبير حج وجاور في تلك السنة ولم يذكر أنه رأى بمكة مدرسة، فلو تم وقفها في تلك السنة لبادر ابن جبير للإشارة إلى ذلك لأنه من المعاصرين لبنائها إلا أن ما ذكره ابن جبير عن الزنجيلي أنه أنشأ دارا بمكة¹.

وقد كان للأمير الزنجيلي أوقافا وصدقات بمكة واليمن ودمشق وإليه تنسب المدرسة والرباط المتقابلان بباب العمرة بمكة، وممن درس بهذه المدرسة صديق بن يوسف بن قريش، وشهاب الدين أحمد بن محمد الصاغاني (ت: 584 هـ/1188 م)².

2-المدرسة المنصورية:

نسبة إلى صاحبها صاحب اليمن الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول الذي أمر بإنشائها سنة 641 هـ/ 1243 م على يد الأمير فخر الدين بن إياس، فجعل لها بابا شارعا داخل المسجد الحرام بين باب العمرة وباب إبراهيم، إلا أن ابن بطوطة قال أن مؤسسها هو السلطان يوسف بن رسول، أثناء حديثه عن المسجد الحرام (وبمقربة باب العمرة مدرسة عمرها السلطان المعظم يوسف بن رسول ملك اليمن المعروف بالملك المظفر)³ ، ويبدو أن الأمر قد التبس على ابن بطوطة لأن باني المدرسة هو والد السلطان يوسف ، ويظهر أن اللبس راجع إلى أن السلطان يوسف قد يكون أضاف إليها بعض الإضافات المعمارية ما جعل ابن بطوطة يعتقد أنه هو بانيها⁴.

أما العبدري نسب المدرسة لأحد حفدة محب الدين الطبري فقال وهو يصف المسجد الحرام : (وهناك مدرسة مليحة لها علو وسفل، وفيها بعض الضيق، دخلتها أطلب فيها

¹ - عواطف محمد يوسف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية، الرياض، 1996، ص261-262.

² - النعيمي: المصدر السابق، ج1، ص256. سعيد إسماعيل علي: المرجع السابق، ص377. فواز علي بن جنيدب الدهاس:

المدارس في مكة في العصرين الأيوبي والمملوكي، دار القاهرة، ط1، القاهرة، 2006، ص17.

³ - ابن بطوطة: المصدر السابق، ج1، ص142.

⁴ - عواطف محمد يوسف نواب: المرجع السابق، ص260.

مسكنا قبل أن يتعين لي موضع ، ثم اكتريت الدار ولم يقض لي سكنها، وسألت القيم أو غيره عن صاحب المدرسة ، فقال لي: هو حفيد الشيخ الفقيه محب الدين الطبري)¹.
ويبدو أن العبدري قد التبس عليه الأمر هو كذلك لأن محب الدين الطبري يعمل مدرسا بها²، وجعلها وقفا على المحدثين والفقهاء الشافعية، وقد أجزل واقفها بالمرتببات والعطايا لناظر وشيخ هذه المدرسة ، فقد أمر لمحبه الدين أحمد بن عبد الله الطبري بخمسين دينارا ذهباً تمنح له كل شهر لقاء تدرسه بالمدرسة³.

3- المدرسة الشرايية:

نسبة إلى الأمير شرف الدين أبو الفضائل إقبال بن عبد الله الشراي المستصري العباسي، أنشئت سنة 641 هـ/1243 م ،عندما كان حاجا بمكة وتقع هذه المدرسة في الناحية الشرقية من المسجد الحرام على يمين الداخل إليه⁴.
وقد وقف عليها الشراي أوقافا تصرف عوائدها على خدمة المدرسة والمنتسبين، إلى جانب أوقاف أخرى تعرف بالشراييات بوادي مر ووادي نخلة⁵، وجعل واقف هذه المدرسة مخصصة لتدريس فقه المذاهب الأربعة إلى جانب دروس النحو والأدب، ولم يكن طلابها من العرب فحسب بل من العجم كذلك⁶.

6- مدارس المغرب:

-
- 1 - أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود العبدري: رحلة العبدري ، تحقيق علي إبراهيم كردي ، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1، دمشق ، 1999، ص367-368.
 - 2 - عواطف محمد يوسف نواب: المرجع السابق، ص261.
 - 3 - فواز علي بن جنيدب الدهاس: المرجع السابق، ص43.
 - 4 - الإمام الفاسي المكي: المصدر السابق، ص 153. سعيد إسماعيل علي: المرجع السابق، ص378. فواز علي بن جنيدب الدهاس: المرجع السابق، ص39-40 .
 - 5 - فواز علي بن جنيدب الدهاس: المرجع السابق، ص21.
 - 6 - طرفة عبد العزيز العبيكان: الحياة العلمية الاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة، مطبعة الملك فهد الوطنية ، الرياض، 1996 ، ص69-70.

إن ظهور المدارس بالمغرب تحيط به جملة من الملابسات¹، وذلك راجع إلى الاختلاف في مفهوم المدرسة في الروايات التاريخية وعدم تمييزها بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، حيث أن المصادر التي تتحدث عن المدارس في هذا القطر الإسلامي جاءت متأخرة عن فترة تأسيس المدارس الأولى بالمغرب، فالمصادر المتأخرة عن فترة النشوء تذكر بأن ظهور المدارس بالمغرب كان متزامنا مع نظيرتها بالمشرق في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، حيث تذكر أن يوسف بن تاشفين (452-499هـ / 1060-1105م) قد أسس مدرسة الصابرين بفاس، وأن يعقوب المنصور (580-595هـ / 1184-1198م) نسب إليه أنه حبس مدرسة وزاوية على أبي العباس السبتى بمراكش وكان كل طالب مقبول في هذه المدرسة ينفق عليه ويكسى مرة في السنة، ويعطى من يدرس بها ما قدره مائة أو مائتا مثقال حسب نوع الدروس التي يقدمها²، وأنه بنى مدرسة أخرى شمال الجامع الأعظم من مدينة سلا وغيرها من الشواهد³.

فهذه الروايات لا توافقها المصادر المعاصرة أي مصادر القرن الخامس والسادس الهجريين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، أو التي جاءت بعد القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي وتتناقض معها حيث تنفي ظهور المدارس قبل القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، فإبن جبير سنة 580هـ/1184م يوصي طلبة العلم الفقراء من أهل المغرب بالالتحاق بالمدارس المشرقية: (فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد ويتغرب في طلب العلم، فيجد الأمور المعينات كثيرة فأولها فراغ البال من أمر المعيشة، وهو أكبر الأعوان وأهمها، وإنما المخاطب كل ذي همة، يحول طلب المعيشة بينه وبين مقصده في وطنه من الطلب العلمي، فهذا المشرق بابه مفتوح لذلك)⁴.

¹ - في واقع الأمر لا تهمنا الملابسات المطروحة حول نشأة المدارس بالمغرب سواء كانت متزامنة مع فترة نشأتها بالمشرق أو متأخرة عنها، لأن الأمر ليس من اهتمام الدراسة واختصاص الموضوع.

² - أحمد متفكر: مساجد مراكش عبر التاريخ من التأسيس إلى العهد العلوي، المطبعة والوراقة الوطنية، ط3، مراكش، 1431هـ/2010م، ص60.

³ - الحسين أسكان: تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (1-9هـ/7-15م)، منشورات مركز الدراسات التاريخية والبيئة، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2004، ص4.

⁴ - ابن جبير: المصدر السابق، ص258.

والحقيقة أن هناك عوامل أخرى شجعت على الرحلة لطلب العلم بالمشرق والمجاورة لبيت الله الحرام حيث أن الموحدين تمكنوا من بسط نفوذهم على جزء كبير من الأندلس في إطار مسعى الجهود التي قاموا بها لتوحيد المغرب والأندلس ، وتمكنوا من نشر الأمن وسياسة دعمهم للحركة العلمية فشجع ذلك على الرحلة إلى المشرق لطلب العلم والمجاورة¹ .

بالإضافة إلى ذلك ما عرفه المشهد الأندلسي في القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي من مضايقة النصارى للمسلمين وسيطرتهم على أهم الحواضر الأندلسية كقرطبة وأشبيلية وبلنسية مما حمل طلبة العلم على الهجرة إلى مكة والمجاورة بها².

ومهما يكن من أمر فإن المدرسة كمؤسسة تعليمية قد عرفت طريقها إلى بلاد المغرب الإسلامي كغيره من أقطار العالم الإسلامي الأخرى، وأن المغاربة قد حاكوا إخوانهم المشاركة في اهتمامهم بالعلم وأهله، وتيسير السبل لتحصيله ونشره، وتشديد مؤسساته كبناء المدارس ووقف الأموال عليها بما يكفل استمرارها وخدمة المنتسبين إليها.

فقد اهتم الموحدون ببناء المدارس واستقطبوا إليها كبار العلماء وشجعوا على تأليف الكتب بالإتفاق عليها والحث على نسخها ، كما عقدوا المجالس العلمية المتنوعة ، و أنشأوا الخزائن والمكتبات، ودعوا الناس إلى التعلم بالمجان، كما شجعوا على ترجمة الكتب الأجنبية، وخصصوا للعلماء والمتعلمين مرتبات و عطاءات واقطاعات كثيرة³.

ومن بين هذه المدارس :

مدرسة أبي الحسن الشاري:

بناها أبو الحسن علي الغافقي الشاري(ت: 649هـ/1251م) بجوار باب القصر أحد أبواب سبة سنة 635هـ/1237م، ووقف عليها أوقافا لخدمتها وخدمة الوافدين إليها من طلبة العلم من حيث الإطعام والايواء وغيرهما، وينتمي صاحب المدرسة إلى أسرة أندلسية علمية غنية مما يسر لابنها تحصيل العلم والانشغال بأهله من طلبة العلم⁴.

¹ - عبد الرحمن بودرع : مكانة مكة المكرمة والمجاورة فيها في كتابات العلماء، مطبعة الخليج العربي ، ط1، تطوان ، 1431هـ / 2010م ، ص 68.

² - نفسه، ص 69.

³ - إبراهيم القادري بود شيش : علم النجوم والفلك وتوقعات المستقبل ببلاد المغرب خلال عصري المرابطين والموحدين (القرن 6و7هـ/12و13م)، متنوعات حليلة فرحات ، منشورات معهد الدراسات الإفريقية ، ط1 ، الرباط ، 2005، ص96.

⁴ - الحسين أسكان: المرجع السابق، ص76.

أما المدارس الإسلامية التعليمية بالأندلس فقد تأخر ظهورها عن المدارس المشرقية إلى مطلع القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي.

7- مدارس بيت المقدس:

لقد كان بيت المقدس من الأمصار الإسلامية التي تحظى باهتمام الحكام المسلمين في مختلف العصور الإسلامية منذ فتح هذا المصر، وظل هذا الاهتمام مستمرا لا سيما في العصر الأيوبي، لذلك كان من مراكز الحياة الفكرية في العالم الإسلامي، فبعد زوال الاحتلال الصليبي عن بيت المقدس برزت به حركة فكرية متميزة، و تعددت روافدها، ومن مظاهر ذلك إنشاء الكثير من المراكز العلمية مثل المدارس والمساجد والمكتبات والبيمارستانات والزوايا والخوانق والربط وغيرها..

ومن المدارس التي أنشئت ببيت المقدس قبل نهاية القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي:

1- المدرسة الصلاحية :

من أهم المدارس التي بناها الناصر صلاح الدين ببيت المقدس المدرسة الصلاحية التي كانت من أبرز المؤسسات التعليمية بها، فبعد فتح صلاح الدين لبيت المقدس سنة 583 هـ/1187 م، استشار أهل مشورته من العلماء والأكابر والأمراء والأقبياء الأخيار في أن يبني مدرسة للفقهاء الشافعية ورباطاً للصوفية، فاتخذ من الكنيسة المعروفة بصند حنة¹ عند باب أسباط مكانا للمدرسة، واتخذ دار البطرك، وهو بقرب كنيسة القيامة، للرباط ووقف عليهما أوقافاً حسنة².

وقد كانت هذه المدرسة، قبل الفتح الإسلامي تعرف بصند حنة، وبعده أصبحت دار علم قبل الاستيلاء الصليبي على بيت المقدس، وبعد سقوط القدس بيد الصليبيين

¹ - صند حنة : قبر حنة أم مريم عليها السلام . ابن كثير : المصدر السابق ، ج 16، ص 594.

² - أبو شامة المقدسي الدمشقي: الروضتين ، ج3، ص 258. ابن كثير : المصدر السابق ، ج 16 ، ص 594. أبو اليمن مجير الدين عبد الرحمن العلمي الحنبلي: الأُس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، تحقيق عدنان يونس عبد المجيد نباتة ، مكتبة دنديس ، عمان ،(د،ت) ، ج 1 ، ص 341 ، محمد عبد الرزاق بن محمد كرد علي: خطط الشام ، مكتبة النوري ، دمشق ، ط3 ، 1403 هـ/ 1983 م ، ج 6 ، ص 120 . عارف العارف : المفصل في تاريخ القدس ، مكتبة الأندلس، ط1، القدس ، 1381هـ/1961م ، ص 180.

سنة 492 هـ/1099 م ، أعادوها كنيسة كما كانت قبل الإسلام ، ولما فتح السلطان صلاح الدين القدس أعادها مدرسة مثلما كانت عليه ووقف عليها وقوفاً جليلاً¹.

ولم يتم إنشاء هذه المدرسة إلا بعد خمس سنوات فبدأ التدريس بها سنة 588 هـ/1192 م وبعد افتتاح المدرسة بشهرين رجع صلاح الدين إلى بيت المقدس وزاد في أوقافها وأنفق عليها مالا كثيراً².

وقد جعل السلطان صلاح الدين المدرسة وقفا على الفقهاء الشافعية ، فقد ذكر ابن كثير عن ذلك (وعمل للشافعية المدرسة الصلاحية ويقال لها: الناصرية. أيضاً، وكان موضعها كنيسة على صند حنة أي قبر حنة أم مريم عليها السلام، ووقف على الصوفية رباطا كان دارا للتبرك ، وأجرى على الفقهاء والفقراء الجامكيات والجرايات، وأرصد الختمات والربعات في أرجاء المسجد الأقصى، لمن يقرأ أو ينظر فيها من المقيمين والزائرين)³.

ومن الأوقاف التي وقفها صلاح الدين على مدرسته سوق العطارين بالقدس وقرية سلوان ، ووادي سلوان الكائن جنوب شرقي القدس ، وأوقاف كثيرة من دور ومباني وأراضي في أنحاء القدس موقوفة على المدرسة الصلاحية⁴.

وجعل مشيختها لقاضي القضاة بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الموصلية الحلبي الشافعي ، المعروف بابن شداد⁵ شيخ الإسلام الإمام العلامة الفقيه ، كان إماماً فاضلاً ، اتصل بخدمة صلاح الدين سنة 584 هـ/1188 م⁶، وحضر عنده وولاه قضاء العسكر وبيت المقدس ، والنظر على أوقافه ، كما فوض إليه تدريس المدرسة الصلاحية ، وجعل النظر فيها وفي أوقافها إليه⁷.

1- ابن واصل المصدر: السابق ، ج 2 ، ص407. أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص 83.

2- أبو الفداء، المختصر، ج 2 ، ص 169. العسلي: المرجع السابق، ص 6. كرد علي: المرجع السابق، ج 6، ص 121.

3- ابن كثير : المصدر السابق ، ج 16 ، ص 594.

4- العلمي: المصدر السابق، ج 2، ص 103. العسلي: المرجع السابق ، ص 64. كامل جميل العسلي: مؤسسة الأوقاف ومدارس بيت المقدس، ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي و الإسلامي ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية بغداد، 1403 هـ/1983 م، ص 97.

5- أبو الفداء ، المختصر ، ج 3 ، ص 83.

6- ابن خلكان : المصدر السابق ، ج 7، ص 88.

7- ابن خلكان: المصدر السابق ، ج 7 ، ص 88 . ابن واصل، مفرج الكروب ، ج 2 ، ص 407. الذهبي: سير أعلام النبلاء ، ج 22 ، ص 383-386. السبكي: المصدر السابق ، ج 8 ، ص 360-362. ابن كثير: المصدر السابق، ج 17 ، ص 220 .

العلمي: المصدر السابق، ج 2 ، ص 118.

وبعد وفاة السلطان صلاح الدين سنة 589هـ/1193م ، رحل ابن شداد من القدس ، وأقام بحلب حتى وفاته سنة 632 هـ/1234 م¹.

(2)-المدرسة الميمونية:

المدرسة الميمونية عند باب الساهرة وهي كنيسة من بناء الروم واقفها الأمير فارس الدين أبو سعيد ميمون بن عبد الله القصري(ت: 610 هـ / 1213 م)² خازن دار الملك صلاح الدين تاريخ وقفها في جمادي الأولى 593 هـ / 1196 م، وقد بدأت هذه المدرسة كزاوية ثم أصبحت مدرسة للشافعية ، واستمرت تؤدي مهمتها التعليمية والفكرية حتى نهاية القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي³.

وقد اندثرت وعفت عمارتها فيما اندثر، ويبدو أن هذه المدرسة قد حظيت بأوقاف تجري عوائدها في شؤون الإنفاق على المنتسبين إليها جريا على عادة الخلفاء والأمراء ودأبهم في أوقافهم⁴، سيما وقد ذكر ابن واصل أن هذا الأمير خلف مالا كثيرا بعد موته⁵، وهذا ما يرجح أن مدرسته قد نالت حظا وافرا من أمواله في حياته وربما حتى بعد موته.

(3)- المدرسة النحوية:

وتعرف أيضا بالقبة النحوية أنشأها الملك المعظم عيسى بالحرم الشريف ببيت المقدس سنة 604 هـ / 1207 م، وجعلت لتدريس علوم اللغة من أدب ونحو، فدرس بها كتاب(سيبويه) وكتاب (الإيضاح) و (إصلاح المنطق)، وغيرها من كتب اللغة وفنونها، وقد وقف عليها مؤسسها أوقافا كثيرة أجريت عوائدها على المدرسة والمنتسبين إليها⁶.

(4)-المدرسة البدرية:

¹- ابن خلكان : المصدر السابق ،ج7 ،ص 88-89. رياض مصطفى شاهين: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ليهاء الدين بن شداد ، دراسة تحليلية ، مجلة كلية الآداب ببها ،مصر ، العدد السابع ، 1422 هـ / 2001 م.ص 400-401.

²- هو فارس الدين ميمون القصري وهو آخر من بقي من كبار أمراء الصلاحية ، كانت وفاته بحلب في رمضان 610 هـ/1213 م ، وعتق في الليلة التي مات فيها ثمانين مملوكا وزوجهم بثمانين جارية، وخلف أموالا كثيرة. ابن واصل : مفرج الكروب ، ج3،ص 220.الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج13 ،ص 253.

³- مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين ،دار الطليعة ،ط4 ، بيروت ، 1409هـ/1988 م، ص 239.

⁴ - العليمي : المصدر السابق ، ج2 ، ص 48.

⁵ - ابن واصل : مفرج الكروب ، ج3 ، ص 220.

⁶ - ابن واصل: مفرج الكروب، ج1، ص 211.العليمي: الأئس الجليل، ج1،ص521.عبد الجليل حسن عبد المهدي: المدارس ببيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي،مكتبة الأقصى،ط1، عمان،1401هـ/1981م، ج1،ص551.

بناها الأمير بدر الدين محمد بن أبي القاسم بن محمد الهكاري أحد فرسان المسلمين له مواقف مشهودة في قتال الصليبيين، كان من أكابر أمراء المعظم، فقد كان يستشيره لثقته به في صلاحه وسداد رأيه، كان سمحا ورعا خيرا بارا بأهله محسنا إلى الفقراء كثير الصدقات، بنى المدرسة البدرية بالقدس للفقهاء الشافعية¹، سنة 610 هـ / 1213 م ووقف عليها الأوقاف التي تدر عليها بالعوائد المالية بما يكفل نفقات الخدمة للمنتسبين إليها²، توفي سنة 614 هـ / 1217 م³.

5- المدرسة الأفضلية:

وتعرف قديما بحارة المغاربة، وُقِفَ الملك الأفضل نور الدين أبي الحسن علي بن الملك صلاح الدين (ت: 622 هـ / 1225 م)، الذي كان قد تلقى العلم على كثير من علماء الإسكندرية وبلاد الشام، فأحب العلماء وقربهم إليه، فوقف هذه المدرسة على فقهاء المالكية بالقدس الشريف، ووقف أيضا حارة المغاربة على طائفة المغاربة على اختلاف أجناسهم، وكان ذلك حين سلطنته على دمشق، فكتب كتاب وقفها وثبت مضمونه لدى حكام الشرع الشريف بعد وفاة الواقف، ومن جملة أوقافه المسجد الكائن عند قمامة علو سجن الشرطة في سنة 589 هـ / 1193 م⁴.

6- المدرسة المعظمية:

بناها المعظم السلطان الملك المعظم ابن العادل شرف الدين عيسى بن محمد الحنفي الفقيه صاحب دمشق، ولد بالقاهرة سنة 576 هـ / 1180 م، نشأ بدمشق وحفظ القرآن وتبحر في المذهب، حج سنة 611 هـ / 1214 م، أنشأ البرك وبنى دار ضيافة وحماما بمعان⁵ كان محبا للعلم وأهله فقرب العلماء وجالسهم، فقد ذكر ابن الأثير عن ذلك (قصده العلماء من الآفاق فأكرمهم وأجرى عليهم الجرايات الوافرة وقربهم وكان يجالسهم ويستفيد منهم ويفيدهم)⁶، وقف مدرسة قرب المسجد الأقصى التي تعرف

¹ - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج44، ص 220.

² - أبو شامة المقدسي الدمشقي: الذيل على الروضتين، ص 108.

³ - المقرئ: السلوك، ج 1، ص 308. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج6، ص 195.

⁴ - ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص 419-421. الذهبي: العبر، ج3، ص 188. ابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص 178.

عبد الجليل حسن عبد المهدي، الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي، مكتبة الأقصى، ط1، عمان، 1400 هـ / 1980 م، ص 336. العارف: المرجع السابق، ص 238.

⁵ - معان: مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص 153.

⁶ - الكامل، ج10، ص 474.

بالمعظمية أو المدرسة الحنفية، ومن العلماء الذين درسوا بهذه المدرسة ابن الملك المعظم عيسى¹.

وغيرها من المدارس التي شيدها الأيوبيون ببيت المقدس وقد أوقفوا عليها الأوقاف العظيمة لخدمة هذه المدارس وخدمة المنتسبين إليها، إلا أن المصادر لم تسعفنا بالمعلومات الدقيقة عن طبيعة الجرايات و الأوقاف التي أرصدت لهذه المدارس.

رابعاً: الجراية على العلماء:

لا شك في أن العلم هو روح العالم كله لأن نظام الكون قائم بالعدل، والعدل لا يدرك على حقيقته إلا بالعلم، لذلك قرن الله تعالى أولي العلم بالملائكة في الشهادة لله تعالى بما شهد به لنفسه من الوجدانية فقال الله تعالى (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)².

من أجل ذلك فضل الله تعالى العلماء على من سواهم من النوع الإنساني بفضيلة العلم، لهذا كانت مكانة العلماء في الأمة الإسلامية محترمة، والقيام بشؤونهم فريضة واجبة.

لذلك تكفلت بيوت المال العمومية في أغلب الأحيان بالإنفاق على أهل العلم ، وكان ذلك من أوكذ مصاريفها، إدراكا بأن الممالك لا تقوم إلا بجيشين الأول وهو القائم بحفظ الأمن العام وحراسة الأموال والدماء ومدافعة الآفات العارضة وهو جند القوة، والثاني قائم بحفظ الديانة وإرشاد العقول وتطهير النفوس وتهذيب الأخلاق وبت الشرائع ونشر المعارف وهو جيش العلماء³.

ويقول أبو يعلى الفراء عن الإنفاق على العلماء أن أرزاق هؤلاء مقدره في الشرع بالكفاية بحيث إن نقصت مادة مدخولها المعين لها يجب لهم التكميل من بيت المال

¹ - هو الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك بن عبد الملك المعظم، أمه رومية ، توفي بدمشق في أوائل سنة 676هـ/1277م، عن أربع وستين سنة ، كان طبيب السمعة كريم الأخلاق لين الكلام ، كثير التواضع ، كان معظما في الدولة شجاعا مقداما ، قيل أنه مات مسموما.ابن كثير: المصدر السابق ،ج17 ،ص 531.

² - سورة آل عمران الآية 18.

³ - أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن المواز: خطوة الأعلام في التعليم والتربية في الإسلام، تحقيق أحمد طالبي، ط1، مطبعة كرافيك أصالة ، الرباط، 2004،ص82.

العمومي بخلاف أرزاق الزكوات والصدقات والتبرعات فإنها مقدره في الشرع بالوجود، بحيث إن نقصت مادتها المعينة لأهلها فلا يكمل لهم من بيت المال العام¹.

1- موقف الفقهاء والعلماء من الصلوات المالية:

لم يكن موقف الفقهاء والعلماء واحدا تجاه الصلوات المالية المختلفة التي تقدم لهم من قبل الخلفاء والسلطين، ويمكن تقسيم موقفهم من قبول تلك الأرزاق ورفضها إلى ثلاثة مواقف:

الأول: التعفف والرفض.

ومن الذين رفضوا أن يأخذوا من مال السلطان والخلافة الإمام أبو حنيفة²، فامتنع عن أخذ عطاء أبي جعفر المنصور العباسي مع أن المنصور كان يختبر بقبوله للعطاء مدى درجة ولاء أبي حنيفة له، ومع ذلك يرفض أبو حنيفة أخذ عطاء المنصور³. وألح المنصور في عرض العطاء على أبي حنيفة وظل يختلق السبل لحمله على قبوله إلا أن أبا حنيفة ظل ثابتا على موقفه ولم يتراجع، الأمر الذي دعا المنصور إلى أن أمر أبا حنيفة على عد اللبن الذي أعد لبناء بغداد عندما أراد توليته القضاء فرفض ولاية القضاء و تولى عد اللبن أياما، فبعد بناء بغداد أعطاه صلة بلغت 10.000 درهم فلم يقبلها أبو حنيفة⁴.

وكذلك موقف الفقيه عمرو بن عبيد(ت: 144 هـ/ 761 م)⁵ رفض معونة المنصور

بعد

¹ - أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء: الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه، محمد بن حامد الفقي، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1421هـ/2000م، ص35.

² - أبو حنيفة: هو الإمام أبو حنيفة واسمه النعمان بن ثابت التيمي، فقيه العراق، وإمام أصحاب الرأي، وأحد أئمة الإسلام، والأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة، وهو أقدمهم وفاة، لأنه أدرك عصر الصحابة، ورأى أنس بن مالك غير مرة لما قدم أنس الكوفة، قيل للإمام مالك بن أنس هل رأيت أبا حنيفة قال نعم رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهبا لقام بحجته، ونكر بعضهم أنه روى عن سبعة من الصحابة، قال عبد الله بن المبارك: لولا أن الله أغاثني بأبي حنيفة وسفيان الثوري لكنت كسائر الناس. وقال الشافعي: من أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة، كانت ولادته سنة ثمانين للهجرة، وتوفي سنة خمسين بعد المائة.الدمهوري: المصدر السابق، الورقة 13. والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج15، ص445. ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص405-406. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج9، ص306. ابن كثير: المصدر السابق، ج13، ص145.

³ - ضيف الله يحيى الزهراني: المرجع السابق، ص194.

⁴ - غير أن ابن خلكان فند هذه الحادثة وعدها من نسج العوام فقال: (والعوام يدعون أنه تولى عدد اللبن أياما ليكفر بذلك عن يمينه، ولم يصح هذا من جانب النقل). أنظر ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص406.

⁵ - عمرو بن عبيد: هو عمرو بن عبيد بن باب أبو عثمان، سكن البصرة، وجالس الحسن البصري، وكان له سمت، وإظهار زهد، ودخل على المنصور فوعظه موعظة أبكت المنصور، تكلم العلماء فيه لأجل مذهبه في القدر، وكذبه جماعة في حديثه، وكان يقول إن كانت (تبت يدا أبي

أن وعظه موعظة بالغة تأثر لها المنصور أيما تأثر¹.

الثاني: يقبل العطاء إلا أنه لا ينتفع به لنفسه.

يستعين به في سد حاجات الفقراء وذوي الحاجة، وإعانة طلاب العلم المعوزين، ومن أمثال أولئك الحسن البصري، والإمام مالك رضي الله تعالى عنه كونه يرى أن المال مال عام، وأن أهل العلم الذين انصرفوا لتحصيل العلم ووقفوا أنفسهم على ذلك هم أحق الناس بذلك المال².

الثالث: يقبل العمل للخلفاء ويأخذ العطاء ويتصدق به، مثل الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه.

ومهما يكن من أمر فقد حظي العلماء بعناية الخلفاء ولم يبخلوا عليهم بالأموال وأجروا عليهم الرواتب والصلوات .

2- الجارية على العلماء:

ففي عهد الخليفة السفاح (132-136هـ/749-753 م) فقد أعطى خالد بن صفوان التميمي وإبراهيم بن مخزومة الكندي 100.000 درهم لكل منهما جراء مناظرة علمية حصلت بينهما³.

ولما حج المنصور عام 147هـ/ 764 م وصل الإمام مالك بـ 5000 دينار⁴، كما وصله أيضا بـ 1000 دينار لما حج عام 158 هـ/ 774 م ولابنه بمثلها⁵.

وبعد وفاة المنصور وتولى بعده ابنه محمد المهدي (159-169هـ/775-785 م)⁶ استمرت سياسة الإغداق على العلماء، فقد وصل المهدي الإمام مالك بـ 4000 دينار، ووصل ابنه بألف دينار¹.

لهب) فما على أبي لهب من لوم، توفي سنة 144هـ/ 761 م، ودفن بمران على ليال من مكة، وقيل توفي سنة 148هـ/ 765 م. ابن الجوزي: المنتظم، ج8، ص60-61.

1 - ابن الجوزي: المنتظم، ج8، ص60.

2 - ضيف الله يحيى الزهراني: المرجع السابق، ص195.

3 - نفسه، ص200.

4 - ابن قتيبة: المصدر السابق، ج2، ص145.

5 - نفسه، ص150.

6 - الخليفة المهدي: هو محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، أبو عبد الله المهدي، أمير المؤمنين، ولد سنة ست أو سبع بعد المائة وقيل سنة 121هـ/ 738 م بالحميمة من أرض البلقاء، واستخلف بعد موت المنصور، في ذي الحجة سنة 158 هـ/ 774 م، كان أسمر طويلا، جعد الشعر، على إحدى عينيه نكتة بيضاء، توفي في المحرم من سنة 169هـ/ 785 م، وذكر أن المهدي في آخر أمره عزم على تقديم ابنه هارون على ابنه موسى الهادي فخرج إلى

وفي هذه المرحلة بدأ العمل بنظام صرف الرواتب والجرايات على العلماء ، فقد ذكر أنه(كان لإبراهيم بن طهمان جارية من بيت المال فسئل عن مسألة في مجلس الخليفة ،فقال: لا أدري ،فقالوا له: تأخذ في كل شهر كذا وكذا ولا تحسن مسألة؟ فقال: إنما آخذ على ما أحسن، ولو أخذت على ما لا أحسن لفني بيت المال، ولا يفنى ما لا أحسن، فأعجب الخليفة جوابه، وأمر له بجائزة فاخرة وزاد في جاريته)².

وكما وصل الخليفة المهدي عتاب بن إبراهيم بعشرة آلاف درهم³ ومالك بن دينار 3000 دينار ليشتري بها داراً⁴.

أما في عهد الخليفة الهادي (169-170هـ / 785-786م)⁵، فقد وصل عيسى بن سميرة بمبلغ 30.000 دينار⁶.

وفي خلافة الرشيد(170-193هـ/789-808 م)⁷ الذي كان محبا للعلماء جوادا معهم، أجرى عليهم الأرزاق الواسعة¹.

جرجان ليقطع أمر البيعة لابنه هارون ،فلما كان بما سبذان فأصابه ما أصابه فمات قيل بالحمى ،وقيل مسموما ،وقيل بعضة فرس، وكانت خلافته عشر سنين وشهرا وستة وعشرين يوما.محمد بن يزيد القزويني: كتاب تاريخ الخلفاء ، تحقيق مديحة الشراقوي، مكتبة الثقافة الدينية ،ط1، القاهرة، 2000، ص 23.أبو جعفر محمد بن جرير الطبري:تاريخ الطبري(تاريخ الرسل والملوك)،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط2، القاهرة، (د،ت)، ج8، ص 168 .ابن العمراني:المصدر السابق،ص71.ابن كثير:المصدر السابق،ج13،صص540-542.السيوطي:تاريخ الخلفاء،ص259.

¹ - ابن قتيبة :المصدر السابق ،ج2، ص151.

² - ضيف الله يحي الزهراني: المرجع السابق، ص200-201.

³ - السيوطي: تاريخ الخلفاء ، ص262.

⁴ - ضيف الله يحي الزهراني: المرجع السابق، ص201.

⁵ - الخليفة الهادي: هو أبو محمد موسى بن المهدي بن المنصور، وأمه أم ولد بربرية اسمها الخيزران، ولد بالري سنة سبع وأربعين ومائة، وبوبيع بعد أبيه بعهد منه، كانت خلافته سنة وأشهرًا، حارب الزنادقة وقتل الزنادقة، مات في ربيع الآخر سنة سبعين ومائة، واختلف في سبب موته.محمد بن يزيد القزويني:المصدر السابق، ص24.السيوطي:تاريخ الخلفاء، ص266.

⁶ - ضيف الله يحي الزهراني: المرجع السابق، ص201.

⁷ - الخليفة الرشيد: هو هارون أبو جعفر بن المهدي محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، استخلف بعهد من أبيه عند موت أخيه الهادي ليلة السبت لأربع عشرة بقيت من ربيع الأول سنة سبعين ومائة، فكان يكنى بأبي موسى فتكنى بأبي جعفر ، كان من أُمير الخلفاء وأجل ملوك الدنيا، وكان كثير الغزو والحج، كان يحج سنة ويغزو سنة، حج في خلافته ثمانين أو تسع حجج، مولده كان بالري في سنة148هـ / 765 م، وأمه أم ولد تسمى الخيزران وهي أم الهادي، قيل في فضائله أنه كان يصلي في اليوم مائة ركعة حتى مات، ويتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم، وكان يحب العلم وأهله ، مات سنة193هـ/808 م.ابن ظافر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2001 ، ص238. السيوطي: تاريخ الخلفاء ، ص269.

فقد أجرى الأموال على المدرسين والفقهاء والمشتغلين بعلوم القرآن ورواية الحديث، وعلى العاملين على تعليم الناس، والمقبلين على طلب العلم 2000 دينار سنوياً، والمشتغلين بجمع القرآن ورواية الحديث والفقهاء 4000 دينار سنوياً²، وقد استمرت هذه السياسة في عهده فقد كانت جارية الواقدي (ت: 207 هـ/ 822م)³ 4000 دينار في السنة، وقد كان يشتغل بعلوم القرآن والحديث⁴.

كما أعطى الرشيد الإمام الشافعي عندما حل العيد وليس عنده نفقة 2000 دينار، كما وصله بمبلغ 5000 دينار عندما سعى به الوشاة إلى الرشيد بتهمة أنه لا يرى للعباسيين شرعية في الخلافة فحمل إليه ، و بعد مناظرة طويلة أطلق سراحه ، وأعطى سفيان بن عيينة مبلغ 100.000 درهم⁵.

وفي إحدى السنوات حج الرشيد فزار سفيان بن عيينة فدعاه إلى ولاية القضاء بعد وفاة الإمام مالك فامتنع فوصله الرشيد بـ 2000 دينار، وكان يجري عليه 1000 درهم في كل شهر⁶.

كما عمل الخليفة المأمون (198-218 هـ/ 813-833 م) على استقدام العلماء من الأمصار وأجرى عليهم الأرزاق⁷ ، وكان يرسل الأموال لشيخو الحديث لأنه رأى فيهم ضعفا ليستعينوا بها على ما أوقفوا أنفسهم عليه من رواية الحديث، وزادت أرزاق الفقهاء والعلماء في عهده، فكان ما أجراه على أبي عبيد القاسم بن سلام 500 درهم في الشهر وكان يجري على عفان بن مسلم الأنصاري المحدث 500 درهم كل شهر⁸.

1 - ابن قتيبة: المصدر السابق ، ج2، ص154-155.

2 - محمد ماهر حمادة: المرجع السابق، ص258.

3 - الواقدي: هو محمد بن عمر بن واقد ، ويكنى أبو عبد الله الواقدي، مولى لبني سهم من أسلم، وكان قد تحول من المدينة فنزل بغداد وولي القضاء لعبد الله بن هارون أمير المؤمنين بعسكر المهدي أربع سنين، وكان عالماً بالمغازي والسيرة والفتوح، وباختلاف الناس في الحديث والأحكام، واجتماعهم على ما اجتمعوا عليه، وقد فسر ذلك في كتب استخراجها وحدث بها، ولد سنة 130هـ/ 748م، وتوفي سنة 207هـ/ 822 م. محمد بن سعد بن منيع الزهري، كتاب الطبقات الكبير، ج7، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة، 2001، ص604.

4 - ضيف الله يحيى الزهراني: المرجع السابق، ص202.

5 - ابن كثير: المصدر السابق، ج14، ص133-134.

6 - ضيف الله يحيى الزهراني: المرجع السابق، ص203.

7 - المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين : مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به وراجعته كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية ، بيروت، ط1 ، 2005 ، ج3 ، ص174.

8 - ضيف الله يحيى الزهراني: المرجع السابق، ص205.

وفي عهد الخليفة الواثق بالله (227-232هـ/841-846م)¹ نال العلماء حظوة كبيرة، وأجرى عليهم الجرايات الوافرة، فقد أجرى على أبي عثمان بكر بن محمد المازني مائة دينار شهريا².

واستقدم المتوكل (232-247هـ/ العلماء والفقهاء وأجرى عليهم الأرزاق السنوية وأكرمهم وأجزل صلاتهم وكان الجاري على العلماء في عهد المتوكل يتراوح بين 1000 درهم و4000 درهم في الشهر، وصرف المتوكل على إسحاق بن البهلول بن حسان بن سنان أبي يعقوب التنوخي 1000 درهم في الشهر، وأقطعه إقطاعا غلته في السنة 12000 درهم، وجعل له جراية سنوية مقدارها 5000 درهم، وأجرى المتوكل على أبي الحسن الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن عيسى موسى الكاظم في كل سنة 4000 دينار³. وفي عهد الخليفة المعتضد أجرى على العالم النحوي الزجاج مبلغ 300 دينار في السنة، كما وصل المكتفي المؤرخ الطبري بمبلغ 10.000 درهم لكنه اعتذر ولم يقبلها وطلب منه أن يفرقها على المحتاجين⁴.

وأجرى المقتر (295-319هـ/907-931م) على الأئمة والقراء والمؤذنين أرزاقا، وكان يجري على الفقهاء في كل شهر مبلغ 13569 دينارا⁵، كما أجرى على ابن دريد (ت: 321هـ/933م)⁶ خمسين دينارا في كل شهر عندما قدم بغداد وكان فقيرا⁷. وقد نال الفقهاء والعلماء حظوة كبيرة في وزارة ابن الفرات (142-212هـ/759-827م)¹ فقد كان يجري الرزق على خمسة آلاف من أهل العلم والدين والبيوت والفقراء أكثرهم

¹ - الخليفة الواثق بالله : هو هارون أبو جعفر وقيل أبو القاسم بن المعتصم بن الرشيد، أمه أم ولد رومية ، ولد سنة ست وتسعين ومائة ، ولي الخلافة بعهد من أبيه ، وبويع له في تاسع عشر ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين، كان الواثق يسمى المأمون الأصغر، لأدبه وفضله، وكان شاعرا، قيل أنه لم يكن في خلفاء بني العباس من هو أكثر منه رواية للشعر، مات بسر من رأى سنة مائتين واثنين وثلاثين. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 320.

² - ضيف الله يحيى الزهراني: المرجع السابق، ص 205.

³ - ضيف الله يحيى الزهراني: المرجع السابق ، ص 206.

⁴ - نفسه، ص 207.

⁵ - نفسه، ص 208 .

⁶ - ابن دريد: هو محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية أبو بكر الأزدي، ولد في سكة صالح بالبصرة سنة 223 هـ/837 م ، وتقل إلى فارس وطلب الأدب وعلم النحو واللغة، وكان أبوه ميسورا، وورد بغداد بعد أن شاخ فأقام بها إلى آخر عمره ، كان مقدا في اللغة والأنساب، وله شعر كثير، كان يقال عنه أعلم الشعراء، وأشعر العلماء، تكلم فيه أصحاب الجرح والتعديل، وقيل أنه كان يعاقر الخمر وقد بلغ التسعين، توفي سنة 321هـ/933م. ابن الجوزي: المنتظم، ج13، ص 329-331.

⁷ - أحمد شلبي: المرجع السابق، ص 228.

مائة درهم في الشهر، وأقلهم خمسة دراهم وما بين ذلك²، وقد أجرى على أهل الحديث والمتصوفة وأهل الأدب والفقهاء والشعراء من ماله الخاص لكل فئة عشرين ألف درهم³. في سنة 369 هـ / 979 م قام عضد الدولة بعمارة بغداد، وكانت قد خربت بتوالي الفتن فيها، وعمر مساجدها وأسواقها، وأدر الأموال على الأئمة، والمؤذنين، والعلماء، والقراء، والغرباء، والضعفاء، الذين يأوون إلى المساجد.

بعد انقضاء العصر العباسي الثاني تغيرت مواقف الفقهاء والعلماء من عطاء الخلفاء، وربما يرجع ذلك إلى المرحلة السياسية التي تمر بها الدولة وما سادها من الارتباك، لا سيما على مستوى المؤسسات الإدارية والمالية، وهيمنة المؤسسة العسكرية على مقاليد السلطة، الأمر الذي أدى إلى فتور العلاقة بين العلماء والخلفاء.

ومهما يكن من أمر فإن الفقهاء والعلماء في هذه الفترة فإن نظرتهم الشرعية إلى العطاء والرواتب والصلوات قد تغيرت بالشكل الذي ينسجم مع المستجدات التي تمر بها الدولة الإسلامية في الجوانب الحضارية، والتي يراعيها التشريع الإسلامي، ويستجيب لها من طبيعة المرونة التي بنيت عليها فلسفة التشريع في الإسلام.

بمعنى أن الفقهاء والعلماء كان تقديرهم في جواز قبول الرواتب والصلوات، و النفقة على أهل العلم حق معلوم في الشرع الإسلامي لأن لهم نصيب في مال المسلمين، وطلاب العلم هم أولى بذلك.

وأصل هذا الموقف هو ما كان يراه الإمام مالك رضي الله تعالى عنه، ومن كان يرى هذا الرأي كالحسن البصري وغيرهم.

من خلال هذا العرض يتبين لنا رغبة كثير من الخلفاء والسلاطين والأمراء والوزراء والولاة والعلماء الذين كان لهم شأن كبير في مجال العلم والاهتمام به وبأهله في نشره

¹ - الوزير ابن الفرات: هو أبو الحسن علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات وزير المقتدر بن المعتضد ، وزر له ثلاث مرات ، كان كاتباً كافياً خبيراً، وكان يملك أموالاً كثيرة تزيد على عشرة آلاف ألف درهم، ولد سنة 241هـ / 855 م، وقتل سنة 312هـ / 924 م. ابن كثير: ج15، ص15-16. ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، صص421-423.

² - ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص423.

³ - ابن كثير: المصدر السابق، ج15، ص15.

وتيسير أسباب الحصول عليه وطلبه، فسخرُوا لذلك كل الوسائل المتاحة أمام العلماء والطلبة في سبيل تحصيل العلم وتعليمه، ومن مظاهر ذلك الاهتمام هو بناء المؤسسات التعليمية وعلى رأسها المدارس.

وأن الاهتمام الرسمي من طرف الأيوبيين بإنشاء المؤسسات التعليمية لم يكن اهتماماً مذهبياً صرف بقدر ما كان اهتماماً شخصياً بالعلم وأهله، ونشر العلوم الشرعية لأنها المرجعية الأساسية التي تقوم عليها الدولة، هذا فضلاً عن الالتزام الشخصي لأولئك السلاطين بمبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وسيرتهم الشخصية حافلة بما عرفوا به من التقوى والورع وتحقيق العدل وخدمة الدين ، وتقديم مصالح الأمة على مصالحهم الخاصة، لذلك فقد أبلوا البلاء الحسن في حركة الجهاد الإسلامي في مواجهة الصليبيين في مرحلة دقيقة من التشرذم والهوان كانت تمر بها الأمة الإسلامية، فكانت تلك الفترة التي برزوا فيها بمثابة عهداً جديداً ودماء جديدة مستوحاة من سيرة العهد الأول لهذه الأمة.

و أن المدرسة كمؤسسة تعليمية قد عرفت طريقها إلى بلاد المغرب الإسلامي كغيره من أقطار العالم الإسلامي الأخرى، وأن المغاربة قد حاكوا إخوانهم المشاركة في اهتمامهم بالعلم وأهله، وتيسير السبل لتحصيله ونشره، وتشديد مؤسساته كبناء المدارس ووقف الأموال عليها بما يكفل استمرارها وخدمة المنتسبين إليها.

ويتبين لنا كذلك أن بيت المقدس كان من مراكز الحياة الفكرية في العالم الإسلامي، فبعد زوال الاحتلال الصليبي عن بيت المقدس برزت به حركة فكرية متميزة ، وتعددت روافدها، ومن مظاهر ذلك إنشاء الكثير من المراكز العلمية مثل المدارس والمساجد والمكتبات والبيمارستانات والزوايا والخوانق والربط وغيرها..

و أن الفقهاء والعلماء في العصر العباسي الثاني نظرتهم الشرعية إلى العطاء والرواتب والصلات قد تغيرت بالشكل الذي ينسجم مع المستجدات التي تمر بها الدولة الإسلامية في الجوانب الحضارية، والتي يراعيها التشريع الإسلامي، ويستجيب لها من طبيعة المرونة التي بنيت عليها فلسفة التشريع في الإسلام.

بمعنى أن الفقهاء والعلماء كان تقديرهم في جواز قبول الرواتب والصلات، و النفقة على أهل العلم حق معلوم في الشرع الإسلامي لأن لهم نصيب في مال المسلمين، وطلاب العلم هم أولى بذلك.

الفصل الرابع

أولاً: تعريف البيمارستان

ثانياً: نشأة البيمارستانات في الإسلام حتى نهاية العصر العباسي

ثالثاً: أنواع البيمارستانات في الإسلام

رابعاً: خدمات الحجرية على المرافق الصحية في الإسلام

خامساً: مجانية العلاج والخدمات في البيمارستانات الإسلامية

سادساً: مساهمة العلماء والصالحين في بناء البيمارستانات والحجرية عليها

إن البيئة العربية الصافية وما تمتعت به بعض مناطقها الرعوية بوجود الأعشاب الطبية، قد ساعدت الإنسان العربي على الاهتداء إلى بعض وسائل الإستطباب، من خلال تجربة بعض النباتات والأعشاب في العلاج لذلك كان أبرز خصائص الطب العربي قبل الإسلام اهتمامه بالتجربة ، على تلك الأعشاب والنباتات واستخدامها في علاج بعض الأمراض، لذلك يبدو أن اشتغال عرب ما قبل الإسلام بتلك التجارب، قد باعد بينهم وبين طب الكهانة والخرافة، وقارب بينهم وبين طب التجارب العلمية، لأنهم راقبوا الحمل والولادة والنمو، وشرحوا الأجسام فعرفوا مواقع الأعضاء، وعرفوا عمل تلك الأعضاء في بنية الحيوان، فسهل عليهم اكتشاف الأمراض وسبل مداواتها¹ .

ولما جاء الإسلام قضى على الكهانة والدجل وحرّم المداواة بالسحر والشعوذة ، وأباح الطب الطبيعي، وسمح النبي صلى الله عليه وسلم بالعلاج من الأطباء ولو غير المسلمين، فلما مرض سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في حجة الوداع عاده النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال له: (إني لأرجو أن يشفيك الله حتى يضر بك وينتفع آخرون) ثم قال للحارث بن كلدة الثقفي (عالج سعدا مما به)²، رغم أن الحارث بن كلدة³ على غير

1 - عامر النجار: في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، دار الهداية، القاهرة، (د،ط)،(د،ت)، ص41.

2 - حيث يروى عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أنه مرض بمكة مرضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (ادعوا له الحارث بن كلدة فإنه رجل يتطيب)، فلما عاده الحارث نظر إليه وقال: (ليس عليه بأس اتخذوا له فريقة من تمر بشيء من تمر عجوة وحبلة يطبخان) فتحساها فبريء، وقد كانت للحارث بن كلدة معالجات كثيرة ودراية بما كانت العرب تألفه وتحتاج إليه من المداواة، وكان له لقاء بكسرى أنو شروان فأعجبه كلامه وحظي عنده . ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس أحمد بن قاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي: عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص161-162.

3 - الحارث بن كلدة : هو الحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج الثقفي كان من عرب الطائف من حواضر غرب الجزيرة العربية ، و ثقيف إحدى قبائلها ، ، ولد قبل الإسلام وارتحل الحارث إلى بلاد فارس واليمن ، فتعلم الطب بمدرسة جنديسابور فاستوعب فن

الإسلام، وكان طبيب العرب في زمانه من ثقيف من أهل الطائف رحل إلى بلاد فارس وتعلم الطب عن أهل جنديسابور¹ وغيرها في الجاهلية ثم رجع إلى الطائف².

لذلك اهتم الإسلام بصحة الإنسان الذي يعد محور التكليف الذي جاءت به شريعة الإسلام، فينبغي أن يتمتع بالصحة التي تسمح له بأداء الواجبات الشرعية كالصلاة والصيام والحج، وهي من الشعائر التي يشترط فيها توفر السلامة البدنية لأدائها، فإن اختل شرط الصحة البدنية خففت هذه الواجبات إلى القدر الذي يمكن أدائها على وجه الرخصة والتيسير، وإلا سقط بعضها وعلق وجوبها إلى أن تتوفر السلامة البدنية.

وقد ذكر القرآن الكريم والسنة النبوية بنعمة العافية وضرورة المحافظة عليها، قال الله تعالى: (وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا)³ ، وقوله (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ)⁴ وغيرها من النصوص.

أما عن الطب والصحة في السنة النبوية فقد جمع الإمام البخاري أحاديث نبوية صحيحة في كتابين من صحيحه، يحتوي الكتاب الأول على ثمانية وثلاثين حديثاً في هذا الباب، والثاني يحتوي على إحدى وتسعين حديثاً في نفس الباب، وهناك عدة مصنفات عن الطب النبوي منها كتاب الطب النبوي للذهبي⁵، وكتاب الأحكام النبوية في الصناعة

الطب وعرف مختلف أنواع الأدوية ، واعتمد في علاجه على الفصد والكي والحجامة والحمية كما استعمل مختلف العقاقير الطبية والأعشاب . ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 161-165 . الزهري محمد بن سعد بن منيع: كتاب الطبقات الكبير، تحقيق علي محمد عمر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط 1، 2001، ج 8، ص 68. العسقلاني شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة ، مطبعة السعادة، القاهرة ، 1328 هـ، ج 1، ص 288. الماجد عبد الله بن علي: الحارث بن كلدة حكيم العرب ، مجلة العرب، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ، العدد7، السنة الثانية (محرم 1388هـ/1968 م) ص 595-596.

¹ - جند يسابور: مدينة بخوز ستان بناها سابور بن أردشير فنسبت إليه ، وأسكنها سبي الروم، وطائفة من جنده ، وهي مدينة خصبة واسعة الخير، بها النخل و الزروع والمياه. ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص 170.

² - عامر النجار: المرجع السابق، ص 41-42.

³ - سورة الإسراء الآية 82.

⁴ - سورة الأنبياء الآية 84.

⁵ - الذهبي : الشيخ الحافظ الكبير مؤرخ الإسلام ، وشيخ المحدثين، ولد سنة 673 هـ/1274 م ، له مصنفات كثيرة منها (التاريخ الكبير) و(التاريخ الأوسط) المعروف بالعبر في خير من غير، و(التاريخ الصغير) المعروف بدول الإسلام ، وكتاب أعلام النبلاء ، ومصنفات أخرى كثيرة في تراجم الرجال والقراء والمحدثين وفي العقائد وغيرها، توفي سنة 748 هـ/1347م. السبكي : المصدر السابق، ج 9، ص 104-105. ابن كثير : المصدر السابق : ج 18، ص 500.

الطبية للحموي، وكتاب الطب النبوي لشمس الدين محمد بن أبي بكر وغيرها من المصنفات¹.

تذكر المصادر أنه لما مرض سعد بن معاذ رضي الله عنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تنصب له خيمة في المسجد حتى يتمكن من زيارته، وكانت الخيمة لامرأة مجاهدة يقال لها رفيدة² كانت تعمل على مداواة الجرحى، وكانت متميزة بالجراحة في تدخلاتها الطبية³، وكانت امرأة صالحة ، وقد حبست نفسها على خدمة من كان مريضاً من المسلمين، وكانت تساعد أختها كعبة بنت سعيد الأسلمية، فكانت تلك الخيمة النواة الأولى للممارسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، وكانت رفيدة أول ممرضة في الإسلام⁴

أولاً- تعريف البيمارستان:

البيمارستان بفتح الراء وسكون السين لفظة فارسية مركبة من كلمتين (بیمار وستان)، (بیمار) وتعني المريض أو العليل أو المصاب ، و(ستان) وتعني مكان أو دار أو موضع ، ومن ثم يكون معنى البيمارستان (موضع المرضى) أو (دار المرضى)، واختصرت لفظة البيمارستان في الاستعمال في ما بعد فصارت مارستان⁵ ومديره يسمى (الساعور)⁶ .

وكانت البيمارستانات منذ أول عهدها عبارة عن مستشفيات عامة لمعالجة المرضى من مختلف الأمراض سواء كانت هذه الأمراض باطنية أم جراحية أو رمدية أو عقلية، وربما تتعرض هذه المؤسسات الصحية لعوادي الزمن من حين لآخر، فتحل بها الكوارث فتتعطل عن أداء وظيفتها العلاجية، فيهجرها المرضى، ولا يلازمها إلا من عجز على

1 - عامر النجار: المرجع السابق، ص43.

2 - رفيدة : امرأة من أسلم رافقت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق ، أقيمت لها خيمة إلى جواره لمداواة الجرحى واشتهرت بمرافقتها له في الغزوات ، وذكر أنها رافقته في سبع غزوات، ولما أصيب سعد بن معاذ حمل إلى خيمتها وقامت بإسعافه. ابن كثير: المصدر السابق، ج6، ص 82. ابن حجر العسقلاني: المصدر السابق ، ج 4 ، ص242. عمر كحالة : أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، المطبعة الهاشمية ،دمشق، 1959، ج1، ص451.

3 - أسماء يوسف أحمد آل نياض: الرعاية الصحية والطبية في القرن الأول الهجري(1-101 هـ/622-719 م)، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الشارقة، السنة الجامعية 2010-2011 ، ص101-102.

4 - فرج محمد الهوني : تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، مصراتة، 1986، ص193.

5 - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص47.

6 - فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص193. سعيد إسماعيل علي: المرجع السابق، ص532. نزيه شحادة: صفحات من الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، ط1 ، بيروت، 2006 ، ص320.

هجرانها ، من الذين لا مكان لهم سواها كالمجانين أصحاب الأمراض العصبية، بمعنى أن البيمارستان أصبح للأمراض العصبية¹، فاقترنت لفظة البيمارستان بالمجانين، فأصبحت كلمة البيمارستان إذا أطلقت لا تتصرف إلا إلى مأوى المجانين².

ولم تكن البيمارستانات مقتصرة على علاج المرضى فحسب، بل كانت كذلك بمثابة معاهد علمية يدرس فيها الطب والحالات التي تعرض عليهم، فكان بالبيمارستان إيوان كبير بمثابة قاعة محاضرات، يجلس فيه كبير الأطباء ومعه بقية الأطباء والطلاب الذين هم بصدد تعلم الطب، وإلى جانبهم الآلات والمصنفات الطبية، فتدور بينهم المناقشات حول مختلف المسائل المتعلقة بالصناعة، والإطلاع على مختلف الكتب التي صنفت في هذا الفن، إلى جانب ذلك يقومون بالزيارات الميدانية لإجراء الفحوص التجريبية، وهي بمثابة الدروس التطبيقية التي يقوم بها الطلبة على المرضى³.

ثانياً - نشأة وتطور البيمارستانات في الإسلام حتى نهاية العصر العباسي:

أما عن بداية نشأة البيمارستانات فإن المصادر التاريخية تؤكد عدم وجودها عند اليونانيين، كما أنها لم توجد عند الرومان إلا بيوتا لرعاية المسنين والعجزة، والمصابين من جنودها في العمليات الحربية، كما أن أوروبا المسيحية لم تعرف مثل تلك البيمارستانات إلا بيوتا للرحمة حين شهد العالم الإسلامي البيمارستانات المتخصصة في مختلف الخدمات الطبية⁴.

فقد اهتدى المسلمون إلى إنشاء البيمارستان كمؤسسة صحية ترميضية منذ عهد مبكر من تاريخ الحضارة الإسلامية.

1- العصر النبوي (1-11هـ / 622-632م):

لقد كان لعرب ما قبل الإسلام دراية ببعض المعارف الطبية، التي اهتموا إليها عن طريق التجربة⁵ أو اكتسبوها من خلال اتصالاتهم بالأمم الأخرى، إلا أنهم لم تكن لهم

¹ - عز الدين فراج: فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ت)، ص 168.

² - سعيد إسماعيل علي: المرجع السابق، ص 532.

³ - مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا، دار السلام، ط 1، القاهرة، 1998، ص 109.

⁴ - فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص 193-194.

⁵ - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 421.

أماكن مخصصة لمعالجة المرضى، وقد برز بعض الأطباء من الذين اشتغلوا بالطب، مثل الحارث بن كلدة¹.

وفي غزوة الخندق أقام النبي صلى الله عليه وسلم خيمة لمعالجة الجرحى²، لذلك يعد النبي صلى الله عليه وسلم أول من أنشأ بيمارستانا في الإسلام، في وقت لم يكن للعرب ولا لغيرهم مكانا لمعالجة المرضى.

2- العصر الراشدي (11-40هـ/632-660م):

شهدت فترة الخلفاء الراشدين حالة البساطة في الدولة الإسلامية في شؤونها المختلفة كتلك الحالة التي كانت عليها في عهد النبوة، وذلك من حيث البناء الحضاري، كتشييد المرافق العامة والمؤسسات الإدارية وبناء القصور والجسور وغيرها، لأن المرحلة كانت مرحلة البناء الروحي والعقدي الذي إنبت عليه الحضارة الإسلامية فيما بعد وهو الأهم، وانشغال المسلمين بالدعوة للإسلام من خلال حركة الفتوح الإسلامية التي تعد من أولويات المرحلة كل ذلك كان سببا في عدم التفاتهم إلى تشييد العمائر والاهتمام بالصناعات المختلفة ومن بينها صناعة الطب إذا ما قارنا هذا العصر بالعصر الأموي والعباسي.

استمر الطب على حالته البسيطة في عهد الخلفاء الراشدين، ولم تنتشأ فيه البيمارستانات بعد، كما أن العرب المسلمين في هذه الفترة لم يختلطوا بعد مع غيرهم من الأمم الأخرى إلا بعد انطلاق حركة الفتوح الإسلامية في الشرق والغرب، لذلك ظل الطب في هذه الفترة بملامحه البسيطة يعتمد على الأعشاب والنباتات الطبية وعلى الكي والحجامة أحيانا أخرى إلى مطلع العصر الأموي³.

ومع ذلك فقد أبدى الخلفاء الراشدون عناية بالجانب الصحي بالقدر الذي يستجيب لطبيعة أولوية المرحلة، فقد حرص أبو بكر الصديق على السلامة الصحية للجنود وعدم

¹ - ابن هشام أبو محمد جمال الدين الحميري المعافري: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط2، القاهرة، 1375هـ/1955م، ج1، ص325.

² - ابن هشام: المصدر السابق، ج2، ص239.

³ - عامر النجار: المرجع السابق، ص45.

إرهاقهم بالمسير، فقد أوصى القائد عمرو بن العاص بذلك عند توجهه إلى فلسطين بالرفق بالجنود المسلمين وعدم إرهاقهم بالمشي لمسافات طويلة لأن فيهم ضعيف البدن الذي لا يقدر على المشي لأميال طويلة ، وتزويد الجيش بالإسناد الطبي، ومراعاة الحالة الصحية والنفسية للجنود وغيرها من مظاهر اهتمامه رضي الله عنه في هذا الجانب¹.

كما أبدى خليفته من بعده عمر بن الخطاب اهتماما بالصحة العامة فكان يحذر من الإسراف في تناول الطعام والإكثار من أكل اللحوم ، وأمر بإتمام الرضاعة للأطفال ، وتوفير الطعام للمحتاجين ، ويظهر اهتمامه كذلك بصحة الأمة من خلال موقفه من الأوبئة والأمراض المعدية ورعاية المجذومين، وتقديم الإعانات للجرحى وأسر الشهداء².

3- العصر الأموي (41-132هـ / 661-749م):

اعتمد المسلمون في العصر الأموي والعباسي الأول على الأطباء الأعاجم وغير المسلمين وكان أغلبهم من النصارى الذين تلقوا فنون الطب في مدارس الرها³ ورأس العين⁴ ونصيبين⁵ وأنطاكية و جنديسابور و الإسكندرية وحران⁶ وحظوا بحسن المعاملة من طرف المسلمين، فاندمجوا داخل المجتمع الإسلامي مما جعلهم ينقلون معارفهم الطبية وخلاصة الأبحاث الطبية اليونانية والسريانية والهندية والفارسية التي كانت من الأسس التي إنبنى عليها الطب الإسلامي⁷.

و شهد مطلع العصر الأموي تطورا طفيفا في الطب، من خلال تعرف المسلمين في هذا العصر على المؤلفات الإغريقية وغيرها، وكان لمعاوية بن أبي سفيان طبيبان نصرانيان دمشقيان وهما ابن آثال الذي كان على معرفة بالأدوية والسموم، والآخر هو أبو

1 - أسماء يوسف : المرجع السابق، ص 111-112.

2 - أسماء يوسف : المرجع السابق، ص ص 113-119.

3 - الرها: مدينة بين الموصل والشام. ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج 3 ، ص106.

4 - رأس العين :مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حران ونصيبين وديسر بها عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها في موضع فتصير نهر الخابور. ياقوت الحموي :معجم البلدان، ج 3 ، ص14.

5 - نصيبين: مدينة عامرة من بلاد الجزيرة كثيرة المياه والبساتين ،وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: رفعت ليلة أسري بي فرايت مدينة أعجبتني فقلت: يا جبريل ما هذه المدينة ؟ قال: هذه نصيبين .فقلت: اللهم عجل فتحها، واجعل فيها بركة للمسلمين. وفتحها المسلمون صلحا. ياقوت الحموي :معجم البلدان، ج 5 ، ص288-289.

6 - حران: وهي مدينة عظيمة، تقع على طريق الموصل والشام والروم ، فتحت في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلحا. ياقوت الحموي :معجم البلدان، ج 2 ، ص235-236.

7 - علي حسين الشطشاط: تاريخ الجراحة في الطب العربي(من القرن 3-7هـ/9-13 م) ،رسالة دكتوراه،جامعة محمد الخامس،كلية الآداب والعلوم الإنسانية،الرباط،المملكة المغربية، 1997، ج1، ص69.

الحكم الدمشقي، فكان طبيبه الخاص ،ويعتمد عليه في معالجة أهل بيته، وقد ترك ذرية من الأطباء المعروفين في العصر الأموي¹.

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان بدأ التأسيس الفعلي للمارستانات، فقد أنشأ معاوية مارستانا إسلاميا في عاصمة الدولة الأموية دمشق سنة 60 هـ/679 م تحت المؤذنة الغربية من الجامع الأموي².

كما أولى معاوية ابن أبي سفيان اهتماما بالبيمارستانات المتنقلة لتقديم الخدمات الطبية للحجاج، وعين لهم الأطباء³.

أما الخليفة مروان بن الحكم (65 هـ/684 م) كان من الخلفاء الذين اهتموا بالطب فقد ترجم له طبيبه الخاص " ماسرويه " كتابا طبيا للقس السكندري "أهرن" المعروف بالكناش⁴.

وفي العصر الأموي عرف العرب مدرسة الإسكندرية القديمة، فعرفوا المؤلفات اليونانية في الطب، ونقلوها إلى السريانية ثم إلى العربية، ويقال أن أول من قام بترجمتها في الإسلام كان علي يد خالد بن يزيد(ت:85 هـ/704 م)، ومن أطباء العصر الأموي المشهورين "تياذوق" (ت:90 هـ/708 م) الذي عاصر أول عهد دولة بني أمية، وكان تياذوق هذا صديقا للحجاج بن يوسف الثقفي، وكان محل ثقة الحجاج فوثق به فكان من خدامه وخصه بمعالجة أمراضه⁵.

وقد كان "تياذوق" طبيبا ماهرا فاضلا له نوادر وألفاظ مستحسنة في الطب⁶ ، عاصر دولة بني أمية في أول عهدها ومشهورا عندهم ،وقد خدم عبد الملك بن مروان بصناعة الطب وكان يعتمد عليه ويثق بمداواته وكان يجري عليه الأموال الوافرة والافتقار الكثير¹.

¹ - عامر النجار: المرجع السابق، ص45.

² - الفلقشندي أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق يوسف الطويل، دمشق، ط1، دار الفكر، 1987، ج1، ص431.

³ - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 175.

⁴ - علي حسين الشطشاط: المرجع السابق، ج1، ص70.

⁵ - عامر النجار: المرجع السابق، ص45.

⁶ - ومن كلام تياذوق للحجاج :لا تتكح إلا شابة ولا تأكل من اللحم إلا فتيا ،ولا تشرب الدواء إلا من علة ، ولا تأكل الفاكهة إلا في أوان نضجها ،وأجد مضغ الطعام ،وإذا أكلت نهارا فلا بأس أن تتام ،وإذا أكلت ليلا فلا تتم حتى تمشي خمسين خطوة.وأوصاه أيضا: لا تأكلن حتى تجوع ولا تتكارهن على الجماع ، ولا تحبس البول وخذ من الحمام قبل أن يأخذ منك . ومن حكمه الطبية

وفي عهد الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-714م)² تم إنشاء أول مارستان فعلي ثابت سنة 88 هـ/706م³، وأسكن به العميان، وحبس المجذومين أن يخرجوا على الناس وأجرى لهم أرزاقا حتى لا تنتشر العدوى بين العامة⁴، واقتدى الحجاج بن يوسف بالوليد بن عبد الملك في بناء البيمارستان ففعل مثله⁵، ذكر ياقوت الحموي عن ياجج فقال أنه مكان من منازل عبد الله بن الزبير، فلما قتله الحجاج أنزله المجذومين⁶.

وفي خلافة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717-719م) تم إنشاء ملجأ للفقراء، مزودا بالزيت والطحين والعجين، واعتبر هذا الملجأ بمثابة مارستان لوجود الأدوية به، وبعض ما يحتاجه المرضى من المستلزمات⁷.

وقد أمر عمر بن عبد العزيز بترجمة كتاب الطبيب أهرن بن أعين القس إلى العربية وذكر أن هذا الكتاب عثر عليه في خزائن الكتب فأمر بإخراجه ووضع في مصلاه واستخار الله عز وجل في إخراجه إلى المسلمين للانتفاع به، فلما تم له ذلك أربعون صباحا أخرجه إلى الناس وبثه في أيديهم⁸.

كذلك: أربعة تهدم العمر وربما قتلن : دخول الحمام على البطنة والمجامعة على الامتلاء وأكل القديد الجاف وشرب الماء البارد على الريق ،وما مجامعة العجوز ببعيدة منهن.ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ،ص179 .

1 - ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق ،ص179 .

2 - الوليد بن عبد الملك: ولد سنة خمسين هجرية، واستخلف بعد وفاة أبيه عبد الملك بن مروان سنة ست وثمانين هجرية، أقام الجهاد في أيامه، فتحت في خلافته فتوحات عظيمة، كان يختن الأيتام ويرتب لهم المؤدبين، ويرتب للزمنى من يخدمهم، وللأضراء من يقودهم، وعمر المسجد النبوي، ووسعه، ورزق الفقهاء والضعفاء والفقراء وحرّم عليهم سؤال الناس، وفرض لهم ما يكفيهم، افتتح الهند والأندلس، بنى جامع دمشق، مات في نصف جمادى الآخرة سنة ست وتسعون للهجرة، وله من العمر واحد وخمسون سنة. ابن الأثير: الكامل، ج4، ص293-293. أبو الفدا عماد الدين إسماعيل بن علي: المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمد زينهم وآخرون، دار المعارف، ط1، 1998، ج1، ص247. ابن كثير: المصدر السابق، ج12، ص605-607.

3 - فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص195.

4 - الطبري: المصدر السابق، ج6، ص437. ابن الجوزي: المنتظم: ج6، ص287. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص246.

5 - جرجي زيدان: المرجع السابق، ج3، ص208. فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص195.

6 - معجم البلدان، ج5، ص424.

7 - مؤمن أنيس عبد الله البابا: البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2009، ص17.

8 - أسماء يوسف : المرجع السابق، ص160-161.

وكانت مرافق الرعاية الصحية في هذه الفترة بسيطة، ثم توسعت وأضيفت لها بعض مستلزمات خدمات التمريض، حتى أصبحت بعد قرن من الزمن تتوفر بها التسهيلات التي يريدها المريض، من علاج وطعام وشراب وثياب، فتوسعت وزودت بالعقاقير والأطباء البارزين¹، وقد شارك في بنائها أهل البر والإحسان، لأنها كانت مظهرا من مظاهر أعمال البر والخير².

4- العصر العباسي (132-656هـ/749-1258م):

في العصر العباسي شهدت البيمارستانات تطورا كبيرا، وذلك لاهتمام الخلفاء والسلطين بالعلوم الطبية والرعاية الصحية، إذ تبارى الخلفاء والسلطين والأمراء والأعيان والميسورين على إنشاء البيمارستانات، وأوقفوا لها الأوقاف الكثيرة، مما ساهم في تطور الخدمات الصحية بالبيمارستانات، وتنظيم العمل بها، وقسمت إلى أقسام خاصة وعامة يرتادها مختلف فئات المجتمع، سواء كانوا مسلمين أم ذميين أغنياء أم فقراء صغارا أم كبارا³.

ومن الخلفاء العباسيين الذين اهتموا بإنشاء البيمارستانات الخليفة أبو جعفر المنصور (136-158هـ/753-774م)⁴، ويعد أول من استقدم الأطباء من جنديسابور، وهو الذي أنشأ دارا للعجزة والأيتام ومعالجة الجنون⁵، وهناك من الباحثين من يرى أن هذه الدار التي بناها المنصور إنما هي مارستان وهي أول مارستان عباسي، وقيل أنه لما شيد المنصور هذا المارستان قال في حفل افتتاحه (إني أكرس هذا المارستان للرفيع

1 - فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص195-196.

2 - نزيه شحادة: صفحات من الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 2006، ص330.

3 - ابن الأثير: الباهر، ص171. مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص17.

4 - أبو جعفر المنصور: هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، أبو جعفر المنصور، وكان يعرف بأبي عبد الله الطويل، بويع له بالخلافة سنة ست وثلاثين ومائة، ولد سنة خمس وتسعين، وكانت خلافته اثنتين وعشرين سنة إلا أياما، كان فحل بني العباس هيبه وشجاعة وحزما ورأيا وجبروتا، جماعا للمال، تاركا للهو واللعب، كامل العقل، جيد المشاركة في العلم والأدب، فقيه النفس، قتل خلفا كثيرا حتى استقام ملكه، كانت وفاته في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة. ابن العمراني: المصدر السابق، ص62. أبو الفدا: المصدر السابق، ج1، ص268. ابن كثير: المصدر السابق، ج13، ص459-460. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص249.

5 - جرجي زيدان: المرجع السابق، ج3، ص208.

والوضيع، وأقف هذا الوقف لمنفعة الملك والمملوك، وللجندي والأمير، وللعظيم والحقير، وللرجال والنساء)¹.

كما رتب الخليفة العباسي المهدي (158-169هـ/774-785م) المخصصات للمجذومين والمسجونين، إلا أن الفضل في تأسيس مارستان بكامل تجهيزاته المعروفة في ذلك العصر يرجع إلى هارون الرشيد (170-193 هـ/786-808م)، ودعا الطبيب الشهير "جبرائيل بن بختيشوع" من مدرسة جند يسابور لرئاسته، فأصبح ذلك البيمارستان محور النشاط الطبي في الإسلام، ومركزاً لتقدم الطب الإسلامي².

إلا أن هناك من المصادر التي تذكر أن هارون الرشيد خامس بني العباس قد أمر جبريل بن بختيشوع³ أن ينشئ مارستاناً في بغداد، فأنشأ مارستاناً له وظيفتان مزدوجتان أولهما علاج المرضى، والثانية تعليم الطلبة الراغبين في مهنة الطب والعلوم الطبية⁴، ورشح لرئاسته ماسويه الخوزي⁵ من أطباء مدرسة جنديسابور⁶، وتولى جبريل بن بختيشوع

¹ - عبد الحميد العلوجي: تاريخ الطب العراقي، بغداد، مطبعة أسعد، 1967، ص136. ويبدو أن العلوجي الذي نسب هذا النص خطأ إلى الخليفة المنصور العباسي، قد توهم في ذلك، وهذا النص ينسب إلى الملك المنصور قلاوون الذي بنى المارستان المنصوري بالقاهرة، وقال في حفل افتتاحه: "...ثم استدعى-أي المنصور- قدحا من شراب المارستان وشربه وقال: قد وقفت هذا على مثلي فمن دوني وجعلته وقفا على الملك والمملوك والجندي والأمير، والكبير والصغير، والحر والعبد، والذكور والإناث". حنيفة الخطيب: الطب عند العرب، دار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1986، ص203.

² - فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص196.

³ - فقد حظي بمكانة كبيرة عند الخليفة الرشيد فقد ذكر أن الرشيد قال لأصحابه (كل من كانت له حاجة فليخاطب بها جبريل لأنني أفعل كل ما يسألني فيه ويطلبه مني). ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 188. وقد زادت مكانته عند الرشيد إلى حد أنه يدعو له وهو في الموقف بمكة فأنكر عليه بنو هاشم ذلك وقالوا: يا سيدنا ذمي، فقال: نعم ولكن صلاح بدني وقوامه به، وصلاح المسلمين بي فصلاحهم بصلاحه وبقائه، فقالوا صدقت يا أمير المؤمنين. ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 192. ويبدو أن هذه الحظوة التي حازها الأطباء عند الخلفاء ترجع إلى مهارتهم الطبية وإتقانهم للغة العربية إلى جانب اللغة اليونانية والفارسية وخاصة جبريل بن بختيشوع. إبراهيم سلمان الكروي: طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الأول، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، (د،ط)، 2008، ص81.

⁴ - ضيف الله يحيى الزهراني: المرجع السابق، ص410.

⁵ - ماسويه الخوزي: كان يعمل في دق الأدوية في بيمارستان جانديسابور، وكان يعرف الأمراض وعلاجها وبه خبرة بالأدوية فأخذ جبريل بن بختيشوع وأحسن إليه بعد جفاء وعداوة، وبلغ من مهارته في الطب وتأثيره في الخليفة المعتصم، أن الخليفة كان يعتمد عليه ويستشيريه في أمور كثيرة لذلك كان المعتصم يتمتع بصحة جيدة وبنية متينة. ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 242-243. إبراهيم سلمان الكروي: طبقات مجتمع بغداد، ص 82.

⁶ - وتعد هذه المرحلة من المعرفة الطبية مرحلة التأسيس والاستنباط حيث اتجه الطب فيها إلى الجانب العلمي منه وإرهاصاً إنبنت عليه الحاجة إلى تأسيس المدارس الطبية فيما بعد، ودكاكين الصيدلة التي تعد سبباً إسلامياً محضاً فكسب المسلمون مؤهلات في العلوم الطبية للتأليف المستقل والاستنباط الواعي الذي يعد مشهداً من مشاهد العصر

رعايته¹.

وبني مارستانا آخر في بغداد تحت رعاية البرامكة، وكان الطبيب ابن دهنى طبيبا ورئيسا له²، ولما اشتهر مارستان بغداد أخذت المدن الأخرى في تقليدها، وكان الفتح بن خاقان وزير المتوكل قد أنشأ مارستانا في مصر عرف بمارستان المعافر، ولما تولى ابن طولون مصر أنشأ بها سنة 259 هـ/872 م مارستانا عرف بمارستان ابن طولون، وانفق على بنائه 60.000 ديناراً، وشرط ألا يعالج فيه جندي ولا مملوك إلا المرضى من العامة والمجانين وغيرهم، وكان أول مارستان بمصر، وألحق به حمامين أحدهما للرجال والآخر للنساء، وحبس عليه عوائد مالية تضمن بقاءه، وكان يتعهده بنفسه كل يوم جمعة حتى ساءه أحد المجانين فقطع زيارته³.

وفي عهد الخليفة المعتصم (218-227 هـ/833-841 م)⁴ أنشأ مارستانا في بغداد أشرف عليه بنفسه، وكان ينفق عليه كل يوم عشرة دنانير فيما يخص نفقات الأطباء والبيمارستان⁵، ويعطي الأرزاق للأطباء والكحالين، واهتم بالخدم والقومة الذين يخدمون المجانين، كما كان يتكفل بثمن الطعام والشراب والخبازين والبوابين، ومن يتكفل بالمؤمن وكان يعرف هذا البيمارستان بالصاعدي أو العتيق⁶.

الذهبي للطب الإسلامي كما هو الحال لكافة العلوم الأخرى، وقد كان علم الطب يشمل العديد من العلوم التي استقلت عنه فيما بعد كالتبعية والصيدلة والكيمياء وغيرها من العلوم. دياب محمود: الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د،ت)، ص116 و141. عمر فروخ: تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين، بيروت 1390 هـ/1970 م، ص276. جرجي زيدان: المرجع السابق، ج3، ص203. عمر رضا كحالة: العلوم البحتة في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق، 1972 م، ص11.

- 1 - أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، ط2، 1981، ص178.
- 2 - نفسه، ص178. فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص196. ضيف الله يحيى الزهراني: المرجع السابق، ص410.
- 3 - المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ص267. جرجي زيدان: المرجع السابق، ج3، ص208-209. فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص197.

4 - الخليفة المعتصم: أبو إسحاق محمد بن الرشيد، ولد سنة مائة وثمانين، كان ذا شجاعة وقوة وهمة، ولم يكن له حظ من العلم، كان يقرأ ويكتب كتاباً ضعيفة، إلا أنه كان من أعظم الخلفاء وأكثرهم هيبه، كان يتشبه بملوك الأعاجم، ويمشي مشيهم، مات المعتصم يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص211-213.

5 - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص416.

6 - مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص18.

وفي عام 302 هـ / 914 م بنى الوزير أبو الحسن علي بن عيسى (ت: 334هـ/945 م)¹ مارستانا بالخريبة².

وقد كانت تلك الإنفاقات على بناء المارستانات خلال فترة أزمات مالية لم تكن الوضعية المالية لبيت المال تسمح بالإنفاق إلا على الضروريات³. وفي عهد الخليفة المقتدر (295-319هـ/907-931م) ازداد بناء البيمارستانات⁴، وفي سنة 295هـ/907 م أمر بإصلاح البيمارستانات في جميع أنحاء الدولة ، وتوفير ما يحتاج إليه المرضى من الأدوية ، والمواد الغذائية والتموينية⁵، وأصبحت مهنة الطب لا يمكن أن يمارسها، ما لم يمتحن داخل البيمارستان، وذلك عندما سجلت أخطاء طبية في التشخيص، أو وصف العلاج، فأمر المقتدر بمنع الأطباء من ممارسة مهنة الطب، حتى يتحصل من يزلوها على إجازة بمزاولة المهنة، فأمر الخليفة المقتدر الطبيب سنان بن ثابت بن قرة بالإشراف على امتحان الأطباء، وإجازة من تثبتت كفاءته، فأجرى سنان بن ثابت هذا الامتحان لنحو 900 طبيب في بغداد⁶.

وفي عام 306 هـ/918 م أشار الطبيب ثابت بن قرة الحراني على الخليفة العباسي المقتدر (295-319هـ/907-931م) أن يبني مارستانا ينسب إليه، وجعله عند باب الشام⁷، وسمّاه البيمارستان المقتدري⁸، وانفق عليه من ماله في كل شهر مائتي دينار⁹. وفي أول محرم من عام 306 هـ/918 م افتتح مارستان السيدة شغب¹⁰ أم

¹ - الوزير أبو الحسن علي بن عيسى: هو علي بن عيسى بن داود الجراح البغدادي الكاتب، وزير المقتدر والقاهر، كان غنيا شاكرا صدوقا خيرا صالحا عالما من خيار الوزراء، كثير البر والمعروف والصلاة والصيام، يجالس العلماء، ووزر للمقتدر مرتين، له كتاب "جامع الدعاء" وكتاب "معاني القرآن وتفسيره" توفي سنة 334هـ/945 م. الصفدي: المصدر السابق، ج2، ص245.

² - الخريبة: موضع بالبصرة، وسميت بذلك فيما ذكره الزجاجي لأن المرزبان كان قد ابتنى به قصرا ، وخرب بعده، فلما نزل المسلمون البصرة ابتنوا عنده وفيه أبنية وسموها الخريبة. ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج2، ص363.

³ - ضيف الله يحيى الزهراني: المرجع السابق، ص411.

⁴ - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2004، ج23، ص28.

⁵ - ضيف الله يحيى الزهراني: المرجع السابق، ص411.

⁶ - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص302. مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص19.

⁷ - باب الشام: محلة كانت بالجانب الغربي من بغداد. ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج1 ، ص308.

⁸ - ابن كثير: المصدر السابق، ج14، ص807. فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص197.

⁹ - أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص183.

¹⁰ - السيدة شغب: هي السيدة أم المقتدر شغب جارية المعتضد، أم أمير المؤمنين جعفر المقتدر بالله، الملقبة بالسيدة ، كان دخل أملاكها في كل سنة مليون دينار، وكانت تصدق بها وتخرج من عندها مثلها على الحجيج، في أشربة وأزواد وأطباء يكونون معهم وتسهل الطرقات والموارد، وكانت في غاية الحشمة والرياسة ونفوذ الكلمة أيام خلافة ولدها، فلما قتل كانت مريضة بالاستسقاء فزاد مرضها وجزعت لقتله جزعا شديدا، ولما استقر أمر الخلافة لابن زوجها المعتضد وهو القاهر بالله (319-322 هـ/931-933 م) وقد كانت حاضنته حين توفيت أمه

الخليفة المقتدر¹، وكان افتتاحه من قبل أبو سعيد سنان بن ثابت ، وقد اتخذ بسوق يحي² على نهر دجلة، وجلس فيه ورتبت الأطباء والخدم والقومة، وبلغت النفقة عليه في كل شهر ستمائة دينار³، ومبلغ النفقة عليه في العام سبعة آلاف دينار⁴.

ومن الأطباء الذين خدموا في البيمارستان المقتدري يوسف الواسطي، الذي لازم البيمارستان، وقرأ عليه جبريل بن بختشوع، كما عمل به كذلك جبريل بن عبيد الله بن بختشوع، كان عالما مقتدرا متقنا لمهنة الطب، وكان من أطباء المقتدر، ولازم البيمارستان والعلم والدرس، فأقام ببغداد ثلاثين سنة، ثم انتقل إلى ميفارقين⁵، فالتحق بممهد الدولة حيث توفي سنة 396 هـ/1005 م⁶.

وفي سنة 311 هـ/923 م كان للوزير ابن الفرات مارستانا، ففي سنة 313 هـ/925 م قلد الوزير ابن خاقان(ت:247 هـ/861 م)⁷ الطبيب أبو الحسن سنان بن ثابت مارستان ابن الفرات بدير المفضل، الذي ينفق عليه من ماله مائتي دينار كل شهر⁸. وزادت البيمارستانات في العهد العباسي، وشهدت تطورا عما كانت عليه من قبل، وقد اشتملت بغداد وحدها على ما يزيد عن عشرة مارستانات، وما يقارب المائة في سائر

وخلصته من ابنها، وكان مؤنس الخادم قد بايعه ولم يتم ذلك عاقبها عقوبة عظيمة جدا لبقرها على الأموال التي بحوزتها، فلم يجد لها شيئا سوى ثيابها، ومصاعها وحليها في صناديق لها قيمتها مائة ألف وثلاثون ألف، وجميع ما كان يدخلها كانت تتصدق به، ووقفت شيئا كثيرا، وأخرجت إلى دار ابن ياقوت، فأقامت بعد ابنها سبعة أشهر وثمانية أيام ثم ماتت في جمادى الأولى سنة 321هـ/933 م، ودفنت بالرصافة ابن الجوزي: المنتظم، ج13، ص322. ابن كثير: المصدر السابق، ج15، ص74-75. أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص182.

1 - ابن الجوزي: المنتظم، ج13، ص178. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 351.

2 - سوق يحي: ببغداد بالجانب الشرقي، كانت بين الرصافة ودار المملكة التي كانت عند جامع السلطان بين بساتين الزاهر على شاطئ دجلة، منسوبة إلى يحي بن خالد البرمكي، كانت إقطاعا له من الرشيد، ثم صارت بعد البرامكة لأم جعفر، ثم أقطعها المأمون لظاهر بن الحسين بعد الفتنة، ثم خربت عند ورود السلاجقة إلى بغداد فلم يبق منها أثر البتة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص284.

3 - ابن كثير: المصدر السابق، ج14، ص807.

4 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج3، ص216.

5 - ميفارقين: أشهر مدينة بديار بكر على الطريق بين الموصل وآمد إلى أخلاط وملانكرد، كانت أول عاصمة لسيف الدولة الحمداني حتى أخرجه منها غلمانه عام 332 هـ/943 م. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص235.

6 - أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص184.

7 - الوزير ابن خاقان: هو الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج، وزير المتوكل، كان شاعرا فصيحاً مفوهاً، موصوفاً بالشجاعة والكرم والرياسة والسؤدد، وكان المتوكل لا يصبر عنه، قدمه واستوزره، وأمره على الشام، وولفح أخبار في الجود والوفاء والمكارم، قتل هو والمتوكل معا في مجلس أنس، وكان ذلك سنة 247 هـ/861 م، وكانت له خزنة كتب لم ير أعظم منها كثرة وحسنا، وكان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء البصرة والكوفة، وكان الفتح يحضر مجالس المتوكل فإذا أراد المتوكل القيام لحاجة أخرج الفتح كتابا من كفه وقرأه إلى حين عودة المتوكل، وللفتح تصانيف منها (البيستان) و(الصيد والجوارح)، محمد بن شاكر الكتبي: عيون التواريخ، ص383-384. الكتبي: فوات الوفيات، ج2، ص177-178. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج12، ص82-83.

8 - أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص184. ضيف الله يحي الزهراني: المرجع السابق، ص413.

الأمصار الإسلامية، ومن الإضافات الجديدة للممارسات في هذا العهد أن عهد بالتمريض للعبيد¹.

كما أضيفت الحدائق للممارسات، تزرع فيها الأعشاب والنباتات الطبية²، وظهر كذلك نظام الدوام المستمر والمتابعة الطبية في نظام عمل البيمارستان، حيث سمح للمريض بالتردد المستمر على الطبيب المعالج في أي وقت³.

ومن أشهر الأمصار الإسلامية التي عرفت انتشار البيمارستانات هي أنطاكية ودمشق وحلب والقاهرة والقدس ومدن إسلامية أخرى، ومن أشهرها البيمارستان البويهى وعضدي في بغداد، أما البيمارستان البويهى فقد بدأ في إنشائه معز الدولة بن بويه⁴ سنة 355هـ/965 م وكان بناؤه في موضع السجن الجديد ببغداد، وأمر أن يوقف عليه الأوقاف، وأن تكون غلال الضياع الموقوفة عليه في كل سنة خمسة آلاف دينار إلا أنه مات قبل أن يكتمل بناء البيمارستان⁵.

أما البيمارستان العضدي فقد أنشأه عضد الدولة بن بويه⁶ في الجانب الغربي من بغداد، وافتتح في صفر سنة 372 هـ/982 م ، ورتب فيه الأطباء والخدم والوكلاء

¹ - الحميري محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق إحسان عباس ، مؤسسة ناصر، ط2، بيروت، 1980 ، ص197.

² - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج12، ص315.

³ - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص245.

⁴ - معز الدولة بن بويه: هو أبو الحسن أحمد بن أبي شجاع بويه بن قنا خسرو بن تمام بن كوهي، ويرجع نسبه إلى آخر ملوك فارس، ويلقب معز الدولة، وعم عضد الدولة وأحد ملوك الديلم، وكان صاحب العراق والأهواز، وكان يقال له الأقطع لأنه كان مقطوع اليد اليسرى وبعض أصابع اليمنى إثر حرب، دخل بغداد من الأهواز متملكاً يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة 334 هـ/945 م في خلافة المستكفي، وكانت مدة ملكه العراق إحدى وعشرون سنة، توفي يوم الاثنين 17 ربيع الثاني سنة 356 هـ/966 م ببغداد ودفن في مشهد بني له في مقابر قريش، وكان مولده سنة 303 هـ/915 م، وكان عمره يوم توفي ثلاث وخمسون سنة. ابن الجوزي: شذور العقود في تاريخ العهود، ص226-227.

ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص184-185.

⁵ - أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص186.

⁶ - عضد الدولة بن بويه: هو أبو شجاع قناخسرو بن ركن الدولة أبو علي الحسن بن بويه الديلمي، أحد ملوك الديلم، صاحب العراق وملك بغداد، وهو أول من تسمى شاهنشاه ومعناه ملك الملوك، ولم يبلغ أحد من ملوك الديلم ما بلغه عضد الدولة من سعة الملك، والاستيلاء على الملوك وممالكهم، وهو أول من دعي له ببغداد مع الخليفة، وكان ذا همّة وصرامة وعزم، وقد جرى له من التعظيم من الخليفة ما لم يقع لأحد ممن كان قبله، واجتهد في عمارة بغداد والطرق، وأجرى الصدقات والنفقات على المجاورين بالحرمين وأهل البيوتات، وحفر الأنهار، وبنى البيمارستان العضدي ، وكان عاقلاً فاضلاً شديد الهيبة، وكان يحب العلم والفضيلة، وقد امتدحه الشعراء بمدائح هائلة، كالمعتبي وغيره، وذكر أنه كان ينظم الشعر فقال:

ليس شرب الكأس إلا في مطر وغناء جوارى في السحر

إلى أن قال:

والخزان ، ونقل إليه من الأدوية و الأشربة والعقاقير شيء كثير وكل ما يحتاج إليه¹، فغرم عليه مالا عظيما ، حتى قيل أنه ليس له مثل في الدنيا، وأعد له من الآلات الشيء الكثير، واجتمع فيه من الأطباء أربعة وعشرون طبيا².

و في سنة 449 هـ/1057 م حل التلف بمرافق البيمارستان العضدي، فنظر عميد الملك في البيمارستان فوجده قد خلا من الدواء والشراب، وأتلفت الأفرشة والمرضى يفترشون الأرض، فوجد عند رأس المريض بصلة يشمها، وعطش بعضهم فقام بنفسه حيث الماء فوجد فيه حمأة ودودا، وذكر أن يهوديا يعرف بالهاروني قد استولى على البيمارستان ، وأكل أوقافه، فخلص عميد الدولة البيمارستان من أيدي الطامعين، وكان على بابه سوق فيها مائة دكان قد دثرت فأعادها، وجمع فيه من الأشربة و الأدوية والعقاقير التي يعز وجودها شيئا كثيرا، وأقام الفرش واللحف للمرضى، والأرايح الطبية والأسرة والتلج والمستخدمين، والأطباء والفراشين³.

وكان فيه ثمانية وعشرين طبيا ونساء طباحات وبوابون وحراس، والحمام، والبستان إلى جانبه فيه أنواع الثمار والبقول، والسفن على مائه تتقل الضعفاء والفقراء، والأطباء يتناوبون فيه، وتعددت تجهيزاته من حيث الأطعمة والعقاقير الطبية وغيرها، فتوفر به السكر واللوز والمشمش والخشخاش وسائر الحبوب والبراني الصينية فيها العقاقير، والتمر الهندي والزنجبيل وعود الرند والمسك والعنبر والراوند الصيني والترياق الفاروقي، وصناديق فيها أكفان، وقدر كبار وصغار، وذكر أن فيه أشياء لا يوجد مثلها في بيوت الخلفاء⁴.

وفي عهد الخليفة المقتدي بأمر الله(468-487 هـ/1075-1094 م) حل الطاعون في بغداد وضواحيها سنة 478 هـ/ 1085 م، وهو من أخطر الأمراض الفتاكة في ذلك

عضد الدولة وابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر

فيقال أنه منذ قال:(غلاب القدر)لم يفلح بعدها، ثم كانت وفاته بعد ذلك في شوال سنة 372 هـ/982 م بعلة الصرع عن سبع أو ثمان وأربعين سنة.ابن الجوزي:المنتظم،ج14،صص290-297.أحمد عيسى بك:المرجع السابق،ص187-188.

¹ - ابن العري أبو الفرج غريغوريس الملطي: تاريخ مختصر الدول، دار المسيرة، بيروت،(د،ت)،ص172. ابن كثير: المصدر السابق، ج15،ص410.

² - أحمد عيسى بك:المرجع السابق،ص189.

³ - أحمد عيسى بك:المرجع السابق،ص189-190.

⁴ - نفسه،ص190.

العصر، فاستعصى على الأطباء أن يصفوا له علاجاً لا من المسخّنات ولا من المبرّدات، وفتك بالناس فتكا ذريعاً، حتى قيل أن الميت يمكث اليوم واليومين لا يجد من يغسله، أو يكفنه أو يحفر له قبراً خشية العدوى، فخصص المقتدي بأمر الله مكاناً للناس لدفن الموتى، وهي ضيعة تعرف بالأجمة فامتألت بالقبور، وانتقل الوباء إلى الشام وخراسان والحجاز، كما انتشر الجذري فأصاب الأطفال، وقحط الناس، فأمد المقتدي بأمر الله الفقراء بالأدوية والمال، وأمر أطباء البيمارستان مراعاة جميع المرضى، وأن يعالجوا بالمجان، وأرصد البيمارستان لاستقبال المرضى وعلاجهم¹.

وفي عهد المستنصر بالله (623-649 هـ/1226-1251 م) أنشأ مارستاناً في مكة بالجانب الشمالي من المسجد الحرام سنة 627 هـ/1229 م وبنى دوراً للضيافة وأماكن عامة لعلاج المرضى، وهي بمثابة مارستاناً عاماً، كما أنشأ مارستاناً خاصاً بالمدرسة المستنصرية، وجعل فيه الأطباء وما يلزم لعلاج المرضى وكان يعرف بمارستان المستنصر² ويرجع تاريخ وقفه إلى سنة 638 هـ/1240 م³. وبنى بمكة والمدينة دوراً للمرضى وأرسل إليها ما تحتاج إليه من العقاقير والمركبات والأدوية⁴.

ولما انتشرت البيمارستانات في مختلف أمصار البلاد الإسلامية لا سيما في عاصمة الخلافة بغداد كان ذلك سبباً في نشأة المدارس الطبية، وظهور التخصص في فروع الطب وعلومه، فأصبح في البيمارستان الواحد يوجد به الجراحية والكحالة والطبائعيون⁵ والمجبرون والنفسانيون وغيرها من التخصصات الطبية.

1 - ابن الجوزي: المنتظم، ج16، ص240. مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص20.

2 - السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص413. مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص20.

3 - كمال السامرائي: مختصر تاريخ الطب، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، (د،ط) (د،ت)، 1984، ج1، ص613.

4 - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج23، ص156. الكتبي: فوات الوفيات، ج3، ص170.

5 - الكحالة: أطباء أمراض العيون و الطبائعيون: الأطباء المختصون في الأمراض الباطنية. ابن أبي أصيبعة، ص416.

كما رعي جنس المرضى الملازمين للمارستان، فقد كان لكل من الرجال والنساء قسم خاص به¹، كما قسمت البيمارستانات إلى أقسام خصص كل منها لمرض من الأمراض ولكل قسم طبيب فأكثر²، وبفعل التطور الذي شهدته البيمارستانات في العصر العباسي أدى ذلك إلى تطور الخدمات الطبية وتحسينها، حتى أصبح المريض يعرض نفسه على الأطباء فتشخص حالته المرضية ثم يوجه إلى القسم المختص، وهي بمثابة الإسعافات الأولية التي تقدم للمريض قبل العلاج³.

وكان المرضى الذين هم بحاجة إلى الإقامة بالبيمارستان يوزعون على القاعات حسب أمراضهم، ويكون بكل قسم من تلك القاعات أطباء حسب حاجة وعدد المرضى⁴. كما أصبحت البيمارستانات توفر حاجيات المرضى والأطباء، كما تطورت في عمرانها وصارت أكثر زخرفة، وكانت تطل على اللون الأبيض لما لهذا اللون من دلالات طبية ونفسية، فكانت غرف المرضى تطل على اللون الأبيض⁵.

ومن مظاهر تطور الخدمات الطبية بالبيمارستانات، فقد عرفت الجراحة وسائل التخدير المفقدة للحواس والمسكنة للآلام قبل إجراء العمليات الجراحية⁶، كاستعمال عشب البنج⁷ والزوان⁸.

ومن التطور أيضا الذي شهدته البيمارستانات في العصر العباسي أن عرفت صناعة الأدوية، كما ظهرت صيدليات لصرف الأدوية وحفظها وتخزينها، كما تضمنت البيمارستانات قاعات كبيرة لتدريس الطب¹.

1- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص416. البيضاوية بالكامل: البيمارستانات وأدوارها التطبيقية والتعليمية، يوم دراسي حول الثقافة أساس التفاهم والتطور والحوار، المعهد الجامعي للبحث العلمي جامعة محمد الخامس، الرباط، 1998م، ص269.

2- عامر النجار: المرجع السابق، ص331. البيضاوية بالكامل: المرجع السابق، ص269.

3- البيضاوية بالكامل: المرجع السابق، ص565.

4- محمد عبد الله أحمد القدحات: الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير (656/575هـ)، دار البشير، عمان، 2005، ص263.

5- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2004، ج33، ص152.

6- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص123. مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص25.

7- البنج: عشب يستعمل للراحة والاسترخاء والتخدير. بن البيطار ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، المطبعة المنيرية، القاهرة، (د،ت)، ج1، ص117.

8- الزوان: نبات مسكر ومسكن للآلام، ويعرف كذلك بالدمثة والشليم. ابن البيطار: المصدر السابق، ج2، ص174.

كما اعتمدت البيمارستانات على مجانية العلاج، وتحملت الدولة نفقاته ونفقات أجور الأطباء والخدمات المتعلقة بالمرضى، وتوافرت في مستشفيات الخلفاء والسلاطين كل أسباب الراحة من أسرة وثيرة ناعمة، وكانت أبوابها مفتوحة أمام الفقراء وكل فئات المجتمع دون تمييز².

ونظرا لأهمية الخدمات الطبية التي تقدمها البيمارستانات فقد أصبحت تخضع لنظام الحسبة والقضاء ومتابعة المقصرين وغير الأكفاء الذين يمارسون الطب، ومراقبة الأخطاء الطبية، فإذا دخل الطبيب على المريض وشخص مرضه يسأله عما يجد من الألم، ثم يرتب له وصفة من الأشربة والعقاقير، ثم يكتب نسخة لأولياء المريض بشهادة من حضر معه عند المريض، ثم يأتي المريض في يوم الغد فينظر الطبيب إلى مرضه وإلى الدواء، ويسأله عن مدى تحسنه أو سوء حالته بسبب تناوله للدواء، فيثبت الحالة بالكتابة ويسلمها إلى أهله، فإن كان يوم الغد فعل كذلك، وفي اليوم الرابع إلى أن يبرأ المريض أو يموت، فإن برئ المريض من مرضه أخذ الطبيب أجرته، وإن مات حضر أولياؤه عند الطبيب المشهور وعرضوا عليه النسخ التي كتبها لهم الطبيب المعالج، فإن رآها على مقتضى الحكمة وصناعة الطب من غير تقريط ولا تقصير من الطبيب المعالج، قال هذا قضاء وقدر، وإن رأى الأمر بخلاف ذلك، قال لهم خذوا دية صاحبكم من الطبيب المعالج، فإنه هو الذي قتله بسوء صناعته وتقريطه³.

وينبغي للمحتسب أن يأخذ على الأطباء عهد أبقرات⁴ الذي أخذه على سائر الأطباء، ويلحفهم أن لا يعطوا أحدا دواء مضرا، ولا يركبوا له سما، ولا يصفوا سموما عند أحد من العامة، ولا يذكروا للنساء الدواء الذي يسقط الجنين، ولا للرجال الذي يقطع النسل،

1 - ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق، ص628، مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص25.

2 - زيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون، وكمال الدسوقي، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، ط8، بيروت، 1993، ص229.

3 - ابن الإخوة: المصدر السابق، ص178.

4 - أبقرات: طبيب يوناني قديم، ويطلق عليه أب الطب، ولد حوالي سنة460 قبل الميلاد، تعلم صناعة الطب عن أبيه وجدته، فكان طبيبا بأثينا وغيرها من بلاد اليونان، ثم عمل على إذاعة أسرار هذه الصناعة خشية أن تزول بوفاته، فعلمها لولديه وتلميذا له وبعض الغرياء، ووضع لهم عهدا وناموسا ووصية عن الشروط التي يجب أن تتوفر فيمن يتعلم صناعة الطب، وكانت وفاته عن خمس وتسعين سنة، والعهد الذي وضعه أبي قراط شبيه بحلف اليمين الذي يأخذ عن الأطباء اليوم، فيقسموا ألا يعطوا أحدا دواء مضرا، ولا يركبوا له سما، ولا يصفوا التمام عند أحد من العامة، وغيرها مما يتضمنه هذا العهد. ابن الإخوة: المصدر السابق، ص178.

وليفضوا أبصارهم عن المحارم عند دخولهم إلى المرضى، ولا يفشوا الأسرار، ولا يهتكوا الأستار¹.

أما الكحالين فيمتحنهم المحتسب بكتاب حنين² المتضمن لعشر مقالات في العين، فمن وجده قيما فيما امتحنه به عارفا بتشريح طبقات العين، وعدد السبعة، وعدد رطوبتها الثلاثة، وما يتفرع عن ذلك من الأمراض، وكان خبيرا بتركيب الأكحال، وأمزجة العقاقير وغيرها من الشروط التي يجب مراعاتها لممارسة طب العيون، أذن له المحتسب بالتصدي لمداواة أعين الناس³.

ومن مظاهر التطور الذي صارت عليه البيمارستانات في هذا العصر أن جلبت إليها المياه، وجمعت في برك وبحيرات من أجل توفير جو من الراحة النفسية والهدوء في نفوس المرضى، فقد كانت هذه من الناحية الصحية أفضل من المستشفيات الحديثة من حيث سعتها وجمال موقعها ونظافتها وكثرة مياهها وتهويتها⁴.

ومن المظاهر الحضارية التي تميزت بها البيمارستانات في هذا العصر أن وجدت بها ساعات كبيرة عند مدخل البيمارستان حتى يتم ضبط الأوقات للأطباء والمرضى، كما كان يؤتى بالقصاصين إلى البيمارستانات للترفيه عن المرضى، كما كان يوقف للمرضى مراوح من خوص لاستعمالها في أيام الحر الشديد، وكان في مدينة طرابلس الشرق وقف غريب حيث تم توظيف اثنان يمران بالبيمارستان كل يوم ويتحدثان بجانب المريض بحديث خافت يسمعه المريض بما يوحي إليه بتحسّن حاله واحمرار وجهه، وبريق عينيه، مما يبعث الأمل في نفس المريض ويرفع من معنوياته ويساعده على الشفاء⁵.

¹ - ابن الإخوة: المصدر السابق، ص178-179.

² - حنين : هو حنين بن اسحاق، أبو زيد، من أشهر الأطباء، نصراني الديانة ، نسطوري المذهب، تعلم الطب على يد يحيى بن ماسويه، من أشهر المترجمين من اليونانية إلى السريانية والعربية، اهتم بالنظر في كتب أبقراط وجالنيوس، ألف في الطب، من مؤلفاته(محنة الطب)و(العشر مقالات في العين)، توفي سنة 264 هـ /877م. لبن خلكان : المصدر السابق، ج2، ص217. ابن الإخوة: المصدر السابق، 179.

³ - ابن الإخوة: المصدر السابق، ص179.

⁴ - نزيه شحادة: المرجع السابق، ص331.

⁵ - عبد الله ناصح علوان : التكافل الاجتماعي في الإسلام ، دار السلام ، ط5 ، القاهرة ، 1983، ص 80.

ومن ذلك أيضا وجود الناقلات التي يحمل عليها المرضى العاجزين عن المشي بسبب سوء حالتهم المرضية أو من بترت أطرافهم، أو الحالات الاستعجالية، أو نقل المرضى من بيوتهم إلى البيمارستان¹.

وكان يفد على البيمارستانات كبار العلماء من الفقهاء والنحاة والشعراء والمتكلمون والأصوليون والمحدثون واللغويون وعلماء الفلك والمفسرون والرياضيون، مما جعل من البيمارستانات مجمع للعلوم والعلماء الموسوعيين، وقد كان لأولئك العلماء دور بارز في تمويل البيمارستانات ماليا من خلال تلك الأوقاف التي جعلوها للمارستانات².

كما أن الجانب المعماري لهذه البيمارستانات الذي كان غاية في دقة الإنجاز لأولئك المهندسين المسلمين، فقد كانت من مفاخر العمارة الإسلامية رونقا وجمالا، فكانت إضافة جديدة في العمارة الإسلامية، فكانت بمثابة قصور رائعة حسنا واتساعا كما يصفها ابن جبير عندما يصف مارستان القاهرة الذي بناه السلطان صلاح الدين (البيمارستان الذي بمدينة القاهرة، وهو قصر من القصور الرائعة حسنا واتساعا)³.

أما عن المارستانات في منطقة المغرب الإسلامي فإن أقدم مارستانات المغرب هو المارستان الذي أنشأه المهدي بن تومرت (485-524هـ/1092-1129م)⁴، ومارستان يعقوب المنصور الموحي سنة 621 هـ/1224 م ، وبذلك يكون قد تأخر ظهور المارستانات في المغرب عن المشرق شأنها شأن المنجزات الحضارية الأخرى كالمدارس ، كما يبدو أيضا أن المارستانات المغربية لم تحاكي مثيلاتها المشرقية، حيث أن المارستانات المغربية كانت عامة ، وأن وظيفتها الأساسية كانت تطبيقية فحسب، على خلاف أن المارستانات المشرقية منها من كانت تقدم الدروس الطبية للطلبة، أي التي اهتمت بالناحية العلاجية والعلمية⁵.

¹ - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج10، ص21.

² - مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص27. أحمد أحمد بدوي: الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة ، 1972، ص30.

³ - ابن جبير : المصدر السابق، ص26.

⁴ - ابن أبي أصيبعة، ص485 . 524 . مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص39.

⁵ - البيضاوية بالكامل: المرجع السابق، ص278.

5- البيمارستانات في عهد الدولة الطولونية:

شيد أول مارستان في الدولة الطولونية في عهد مؤسسها أحمد بن طولون (220-270هـ/835-883م)، سنة 259هـ/969م بمدينة عسكر¹ بمصر، وعُرف بالبيمارستان الأعلى أو العتيق². وكان من أشهر البيمارستانات الإسلامية³.

وكان ابن طولون يركب بنفسه في كل يوم جمعة ويتفقد خزائن البيمارستان وما فيها من الأطباء، ويزور المرضى فينظر إليهم، والمحبوسين من المجانين، وذكر أنه دخل ذات مرة يتعهد البيمارستان حتى وقف عند المجانين فناداه أحدهم وهو في أغلاله (أيها الأمير اسمع كلامي ما أنا بمجنون، وإنما عملت علي حيلة، وفي نفسي شهوة إلى رمانة عريشية أكبر ما يكون) فأمر له بها في الحين ففرح بها وهزها في يده، ثم غافل ابن طولون ورمى بها في صدره فنضحت على ثيابه، فأمرهم أن يبقوه في محبسه، ثم لم يعاود بعد ذلك النظر في البيمارستان⁴.

ولما آلت الدولة الطولونية إلى الزوال بعد خروج آخر ملوكها من مصر وهو شيبان بن أحمد بن طولون ليلة الخميس من ربيع الأول سنة 292 هـ/904 م، ودخلها سليمان الكاتب من قبل المكتفي بالله، أخذ الشعراء في رثاء الطولونيين والتحسر عليهم ومن بينهم الشاعر سعيد القاضي فقال يرثي الدولة الطولونية وما تركت من جلائل الآثار الحضارية

في قصيدة مطلعها⁵:

جرى دمه ما بين سحر إلى نحر ولم يجر حتى أسلمته يد الصبر

إلى أن قال يرثي البيمارستان:

¹ - عسكر مصر: في سنة 133هـ / 750 م ولي أبو عون عبد الملك بن يزيد ولاية مصر خلفا لصلاح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، ففي أيام أبي عون سكن أمراء مصر العسكر، وسبب ذلك أنه لما قدم صلاح بن علي بن عبد الله بن عباس وأبو عون إلى مصر في طلب مروان بن محمد الحمار آخر خلفاء بني أمية الذي أطيح به بعد نجاح الدعوة العباسية سنة 132هـ/749م، نزلت عساكرهما الصحراء بمحاذاة جبل يشكر الذي اتخذ به جامع ابن طولون، وكان فضاء فلما رأى أبو عون ذلك أمر أجناده بالبناء فيه فبنوا، وبنى هو أيضا دار الإمارة ومسجدا عرف بجامع العسكر، وفي عهد أحمد ابن طولون بني جامع، وسمي المكان العسكر، وصار مدينة ذات أسواق ودور عظيمة، وفيه بنى أحمد بن طولون مارستانه. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص 123. أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص68.

² - أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص67.

³ - مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص28.

⁴ - أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص70.

⁵ - نفسه، ص71-72.

ولا تنس مارستانه واتساعه
وما فيه من قوامة و كفاته
وتوسعة الأرزاق للحول والشهر
ورفقهم بالمعتقين ذوي الفقر
فللميت المقبور حسن جهازه
وللحي رفق في علاج وفي جبر

وحبس له من الأوقاف ما يلزم للإنفاق عليه، و بنى فيه الحمامات للرجال والنساء¹، وظل مارستان ابن طولون قائماً حتى القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي².
ومن المنجزات المتميزة لابن طولون أن جعل في مؤخره جامعاً ميسراً وخزانة شراب فيها جميع الشرابات والأدوية وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة³.

6- البيمارستانات في عهد الدولة السلجوقية⁴:

اهتم السلاجقة كغيرهم من السلاطين والخلفاء والأمراء المسلمين بالبيمارستانات والخدمات الصحية ، ومن مظاهر ذلك الاهتمام أن السلطان السلجوقي طغرل بك (429-455 هـ/1037-1063 م)⁵، الذي اهتم بالبيمارستان العضدي، وزوده بالموظفين الأكفاء للإشراف عليه ، وتدبير شؤونه ، فظل البيمارستان العضدي يقدم الخدمات الطبية إلى سقوط بغداد سنة 656 هـ/1258 م⁶.

7- البيمارستانات في عهد الدولة الإخشيدية¹:

1 - أحمد أبو زيد: فضل الأوقاف في بناء الحضارة الإسلامية، مقال بمجلة التاريخ العربي، تصدر عن جمعية المؤرخين المغاربة، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الرباط ، 1996، ص341.

2 - الفاضل العبيد عمر: الطب الإسلامي عبر القرون، دار المطبوعات الحديثة، ط1، جدة، 1989، ص61.

3 - أحمد عيسى بك: المصدر السابق، ص72.

4 - الدولة السلجوقية: نسبة إلى السلاجقة والسلاجقة أصلهم من الترك، يرجع نسبهم إلى جدهم الأكبر سلجوق بن دقاق، كانت له حظوة عند ملك الترك، واختص به ولقبه شباشي أي قائد الجيش، واستطاع سلجوق أن يستميل القلوب بعلو الهمة فكثرت ميل الناس إليه فأوجس منه الملك، فوقع بينهما جفوة، فاستجمع سلجوق عشيرته وخرج مغاضباً، فدخل بلاد المسلمين واعتنق الإسلام، ثم مات سلجوق ونشأ أولاده من بعده، ونما أمرهم حتى تملك طغرل بك أول سلاطينهم وقوى أمره، واستجلبه الخليفة العباسي القائم لينصره على البساسيري، فسار إليه طغرل بك وأعاد رونق الدولة، وخطب له بالسلطنة على منابر بغداد. ابن الطقطقي محمد بن علي بن طبا طبا ، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، صححه هرتويغ در نبرغ، مطبعة فرسو، طبع بمدينة شالون، 1894، ص ص392-394.

5 - طغرل بك: كان أول ملوك السلاجقة، كان خيراً مصلياً محافظاً على الصلاة في أوقاتها، وعدل في الناس وكان حليماً كريماً، ملك بلاد خراسان، ثم استدعاه الخليفة لملك العراق حين فسد الحال ببغداد من البساسيري ، فدخل بغداد سنة 447هـ/1055م فخلع عليه الخليفة ولقبه بملك الشرق والغرب، تزوج ابنة الخليفة القائم بعد تردد من الخليفة، مات معتلاً سنة 455هـ/1063م. ابن كثير: المصدر السابق، ج15، ص792. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج30، ص380.

6 - أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص189-190.

ومن أشهر البيمارستانات التي شيدت في عهد الدولة الإخشيدية البيمارستان الأسفل الذي شيده كافور الإخشيد وهو قائم بتدبير شؤون دولة الأمير أبي القاسم أنوجور بن محمد الإخشيد بالفسطاط سنة 346هـ/957م بمصر، وحبس عليه جميع ما بناه من قيسارية² ودور وحوانيت والميضأتين³ والسقايتين وأكفان الموتى، وكان في هذا البيمارستان من الأزيار الصيني والقدور والنحاس والطسوت، وغير ذلك ما يساوي ثلاثة آلاف دينار، ونقل إليه من البيمارستان الأعلى⁴ أضعاف ذلك⁵.

8- البيمارستانات في عهد الدولة الفاطمية:

شهد العصر الفاطمي كغيره من العهود الإسلامية الأخرى بناء البيمارستانات، واستمرار تقديم الخدمات الطبية للمرضى، كما أبدى الفاطميون اهتماما بالطب والأطباء، وأنفقوا الأموال لتشييد البيمارستانات وتطويرها، فقد أنشأ الحاكم بأمر الله مارستانا له ولحاشيته في القصر الشرقي⁶، وجعل هذا البيمارستان لعلاج الخلفاء لذلك اعتمد نظام المناوبة الطبية لضمان استمرار الرعاية الصحية للخلفاء، كما تميزت البيمارستانات الفاطمية بإجراء العمليات الجراحية الدقيقة كجراحة العيون، فقد ذكر أن الطبيب عماد الدين بن علي الموصلية (ت: 400 هـ/1009 م) الذي أقام بالقاهرة أيام الخليفة الحاكم بأمر الله الذي كان مختصا في أمراض العيون، فقد أجرى ست عمليات جراحية على العين لقدح الماء الأبيض في العين⁷.

9- البيمارستانات في العهد الأيوبي والزنكي:

¹ - الدولة الإخشيدية: تنسب إلى كافور الإخشيد وهو أبو المسك كافور بن عبد الله الإخشيد، كان عبدا لبعض أهل مصر ثم اشتراه أبو بكر بن محمد بن طفج الإخشيد سنة 321هـ/933م بمصر من محمود بن وهب بن عباس، ولما توفي الإخشيد تولى ابنه أبو القاسم أنور جور مصر والشام بعهد من الراضي، فقام كافور بتدبير شؤون دولته إلى أن مات أنور جور سنة 349هـ/960م، ثم استقل كافور بالمملكة في هذه السنة، وكان يدعى له على المنابر بمكة والحجاز جميعه ومصر وبلاد الشام من دمشق وحلب وأنطاكية و طرسوس والمصيصة وغير ذلك، كانت وفاته سنة 356هـ/966م على أرجح الروايات. ابن خلكان: المصدر السابق، ج 4، ص 98 وما بعدها.

² - قيسارية: ومجموعها قياسر أو قياصر، وهي إحدى أنماط المباني التجارية، وهي من العمائر الهامة و تشتمل على مجموعة من الحوانيت. معمار علي ثويني : معجم عمارة الشعوب الإسلامية، بيت الحكمة، بغداد، ط1، 2005، ص 579. كمال الدين سامح: العمارة الإسلامية بمصر، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، 1991، ص 16.

³ - أحمد عيسى بك: المصدر السابق، ص 74.

⁴ - البيمارستان الأعلى : هو البيمارستان الذي بناه أحمد بن طولون.

⁵ - أحمد عيسى بك: المصدر السابق، ص 74.

⁶ - مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص 31.

⁷ - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 549.

لقد كان للمارستانات في العهد الزنكي ظهور متميز لا سيما عهد السلطان نور الدين محمود، الذي بنى مارستان دمشق الشهير ، والذي كان يقدم الخدمات الطبية المجانية، كما كان بمثابة المستشفيات الجامعية حيث يدرس الطلبة به صناعة الطب ،ويتدربون به بإشراف كبار الأطباء¹.

ومما استحدثت بالبيمارستانات في هذه الفترة هو ظهور ما يسمى بوظيفة مسؤول صرف العلاج للمرضى²، كما استعمل الأفيون كمادة للتخدير تمهيدا للعمليات الجراحية³، كما استحدثت في العهد الزنكي ما يعرف بالعيادات الخارجية، وتقييد أسماء المرضى وما يتعلق بأمراضهم وعلاجهم، كما اعتمد نظام الاجتماعات الطبية الدورية للأطباء بالبيمارستان النوري الكبير مرتين في الأسبوع لتبادل وجهات النظر حول الأمراض التي تصيب المقيمين بالبيمارستان وسبل علاجها⁴.

وزاد اهتمام الزنكيين والأيوبيين ببناء البيمارستانات إبان فترة الحروب الصليبية على المشرق الإسلامي، لذلك كان المسلمون بحاجة إلى بناء المرافق الصحية لمداواة جرحى الحروب ، ومن أشهر تلك البيمارستانات النورية بحلب ودمشق التي شيدها نور الدين محمود، وعهد بها إلى أكفأ الأطباء من أمثال الطبيب أبو المجد أبي الحكم⁵.

كما شهد عهد صلاح الدين الأيوبي اهتماما واسعا بإنشاء البيمارستانات وترميم ما تأثر منها بفعل عوادي الزمن، ومن أشهر البيمارستانات التي شيدت في عهده البيمارستان الصلاحي الذي بناه سنة 577 هـ/1181 م بالقاهرة، وزوده بما يلزمه من أمهر الأطباء والجراحين والقيمين، وعزز مصادره المالية بالأوقاف الدارة، فكان من القصور الرائعة حسنا واتساعا⁶، وذلك لما ملك صلاح الدين مصر سنة 567 هـ/1171 م، واستولى على القصر الفاطمي ، وقد كان في القصر قاعة بناها العزيز بالله(344-386 هـ / 955-996 م) في سنة 384 هـ/994 م فجعلها صلاح الدين مارستانا، وأجرى عليه مائتا دينار شهريا، وغلات واستخدم له الأطباء والكحالين والجراحين ومشرفا وعمالا وخداما

¹ - النعمي: المصدر السابق، ج1، 445.

² - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 732.

³ - نفسه، ص 123.

⁴ - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 732-733.

⁵ - مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص 33.

⁶ - ابن جبير : المصدر السابق، ص 52.

فوجد الناس به رفقا ونفعا¹، وقد زاره ابن جبير عند زيارته لمدينة القاهرة سنة 587 هـ/1191 م زمن صلاح الدين.

ثالثا-أنواع البيمارستانات في الإسلام:

تنقسم البيمارستانات الإسلامية باعتبار أماكن تواجدها إلى قسمين، القسم الأول وهو البيمارستانات الثابتة، والقسم الثاني البيمارستانات المنقولة.

1- البيمارستانات الثابتة:

وهي البيمارستانات التي أقيمت بمكان ثابت، فلا تنتقل ولا يتغير مكانها وهو أغلب ما كانت عليه البيمارستانات الإسلامية، وقد كانت منتشرة في مختلف الأمصار الإسلامية ببغداد ودمشق والقاهرة والأندلس والمغرب الإسلامي، مثل البيمارستان العضدي ببغداد، مارستان حلب والبيمارستان النوري الكبير في دمشق، والبيمارستان المنصوري والبيمارستان المؤيدي بالقاهرة وغيرها من البيمارستانات.

وقد شيدت البيمارستانات الثابتة في أغلب حواضر الأمصار الإسلامية، فكانت تقام للعناية بالمرضى بمبادرة من الخلفاء على نفقاتهم الخاصة، أو كبار الأمراء أو الميسورين من أهل البر والإحسان أو من العلماء أو حتى من النساء، وقد كانت هذه البيمارستانات مشابهة لبعضها إلى حد كبير من حيث نمطها العمراني العام، ومرافقها المتعلقة بالإدارة وفروعها المتعلقة بالتخصصات الطبية والأمراض، وأغلبها أنها صممت لتكون مارستانات وبعضها كانت قصورا ثم اتخذت كمارستانات، وقد كانت تشمل على مكاتب ضخمة، وقاعات لتدريس الطب، ووسائل تدريب الطلاب على صناعة الطب².

و البيمارستانات الثابتة تنقسم غالبا إلى قسمين، قسم خاص بالرجال وآخر خاص بالنساء ولكل قسم تجهيزاته الخاصة من الآلات والمعدات الطبية، وما يلزمه من القائمين عليه من الخدم رجالا ونساء، ولكل قسم قاعات خاصة بعمليات الجراحة والكحالة والتجبير وغيرها من المرافق المختلفة³.

ومن خصائص البيمارستانات الثابتة يشترط فيها أن يكون بها

1 - أحمد عيسى بك: المصدر السابق، ص76-77.

2 - فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص212.

3- مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص49.

الماء جارياً¹ ومزودة بصيدلية يتولاها أمين الصيدلية ويسمى بالمهتار²، وكانت البيمارستانات الثابتة تعمل بنظام الدوام المستمر دون توقف، وكان للمرضى الحق في أن يزورهم أهاليهم³.

وكان أول هذه البيمارستانات إنشاء البيمارستان الأموي، الذي شيده الخليفة الوليد بن عبد الملك في دمشق، ثم انتشرت بعد ذلك في الحواضر الإسلامية الكبرى مثل بغداد ودمشق و حلب والقاهرة وغيرها⁴.

كما أنشأت البيمارستانات المتخصصة في أمراض معينة، وهي ضمن البيمارستانات الثابتة، ومنها:

أ- مارستان المجذومين:

إن أول مجذمة عرفت في تاريخ الطب الإسلامي هي مجذمة الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بدمشق، ثم انتشر هذا النوع من الإقامات الصحية لرعاية المرضى المجذومين حتى لا يخرجوا ويختلطوا بالناس، فيتم عزلهم حتى لا تنتقل العدوى إلى غيرهم⁵، من أجل ذلك أمر الوليد بن عبد الملك بحبسهم وأجرى عليهم الأرزاق⁶.

وهذا من حرص الإسلام على حماية الصحة العامة ودفع الضرر، فالحجر الصحي أمر مشروع في الإسلام، لذلك يجوز عزل المريض مرضاً معدياً عن الناس، ورخص الإسلام في عدم السلام عليه أو الاختلاط به، وقصة الرجل الذي جاء لبيعة النبي صلى الله عليه وسلم المشهورة دليل على ذلك، حيث لم يسمح له بالدخول إلى مجلسه بعد أن قبل بيعته وذلك حرصاً على الصحة العامة، وقال (اجعل بينك وبين المجذوم قدر رمح أو رمحين) وقال (وفر من المجذوم كما تفر من الأسد)⁷.

ثم تور مارستان المجذومين في العهد العباسي، فقد بنى الخليفة المأمون

1- قدرى حافظ طوقان: العلوم عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، 1961، ص 34.

2 - القلقشندي: المصدر السابق، ج4، ص9-10.

3 - مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص50.

4 - فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص212.

5 - نفسه، ص213.

6 - الطبري: المصدر السابق، ج6، ص437. ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص278. ابن الأثير: الكامل، ج4، ص447.

7- فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص214.

(198- 218 هـ / 813- 833 م) بيوتا للحجر الصحي للمجذومين وجعلهم في أماكن خاصة بهم بعيدة عن السكان الأصحاء، وهذا النوع من البيمارستانات هو مارستان متخصص وثابت إما أن يكون مستقلا أو تخصص أجنحة خاصة لمرضى الجذام¹ ولا يسمح لمن فيها بالاختلاط ببقية أجنحة البيمارستان الأخرى حتى لا تنتقل العدوى إلى بقية المرضى².

وتعد المجازم التي أقامها المسلمون أول المصحات التي كان لها السبق للتخصص في معالجة مرض الجذام³، وقد عولج فيها المجذومين معالجة علمية، وكانت تقدم العلاج المجاني لمرتابيها⁴.

ب- مارستان المسجونين:

في إطار الاهتمام بالصحة العامة للمجتمع اهتم الخلفاء العباسيين بالرعاية الصحية للمساجين، ويظهر ذلك في خلافة المقتدر بالله (296-320 هـ/908-932 م) عندما كتب إلى سنان بن ثابت رئيس الأطباء والمشرف على المؤسسات الطبية للاعتناء بالناحية الصحية للمساجين، وتخصيص مارستانات خاصة بهم، وأن يجعل لمن في السجون أطباء يدخلون إليهم في كل يوم وتحمل إليهم الأدوية و الأشربة، وأن يطوفوا في سائر السجون للاطلاع على الحالة الصحية للمساجين⁵، ويقدمون العلاج لمن كان مريضا منهم وتقديم الأدوية و الأشربة لهم⁶.

ج- مارستان المجانين:

¹ - الجذام: علة مستعصية تحدث من انتشار السوءاء في البدن كله فيفسد مزاج الأعضاء وهيئتها وشكلها وإذا استقحل وتمكن تتآكل منه الأعضاء وتسقط سقوطا متفرحة وهو شبيه بالسرطان لما يعم الجسم، والجذام من الجذم وهو القطع وسمي بذلك لأنه يقطع الأعضاء أو النسل أو العمر. حبيب مصطفى عز الدين :جوانب من التاريخ الحضاري للطب والصيدلة في الأندلس خلال عهدي المرابطين والموحدين، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة محمد الخامس ، 1998-1999، ج2، ص410.

² - يوسف العث: تاريخ عصر الخلافة العباسية، دار الفكر المعاصر، بيروت ، 1982م، ص44.

³ - هذا إذا تم تشخيص المرض مبكرا ، أما إذا استحكمت استعصى علاجه، وعلامات الإصابة بهذا الداء الخبيث ملاحظة تغير لون العين من الحمرة إلى السواد وضيق في التنفس وحة في الصوت ، كما يعترى المريض فساد في أخلاقه من تبه وحقد وتكثر في نومه الكوابيس وتساقط شعره وتشقق الأظافر وتجهم الوجه وجمود الدم في المفاصل وتعفنه ، كما تظهر علامات أخرى بقدر تمكن المرض من الجسم. حبيب مصطفى عز الدين :المرجع السابق ، ج2، ص411.

⁴ - فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص214.

⁵ - مؤمن أنيس عبد الله البابا:المرجع السابق، ص51.

⁶ - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص301.

كان للمسلمين دراية بأمراض الجنون والأمراض العقلية والنفسية واتبعوا أساليب علمية في معالجتها مبنية على دراسات نفسية دقيقة¹.

فقد اتخذت دور خاصة بالمجانين يتم عزلهم فيها في بداية الأمر ، وبعد بناء البيمارستانات خصص في كل مارستان قسم خاص للمجانين، وقد أولى الخلفاء والأمراء عناية خاصة بأولئك المرضى، وصيانتهم من عبث العابثين، وحمت الناس منهم²، وكانوا يزورونهم كل يوم جمعة³، وقد خصصت لهم حجرات معزولة محصنة بقضبان الحديد، وقد عثر على آثار مواصفات غرف المجانين بالبيمارستان الكاملى بحلب لها شبابيك من الحديد، وفي مارستان القاهرة الذي بناه صلاح الدين الأيوبي حيث وجدت مقصورات عليها شبابيك حديدية كانت تستخدم كمجالس للمجانين⁴.

وقد كانت مارستانات المجانين تقسم إلى قسمين أحدهما للرجال والآخر للنساء، وكان يقدم لمرضى هذه البيمارستانات أفضل الطعام وأطيب العطور ويعاملون معاملة حسنة لإعانتهم على مقاومة المرض وتحسين نفسيتهم حتى يتمثلوا للشفاء⁵.

كما جعل لكل مريض مرافق يصحبه في التجول بين الحدائق المخضرة حتى يُرْفَه عن نفسه، وينظر إلى الزهور ويُقرأ عليه القرآن⁶، ويُجعل له خادمين يخلعان عنه ثيابه في كل صباح ويغسل بالماء البارد، ثم يلبس ثيابا نظيفة ويُحمل لأداء الصلاة، ويسمعانه القرآن، ثم يأخذانه للتقشح في الهواء الطلق، وكان بعض المرضى يستمعون إلى الموسيقى المهدئة لهم⁷.

د - مارستان الغرباء :

¹ - ويعد ذلك اكتشافا عظيما في عالم الطب النفسي والعقلي، وإبطالا للاعتقاد السائد في ذلك العصر في أوروبا بأن الجنون وغيره من الأمراض النفسية ينتج عن سكن أرواح شريرة في جسد الإنسان، أما الأطباء المسلمين فقد عالجوا المصابين علاجا علميا. فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص217.

² - رعد محمود البرهاوي: المرجع السابق، ص195-196.

³ - المقرئزي: المصدر السابق، ج4، ص267. فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص214.

⁴ - فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص215.

⁵ - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص301. مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص53.

⁶ - مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص53.

⁷ - فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص218.

إن ظهور هذا الوباء في بلاد الشام ، وقد خصص لإيواء المرضى الغرباء ، وكان به الأطباء والأدوية، و من أول من بادر إلى إنشاء مثل هذه الوباءات السلطان نور الدين محمود عندما أمر ببناء مارستان خاص بالمرضى الغرباء ، وأوقف عليه الأوقاف الكثيرة¹.

وكذلك اهتم خلفاء بني العباس بإنشاء الوباءات التي يقيم بها المرضى المطروحين والضعفاء المغتربين، الذين يكونون عرضة لأن تطأهم الأقدام على مر الأيام لأنهم لا مأوى لهم، ولا مكان يستقرون به²، لذلك فإن هذه الوباءات قد تكفلت بهم وأذهبت ما بحالهم من البأس والوحشة.

2- الوباءات المنقولة:

وهي الوباءات التي تنتقل في البلاد من مكان إلى آخر لعدم وجود الأطباء بذلك المكان لا سيما في أطراف الدولة البعيدة، وقد ظهرت هذه الوباءات بهدف إيصال الخدمات الطبية إلى أطراف الدولة كالأرياف والقرى النائية عن الحواضر. وقد كانت الوباءات المنقولة محل اهتمام من حكام الدولة الإسلامية للحاجة إليها كمستشفيات ميدانية في الحروب وغيرها.

فقد ذكر ثابت بن سنان عن أبيه رواية تثبت مدى اهتمام الحكام المسلمين بهذا النوع من الوباءات (ورد توقيع من الوزير علي بن عيسى إلى والدي³ سنان، فيه: فكرت في من في السواد من أهله، فإنه لا يخلو أن يكون فيه مرضى لا يشرف عليهم متطبيب لخلو السواد من الأطباء، فتقدم مد الله في عمرك بإنقاذ متطبيين وخزانة للأدوية يطوفون

¹ - مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص55.

² - المقري: المصدر السابق، ج7، ص383.

³ - هو سنان بن ثابت بن قرة الطبيب، كان يكنى بأبي سعيد ، كان يلحق بأبيه في معرفة علومه ، تمهر في الطب ، كانت له قوة بالغة في علم الهيئة ، خدم المقتدر والراضي بالطب ، أراده القاهر على الإسلام فهرب ثم أسلم ، وخاف من القاهرة فمضى إلى خراسان وعاد ، وتوفي ببغداد سنة 331هـ/942م ، ومن تصانيفه (رسالة في تاريخ ملوك السريانيين) و(رسالة في الاستواء) و(رسالة في سهيل) و(رسالة إلى بجم) و(رسالة إلى ابن رائق) وغيرها.الصفدي:المصدر السابق،ج15،ص281-282.

في السواد، يقيمون في كل موقع منه مدة ما تدعو الحاجة إليه، ويعالجون من فيه من المرضى ثم ينتقلون إلى غيره، ففعل والدي ذلك¹.

وهذا النوع من البيمارستانات يجهز بالأدوية والأغذية واللوازم الطبية الضرورية، وترسل إلى الأطراف النائية عن العاصمة أو عن الحواضر التي بها البيمارستانات الثابتة، كما ترسل إلى السجون².

كما تصحب أحيانا الخلفاء والملوك في تنقلاتهم، كما كانت ترافق الحملات العسكرية في تحركاتها على جبهات القتال في الحروب وفيها العدد الكافي من الأطباء والجراحين والمجبرين والصيدالة لمعالجة من يصاب من المقاتلين³.

ومن أنواع هذه البيمارستانات:

أ- مارستان السبيل (الحجاج):

وهو عبارة عن بعثة طبية ترافق الحجيج لتقديم الخدمات الصحية الضرورية لهم، وتقوم بالإسعافات الفورية عند الضرورة، وهي مزودة بالمواد الأولية للإسعاف من أدوية وآلات للجراحة ووسائل الجبر والتضميد، وتحمل في صناديق خاصة بها، ويعمل بها أطباء ومسغفون وممرضون، ويقيمون خيمة للإسعاف عندما تستريح القافلة أثناء السفر الطويل عبر الصحراء وغيرها، وتتم النفقة على هذا النوع من البيمارستانات من قبل أصحاب البر والإحسان لذلك سميت مارستانات السبيل ويعزى السبق في اتخاذ هذه البيمارستانات الميدانية إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان (41-60 هـ/ 661-679 م)⁴.

أما الإشراف على هذه البيمارستانات فكان يعهد بها إلى رجل عاقل أمين قادر على أداء المهمة، لكي يصرف العلاج إلى مستحقه⁵.

وقد أوردت المصادر ذكر بعض الذين كانوا يتولون الإنفاق على مثل هذه البيمارستانات منهم الخاتون (ت: 515 هـ / 1121 م)¹ التي كان لها في كل سنة سبيل

يخرج

¹ - فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص 219.

² - زيفريد هونكة: المرجع السابق، ص 231.

³ - نزيه شحادة: المرجع السابق، ص 334.

⁴ - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 175. حنيفة الخطيب: المرجع السابق، ص 234. محمود الحاج قاسم: الموجز لما أضافه العرب في

الطب والعلوم المتعلقة به، مطبعة الإرشاد ، 1974م، ص 114.

⁵ - فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص 219.

مع الحجيج ويجهز بكل اللوازم².

وكان مظفر الدين كوكبوري يقيم سبيلا للحجاج ويسير معهم ما تدعو إليه حاجة المسافرين في الطريق، ويسير معهم أمينا معه خمسة آلاف دينار ينفقها على المحتاجين حول في الحرمين³.

كما دأب الأتابكيون على إرسال القوافل المتجهة إلى الحج ومعها عدة مرستانات ميدانية لإسعاف الحجاج عند اللزوم، وكذلك كان يفعل صاحب سنجار، وكانت القوافل إذا حطت يقوم أمير السبيل بفك خيمته ويستقبل المرضى فيقوم الطبيب المرافق بفحص المرضى وتقديم العلاج لهم، ففي سنة 623 هـ/1226 م أرسل الملك الظاهر عمالا لعمارة الحرم النبوي، وأرسل معهم مجير الدين أحمد بن تمام طبيبا، ومعه أدوية وأشربة للمرضى⁴.

ب- مرستان الجيش:

وهي مرستانات تصحب الجيش سواء في السلم أو الحرب، ويتشكل من فريق طبي من الأطباء والممرضون والصيدلة، وقد اتخذت مثل هذه التدابير الطبية منذ عهد النبي عليه السلام، فقد كانت المرأة تشارك في الحرب من خلال ممارستها لمهمة التطبيب ومداواة الجرحى، فكانت النساء تخرج مع محارمهن إلى جبهات القتال يضمهن الجرحى ويسغن المصابين وربما شاركن في عملية القتال بحمل السيوف، ومنهن خولة بنت الأزور، وجويرية بنت أبي سفيان، وأم الدرداء وغيرهن، وقد ذكر عن ربيع بنت معوذ بن عفراء قولها (كنّ نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نسقي القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة)⁵.

¹ - الخاتون : حظية السلطان ملكشاه، وهي أم السلطان محمد والسلطان سنجر، كانت كثيرة الصدقة إلى الناس لها في كل سنة سبيل يخرج مع الحجيج، وكانت ذات دين وخير، توفيت سنة 515 هـ/1121 م. ابن كثير : المصدر السابق، ج16، ص254.

² - ابن كثير: المصدر السابق، ص254.

³ - فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص223.

⁴ - نفسه، ص223.

⁵ - فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص220.

ويعزى السبق في اتخاذ مارستان للجيش في الإسلام إلى عبد الله بن الزبير أنه لما حوصر في مكة سنة 73هـ/692 م ضرب فسطاطا في ناحية المسجد لمعالجة من أصيب ممن معه¹.

وقد تطورت هذه المستشفيات الميدانية فكان يرافق الجيش أثناء المعارك فريق من الأطباء ومستشفى يجهز باللوازم الطبية، وألحقت به نقالات للجرحى بشكل محفات تنقلها الجمال، الأمر الذي دعا إلى إعداد عدد كبير من الجمال والبغال لنقل الخيام والمؤمن والأدوية في عهد الرشيد والمأمون، وحتى في عصور الضعف فقد كانت لوازم المستشفى تنقل على أربعين جملا².

ومن أبرز مارستانات الجيش مارستان شمس الملك بن نظام الملك، فقد أورد الأصفهاني عن هذا البيمارستان (ومن جملة مبتدعاته في الخير أنه جعل للمعسكر السلطاني مارستانا ، يحمل آلاته و خيمه و أدويته والأطباء والغلمان والمرضى مائتا بختي)³.

ومنها مارستان أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله

بن محمد الباهلي (486-549هـ/1093-1154 م)⁴الذي كان ذا معرفة بالأدب والطب والهندسة، وكان طبيب البيمارستان الذي كان يحمله أربعون جملا، الذي كان يصحب جيش السلطان محمود السلجوقي(ت:525 هـ/1130 م)⁵ ، وكان السيد أبو

¹ - ابن قتيبة: المصدر السابق، ج2، ص11.

² - سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب، ترجمة عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، ط2، بيروت، 1967، ص369.

³ - عماد الدين الأصفهاني : المصدر السابق، ص129.

⁴ - أبو الحكم عبيد الله بن المظفر بن عبد الله بن محمد الباهلي: الحكيم الأديب المعروف ، أصله من أهل المرية بالأندلس، ولد باليمن سنة 486 هـ/1093 م، كان معلم صبيان حين قدم بغداد، كان ذا معرفة بالأدب والطب والهندسة ، كامل الفضيلة ، له ديوان شعر تغلب عليه الخلاعة والمجون، وذكر أنه كان طبيب البيمارستان المتنقل الذي كان يحمله أربعون جملا، يصاحب معسكر السلطان محمود السلجوقي، توفي ليلة الأربعاء رابع ذو القعدة سنة 549 هـ/1154 م. ابن خلكان :المصدر السابق، ج3، صص123-125.

⁵ - السلطان محمود: هو أبو القاسم محمود بن محمد بن ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقي، الملقب بمغيث الدين، أحد الملوك السلجوقية المشاهير، تولى السلطنة بعد وفاة والده، وخطب له بها على منابر بغداد على عادة الملوك السلجوقية يوم الجمعة الثالث والعشرين من محرم سنة 512 هـ/1118 م في خلافة المستظهر العباسي، كان متوقفا الذكاء، قوي المعرفة بالعربية حافظا للأشعار والأمثال، عارفا بالتواريخ والسير، شديد الميل إلى أهل العلم والخير،

الوفاء يحيى بن سعيد بن يحيى بن المظفر المعروف بالمرخم، الذي عمل كقاضٍ للقضاة ببغداد أيام الخليفة المقتدي فاصدا وطيبيا في هذا البيمارستان¹.

ج- مارستان الإسعاف:

وغالبا ما يكون هذا النوع من البيمارستانات المنقولة في الأماكن التي يكثر فيها تجمع الناس في الأوقات المختلفة كالاتحاد للصوات، أو في الأعياد والمواسم، فقد يحدث عن هذه التجمعات أن تقع فيها بعض الأحداث المختلفة التي قد يصاب فيها الأشخاص، فيحتاج

الأمر إلى تدخل سريع لتقديم الإسعافات الأولية.

ويرافق هذا النوع من البيمارستانات طبيب ومعه بعض الأعوان، و ما يحتاج إليه من مواد الإسعاف، وأول من كان له سبق في اتخاذ مثل هذا النوع من البيمارستانات المنقولة هو الأمير أحمد بن طولون (220-270هـ/835-883م) والي مصر، عندما أنشأ جامع المشهور في القاهرة 265هـ/878م²، ومن المنجزات المتميزة لابن طولون أن جعل في مؤخرة جامع ميسأة وخزانة شراب فيها جميع الشربات والأدوية وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث للحاضرين للصلاة³.

وقد اتخذ هذا النوع من البيمارستانات المتخصصة في الإسعاف في معظم حواضر الدولة الإسلامية مثل بغداد ودمشق والقاهرة وغيرها من الحواضر.

رابعا- خدمات الجارية على المرافق الصحية في الاسلام:

1- الجارية على المارستانات:

أ- العصر الأموي:

كان أول من أجرى على المرضى في الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قدم من أرض الشام مر يقوم مجذومين من النصارى، فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجري عليهم⁴.

وكانت السلطنة في آخر أيامه قد ضعفت وقلت أموالها، توفي سنة 525هـ/1130م. ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص 123-125.

1 - ابن خلكان: المصدر السابق، ج3، ص 124.

2 - فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص223.

3 - أحمد عيسى بك: المصدر السابق، ص72.

4 - فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص 218.

و شهد العصر الأموي إنشاء أول مارستان في الإسلام يقدم الخدمات الطبية المجانية لعامة الناس، وقد أورد مؤرخو الإسلام عن هذه الفترة الخدمات التي قدمها الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-714م) لذوي الأمراض المزمنة كالمجذومين، حيث ذكرت المصادر في حوادث سنة 88 هـ/706 م أنه حبسهم ومنعهم من أن يخرجوا على الناس وأجرى عليهم أرزاقاً ومنعهم من أن يسألوا الناس¹.

إلا أن المؤسف أن المصادر لم تسعفنا بطبيعة هذه الجرايات والأرزاق ولا بالمكان الذي أنشأ فيه الوليد البيمارستان، فقد ذكرت عرضاً دون تحديد طبيعة هذه الخدمات. وكانت هذه المجزمة التي أقامها الوليد بن عبد الملك أول مجزمة في تاريخ الطب الإسلامي، ثم انتشر هذا النوع من الإقامات الصحية لرعاية المرضى المجذومين حتى لا يخرجوا على الناس خشية العدوى، وقد امتثل الحاج بن يوسف لهذه السياسة الصحية، فحجز المجذومين والزمنى من أهل العراق، وأجرى عليهم الأرزاق، وكانت هذه الدور النواة الأولى التي أنشئت منها المارستانات الخاصة بذوي العاهات والزمنى وفي عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/717-719م) اتخذ داراً للعجزة والفقراء، وزدها بالتمر والزيت والطحين².

ب-العصر العباسي:

لم تظهر في العصر العباسي الأول الخدمات الطبية بالشكل الذي صارت عليه في العصور الأخرى، حيث لم تذكر المصادر عن ذلك إلا النزر القليل كاتخاذ الخليفة أبو جعفر

المنصور (136-158 هـ/753-774م) دوراً للعجزة والأيتام ومعالجة الجنون³. ذكر الطبري في حوادث سنة 162 هـ/778م أن الخليفة العباسي المهدي (158-169هـ/778-785م) أمر أن يجرى على المجذومين وأهل السجون في الأفاق⁴، والظاهر أن تمويل هذه الجرايات كان من بيت المال حيث أن الطبري لم يذكر إن كان المهدي قد أوقف شيئاً لضمان وجود العوائد المالية التي تُكفل تسديد تلك

¹ - الطبري: المصدر السابق، ج6، ص437. ابن الجوزي: المنتظم، ج6، ص287. ابن الأثير: الكامل، ج4، ص246.

² - فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص140 و 196 و 218.

³ - جرجي زيدان: المرجع السابق، ج3، ص208.

⁴ - الطبري: المصدر السابق، ج8، ص142.

الرواتب دوريا، كما أنها تضمن استمرارها وبقاءها، وغالبا أن مثل هذه السياسة تكون مرتبطة بظروف سياسية معينة ، وتنتهي بانتهاء أسبابها ، أو بانتهاء أصحابها ، لذلك فالوقف يضمن استمرار وبقاء أصول هذه الجرايات.

كما ذكر أن الخليفة المعتصم بالله العباسي(218-227هـ / 833-841م) قد بنى بيمارستانا في بغداد أشرف عليه بنفسه، وأوكل أمر بناءه للطبيب أبي بكر الرازي¹، وكان المعتصم يخرج عشرة دنائير يوميا أي ما قدره ثلاثمائة دينار شهريا كنفقة على هذا المارستان، وكان يتكفل بنفقات الأطعمة والمؤن وجرايات الأطباء والمستخدمين، وعرف هذا المارستان بالصاعدي أو العتيق².

أما العصر العباسي الثاني فقد أوردت المصادر الأخبار عن الخدمات الطبية التي رصدتها الدولة ، سواء المتمثلة في الجهود التي قدمها الخلفاء في هذا المجال، أو التي كانت بمبادرة من رجال الدولة أو الأمراء والميسورين من مختلف فئات المجتمع.

وتمثلت تلك الجهود في إقامة المؤسسات الصحية التي تقدم الخدمات الطبية مثل المارستانات بمختلف أنواعها سواء الثابتة أو المنقولة و أرصدت لها الأموال لتوفير اللوازم الضرورية من دواء وطعام ولباس وآلات للجراحة والتضميد وصيدليات لصرف الأدوية وحتى مرتبات شهرية وإعانات مالية للمرضى وغيرها، لذلك سنستعرض خدمات الجراية الصحية بالبيمارستانات العباسية.

➤ بيمارستانات بغداد:

(1) - بيمارستان أبي الحسن علي بن عيسى الجراح:

في عام 302 هـ/ 914 م بنى الوزير أبو الحسن علي بن عيسى(ت:334 هـ/ 945 م) مارستانا بالخريبة وأنفق عليه من ماله ، وقلده أبا عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي متطيه ، وهو أحد النقلة المجيدين، وكان منقطعا له³.

وأنفق عليه من ماله، وكتب إلى متولي الوقف الخاص بالبيمارستانات (يجب أن يذفاً

¹ - هو محمد بن زكريا الرازي طبيب المسلمين وأحد المهرة في علوم المنطق والفلسفة وغيرها من العلوم ، كان في بداية عهده يضرب العود ثم ترك ذلك وجَد في تعلم الفلسفة فمهر فيها كثيرا وألف فيه الكثير وأغلبها في الطب ، وكان مدير مارستان الري ثم بغداد مدة ثم عمي في آخر عمره توفي سنة 320 هـ/ 932 م. ابن صاعد بن أحمد الأندلسي : طبقات الأمم ، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف ، القاهرة ، 1998 ، ص72.

² - مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص55.

³ - أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص179.

المرضى و الممردين-المجانين- بالأغطية والكسوة والفحم ، ويقام لهم القوت ويصل إليهم العلاج¹ إلا أنه لا تذكر المصادر أوقافا لهذا البيمارستان، ومع ذلك فإن عدم الإشارة لا يعني أنه لم ترصد له النفقات المالية الكافية لتقديم الخدمات اللازمة للطعام والدواء وغيرها، لما عرف هذا الوزير من أعمال الخير و البر فقد كانت جريته من الأموال تجري على نحو خمسة وأربعين ألف إنسان جريات تكفي حاجاتهم².

وكان يستغل ضياعه في السنة سبعمائة ألف دينار ويخرج منها في وجوه البر ستمائة ألف دينار وستين ألف دينار، وينفق أربعين ألف دينار على خاصته، وكانت غلته عند لزوم بيته وعزله عن الوزارة نيفا وثمانين ألف دينار، ينفق على نفسه وخاصته ثلاثين ألف دينار، ويصرف الباقي في وجوه البر³.

أمام هذا اليسر المالي وما عرف عن هذا الوزير من أفعال البر والإحسان والإنفاق في وجوه الخير فلا شك أن بيمارستانه قد ناله حظ وافر من هذه الأموال، لأنه لا يعقل أن ينفق هذه الأموال ولا يخص بيمارستانه بنصيب منها.

2- البيمارستان الصاعدي:

كان ببغداد في عهد الخليفة المعتضد(279-289 هـ/892-901 م) ، وكانت نفقاته وأرزاق المتطبيين والكحالين، ومن يخدم المرضى المجانين والبوابين والخبازين، وأثمان الطعام والأدوية والأشربة التي تقدم لمرضى المارستان 450 ديناراً في الشهر⁴.

3- بيمارستان المقتدر:

المعروف بالبيمارستان المقتدرى الذي أنشأه الخليفة المقتدر(295-319 هـ/907-931 م) سنة 306 هـ/918 م بإشارة من الطبيب سنان بن ثابت بن قرة الحراني، وجعله عند باب الشام، محلة كانت بالجانب الغربي من بغداد، وسمي هذا المارستان بالمارستان المقتدرى⁵، وكان يجري عليه كل شهر مائتي

1 - ابن أبي أصيبعة: المرجع السابق، ص 302.

2 - الصفدي: المصدر السابق، ج 21، ص 246.

3 - الصفدي: المصدر السابق، ج 21، ص 245-246.

4 - عبد الحميد العلوجي: المرجع السابق، ص 137.

5 - ابن كثير: المصدر السابق، ج 14، ص 807. فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص 197.

دينار¹، وكان مبلغ نفقته في العام 7000 دينار في السنة من الخليفة المقتدر².

(4) - بيمارستان السيدة أم المقتدر:

بنته السيدة شغب أم الخليفة المقتدر سنة 306 هـ/918 م وفتحها الطبيب سنان بن ثابت، وكان موقعه بسوق يحيى بالجانب الشرقي من بغداد، بين الرصافة ودار المملكة التي كانت عند جامع السلطان بين بساتين الزاهر على شاطئ دجلة، وبلغت جريات النفقة عليه في كل شهر ستمائة دينار³، وسبعة آلاف دينار كل عام⁴، على يدي يوسف بن يحيى المنجم، لأن سنانا لم يدخل يده في شيء من نفقات المارستان⁵.

(5) - بيمارستان ابن الفرات:

بناه الوزير ابن الفرات قبل القبض عليه من الخليفة المقتدر وعزله، وفي سنة 313 هـ/925 م عين الوزير ابو علي محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان وزير المقتدر بعد ابن الفرات على إدارته الطبيب أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قره، وقد كان ابن خاقان يجري على المارستان من ماله مائتي دينار كل شهر كنفقات للخدمات التي تقدم للمرضى المقيمين به⁶، وكان هذا المارستان عبارة عن جامعة خصصها الوزير ابن خاقان للموظفين العاملين تحت إمرته، وكان يحق لهم التداوي فيه، ونيل مختلف أنواع العلاج والعناية بلا مقابل⁷.

(6) - بيمارستان الأمير أبي الحسن بجكم:

أنشأه الأمير أبو الخير أمير الأمراء أبو الحسن سنة 329 هـ/940 م بإشارة من الطبيب سنان بن ثابت، وقد أقيم هذا المارستان فوق ريوه على الشاطئ الغربي من دجلة حيث كان قصر هارون الرشيد، وقد بناه احتساباً للأجر من الله تعالى ورحمة وشفاء للناس، لما عرف عن هذا الأمير من صلاح وحب للخير وعطفا على الضعفاء والمساكين وقد أجرى عليه أموالاً

1 - أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص183.

2 - السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص351. خير الدين الزر كلبي: الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 2002، ج3، ص168.

3 - ابن كثير: المصدر السابق، ج14، ص807.

4 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج3، ص216.

5 - عبد الحميد العلوجي: المرجع السابق، ص137.

6 - أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص184.

7 - حنيفة الخطيب: المرجع السابق، ص207.

عظيمة¹، واستمر هذا المارستان زمنا طويلا، ثم جدده عضد الدولة سنة 368هـ/987 م ، وأعيد فتحه سنة 371 هـ/981 م، وزوده بالأطباء والخزان والوكلاء والحرس².
(7) - **بیمارستان معز الدولة بن بويه:**

أنشأه معز الدولة بن بويه سنة 355 هـ /965 م، وكان بناؤه في موضع السجن الجديد ببغداد، وأمر أن يوقف عليه الأوقاف، وأن يكون مغلّ الضياع الموقوفة عليه في كل سنة خمسة آلاف دينار إلا أنه مات قبل أن يكتمل بناء البیمارستان³.
فقد كان في أوقافه مستغلات في منطقة الرصافة، وضياع في منطقة كلوازي⁴ و قطربل⁵ وجرجرايا⁶ بلغت عوائدها المالية نحو الخمسة آلاف دينار، فضلا عن بناء قناطر على الخندق في الیاسرية⁷ والزياتين ببغداد جعل عوائدها المالية جارية على المستشفى⁸.
(8) - **البیمارستان العضدي:**

أما البیمارستان العضدي فقد أنشأه عضد الدولة بن بويه في الجانب الغربي من بغداد، وافتتح في صفر سنة 372 هـ/982 م ، وهو من أكبر البیمارستانات، ولشهرته سميت المنطقة التي بني بها بسوق المارستان⁹، حتى قيل أنه ليس له مثل في الدنيا. ورتب فيه الأطباء والخدم والوكلاء والخزان ، ونقل إليه من الأدوية و الأشربة والعقاقير شيء كثير وكل ما يحتاج إليه¹⁰، فغرم عليهم مالا عظيما ، وأعد له من الآلات ما يطول شرحه¹¹،

1 - نفسه، ص207.

2 - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص415. مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص37.

3 - أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص186.

4 - كلوازي : وهو طسوج أي كورة من الكور، قرب مدينة السلام بغداد وناحية الجانب الشرقي منها، وناحية الجانب الغربي من نهر بوق، بينها وبين بغداد فرسخ واحد. ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج7، ص477.

5 - قطربل: قرية بين بغداد وعكبرا، وهي كورة من كور بغداد ، فكل ما كان من غربي الصراة فهو قطربل، وهي شمالي بغداد. ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج4، ص371.

6 - جرجرايا: بلد من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي، كانت مدينة وخرت مع ما خرب من النهروانات، وقد خرج منها جماعة من العلماء والوزراء. ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج2، ص113.

7 - الیاسرية: قرية كبيرة على ضفة نهر عيسى ، بينها وبين بغداد ميلان. ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج2، ص113.

8 - رعد محمود البرهاوي: المرجع السابق، ص192.

9 - ابن جبير: المصدر السابق، ص201.

10 - ابن كثير: المصدر السابق، ج15، ص410.

11 - أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص189.

واجتمع فيه من الأطباء أربعة وعشرون طبيباً¹، يعالجون المرضى، ويطبخون الأدوية، والخليفة يجهزهم بما يحتاجون إليه من الأدوية².

ومن الذين وقفوا على المارستان العضدي شباشي الحاجب(ت: 408 هـ/1017 م)³قال ابن كثير عن أوقافه (وقف دباها⁴على المارستان وكانت تغل شيئاً كثيراً من الزروع والثمار والخراج)⁵، والواضح أن هذه الأوقاف هي جريات تتعلق بالطعام والأموال لتقديم الخدمات الصحية لمرضى المارستان.

وأورد ابن الجوزي في حوادث سنة 408 هـ/ 1017 م عن أوقاف "دباها" أن عوائدها السنوية من الغلة (كان ارتفاعها أربعين كرا وألف دينار)⁶.

وفي سنة 501 هـ/1107 م حظي البيمارستان العضدي بمساعدة مالية من طرف السلطان محمد شاه السلجوقي عندما زار بغداد، وذلك بعد أن عولج فيه بعض غلمانه، فبعث بمائة ألف وقال تصرف في مصالح المارستان⁷.

و في حدود منتصف القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي كانت بالمارستان العضدي بناية تدعى دار المارستان يأوي إليها المجانين الذين يؤثر فيهم حر الشمس وقيظها، فيقيدهم الأطباء السلاسل ويمكثون بالمارستان و يعيشون على نفقة الخليفة، ويتقدمهم أطباؤه مرة في كل شهر فيطلقون سراح من برء منهم⁸.

وأعيد ترميم هذا المارستان سنة 448 هـ/1056 م في عهد الخليفة القائم بأمر الله (422-467 هـ / 1030-1074 م)⁹، وزوده بمختلف الأدوية والعقاقير

1 - نفسه، ص 189.

2 - محمد عبد الله أحمد القدحان: المرجع السابق، ص 263 .

3 - شباشي الحاجب: هو أبو طاهر المشطب مولى شرف الدولة أبي الفوارس بن عضد الدولة، لقبه بهاء الدولة بالسعيد، كان كثير الصدقة فائض المعروف، كان يكسو اليتامى والضعفاء وهو الذي بنى قنطرة ووقف جبايتها على المارستان العضدي، سنة 408هـ/1017 م. ابن الجوزي: المنتظم، ج15، ص126-127. ابن كثير: المصدر السابق، ج15، ص 575 .

4 - دباها : قرية من نواحي بغداد طسوح نهر الملك. ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج2، ص437.

5 - ابن كثير: المصدر السابق، ج 15، ص575.

6 - ابن الجوزي: المنتظم، ج15، ص126.

7 - عبد الحسين مهدي الرحيم : المرجع السابق ، ص300.

8 - مصطفى جواد وأحمد سوسة: المرجع السابق، ص143.

9 - الخليفة القائم بأمر الله :هو عبد الله بن القادر بالله، وكنيته أبو جعفر، ولد سنة 391هـ/ 1000 م، ولي الخلافة سنة 422هـ/1030 م ، ولي العهد بعد أبيه القادر بالله (393-422هـ/ 1002 - 1030 م) ولقبه بالقائم بأمر الله، وخطب له بذلك في حياته ، كان كثير الصدقة والصبر، مؤثراً للعدل والإحسان وقضاء الحوائج، توفي سنة 467هـ/1074 م. ابن الجوزي: المنتظم، ج15، ص217. السيوطي: تاريخ الخلفاء ، ص379.

النادرة و الفرش و اللحف والعتور والأسرة والأطباء والمستخدمين¹، وجعل فيه الحمامات وبستانا كبيرا فيه مختلف أنواع الثمار².

وقد وصفه ابن جبير حين زار بغداد سنة 580 هـ/1184 م بأنه من جملة الخدمات التي كانت تقدم به جرايات الطعام المتمثلة في الأغذية التي كانت تقدم به فقال (وتتفقداه الأطباء كل يوم اثنين وخميس، ويطالعون أحوال المرضى به، ويرتبون لهم أخذ ما يحتاجون إليه، وبين أيديهم قومة يتناولون طبخ الأدوية والأغذية)³.

وأعاد زرع بستانه بمختلف أشجار الفاكهة ، وكانت تدخر به ما يجرى على المرضى من الأطعمة فزوده بمخازن للأغذية المتنوعة، والفاكهة المجففة ، والسكر⁴، وقد أشار ابن جبير إلى أن البيمارستان كان يقدم به الطعام المجاني للمرضى⁵.

9- بيمارستان تتش السلجوقي بباب الأزج:

وهو من بيمارستانات العصر السلجوقي بباب الأزج⁶، إحدى محلات بغداد وينسب إنشاؤه إلى خمارتكين⁷ خادم تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان⁸، الذي أنشأه سنة 507 هـ / 1113 م⁹، وزود هذا المارستان بالفحم والكسوة ومؤون الطعام والدواء لفترات طويلة¹⁰.

1 - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص416.

2 - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص415-416، مصطفى السباعي: المرجع السابق، ص111.

3 - ابن جبير : المصدر السابق، ص 201.

4 - رعد محمود البرهاوي: المرجع السابق، ص195.

5 - ابن جبير: المصدر السابق، ص201.

6 - باب الأزج: وهو باب محلة كبيرة ذات أسواق كثيرة ومحال كبار في شرقي بغداد. ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج 1، ص 168.

7- خمارتكين : كان خادما للملك تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان بن داود بن سلجوق، قيل كان ثمن خمارتكين هذا في أول شرائه حملا ملحا، وعظم قدره عند السلطان محمد بن ملك شاه ونفذ أمره وكثرت أمواله وبنى عمائر عدة في بغداد، ومات خمارتكين هذا في رابع صفر سنة 508هـ/ 1114 م. ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج2، ص15.

8- تتش بن ألب أرسلان : هو تاج الدولة أبو سعيد تتش بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقماق السلجوقي، ملك دمشق سنة 458 هـ / 1065 م، ثم ملك حلب سنة 468 هـ/ 1025 م، ثم استولى على البلاد الشامية، جرى بينه وبين أخيه ملكشاه مشاجرات أدت إلى المحاربة فقتل سنة 488 هـ/ 1095 م ،ترك الشام لولديه رضوان في حلب ودقاق في دمشق. ابن خلكان: المصدر السابق، ج1، ص295.

9- ابن كثير: المصدر السابق، ج16، ص220.

10- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص302.

وقد ذكر ياقوت الحموي عما بناه الخادم خمارتكين ببغداد وهي المدرسة والمارستان والرباط فقال(وجميع ما ذكرناه في بغداد موجود معمور الآن جار على أحسن نظام ، عليه الوكلاء يجبون أمواله ويصرفونها في وجوها)¹.

وفي النص دلالة واضحة عن رصد الأموال لهذه المؤسسات التنشئية التي أنشأها خمارتكين، ومن بينها المارستان، من أجل أن تستمر في تقديم خدماتها الخيرية. ويبدو أن هذا المارستان التنشئي ظل قائما يقدم الخدمات الطبية إلى مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، وما يؤيد ذلك ما ذكر أن أبا الحسن الدوتائي قد توفي بهذا المارستان سنة 607 هـ/1210 م².

➤ بيمارستان واسط:

أنشأه مؤيد الدولة أبو علي الحسن بن الحسن الرُّحَّجِي البويهِي³، وزير شرف الدولة بن بهاء الدولة، مدير دولة الخليفة القادر سنة 413 هـ/1022 م ، وهو من المارستانات الوقفية في العراق، ويعرف بالمارستان المؤيدي، وأكثر فيه من الأدوية والأشربة والعقاقير ورتب له الخزان والأطباء وغير ذلك مما يحتاج إليه⁴، ووقف عليه الوقوف الكثيرة، وفرض له أموالا تنقل من بيت المال⁵.

➤ بيمارستانات منطقة الجزيرة:

(1)-البيمارستان الفارقي بميفارقين:

ذكر أن سبب بناء هذا المارستان هو أن نصير الدولة بن مروان صاحب ديار بكر في أيام الخليفة القائم بأمر الله (422-467 هـ/1030-1074 م) مرضت ابنة له وتأثر لمرضها كثيرا فنذر إنْ برئت أن يتصدق بوزنها دراهم ، فلما عالجها زاهد العلماء منصور

¹- ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج2، ص15.

²- عبد الحسين مهدي الرحيم : المرجع السابق ، ص303.

³ - مؤيد الدولة أبو علي الحسن بن الحسن الرُّحَّجِي البويهِي: هو مؤيد الملك أبو علي الحسن بن الحسن الرخجي كان شرف الدولة بن بهاء الدولة كان وزير المقتدر سنة 413 هـ/1022 م، وامتدحه مهيار وغيره من الشعراء، واستمر في الوزارة سنتين ثم عزل، وكان عظيم الجاه في زمانه، مات سنة 430 هـ/1038 م وقد قارب الثمانين.ابن كثير : المصدر السابق،ج15 ، ص675.

⁴ - ابن كثير: المصدر السابق،ج15 ،ص594.

⁵ - رعد محمود البرهاوي: المرجع السابق،ص197.

بن عيسى النسطوري وبرئت مما كانت تشكو منه، أشار على نصير الدولة أن يجعل هذه الدراهم التي يتصدق بها تكون في بناء مارستان ينتفع به الناس، ويكون له به أجر عظيم وسمعة حسنة، فأمر نصير الدولة ببناء المارستان بميفارقين، وأنفق عليه أموالاً كثيرة ووقف عليه أملاكاً تدر عليه بأموال طائلة، تجري على مرضى المارستان، وتكفل حاجتهم من الطعام والدواء والكسوة والإقامة اللائقة، وجعل فيه من الآلات وكل ما يحتاج إليه شيئاً كثيراً جداً¹، مما حقق له شهرة كبيرة على صعيد قدرته في تقديم الخدمات الطبية للمرضى كافة، كما اتخذ بهذا المارستان مجلس علمي يترأسه زاهد العلماء ويجب على المسائل و الجوابات².

(2) - بيمارستان الموصل:

ذكر ابن كثير في حوادث سنة 572 هـ/1176 م أن الأمير مجاهد الدين قايماز نائب قلعة الموصل قد بنى (جامعا حسنا ورباطا ومدرسة ومارستانا متجاورات بظاهر مدينة الموصل)³، وأوقف عليه الأوقاف⁴، من غير تفاصيل تتعلق بتلك الوقفيات، أو بطبيعة الخدمات المقدمة، ومهما يكن من أمر فإن عوائد هذه الأوقاف لا تخلوا من أن تكون عينا أو رزقا لمرضى المارستان وإنفاقا في شؤونه المختلفة، وتولى شؤون المارستان الحسن بن علي بن سعيد بن عبد الله علم الدين أبو علي الشاقلاني من طرف جمال الدين بن محمد بن علي بن أبي منصور وزير الموصل، وقد ذكر ابن جبير عندما زار الموصل هذا المارستان (وأمامه مارستان حفيف من بناء مجاهد الدين المذكور)⁵.

➤ بيمارستانات الشام:

- 1 - أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص 198-199.
- 2 - رعد محمود البرهاوي: المرجع السابق، ص 198.
- 3 - ابن كثير: المصدر السابق، ج 16، ص 519.
- 4 - أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص 200.
- 5 - ابن جبير: المصدر السابق، ص 179.

لقد قام بعض الباحثين¹ بإحصاء البيمارستانات الموجودة في بلاد الشام لاسيما في القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني والثالث عشر الميلاديين فأحصيت تسعة بيمارستانات، منها ثلاثة بدمشق، وهي (المارستان الصغير) و(مارستان باب البريد) و(المارستان الكبير النوري) الذي أنشأه السلطان نور الدين محمود، ومنها مارستان حلب ويسمى (النوري) أيضا نسبة إلى منشئه، ومنها مارستان حماة، ومارستان القدس الذي يسمى المارستان الصلاحي نسبة إلى منشئه صلاح الدين الأيوبي، ومارستان عكا الذي أنشأه صلاح الدين أيضا، ومارستان القيمري نسبة إلى منشئه سيف الدين أبي الحسن علي بن يوسف القيمري، ومارستان الجبل بقرية نيرب بالقرب من دمشق².

وهي المؤسسات الصحية التي صرحت المصادر بوجودها ببلاد الشام في تلك الفترة، إلا أنها لم تزودنا بالأخبار الكافية عن تلك البيمارستانات من حيث تاريخ نشأتها، وعن طبيعة الخدمات التي كانت تقدم بها من طرف واقفيها ومنشئها، والأموال المرصودة لها، إلا أن

المصادر قد خصت الحديث عن المشهورة منها مثل البيمارستان النوري الكبير.

البيمارستان النوري الكبير بدمشق:

وقد بني هذا المارستان على مرحلتين، الأولى وتضم البناء الأساسي في عهد نور الدين محمود سنة 549 هـ / 1154 م، والثانية حين وسعه الطبيب بدر الدين بن قاضي بعلبك سنة 637 هـ / 1239 م، وأضاف إليه دورا كانت حوله ليزيد في قدرة إستعبابه للمرضى³، وهو أحد ثلاثة بيمارستانات التي شيدت في دمشق، وهي البيمارستان الدقاقي، و النوري، والقيمري⁴.

وهو أكثر البيمارستانات شهرة، وذلك لإحكام التنظيم فيه، وكثرة الأطباء الذين مارسوا به التطبيب⁵، قال عنه ابن الأثير: (و بنى المارستانات في البلاد ومن أعظمها

1 - أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص ص 229-232.

2 - إبراهيم مراد: بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1981، ص 236.

3 - عبد القادر الريحاني: العمارة العربية الإسلامية خصائصها وأثارها في سورية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي،

دمشق، 1979، ص 109-110.

4 - نفسه، ص 108.

5 - نفسه، ص 236.

البيمارستان الذي بناه بدمشق، فإنه عظيم كثير الخراج، بلغني أنه لم يجعله وقفا على الفقراء فحسب بل على كافة المسلمين من غني وفقير، وكان أبناء صلاح الدين وأهله ليأخذون الأدوية من البيمارستان)¹.

وقد كان ابن أبي أصيبعة (ت: 649 هـ/1251 م) يتردد إلى بيمارستان نور الدين الكبير وله الجامكية والجراية، والناس يقصدونه من كل ناحية لما يجدون في مداواته من سرعة الشفاء وأن أمراضا كثيرة مما تكون مداواتها بالحديد يبرئها بذلك على أجود ما يمكن، ومنها ما يعالجها بالأدوية ويبرئها بها ويستغني أصحابها عن الحديد²، وقد ذكر ابن أبي أصيبعة عن نفسه: (وكان لي أيضا في ذلك الوقت-حوالي سنة 632 هـ/ 1234 م- مقرر جامكية وجراية لمعالجة المرضى في هذا البيمارستان)³.

وقال عنه ابن كثير (وبنى بدمشق بيمارستانا حسنا لم يبين في الشام قبله مثله ولا بعده أيضا)⁴.

وذكر في سبب بناء هذا المارستان أن السلطان نور الدين أسر أحد ملوك الفرنجة في إحدى غزواته فاستشار الأمراء فيه هل يقتله أو يأخذ الفداء فاختلفوا عليه، ثم حسن في رأيه إطلاقه وأخذ الفداء، فحين رجع الملك الأسير مات ببلده، فأعجب نور الدين ذلك، وابتنى من ذلك المال البيمارستان الذي بدمشق⁵.

وكان البيمارستان النوري يقدم الخدمات الطبية من جهة ويعالج المرضى ويأوي إليه من يحتاج منهم إلى إيواء، ويقدم العلاج والأدوية، وفيه جناح للأمراض العقلية، وكان من جهة ثانية مدرسة للعلوم الطبية، حيث تقدم فيه الدروس للطلبة⁶.

وقد رصد له نور الدين الأوقاف والجرايات ومما اشترطه أن من جاء مستوصفا فلا يمنع من شربه، ولهذا لما جاء إليه شرب من شربه، وذكر أن هذا المارستان لم تخمد نار مطبخه منذ بني إلى زماننا هذا أي زمن ابن كثير¹.

¹-ابن الأثير: الباهر، ص 170.

² - إبراهيم مراد: المرجع السابق، ص239.

³ -ابن أبي أصيبعة:المصدر السابق، ص 706.

⁴ -ابن كثير : المصدر السابق، ج16، ص481.

⁵ - ابن كثير : المصدر السابق، ج16، ص486.

⁶ - عبد القادر الريحاني: المرجع السابق، ص109.

وقيل عن وفرة الطعام بهذا البيمارستان أن بعض الناس أصبحوا يمارضون ليدخلوا إليه ويأكلوا و يتمتعوا بأطيب الأطعمة المختلفة التي تجرى على المقيمين به من المرضى².

➤ بيمارستانات مصر:

(1) - بيمارستان ابن طولون أو العتيق:

من البيمارستانات التي أنشأت بمصر مارستان أحمد ابن طولون أو المارستان العتيق ، ويعرف كذلك بالمارستان الأعلى³، تم إنشاؤه سنة 259 هـ/872 م وقيل سنة 261هـ/874 م، ذكر أن مبلغ تكلفته 60000 دينار⁴.

ويعد مارستان ابن طولون أول مارستان أنشأ بمصر ومكان بناءه الفسطاط⁵، وشرط ألا يعالج فيه جندي ولا مملوك إلا المرضى من العامة والمجانين وغيرهم ، وألحق به حمامين أحدهما للرجال والآخر للنساء، وأجرى عليه عوائد مالية تضمن بقاءه ، وكان يتعهدده بنفسه كل يوم جمعة حتى ساءه أحد المجانين فقطع زيارته⁶.

وحبس عليه دار الديوان ودوره في الأساكفة والقيسارية وسوق الرقيق، وشرط إذا جيء بعليل تنزع عنه ثيابه ونفقته وتحفظ عند أمين المارستان ثم يلبس ثيابا ويفرش له ويغذى

1 - ابن كثير: ج16، ص486.

2 - وقد ذكرت المستشرق الألمانية "زيغريد هونكة" في الصفحة 230 قصة فيها من الإخبار عما كان يجري على مرضى البيمارستان النوري بدمشق، من مختلف ألوان الطعام، أن رجلا نبيلًا من نبلاء الفرس جاء مرة لزيارة البيمارستان النوري في دمشق، وكانت له دوما شهوة قوية متجددة للأكل، ولدى زيارته هذه فاحت رائحة الشواء أمامه فملأت منخريه، وسال لعابه، وود في ذات نفسه أن يصبح بأسرع وقت مريضًا عليلاً، فدخل البيمارستان وأتينا يملأ الجو، فعاينه الطبيب طويلاً دون أن يجد فيه علة، فطرح عليه بعض الأسئلة، وأيقن أنه أمام جشع ونهم، علته في بطنه، فحوله إلى قسم الأمراض الداخلية، ووصف له الطبيب هناك شيئاً من العسل مع كبد الطيور، والكم - فطريات جذرية - المقلي، وقليلًا من المربيات والليمون، وكل أنواع الحلوى المسيلة لللعاب مرتين يوميًا، ولم تكد تمضي ثلاثة أيام حتى ضعفت مقاومة المريض وأصبحت معدته في خطر، عندئذ قال له الطبيب: لقد تمتعت يا صاحبي بالضيافة العربية أيامًا ثلاثة فإذهب الآن في سلام الله ، وليكن الشفاء حليفك.

3 - أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص68.

4 - ابن كثير: المصدر السابق، ج14، ص590.

5 - المقرئزي : الخطط ، ج4 ، ص267.

6 - نفسه ، ج4 ، ص267 . جرجي زيدان: المرجع السابق ، ج3، ص208-209. فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص197.

ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ، فإذا أكل فروجاً ورغيفاً أمر بالانصراف ، وأعطى ماله وثيابه¹.

ويبدو أن العوائد المالية للأوقاف المرصدة لهذا المارستان كانت كثيرة ومتنوعة، بين أسواق وقياسريات ودكاكين وحمامين ودور لضمان إيرادات دورية تضمن استمرار الخدمات الطبية لمرضى المارستان.

أما البند الوارد في شروط الواقف بالأعلى يعالج فيه جندي ولا مملوك ، فهو رغبة الواقف ألا تحتكر خدمات المستشفى من قبل المتسلطين، ويحرم منها من هم في حاجة ماسة لتلك الخدمات من العامة والمعوزين.

و قد ظل مارستان ابن طولون يقدم الخدمات الطبية للمرضى حتى بعد انتهاء الدولة الطولونية ، فقد زاره الخليفة الفاطمي الظاهر²، وتقد المجانيين فيه، وأعطى لكل مريض 50 درهما وللمشرف عليهم 500 درهم، وأوصى برعايتهم وتقديم الطعام والدواء لهم³.

(2) - البيمارستان الأسفل:

شيده كافور الإخشيدي بالفسطاط سنة 346 هـ/957 م بمصر، وحبس عليه جميع ما بناه من قيسارية ودور وحوانيت وميضأتين وسقايتين وأكفان الموتى، وكان في هذا البيمارستان من الأزيار الصيني والقذور والنحاس والطسوت ، وغير ذلك ما يساوي ثلاثة آلاف دينار، ونقل إليه من البيمارستان الأعلى الذي بناه أحمد ابن طولون أضعاف ذلك⁴.

وظل هذا المارستان يقدم الخدمات الطبية إلى عهد الفاطميين ، والظاهر أنهم استمروا في دعم بيمارستانات العصر السابق لعهدهم⁵.

1 - أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص70.

2 - هو الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علي الحاكم بأمر الله منصور أمه أم ولد تدعى رقية بنت الأمير عبد الله بن المعز ، تولى بعد أبيه المنصور الحاكم بأمر الله، وخلفه ابنه الخليفة معد المستنصر بالله، بويج له بالخلافة سنة 411هـ/1020م، عرفت الدولة في عهده عدة أزمات داخلية ، وانتشرت المجاعة وثورات مناوئة بفلسطين والشام قام بها البدو إلا أنه استطاع أن يعيد الأمور إلى نصابها توفي بالطاعون سنة 428هـ/1036 م. ابن الجوزي: المنتظم ، ج15، ص143. هالينز هالم: الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، ترجمة سيف الدين القصير، دار المدى للثقافة والنشر، ط1 ، دمشق ، 1999م، ص128.

3 - رعد محمود البرهاوي: المرجع السابق، ص204.

4 - أحمد عيسى بك: المصدر السابق، ص74.

5 - رعد محمود البرهاوي: المرجع السابق، ص204-205.

(3) - البيمارستان الناصري أو الصلاحي:

بناه صلاح الدين الأيوبي على قصر للفاطميين سنة 577 هـ/1181 م ، عندما استولى صلاح الدين على مصر سنة 567 هـ/1171 م استولى على القصر واتخذ منه صلاح الدين مارستانا ، وهو المعروف بالمارستان العتيق ، وقيل أن القاعة التي بذلك القصر مكتوب على حيطانها القرآن الكريم، ومن خواصها أنها لا يدخلها النمل لطلسم بها ، ولما قيل ذلك لصلاح الدين قال هذا يصلح أن يكون مارستانا ، وذكر كذلك أن قصر أولاد الشيخ من جملة القصر الكبير كان قاعة فسكنها الوزير صاحب معين الدولة حسين بن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب فعرف به المارستان العتيق¹.

وجعل له صلاح الدين مشاهرة مبلغها مائتا دينار، و غلات ،واستخدم له أطباء وكحالين وجرائحيين وشارفا وعاملا وخذّاما ، ووجد الناس به رفق و نفع ، و قد أخبر ابن جبير عن هذا المارستان عندما زار القاهرة سنة 578 هـ /1182 م، وذلك في زمن صلاح الدين، وعن جريات الطعام التي كانت تجرى على المرضى على النحو الذي يليق بهم) ومما شاهدناه في مفاخر هذا السلطان ، المارستان الذي بمدينة القاهرة، وهو قصر من القصور الرائعة، حسنا و اتساعا، أبرز لهذه الفضيلة تأجرا واحتسابا ، وعين قيما من أهل المعرفة، وضع لديه خزائن العقاقير ومكنه من استعمال الأشربة وإقامتها على اختلاف أنواعها ، ووضعت في مقاصير ذلك القصر أسرة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسى ، وبين يدي ذلك القيم خدمة يتكفلون بتققد أحوال المرضى بكرة وعشية، فيقابلون من الأغذية والأشربة بما يليق بهم)² .

خامسا - مجانية العلاج و الخدمات في المارستانات الإسلامية:

فقد كانت المارستانات الإسلامية تقدم العلاج للمرضى الوافدين إليها بالمجان، فإذا اكتشف الطبيب الذي يقوم بالفحص الأولي أن المريض بحاجة لأن يقيم بالمارستان، يجعل له بطاقة شخصية يسجل فيها الطبيب تشخيصه للمرض، وتصويراته حول أساليب العلاج، وتبقى معه هذه البطاقة طيلة إقامته بالمارستان.³

¹ - أحمد عيسى بك ، ص76- 77.

² - ابن جبير : المصدر السابق، ص26.

³ - ابن جبير: المصدر السابق، ص26. ابن كثير :المصدر السابق، ج11، ص 138.

ويتحمل المارستان كل نفقات العلاج المتعلقة بالمريض وطعامه وشرابه وما يلزمه من الدواء طيلة إقامته بالمارستان، وعند خروجه منه يعطى مبلغاً من المال يعتمد عليه حتى يبرأ، ويتمكن من التكسب¹.

وهناك من الأطباء المسلمين من جعلوا بيوتهم أشبه بالمارستان لمعالجة المرضى دون مقابل مثل الطبيب الطيب القطيعي أبو عبد الله، فقد كان بيته ملجأً للمرضى الضعفاء فيعمل على علاجهم، ورعاية صحتهم، وإطعامهم بالمجان وإعطائهم الأموال التي يستعينون بها².

وكان المريض المقيم بالمارستان يعالج مجاناً ويتولى المارستان نفقات العلاج والطعام له، فيخصص للمريض المقيم بالمارستان سرير مفروش بأفرشة لائقة، ويعطى الدواء الذي وصفه له الطبيب، و الغذاء الذي يناسب حالته الصحية، فيقدم له لحوم الأغنام والأبقار والطيور والدواجن، وكان يمنع من الأطعمة التي لا تناسبه³.

وقد كان الخلفاء والأمراء يتفقدون أحوال المرضى المقيمين بالمارستانات بأنفسهم⁴، فقد كان مجاهد الدين قايماز⁵ يدخل إلى المارستان الذي بناه بالموصل ويقف على أحوال المرضى، ويسأل عن ظروف إقامتهم، وما يشتهونه من الأطعمة، وكان يتفقد داره التي أقامها للمرضى والعميان، وقرر لهم ما يحتاجون إليه كل يوم ، وكان يأتيهم بنفسه في يوم

¹ - محي الدين عبد الواحد بن علي التيمي المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، (د،ت)، ج1، ص287.

² - التتوخي أبو علي المحسن بن علي القاضي: الفرج بعد الشدة، تحقيق عبود الشالحي، بيروت للطباعة والنشر، بيروت ، 1978 ، ص309.

³ - الرازي أبو بكر محمد بن زكريا: الحاوي في الطب، تحقيق هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2002 ، ص272.

⁴ - المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص287.

⁵ - مجاهد الدين قايماز: هو أبو منصور قايماز بن عبد الله الزيني، الملقب مجاهد الدين الخادم، كان عتيق زين الدين أبي سعيد علي بن بكتكين والد الملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل ، قدمه معتقه وجعله أتابك أولاده ،وفوض إليه أمور إربل سنة 559 هـ/1163 م، فأحسن السيرة وعدل في الرعية، وكان كثير الخير والصلاح بنى بإربل مدرسة وخانقاه ،وأكثر وقفهما، ثم تولى الموصل سنة 571 هـ/1175 م، ووقف أموالاً كثيرة ، وأنشأ مكتبا للأيتام ، وأجرى عليهم جميع ما يحتاجون إليه. ابن خلكان: المصدر السابق، ج4 ، ص ص82-84.

الاثنين والخميس، ويزور كل واحد منهم في بيته ويسأله عن حاله، ويتفقده بشيء من النفقة، و يباسط المرضى ويمزح معهم ، ويجبر قلوبهم¹.

وكذلك كان عليه الأمر بالمارستان الذي بناه السلطان صلاح الدين بمدينة القاهرة الذي كان بمثابة قصر من القصور الرائقة حسنا واتساعا، وضعت به الأسرة التي يتخذها المرضى كمضاجع كاملة الكسى، وجعل فيه خدمة يتكفلون بتفقد أحوال المرضى ويعطونهم من الأغذية و الأشربة التي تليق بهم².

وقد كان يعالج أصحاب الأمراض العقلية والنفسية مجانا، فقد ذكر أن عبد الغافر السروستاني³ غلب عليه العشق حتى حمل إلى المارستان ببغداد وقيده، وظل مقيما به حتى عفي مما ابتلي به⁴.

وقد كان ببعض مرافق بيمارستان صلاح الدين بالقاهرة موضع متسع الفناء فيه مقاصير عليها شبابيك الحديد اتخذت كمحابس للمجانين، ولهم من يتفقد أحوالهم ويقابلها بما يصلحها، وقد كان السلطان صلاح الدين يتابع تقديم تلك الخدمات بنفسه⁵.

وقد كان أطباء المارستان يحصلون على أجور من الدولة لقاء عملهم ،أو من العوائد المالية التي يتحصل عليها المارستان من أموال الأوقاف، وكانت هذه الأجور تتماشى مع المرتبة العلمية لكل طبيب وهي تتراوح بين خمسة عشرة وخمسة وعشرين دينارا في الشهر بالإضافة إلى بعض الخدمات الثانوية التي يؤمنها المارستان للطبيب المنتمي إليه مثل السكن وعلف الدابة ، وقد تبارى كثير من الأطباء في معالجة المرضى المعوزين مجانا، فضلا عن الخدمات المجانية التي كان يقدمها المارستان⁶.

سادسا-اهتمام الوزراء والأمراء والعلماء والصالحين ببناء المارستانات والجراية عليها:

1- الوزراء:

من الوزراء الذين اهتموا بإنشاء المارستانات والإنفاق عليها لتقديم الخدمات الصحية للعامة ، وإرصاد الأوقاف التي تؤمن العوائد المالية للإنفاق على تلك المارستانات:

¹ -ابن خلكان، ج 4 ، ص116.

² - ابن جبير: المصدر السابق ، ص26.

³ - السروستاني: هو عبد الغافر السروستاني من أهل فارس ، تفقه بالنظامية ببغداد، كان أديبا فاضلا عفيفا مستورا، غلب عليه العشق حتى حمل إلى المارستان وظل به إلى أن عفي مما ابتلي به، ولم يبق بعد ذلك ببغداد خجلا. السبكي: المصدر السابق، ج 7، ص173.

⁴ - السبكي: المصدر السابق، ج 7، ص173.

⁵ - ابن جبير:المصدر السابق، ص26.

⁶ - ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 243.

أ)-الوزير محمد بن علي بن خلف¹:

وزير القادر بالله (393-422 هـ / 1002-1030 م) ²الذي وزر له ما بين سنة (401 - 407 هـ/1010- 1016م)وقد كان واسع النعمة، جزيل العطاء ، كثير المحاسن، وكانت له أموالا عظيمة³، وكانت جوائزه متواترة على العلماء والصلحاء، من حسنات أعماله أنه أنشأ مارستانا عظيما ببغداد⁴ كصدقة جارية للمسلمين⁵، وعمر هذا المارستان، ودارا بناها بأعلى الحريم الظاهري يقال لها الفخرية التي أقامها للعباد⁶ ، وكانت له مصنفات منها(الفخري في الجبر والمقابلة)⁷ و(الكافي في الحساب)،وكان ممدوحا جوادا⁸.

ب)-الوزير أبو منصور عبد الملك بن محمد بن يوسف⁹:

كان أوجد زمانه في فعل المعروف، والقيام بأمر العلم والنصرة لأهل السنة، والقمع لأهل البدع، وافتقاد المستورين بالبر، ودوام الصدقة، وكان إذا وصل أحدا بالصدقة وصله سرا حيث لا يراه أحد¹⁰.

¹ - محمد بن علي بن خلف: هو أبو غالب بن علي بن خلف الملقب بفخر الملك ، وزير بهاء الدولة أبي نصر عضد الدولة بن بويه، ويعد وفاته وزير لابنه سلطان الدولة أبي شجاع فناخسرو، كان من أعظم وزراء آل بويه على الإطلاق بعد أبي الفضل محمد بن العميد صاحب بن عباد، أنشأ المارستان وعمره، كان واسع النعمة، فسيح مجال الهمة، جم الفضائل، جزيل العطايا والنوال، كثير المحاسن ، لم يزل في عزة وجه، إلى أن نقم عليه مخدمه سلطان الدولة أبي شجاع فناخسرو ، فحبسه ثم قتله، وكان ذلك سنة 407هـ/1016م ،لما قتل كان عمره اثنين وخمسين سنة ، وصودرت له أموالا عظيمة فأخذوا له جواهر ونفائس وألف ألف دينار.ابن الجوزي : المنتظم ،ج15،ص124. ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص ص 124-126.

² - القادر بالله:هو أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر ، ولد سنة 336 هـ /947 م، ببيع له بالخلافة بعد خلع الطائع ،كان القادر من الستر والديانة والسيادة وإدامة التهجذ بالليل ، وكثرة البر والصدقات ، وحسن الطريقة ، مع حسن المذهب وصحة الاعتقاد ، تفقه على العلامة أبي بشر الهروي الشافعي، توفي سنة 422 هـ/1030م عن سبع وثمانين سنة، وكانت خلافته إحدى وأربعين سنة وثلاثة شهور.السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ص375- 378.

³- ابن خلكان: المصدر السابق، ج15،ص125.

⁴- الذهبي: سير أعلام النبلاء: المصدر السابق، ج17،ص283.

⁵- مؤمن أنيس عبد الله البابا:المرجع السابق،ص37.

⁶- ابن الجوزي: المنتظم، ج15،ص124.

⁷- الصفدي ج4،ص88. الذهبي : العبر في أخبار من غير، ج3،ص99. ابن العماد:المصدر السابق، ج3،ص183.

⁸- الصفدي: المصدر السابق، ج4، ص 88.

⁹- الوزير عبد الملك بن محمد: هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن يوسف الملقب بالشيخ الأجل ،ولد سنة 395 هـ/1004 م ، لم يكن في زمانه من يخاطب بالشيخ الأجل إلا هو كان أوجد زمانه في فعل المعروف ، والقيام بأمر العلم ، وكان مقدما عند السلاطين، وكان كثير الصلات والخير، والأفضال على أهل العلم والقيام بأمرهم والتحمل لمؤنهم ، والاهتمام بمصالحهم . الخطيب البغدادي: المصدر السابق، ج12،ص192. ابن الأثير: الكامل ، ج8 ، ص 381. ابن كثير: المصدر السابق، ج16،ص16.

¹⁰ - ابن الجوزي: المنتظم، ج16، ص ص 107-109.

كان من أعيان زمانه ، فمن حسن أفعاله أنه تسلم المارستان العضدي، وكان قد اندثر واستولى عليه الخراب ،¹ فتولى المارستان وهو لا يوجد فيه دواء ولا طبيب، والمرضى ينامون على بوارى النقض²، فجد في عمارته ، وجعل فيه ثمانية وعشرين طبيا وثلاثة من الخزان واشترى له أملاكا نفيسة بعد أن كان ليس به طبيب ولا دواء³، لذلك كان يوم موته يوما مشهودا حضره خلق كثير من الناس يتعذر تقدير عددهم⁴.

(ج)- مؤيد الملك أبي علي الحسن بن الحسين الرُخَجي⁵:

وَزَرَ لشرف الدولة بن علي بن بهاء الدولة سنتين ثم عزل ، كان عظيم الجاه في زمانه⁶، وقد خلت واسط في زمانه من المارستانات وهي من الأمصار الكبيرة ، وتجاورها البطائح وأعمالها ، فاخترار موضعا فجعله مارستانا⁷. ورتب فيه الأشربة والأدوية والأطباء ، وغير ذلك مما يحتاج إليه⁸، وانفق عليه جملة وافرة ، ووقف عليه الأوقاف الكثيرة⁹.

2 - الأُمراء :

(أ)- سيف الدين أبو الحسن علي بن يوسف القيمري¹⁰:

كان أميرا كبيرا محتشما ، شجاعا من الأبطال المذكورين بالفروسية¹¹، كان أكبر الأُمراء في آخر عمره¹²، صاحب المارستان بالصالحية بدمشق ، كان من جلة الأُمراء

1 - ابن الأثير: الكامل ، ج 8 ، ص 381.

2 - ابن الجوزي: المنتظم، ج 8، ص 109.

3 - ابن الأثير: الكامل ، ج 8 ، ص 381.

4 - ابن كثير: المصدر السابق، ج 16، ص 16.

5 - مؤيد الملك الحسن بن الحسين الرخجي: هو أبو علي مؤيد الملك الحسين بن الحسن الرخجي، وزر لشرف الدولة ابن علي بن بهاء الدولة أحد ملوك بني بويه، لمدة سنتين، ثم عزل، كان عظيم الجاه في زمان ، توفي سنة 430هـ/1038م وقد قارب الثمانين. ابن الجوزي: المنتظم، ج 15، ص 269. ابن الأثير: الكامل ، ج 8 ، ص 231. ابن كثير: المصدر السابق، ج 15، ص 675.

6 - ابن كثير: المصدر السابق، ج 15، ص 675.

7 - ابن الجوزي: المنتظم، ج 15، ص 269.

8 - ابن كثير: المصدر السابق، ج 15، ص 675.

9 - ابن الجوزي: المنتظم، ج 15، ص 269.

10 - سيف الدين القيمري: هو سيف الدين أبو الحسن علي بن يوسف بن أبي الفوارس بن موسك القيمري، وهو ابن أخت صاحب قيمر، صاحب المارستان بجبل قاسيون ، كان من أكبر الأُمراء القيمرية، وأعظمهم مكانة ، وجميع أكراد القيمرية وغيرهم كانوا يتأدبون ويقفون في خدمته ، وهو أجل الأُمراء مرتبة ، وكانت وفاته سنة 653هـ/1255 م.الذهبي:تاريخ الإسلام، ج 48، ص 148.ابن كثير:المصدر السابق، ج 17، ص 345.ابن تغري بردي:النجوم الزاهرة، ج 7، ص 35.النعيمي:المصدر السابق، ج 1، ص 339.ابن العماد:المصدر السابق، ج 7، ص 450.

11 - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 48، ص 148.

12 - ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج 7، ص 35.

وأبطالهم ، وصلحائهم المشهورين¹، كان ذا مال كثير وثروة ، ومن أكبر حسناته وقف
المارستان الذي بسفح جبل قاسيون² .

(ب) -شركوه بن محمد الكامل:

صاحب حمص بنى بها مارستانا ، ورتب فيه الأدوية والأطباء ، ووقف عليه الأوقاف
العظيمة التي تضمن عوائد مالية لاستمرار الخدمات الطبية به ، وقد أعاد ترميمه بعد
الخراب الذي حل به³ .

(ج) -بعض الأمراء الأغالبة: من الأمراء الأغالبة الذين اهتموا ببناء المارستانات :

-الأمير زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم الأغلبي(ت: 304 هـ/916 م):

و كان الأمير زيادة الله الأغلبي⁴ أحد الأمراء الأغالبة بالقيروان هو وأبيه ، وهم الذين
بنوا حصون القيروان⁵ ، فقد أنشأ هذا الأمير مارستانا بالمغرب الأدنى في تونس القديمة
كما بنى الأمير أبو إبراهيم أحمد الأغلبي مارستانا لعلاج المرضى بالمغرب الأدنى
بتونس على مرفأ البحر المتوسط⁶.

(د) -جوهر الصقلي(ت: 381 هـ/919 م):⁷

¹ - ابن العماد: المصدر السابق، ج7، ص450.

² - ابن كثير: المصدر السابق، ج17، ص345.

³ - ابن العديم كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة : بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت،
1988، ج1، ص391.المقريزي: السلوك، ج1، ص350.

⁴ - زيادة الله الأغلبي: هو أبو نصر وقيل أبو منصور زيادة الله بن عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب بن إبراهيم
بن سالم بن عقال بن خفاجة ، وهو زيادة الله الأصغر وجده زيادة الله الأكبر ابن أمير القيروان ، فقد كان هو وأبوه من أمراء
القيروان ، وهو آخر أمراء بني الأغلب بإفريقية ، حارب المهدي الذي ظهر بالقيروان ، ثم عجز عنه، فورد منهزما إلى مصر سنة
296هـ/ 908 م، فأكرم وقيل إلى دمشق مجتازا إلى بغداد سنة 302 هـ /914 م، ومات غريبا بالرقعة وقيل بالرملة ، وقيل حمل
تابوته إلى القدس الشريف ودفن هناك.ابن خلكان: المصدر السابق: ج2 ، ص193. الذهبي: العبر في خبر من غير، ج1،
تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1984، ص431. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج23،
ص22 . ابن العماد: المصدر السابق، ج3، ص213.ابن عذاري المراكشي:البيان المغرب في أخبار المغرب، تحقيق ج.س كولان
و إلفي بروفسال،بيروت، دار الثقافة، ط3، 1983، صص 146 - 149.

⁵ - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج23 ، ص141.

⁶ - كمال السامرائي: المرجع السابق، ص655.

⁷ - جوهر الصقلي: هو أبو الحسن جوهر بن عبد الله المعروف بالكاتب الرومي كان من موالى المعز بن المنصور بن القائم بن
المهدي صاحب إفريقية ، كان محسنا للناس ، بنى جامع الأزهر سنة 361 هـ/ 921 م، كان معتقد العبيدية، كان عالي الرتبة
نافذ الكلمة، لما حظي به عند المعز، حسن السيرة في الرعية، توفي سنة 381 هـ/991 م. ابن خلكان: وفيات الأعيان ، ج1
، ص375. أبو محمد عبد الله المكي: مرآة الجنان، ج2، ص309. الصفدي:الوافي بالوفيات، ج11، ص172.ابن كثير :

جوهر القائد أبو الحسن الرومي، مولى المعز بالله، وأتابك جيشه و ظهيره، ومؤيد دولته، وموطئ الممالك له، وكان عاقلا سائسا، حسن السيرة في الرعية ، عبيديا على دين موليه¹، فقد كان مهتما بالمارستان الفاطمي بالقاهرة، فكان يزور مرضى المارستان، ويتقدمهم، وأوقف عليه الأوقاف الكثيرة التي تدر أموالا وافرة لضمان استمرار الخدمات الصحية به، فكان محسنا للناس، فلما مات لم يبق شاعر إلا رثاه².

هـ)- المهدي بن تومرت (485 - 525 هـ / 1092 - 1130 م)³:

فقد عمل المهدي بن تومرت المؤسس الروحي لدولة الموحدين في المغرب على إنشاء مارستان ضخم لمداواة المرضى ، وتقديم الخدمات الصحية للمتريدين على هذا المارستان⁴.

3- مساهمة العلماء والصالحين في بناء المارستانات والجراية عليها:

فقد كان للعلماء والصلحاء دور ومساهمة في بناء المارستانات ،و تقديم الأموال والأوقاف لبناء المؤسسات الصحية ، لذلك لم يقتصر الأمر على الخلفاء والملوك والوزراء والأمراء فحسب، فقد ساهم العلماء والصلحاء من الصوفية وغيرهم، من أهل اليسار والثراء ببناء المارستانات أو تزويدها بالأطباء والأدوية⁵، مثل الشيخ الصالح علي بن عثمان السليماني المعروف بابن السايق⁶.

المصدر السابق: ج15 ، ص441.الذهبي: العبر: ج2، ص158.الذهبي : تاريخ الإسلام ،ج27 ، ص32. ابن العماد: المصدر السابق، ج2، ص424.

¹- الذهبي: العبر، ج2، ص158.

²- أبو محمد عبد الله المكي : مرآة الجنان، ج2، ص309.

³ - المهدي بن تومرت: هو محمد بن عبد الله بن تومرت المصمودي البربري المدعي أنه علوي حسيني ، وأنه المهدي، صاحب دعوة عبد المؤمن بن علي بالمغرب وهو من جبال السوس ، نشأ هناك ثم رحل إلى المشرق طالبا للعلم فانتهى إلى العراق ، واجتمع بأبي حامد الغزالي والهراسي والطرطوشي وغيرهم، وأقام بمكة ، وحصل طرفا من علم الشريعة والحديث النبوي وأصول الفقه والدين ، وكان رجلا ورعا في الجملة زاهدا متقشفا شجاعا جلدا عاقلا عميق الفكر محبا للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد، لكن جره إقدامه وجرأته إلى حب الرياضة والظهور، فادعى المهودية ، وتوج مسعاه بقيام دولة تقوم على ما دعا إليه، توفي سنة 525 هـ / 1130 م. ابن خلكان: المصدر السابق، ج5، ص45.الذهبي: العبر، ج2، ص421.

⁴- ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص519-520. مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص39.

⁵- الصفدي: المصدر السابق، ج21، ص199. مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص40.

⁶ - علي بن عثمان : هو علي بن عثمان بن يوسف بن عبد الوهاب ، الرئيس علاء الدين بن العدل شرف الدين الدمشقي التغلبي الكاتب ابن السايق، شيخ جليل بديع الخط، له فضل وأدب وشعر ، نسخ كتبا كثيرة، روى عن الرشيد بن مسلمة، حصل له

ومنهم من أجرى على المارستانات الجرايات العينية لفترة طويلة بالفحم والثياب والمؤمن الغذائية¹، ومن الأطباء الذين اشتهروا بإنشاء المارستانات وتوسيعها وتحسين الخدمات بها، الطبيب الشهير بدر الدين بن المظفر ، حيث يذكر ابن أبي أصيبعة عن حسنات هذا الرجل فقال : (التي تبقى مدى الأيام ، ونال بها المثوبة أوفر الأقسام ، إنه لم يزال مجتهدا حتى اشترى دورا كثيرة ملاصقة للمارستان الكبير الذي أنشأه نور الدين محمود زنكي رحمه الله، وتعب في ذلك تعباً كثيراً واجتهد بنفسه...حتى أضاف هذه الدور المشتركة إليه ، وجعلها من جملة ، وكبر بها قاعات كانت صغيرة للمرضى وبنائها أحسن البناء ، وشيدها وجعل فيها جاريا فتكمل بها البيمارستان وأحسن في فعل ذلك غاية الإحسان)².

ومن أهل الخير والصلاح أيضا الذين ساهموا في أعمال البر المتعلقة بالرعاية الصحية مظفر الدين أبو سعيد كوكبري بن علي بن بكتكين بن محمد التركماني صاحب إربل وابن صاحبها ، كان محبا للصدقة³ ، كان يفرق في اليوم قناطير من الخبز على الفقراء، ويكسوهم ويعطيهم دينارا أو دينارين ، و بنى أربع خوانق للزمنى والعميان وملاها من هذين الصنفين وقرر لهم ما يحتاجون إليه كل يوم ، وكان يأتيهم كل اثنين وخميس، ويسأل كل واحد عن حاله ويتفقده، ويباسطه ويمزح معه، وبنى دارا للنساء، ودارا للأيتام ودارا للقطاء، ورتب لهم المراضع ، وكل مولود يلتقط يحمل إليهن فترضعه ، وأجرى على أهل كل دار ما يحتاجون إليه في كل يوم، ويتفقد أحوالهم ، ويعطيهم النفقات زيادة على المقرر لهم ، وكان يدور على مرضى المارستان ويزودهم بكل ما يحتاجونه من الأدوية والأطعمة⁴.

صمم ، وكان إذا حدث يكتب له في الأرض أو الهواء فيعرف، توفي ستمائة وثمانية وتسعين. الصفدي: المصدر السابق، ج21، ص 199.

¹ - ابن أبي أصيبعة : المصدر السابق، ص 302.

² - نفسه : ص 751.

³ - إلا أن ياقوت الحموي له رأي آخر في طباع هذا الأمير، فقال (وطباع هذا الأمير مختلفة متضادة فإنه كثير الظلم عسوف بالرعية ، رغبا في أخذ الأموال من غير وجهها ، ومع ذلك مفضل على الفقراء ، كثير الصدقات على الغرباء يسير الأموال الجمة الوافرة يفتك بها الأسارى من أيدي الكفار). ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج1، ص 138.

⁴ - ابن خلكان : المصدر السابق، ج4، 116-117. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج22، ص 334-335.

ومن الصلحاء الذين عرفوا باهتمامهم بالرعاية الصحية وبناء المارستانات باتكين أبو الفضل الناصري¹، قدم بغداد صبيا سنة 574 هـ / 1178م، وتأدب وأحب الفضيلة ، وتأمر وأقطع البصرة في الأيام الناصرية ، وأثر بها الآثار الجميلة ، وبنى المدارس وجدد جامعها ، وبنى المارستان والرباط².

ومن أهل الصلاح الذين عرفوا بمساهماتهم في هذا الأمر نظام الملك أبو علي الحسين بن أحمد بن محمد بن شاذان البغدادي(ت:426 هـ/1034 م)³الذي بنى في كل مدينة بالعراق أو خراسان مارستانا ، وزوده بما يحتاج إليه من الأدوية اللازمة⁴.

ومن الصلحاء كذلك الذين دأبوا على أفعال البر،نائب خلاط⁵ علي بن حماد،وهو الأمير حسام الدين الحاجب⁶ ، الذي كان متولي على خلاط نيابة عن الأشرف موسى

¹ - باتكين أبو الفضل الناصري: هو باتكين الأمير أبو الفضل الناصري تأمر على البصرة في الأيام الناصرية، اشتهر ذكره ثم ولي سلطنة إربل فتوجه إليها وعدل في أهلها، وكان ذا دين وخير ، ولما أخذ التتار إربل قدم بغداد ولزم بينه إلى أن توفي سنة 640 هـ / 1242 م، سمع الحديث من أبي عبيدة ، وأحمد بن سكينه ، وسمع منه جماعة، وكان يحفظ القرآن. الصفدي: المصدر السابق، ج10، ص41.

² - الصفدي: المصدر السابق، ج10، ص41.

³ - ابن شاذان: هو الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران أبو علي بن شاذان البزاز ، أحد مشايخ الحديث ، صحيح السماع، سمع الكثير ، وكان ثقة صدوقا، كان أشعري المذهب ، ولد ببغداد سنة 337 هـ / 948 م، وذكر الذهبي أنه كان في 339 هـ/950 م، ذكر أنه جاءه يوما شاب غريب ، فقال له: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقال لي: اذهب إلى علي بن شاذان فسل عنه ، وأقرأه مني السلام ، ثم انصرف الشاب ، فبكى الشيخ وقال: ما أعلم لي عملا استحق به هذا، غير صبري على إسماع الحديث ، وصلاتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما ذكر، ثم توفي بعد شهرين أو ثلاثة أشهر من هذه الرؤيا، في محرم من سنة 426 هـ/1034 م عن سبع وثمانين سنة.ابن الجوزي: المنتظم،ج15،ص250.أبو محمد اليافعي المكي:المصدر السابق،ج3،ص35.ابن كثير:المصدر السابق،ج15،ص656.

⁴ - السبكي:المصدر السابق، ج4،ص314.

⁵ - خلاط: بلدة عامرة مشهورة ، ذات خيرات واسعة وثمار يانعة ، طولها أربع وستون درجة ونصف وثلاث، وعرضها تسع وثلاثون درجة ونصف وثلاثان ، وهي قصبه أرمينيا الوسطى ، فيها الفواكه الكثيرة ، والمياه الغزيرة، بها بحيرة عجيبة،ليس لها في الدنيا نظير جعلها الكلبى من عجائب الدنيا، معروفة ببردها في الشتاء فإنها عشرة أشهر لا يكون فيها ضفدع ولا سرطان ولا سمكة ، ثم لا يظهر بها سمك لمدة شهرين في كل سنة . ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2،ص380-381.

⁶ - حسام الدين الحاجب: هو علي بن حماد المعروف بالأمير حسام الدين الحاجب متولي خلاط نيابة عن الأشرف موسى ، كان بطلا شجاعا خبيرا سياسيا، ساءت صلته بالأشرف موسى، فأرسل إليه مملوكه عز الدين أيبك ، وأمره بالقبض عليه، وقتله غيلة، قال ابن الأثير :ولم نعلم شيئا يوجب القبض عليه، وكان مشفقا عليه ناصحا له،حسن السيرة ، وحمى خلاط من جلال الدين خوارزم شاه ، ونازله وأخذ خلاط، بنى بها جامعا وبيمارستانا، كان مقتله سنة 626 هـ / 1228م. ابن الأثير: الكامل، ج10، ص483. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج45، ص256.الصفدي: المصدر السابق، ج21،ص47.

كان بطلا شجاعا ، خبيرا سياسيا¹، و كان كثير الخير لا يمكن أحدا من ظلم ، وعمل كثيرا من أعمال

البر ، من الخانات والمساجد، بنى بخلاط جامعا ومارستانا².

ومن المساهمين كذلك الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو سعد عبد الملك بن أبي عثمان محمد بن إبراهيم الخركوشي³ النيسابوري وخركوش⁴ سكة بنيسابور⁵، الزاهد الواعظ القدوة ، صنف كتاب (الزهد) و كتاب (دلائل النبوة) وغيرها من تصانيفه⁶، أحد المشهورين بأعمال البر والخير ، وكان عالما فاضلا زار العراق والحجاز ومصر، وأدرك العلماء والشيخ، بذل النفس و أجرى الأموال للمنقطعين الغرياء والفقراء، وبنى دارا للمرضى (مارستانا)⁷ بعد أن خربت الدور القديمة لهم بنيسابور ، وعين لهم جماعة من أصحابه يقومون بتمريضهم ، ووفر لهم الأطباء وما يحتاجونه من الأدوية⁸.

كما كان إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن أبي الوقار التنوخي الدمشقي الصوفي⁹

من

المهتمين بشؤون الرعاية الصحية، لذلك فقد اهتم بأمر الإشراف والمتابعة على المارستان الناصري، وقد كان من أصحاب البيوت المجاورة للبيمارستان، وظل ملازما له إلى أن توفي

سنة 646 هـ / 1248 م¹.

1 - الصفدي: المصدر السابق، ج21، ص47.

2 - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج45، ص256.

3 - الخركوشي: هو عبد الملك بن أبي عثمان محمد بن إبراهيم أبو سعد الخركوشي النيسابوري، الخركوشي نسبة إلى خركوش ، كان عالما زاهدا، مشهورا بعمل البر والخير، تفقه في حداثه سنة على مذهب الإمام أبي حنيفة جاور الحرم، وصاحب العباد الصالحين، قال الحاكم: لم أر أجمع منه علما وزهدا ، وتواضعا وإرشادا لله تعالى، بنى مارستان بنيسابور ووقف عليه الأوقاف الكثيرة، توفي سنة 406 هـ / 1015 م، وقيل سنة 407 هـ / 1016 م. الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج17، ص256. ابن العماد: المصدر السابق، ج5، ص47. ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج2، 361. السمعاني: المصدر السابق، ج5، ص9493.

4 - خركوش: بالفارسية أذن الحمار، وهي سكة كبيرة بنيسابور. ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج2، 360.

5 - الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج17، ص256.

6 - ابن العماد: المصدر السابق، ج5، ص47.

7 - ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج2، 361.

8 - السمعاني: المصدر السابق، ج5، ص9493.

9 - إسماعيل بن أحمد التنوخي الدمشقي الصوفي: هو إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن أبي الوقار التنوخي الدمشقي الصوفي ، سمع من الخشوعي، وعبد اللطيف بن أبي سعد، ومن مصر من البصري، وسكن مصر وولي البيمارستان، وكان من ذوي البيوتات المجاورة للبيمارستان، توفي سنة 646 هـ / 1248 م. الذهبي: تاريخ الإسلام، ج47، ص307.

ومما سبق يتضح لنا أن البيمارستانات في الإسلام كانت بسيطة في العصر الأموي ، ثم توسعت وأضيفت لها بعض مستلزمات خدمات التمريض، حتى أصبحت بعد قرن من الزمن تتوفر بها التسهيلات التي يريدها المريض، من علاج وطعام وشراب وثياب، فتوسعت وزودت بالعقاقير والأطباء البارزين، وقد شارك في بنائها أهل البر والإحسان، لأنها كانت مظهرا من مظاهر أعمال البر والخير.

أن البيمارستانات في العصر العباسي شهدت تطورا كبيرا، وذلك لاهتمام الخلفاء والسلطين بالعلوم الطبية والرعاية الصحية، إذ تبارى الخلفاء والسلطين والأمراء والأعيان والميسورون على إنشاء البيمارستانات، وأوقفوا لها الأوقاف الكثيرة، مما ساهم في تطور الخدمات الصحية بالبيمارستانات، وتنظيم العمل بها، وقسمت إلى أقسام خاصة وعامة يرتادها مختلف فئات المجتمع، سواء كانوا مسلمين أم ذميين أغنياء أم فقراء صغارا أم كبارا.

ولما انتشرت البيمارستانات في مختلف أمصار البلاد الإسلامية لا سيما في عاصمة الخلافة بغداد كان ذلك سببا في نشأة المدارس الطبية، وظهور التخصص في فروع الطب وعلومه، فأصبح في البيمارستان الواحد يوجد به الجراحية والكحالة و الطبائعيون والمجبرون والنفسانيون وغيرها من التخصصات الطبية.

كما اعتمدت البيمارستانات على مجانية العلاج، وتحملت الدولة نفقاته ونفقات أجور الأطباء والخدمات المتعلقة بالمرضى، وتوافرت في مستشفيات الخلفاء والسلطين كل أسباب الراحة من أسرة وثيرة ناعمة، وكانت أبوابها مفتوحة أمام الفقراء وكل فئات المجتمع دون تمييز.

وقد كان يفد على البيمارستانات كبار العلماء من الفقهاء والنحاة والشعراء والمتكلمون والأصوليون والمحدثون واللغويون وعلماء الفلك والمفسرون والرياضيون، مما جعل من البيمارستانات مجمعا للعلوم والعلماء الموسوعيين، وقد كان لأولئك العلماء دور بارز في تمويل البيمارستانات ماليا من خلال تلك الأوقاف التي جعلوها للمارستانات.

ويتبين لنا أيضا أن الجانب المعماري لهذه البيمارستانات كان غاية في دقة الإنجاز لأولئك المهندسين المسلمين، فقد كانت من مفاخر العمارة الإسلامية رونقا وجمالا، وهي

¹ - الذهبي: تاريخ الإسلام، ج47، ص307.

إضافة جديدة في العمارة الإسلامية، فكانت بمثابة قصور رائقة حسنا واتساعا كما يصفها الرحالة في كتبهم.

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة يمكننا استخلاص النتائج الآتية:

- أن الجراية تكون في ما يتعلق بطعام الإنسان وكسوته أو صحته، فهي متعلقة بالمنقولات مما يطعم واللباس والدواء وغيرها، كالجراية على أهل العلم من العلماء والطلبة بما يحتاجون إليه من المأكل واللباس والأجور، وعلى أهل الربط و الخانقاوات والمرضى في البيمارستانات من حيث توفير تلك الضروريات من الأكل والكسوة والدواء وغيرها من الخدمات.

- تعد الجراية من المبرات الخيرية التي ساهمت بشكل واضح وفَعَّال في الحضارة الإسلامية بتوفير الخدمات العامة المجانية في الدولة الإسلامية عبر مختلف عصورها في مجالات مختلفة مثل أماكن العبادة والتربية والتعليم والرعاية الصحية.

- أن العمارة الدينية من أهم الميادين التي كانت محور اهتمام الخلفاء والوزراء والأمراء والصالحين من العلماء وغيرهم، كبناء المساجد و الإنفاق والجراية عليها، والاهتمام بترميمها وصيانتها في مختلف أمصار البلاد الإسلامية، وأهمها الحرمين الشريفين.

- وأن الاهتمام بتشديد المساجد في الدولة الإسلامية بدأ منذ العهد الراشدي عند تخطيط المدن الجديدة ، وبعد عملية الفتح الإسلامية في الأقاليم المفتوحة سيما في العهد الأموي وإن أخذ طابعا شخصيا في بعض الأحيان ، ويظهر ذلك من خلال توسيع المسجد الحرام وزخرفته وتعمير المسجد النبوي من قبل الخلفاء الأمويين والعباسيين.

- اهتمام المسؤولين في الدولة الإسلامية بشؤون العبادة ومؤسساتها، فقد أجرى الخلفاء والسلطين حتى نهاية العصر العباسي أموالا كثيرة ومؤنا وفيرة على الحرمين ومساجد البلاد الإسلامية وقد حاكاهم في ذلك الأمراء والوزراء و الأعيان والميسورين من العلماء وأهل الصلاح.

_ وأن الاهتمام بتشديد الربط المختلفة بادئ الأمر كان من قبل الحكام للمرابطة ، وحين استقرت البلاد الإسلامية اتجهت الربط نحو أداء وظائف علمية وتعليمية وتعبدية ، فحظيت هذه المؤسسات باهتمام ورعاية المسلمين ، فكثر الأوقاف في هذا الشأن، مما

أدى إلى ازدهار الربط لا سيما في القرنين الثالث والرابع الهجريين بفضل تلك الأموال التي أجريت عليها من أهل البر والإحسان.

- أن الخوانق اتخذت كأماكن يختلي فيها الصوفية للعبادة والتقشف والهدوء والبعد عن الناس وكثيرا ما كان ينزلها العلماء والوزراء و المتزهدون، لكنها عادة ما تكون مراكز يختلي فيها الصوفية للعبادة والعلم وقد كان لها إلى جانب وظيفتها التعبدية وظيفة تعليمية لذلك فقد كان الخانقاه يشتمل على مسجد وضريح و أحيانا على مدرسة وكتّاب.

- و كان للخوانق دور بارز في الحركة التعليمية في الحضارة الإسلامية كغيرها من المراكز التعليمية الأخرى التي شهدها العالم الإسلامي عبر مختلف عصوره ، لذلك تعد من المؤسسات الدينية التعليمية كونها تقوم بأدوار مختلفة دينية وثقافية واجتماعية فقد كانت تدرس بها المذاهب الفقهية والحديث النبوي الشريف ، والقراءات والتصوف وغيرها من العلوم.

- وأن العلوم التي كانت تدرس في خوانق الصوفية ترتبط بالعلوم التي تساعد المتصوفين على التعمق في فهم التصوف ، والذي يتولى أمر الخانقاه يعرف بشيخ الخانقاه الذي يعين عادة من العلماء الذين يعرفون بالتصوف ويدعا بشيخ الشيوخ.

- تعد دور الضيافة الرمضانية من مجالات الجراية التعبدية لما كان يقدم بها من الطعام للصائمين من الفقراء وعابري السبيل لتأمين قوت إفطارهم في شهر رمضان فعمت هذه الجراية الفقراء والضعفاء واستراحوا من السعي في تحصيل القوت والاهتمام به طيلة شهر رمضان.

- وقد عرفت دور الضيافة الرمضانية في أواخر العصر العباسي في مع القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي ، وقد أنشأت هذه الدور بأمر من الخليفة العباسي الناصر لدين الله (575-622 هـ/1180-1225 م) حيث أمر سنة 604 هـ/1207 م ببناء دور بالمحال ببغداد شرقيها وغربيها ،يقدم فيها الطعام للصائمين من الفقراء في شهر رمضان، فيطبخ فيها صنوف الأطعمة من لحم الضأن والخبز الجيد ، وكان يفرق ذلك في جانبي بغداد ، وجعل في كل دار من يوثق بأمانته، وكان يعطي كل صائم قدحا من الطبخ واللحم والخبز ، فكان يفطر كل ليلة على طعامه خلق كثير.

- وأن دور الضيافة الرمضانية لم تجعل لإفطار الفقراء والمحتاجين فحسب، بل سخرت في بعض المواسم والمناسبات الدينية كاستعمالها لاستضافة الحجاج عند رجوعهم من أداء مناسك الحج.

- أن من الخدمات التي كان الخلفاء يسهرون على تقديمها للحجاج على غرار التوسعة عليهم في مؤن الطعام والماء والإقامة ،توفير دور الضيافة للحجيج التي تؤمن لهم خدمات الإقامة بها من المأكل والمسكن حتى يبلغوا أوطانهم.

- وأن ما كان يجري على هذه الدور من أموال الإنفاق على الطعام وأسباب الإقامة للحجيج كان من قبل دار الخلافة ، بمعنى أن الدولة هي التي كانت تسهر على مجانية الخدمات من واقع مسؤوليتها وواجبها.

- أن المساجد اتخذت أول الأمر لتعليم الصبيان ثم نشأ الكتاب مستقلا عن المسجد، الذي ظهر في فترة مبكرة من حياة الأمة الإسلامية، حيث ورد ما يشير إلى وجود كتاتيب في المدينة في عهد الخلفاء الراشدين لتعليم الصبيان.

- وأن الكتاتيب إلى جانب أنها توفر التعليم المجاني كانت تتكفل بروادها من الناحية الاجتماعية فتجرب عليهم الجرايات التي تبذل سواء من طرف الدولة أم الأشخاص ، فهي تقدم لهم ما يتعلق بطعامهم ومسكنهم مجانا، أو تقدم لهم مساعدات مالية يومية أو شهرية، ففي عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه تذكر الروايات أنه أمر لمن يحفظ القرآن ويتعلمه برزق جاري وكذلك فعل خلفاء وسلطين الدولة الإسلامية.

- رغبة كثير من الخلفاء والسلطين والأمراء والوزراء والولاة والعلماء الذين كان لهم شأن كبير في مجال العلم والاهتمام به وبأهله في نشره وتيسير أسباب الحصول عليه وطابه، فسخروا لذلك كل الوسائل المتاحة أمام العلماء والطلبة في سبيل تحصيل العلم وتعليمه، ومن مظاهر ذلك الاهتمام هو بناء المؤسسات التعليمية وعلى رأسها المدارس.

- أن الاهتمام الرسمي من طرف الأيوبيين بإنشاء المؤسسات التعليمية لم يكن اهتماما مذهبيا صرف بقدر ما كان اهتماما شخصيا بالعلم وأهله، ونشر العلوم الشرعية لأنها المرجعية الأساسية التي تقوم عليها الدولة، هذا فضلا عن الالتزام الشخصي لأولئك السلطين بمبادئ الدين الإسلامي الحنيف، وسيرتهم الشخصية حافلة بما عرفوا به من التقوى والورع وتحقيق العدل وخدمة الدين ، وتقديم مصالح الأمة على مصالحهم

الخاصة، لذلك فقد أبلوا البلاء الحسن في حركة الجهاد الإسلامي في مواجهة الصليبيين في مرحلة دقيقة من التشرذم والهوان كانت تمر بها الأمة الإسلامية، فكانت تلك الفترة التي برزوا فيها بمثابة عهدا جديدا ودماء جديدة مستوحاة من سيرة العهد الأول لهذه الأمة.

- أن المدرسة كمؤسسة تعليمية قد عرفت طريقها إلى بلاد المغرب الإسلامي كغيره من أقطار العالم الإسلامي الأخرى، وأن المغاربة قد حاكوا إخوانهم المشاركة في اهتمامهم بالعلم وأهله، وتيسير السبل لتحصيله ونشره، وتشديد مؤسساته كبناء المدارس ووقف الأموال عليها بما يكفل استمرارها وخدمة المنتسبين إليها.

- أن بيت المقدس كان من مراكز الحياة الفكرية في العالم الإسلامي، فبعد زوال الاحتلال الصليبي عن بيت المقدس برزت به حركة فكرية متميزة، و تعددت روافدها، ومن مظاهر ذلك إنشاء الكثير من المراكز العلمية مثل المدارس والمساجد والمكتبات والبيمارستانات والزوايا والخوانق والربط وغيرها..

- أن الفقهاء والعلماء في العصر العباسي الثاني نظرتهم الشرعية إلى العطاء والرواتب والصلوات قد تغيرت بالشكل الذي ينسجم مع المستجدات التي تمر بها الدولة الإسلامية في الجوانب الحضارية، والتي يراعيها التشريع الإسلامي، ويستجيب لها من طبيعة المرونة التي بنيت عليها فلسفة التشريع في الإسلام.

بمعنى أن الفقهاء والعلماء كان تقديرهم في جواز قبول الرواتب والصلوات، و النفقة على أهل العلم حق معلوم في الشرع الإسلامي لأن لهم نصيب في مال المسلمين، وطلاب العلم هم أولى بذلك.

وأصل هذا الموقف هو ما كان يراه الإمام مالك رضي الله تعالى عنه، ومن كان يرى هذا الرأي كالحسن البصري وغيرهما.

- أن البيمارستانات كانت بسيطة في العصر الأموي، ثم توسعت وأضيفت لها بعض مستلزمات خدمات التمريض، حتى أصبحت بعد قرن من الزمن تتوفر بها التسهيلات التي يريدها المريض، من علاج وطعام وشراب وثياب، فتوسعت وزودت بالعقاقير والأطباء البارزين، وقد شارك في بنائها أهل البر والإحسان، لأنها كانت مظهرا من مظاهر أعمال البر والخير.

- أن البيمارستانات في العصر العباسي شهدت تطورا كبيرا، وذلك لاهتمام الخلفاء والسلطين بالعلوم الطبية والرعاية الصحية، إذ تبارى الخلفاء والسلطين والأمرء والأعيان والميسورون على إنشاء البيمارستانات، وأوقفوا لها الأوقاف الكثيرة، مما ساهم في تطور الخدمات الصحية بالبيمارستانات، وتنظيم العمل بها، وقسمت إلى أقسام خاصة وعامة يرتادها مختلف فئات المجتمع، سواء كانوا مسلمين أم ذميين أغنياء أم فقراء صغارا أم كبارا.

- ولما انتشرت البيمارستانات في مختلف أمصار البلاد الإسلامية لا سيما في عاصمة الخلافة بغداد كان ذلك سببا في نشأة المدارس الطبية، وظهور التخصص في فروع الطب وعلومه، فأصبح في البيمارستان الواحد يوجد به الجراحية والكحالة و الطبائعيون والمجبرون والنفسانيون وغيرها من التخصصات الطبية.

- كما اعتمدت البيمارستانات على مجانية العلاج، وتحملت الدولة نفقاته ونفقات أجور الأطباء والخدمات المتعلقة بالمرضى، وتوافرت في مستشفيات الخلفاء والسلطين كل أسباب الراحة من أسرة وثيرة ناعمة، وكانت أبوابها مفتوحة أمام الفقراء وكل فئات المجتمع دون تمييز.

- أنه كان يفد على البيمارستانات كبار العلماء من الفقهاء والنحاة والشعراء والمتكلمون والأصوليون والمحدثون واللغويون وعلماء الفلك والمفسرون والرياضيون، مما جعل من البيمارستانات مجمعا للعلوم والعلماء الموسوعيين، وقد كان لأولئك العلماء دور بارز في تمويل البيمارستانات ماليا من خلال تلك الأوقاف التي جعلوها للمارستانات.

- كما أن الجانب المعماري لهذه البيمارستانات الذي كان غاية في دقة الإنجاز لأولئك المهندسين المسلمين، فقد كانت من مفاخر العمارة الإسلامية رونقا وجمالا، فكانت إضافة جديدة في العمارة الإسلامية، فكانت بمثابة قصور رائقة حسنا واتساعا كما يصفها الرحالة في كتبهم.

قائمة المصادر والمراجع

1-المخطوطات

1-أحمد بن عبد المنعم بن يوسف بن صيام الدمنهوري الحنبلي: إتحاف المقتدين
بمناقب أئمة الدين, مخطوط بموقع الأزهر الشريف, مصر، المرقم: *-- 321406
<http://www.alazharonliene.org//>

2- السحيمي، أحمد بن محمد بن علي الحسيني القلعاوي: السهام الحداد في أعناق
معلمي الأولاد، مخطوط بموقع الأزهر الشريف ، مصر، المرقم:-313210
<http://www.alazharonliene.org//>

3- السهروردي، محب الدين الطبري أحمد بن عبد الله: غرر اللطائف مختصر عوارف المعارف ، مخطوط بموقع المخطوطات لجامعة الملك سعود ، المرقم : 218/غ.م 177، 320 ورقة ، الورقة 14 ظ .
Makhtota.ksu.sa/brows/o.

2- المصادر

- 1- ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت: 658 هـ) ، الحلة السيرة ، تحقيق حسين مؤنس ، دار المعارف ، ط2 ، القاهرة ، 1985.
- 2- ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت: 630 هـ) ، الكامل في التاريخ ، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1977.

- 3-(-،-)، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية في الموصل، تحقيق عبد القادر أحمد طليعات ، دار الكتب الحديثة، (د،ت)، القاهرة .
- 4- الأزدي، أبو الحسن جمال الدين علي بن ظافر بن حسين الخزرجي(ت:613 هـ)، أخبار الدول المنقطعة، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2001 .
- 5- الأزرقى، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة(ت: 250 هـ) ، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار ، تحقيق رشدي الصالح ملحس ، منشورات دار الثقافة ، مكة ، 1978 .
- 6- الأشرف الغساني، إسماعيل بن العباس بن رسول(ت:803 هـ) ،العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك تحقيق شاكر محمود عبد المنعم ،دار التراث ، بيروت ، دار البيان، بغداد،.1975
- 7- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن مهران (ت: 430 هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، دار الكتاب العربي ، بيروت، (د، ت) .
- 8- الأصبهاني، أبو عبد الله محمد بن محمد صفي الدين بن نفيس الدين حامد بن أله، عماد الدين الكاتب(ت: 597 هـ) : خريدة القصر وجريدة العصر ، القسم العراقي ، تحقيق محمد بهجة الأثري وجميل سعيد ، مطبعة المجمع العراقي ، بغداد، 1955.
- 9- البستي، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد الدارمي(ت:354هـ)، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، تحقيق كمال يوسف الحوت ،دار الكتب العلمية ،بيروت ، 1996 .
- 10-ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك ، كتاب الصلة ، نشر بعناية السيد عزت القطار الحسيني ، مكتبة الخانجي، ط2 ، القاهرة ، 1414 هـ / 1994 م .
- 11-ابن بطوطة،أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي(ت،779 هـ)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، أكاديمية المملكة المغربية،الرباط ، 1413 هـ.
- 12-(-،-)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تقديم محمد السويدي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر، 1989 .
- 13- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داوود (ت:297 هـ)، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، 1988 .
- 14- البنداري، أبو إبراهيم الفتح بن علي بن محمد (ت:643 هـ) ، سنا البرق الشامي

- 562هـ-1166م/583هـ-1178م) اختصار كتاب البرق الشامي للعماد الكاتب الأصفهاني، تحقيق : فتحية النبراوي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1979.
- 15-(-،-):الفتح بن علي بن محمد البنداري الأصفهاني: تاريخ دولة آل سلحوق ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، 1980 .
- 16- ابن البيطار، ضياء الدين عبد الله بن أحمد الأندلسي(ت:646 هـ)، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، المطبعة المنيرية ، القاهرة، (د،ت).
- 17- التجيبي، محمد بن أحمد بن عبدون الإشبيلي(ت:527 هـ)، رسالة في القضاء والحسبة ، تحقيق: فاطمة الإدريسي، دار ابن حزم ، ط1 ، بيروت ، 2009.
- 18- ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي(ت:874 هـ) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، 1992.
- 19-(-،-)،المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، تحقيق محمد أمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د، ت) .
- 20- التنوخي، أبو المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود القاضي البصري(ت:384هـ)،الفرج بعد الشدة،تحقيق عبود الشالحي،بيروت للطباعة والنشر،بيروت،1978 .
- 21-(-،-)،نشوار المحاضرة و أخبار المذاكرة ، تحقيق عبود السالجي المحامي ، دار صادر،(د،ط) ، بيروت، 1391 هـ / 1971 م .
- 22- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك النيسابوري (ت:429 هـ)، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1983.
- 23- الجاحظ،أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري(ت:255 هـ)، البيان والتبيين، دار الهلال، بيروت، 1423 هـ / 2002 م .
- 24- ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي(ت:614 هـ)،رحلة ابن جبير ، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ، (د،ت).
- 25- الجزري، محمد بن محمد بن علي بن يوسف الدمشقي العمري الشيرازي(ت:833 هـ) غاية النهاية في طبقات القراء، تحقيق .ح.برجستراسر،مكتبة الخانجي،ط1،القاهرة، 2006.

- 26- ابن الجوزي ،أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن بن علي بن محمد القرشي التيمي البكري(ت:597 هـ) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العربية ، ط1، بيروت ، 1992 .
- 27-(-،-)،شذرات العقود في تاريخ العهود ، تحقيق أبي الهيثم الشهباني ، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، ط1 ، 1428 هـ/1997 م .
- 28-(-،-)،صفة الصفوة ، تحقيق محمود فاخوري و محمود رواس قلعه جي ، دار المعرفة ، ط3، بيروت ، 1985 .
- 29-(-،-)،مناقب الإمام أحمد ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر ، الجيزة ، 1988 .
- 30- الحارثي ،عبد الله بن ناصر بن سليمان،الأوضاع الحضارية في إقليم الجزيرة الفراتية في القرنين السادس والسابع للهجرة ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، الدار العربية للموسوعات، ط1، بيروت ،2007 .
- 31- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد الظاهري(ت:456 هـ)،الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة ، دار الجيل، ط2، بيروت، 1996 .
- 32-(-،-)،المحلى بالآثار ، دار الفكر ، بيروت، (د،ت).
- 33- الحسني،محمد بن أحمد بن علي تقي الدين أبو الطيب المكي الفاسي(ت:832 هـ)،شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، دار الكتب العلمية، ط1 ، بيروت ،1421هـ/2000 م .
- 34-(-،-)، ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد ، تحقيق محمد صالح بن عبد العزيز المراد ، مطبوعات معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي مركز إحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ط1، مكة ، 1998 .
- 35-(-،-)،العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق محمود محمد الطناحي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1969 .
- 36- الحسيني، صدر الدين علي بن ناصر، زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية ، تحقيق محمد نور الدين، دار اقرأ، ط1، بيروت ، 1985 .
- 37-الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي(ت:626 هـ)، معجم البلدان ، دار صادر، بيروت، 1977 .

- 38-(-،-)، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المعروف بمعجم الأدباء ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، بيروت ، 1414 هـ / 1993 م .
- 39- الحلبي، محمد راغب الطباخ ، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، صححه وعلق عليه محمد كمال ، دار القلم العربي ، ط2، حلب ، 1409 هـ / 1989 م .
- 40- الحموي، أبو الفضائل محمد بن علي بن نظيف (ت:ق7هـ)، تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان المعروف بالتاريخ المنصوري ، تحقيق أبو العبد دودو ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، (د،ت).
- 41- ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي البغدادي (توفي بعد 367 هـ)، كتاب صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1992 .
- 42- الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت:900 هـ)، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق إحسان عباس ، مؤسسة ناصر، ط2، بيروت، 1980 .
- 43- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت:808 هـ)، مقدمة ابن خلدون، مراجعة سهيل زكار و خليل شحادة ، دار الفكر، بيروت، 2001 .
- 44-(-،-)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، تحقيق خليل شحادة ، دار الفكر العربي ، ط2 ، بيروت ، 1408 هـ / 1988 م .
- 45- الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي البغدادي (ت:463 هـ) تاريخ بغداد وذيوله ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1417 هـ / 1996 م .
- 46- ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله الغرناطي الأندلسي (ت: 776 هـ) ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، 1424 هـ .
- 47- ابن خياط، خليفة بن خياط بن أبي هريرة الأخباري العصفري (ت: 240 هـ) ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط2، الرياض ، 1405 هـ / 1985 م .
- 48- ابن الديبشي، أبو عبد الله محمد بن أبي المعالي بن سعيد الواسطي (ت: 637 هـ)، نيل تاريخ مدينة السلام بغداد، تحقيق بشار معروف ، دار الحرية، بغداد ، 1979 .
- 49- ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيد مر العلائي (ت: 809 هـ)، كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنش، بيروت، (د ، ت).

- 50- **الديار بكري** ،حسين بن محمد بن الحسن(ت: 966 هـ): تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، دار صادر، بيروت ، (د، ت).
- 51- **الذهبي**،أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز شمس الدين(ت: 748 هـ)، دول الإسلام ، حققه إسماعيل مروة ، دار صادر ، بيروت،.1999
- 52-(-،-)، تذكرة الحفاظ ، منشورات دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، ط1 ، 1958.
- 53-(-،-)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير و الأعلام ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت، (د، ت) .
- 54-(-،-)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار،تحقيق طيار آلى قولاج، استانبول،1995 .
- 55-(-،-)،ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تحقيق علي محمد معوض و عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، 1995.
- 56-(-،-)،المشتمه في أسماء الرجال ، مطبع بريل، ليدن ، 1881 م.
- 57-(-،-)،الإعلام بوفيات الأعلام المجلد الأول ، تحقيق مصطفى بن علي عوض وربيع أبو بكر عبد الباقي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، بيروت ،1993 .
- 58-(-،-)،المعين في طبقات المحدثين ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، دار الصحوة للنشر ، عمان ، ط1 ، 1978 .
- 59-(-،-)،العبر في خبر من غير، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول ،دار الكتب العلمية، ط1، بيروت ، 1985.
- 60- **ابن رجب** ، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن البغدادي الدمشقي الحنبلي أبو الفرج (ت:795 هـ)،الذيل على طبقات الحنابلة ، تحقيق : عبد الرحمن بن سليمان ، مكتبة العبيكان ، ط1، الرياض ، 2005 .
- 61-**الزركشي**، أبو عبد الله، بدر الدين، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي المصري(ت: 794 هـ)، إعلام الساجد بأحكام المساجد ، تحقيق أبو الوفا مصطفى المراغي، مكتبة الثقافة الدينية، ط4، القاهرة ، 1982.
- 62- **الزهري**، محمد بن سعد بن منيع (ت:230 هـ)، كتاب الطبقات الكبير، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي، ط1، القاهرة ، 2001 .

- 63- ابن الساعي، أبو طالب علي بن أنجب تاج الدين المعروف بالخازن(ت: 674 هـ)،
الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير ، عني بنشره مصطفى جواد ،
المطبعة الكاثوليكية ، بغداد ، 1934.
- 64-(-،-)، كتاب مختصر أخبار الخلفاء ، المطبعة الأميرية ، ط1 ، بولاق ، 1309 هـ .
- 65- ابن سباط، حمزة بن أحمد بن عمر المعروف الغربي(ت: 926 هـ) ، صدق الأخبار
المعروف بتاريخ ابن سباط ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، ط1، طرابلس،
1413 هـ / 1993 م .
- 66- سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قراوغي (ت: 654 هـ)، مرآة
الزمان في تاريخ الأعيان ، تحقيق مسفر بن سالم بن عريج الغامدي ، منشورات مركز
إحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، 1987 .
- 67- السبكي، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي(ت: 771 هـ)،
طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، دار
إحياء الكتب العربية، ط1، القاهرة، 1964.
- 68- السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة(ت: 286 هـ)، المبسوط ، دار
المعرفة، بيروت، 1414هـ/1993م .
- 69- ابن سلام، أبو عبيد الله القاسم (ت: 224 هـ) ، كتاب الأموال، إعداد: عاطف علي
صالح ، دار عالم الكتب ، ط1 ، بيروت ، 1989 .
- 70- السلفي، أبو طاهر أحمد بن محمد (ت: 576 هـ)، معجم السفر، تحقيق عبد الله
البارودي ، المكتبة التجارية، مكة ، (د،ت).
- 71- السلمي، ابو عبد الرحمن (ت: 411 هـ)، الطبقات الصوفية ، تحقيق أحمد
الشرباصي ، دار مؤسسة الشعب ، ط2 ، القاهرة ، 1419 هـ / 1998 م .
- 72- السمعاني، أبو سعد عد الكريم بن محمد بن منصور التيمي(ت: 565 هـ)،
الأنساب ، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى اليماني ، مكتبة القاهرة ، القاهرة ، 1980 .
- 73-السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر محمد سابق الدين خن الخضير
الأسيوطي(ت: 911 هـ) ، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة ، تحقيق محمد أبو
الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية، ط1، القاهرة، 1967 .

- 74-(-،-)، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر، ط2 ، بيروت ، 1979 م.
- 75-(-،-)، تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد أحمد عيسى ، دار الغد الجديد ، ط1 ، القاهرة ، 1428 هـ/2007 م.
- 76- ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم(ت: 684 هـ)، الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ، الجزء الأول القسم الأول ، تحقيق: دومنيك سورديل ، منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، (د،ت).
- 77-أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان المقدسي الدمشقي(ت:665هـ)، كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1422هـ/ 2002م.
- 78-(-،-)، الذيل على الروضتين (تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجريين)، عني بنشره عزت العطار الحسيني ، دار الجيل ، بيروت ، ط2 ، 1974.
- 79- ابن شاهنشاه ، محمد بن نقي الدين عمر (ت:617 هـ) ، مضمارة الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشي ، دار الهناء، القاهرة، 1967 .
- 80-(-،-)، مضمارة الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط2، القاهرة، 2005 .
- 81-ابن شاهين، زين الدين عبد الباسط بن خليل المطلي(ت:920 هـ)، نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة ، 1987.
- 82-الشربيني، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشافعي(977 هـ)، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، 1415 هـ / 1994م.
- 83- شهبه، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي الأسدي الدمشقي قاضي (ت:851 هـ)، طبقات الشافعية ، عني بتصحيحه والتعليق عليه الحافظ عبد العليم خان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف الإسلامية ، ط1، الهند ، 1399 هـ / 1979 م .
- 84- الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشافعي(ت: 476 هـ) ، طبقات الفقهاء ، تحقيق إحسان عباس ، دار الرائد العربي ، بيروت،(د، ت).

- 85- الشيرزي، عبد الرحمن بن نصر، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، نشر بعناية السيد الباز العريني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1365هـ / 1946 م .
- 86- ابن صاعد، بن أحمد بن صاعد الأندلسي(ت 462 هـ)، طبقات الأمم ، تحقيق حسين مؤنس ، القاهرة ، دار المعارف ، 1998.
- 87- الصعدي، علي بن أحمد بن مكرم الله العدوي المالكي(ت:1189 هـ)، حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب ،تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، 1412هـ.
- 88- الصفدي،صلاح الدين أبو الصفاء خليل بن أيبك بن عبد الله (ت:764 هـ) ، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط و تركي زكي ، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت ،2000.
- 89-(-،-)،أمراء دمشق في الإسلام ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد، ط2، بيروت ، 1983.
- 90- الصنعاني، محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني(ت:1182 هـ)، سبل السلام، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ط4، القاهرة، 1379هـ / 1960م.
- 91-الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة أبو حفص(ت:599 هـ) ، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ،(د،ت).
- 92- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت:310هـ)، تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر، ط2 ، القاهرة، 1968 .
- 93- الطرابلسي ،برهان الدين إبراهيم بن موسى بن أبي بكر بن الشيخ علي الحنفي: كتاب الإسعاف في أحكام الأوقاف ، دار الجزيرة للنشر والتوزيع،القاهرة ،(د،ت).
- 94-ابن الطقطقي،أبو جعفر محمد بن علي بن محمد بن طبا طبا(ت:709هـ)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، صححه هرتويغ در نبرغ، طبع بمدينة شالون، مطبعة فرسو ، 1894.
- 95-ابن طولون،شمس الدين محمد بن علي بن خمارويه الدمشقي الصالحي(ت:953 هـ)،القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية ، تحقيق محمد أحمد دهمان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق (د،ت).

- 96- ابن عرفة ،محمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي(ت:803هـ)، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، دار الفكر، بيروت ،(د،ت).
- 97- عبد الواحد ،محي الدين بن علي التيمي المراكشي(ت:647 هـ): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، (د،ت).
- 98- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي(ت:463 هـ)، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمري ، مؤسسة الريان دار ابن حزم ، بيروت، ط1، 1404 هـ / 2003 م .
- 99-(-،-)،الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،(د،ط)، بيروت ، 1427 هـ / 2006 م .
- 100- ابن عبد ربه، أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد (ت:328 هـ)،العقد الفريد ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط 1، 1404 هـ .
- 101- العبدري ،أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود(ت: 720 هـ)، رحلة العبدري ، تحقيق علي إبراهيم كردي ، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، 1999.
- 102- ابن العديم ،كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت:660 هـ)، بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1988.
- 103- ابن عذاري ،أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي(ت:695 هـ)، البيان المغرب في أخبار المغرب ، تحقيق ج.س كولان و إ. ليفي بروفنسال،بيروت،دار الثقافة،ط3، 1983.
- 104-(-،-)،البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق ج . س كولان و إ . ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، ط2، بيروت ، 1400 هـ / 1980 م .
- 105- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الدمشقي (ت:571 هـ)، تبين كذب المفتري فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري،مطبعة التوثيق، دمشق، 1347هـ.
- 106-العسقلاني،أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر(ت:852هـ)، تبصير المنتبه بتحريр المشتبه تحقيق:محمد علي النجار،المكتبة العلمية،بيروت،(د،ت) .
- 107-(-،-)،الإصابة في تمييز الصحابة ، مطبعة السعادة، القاهرة ، 1328 هـ .
- 108-(-،-)،فتح الباري في شرح صحيح البخاري ، تحقيق عبد العزيز بن باز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1379 هـ / 1959 م .

- 109-(-،-)،لسان الميزان ، عني بنشره سلمان عبد الفتاح أبو غدة ، دار البشائر، ط1، بيروت، 2002 .
- 110-ابن عطية، محمد بن علي الحارثي، أبو طالب المكي ، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، ط2 ، بيروت ، 1426 هـ / 2005 م .
- 111-العلمي، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الحنبلي أبو اليمن مجير الدين(ت:928 هـ) ، المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط و إبراهيم صالح ، دار صادر، ط1 ، بيروت ، 1997 .
- 112-(-،-)،الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، تحقيق عدنان يونس عبد المجيد نباتة ، مكتبة دنديس ، عمان،(د،ت) .
- 113-ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي(ت:1089 هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط ، دار ابن كثير، ط1 ، دمشق ، 1408 هـ / 1988 م .
- 114-ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد بن علي بن أحمد(ت:580 هـ) الأبناء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق قاسم السمرائي ، دار الأفاق العربية ، ط1، القاهرة ، 1999 .
- 115-العيني ،أبو محمد بدر الدين العيني الحنفي محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد (ت:855 هـ)،عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ، تحقيق محمود رزق محمود ، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية ، ط2 ، القاهرة ، 1431 هـ / 2010 م .
- 116-الغزالي، أبو حامد محمد الطوسي النيسابوري(ت:505 هـ) إحياء علوم الدين ، نشر بعناية بدوي طبانة، مكتبة ومطبعة كرياضة فوترا سماراغ ، أندونيسيا ،(د،ت) .
- 117-(-،-)،إحياء علوم الدين ، دار المعرفة، بيروت،(د،ت).
- 118- ابن الغزي، شمس الدين أبي المعالي محمد بن عبد الرحمن(ت:1167 هـ)، ديوان الإسلام ، تحقيق سيد كسروي حسن،دار الكتب العلمية،ط1، بيروت،1411 هـ / 1990 م .
- 119- ابن الغزي ، كامل بن عبد الله بن فرج بن بدر العامري(ت:1351 هـ) نهر الذهب في تاريخ حلب ، المطبعة المارونية ، حلب ،(د،ت).

120- الغنيمي، عبد الغني بن طالب بن حمادة بن إبراهيم الدمشقي الميداني الحنفي(ت:1298 هـ)، اللباب في شرح الكتاب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العلمية ، بيروت ،(د،ت).

121- الفارسي ، أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد (ت:529 هـ)، المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، 1989 .

122- الفارقي، أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق(ت: 577 هـ)تاريخ الفارقي،تحقيق بدوي عبد اللطيف عوض اللطيف عوض،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،القاهرة ، 1959.

123- الفاسي،أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن محمد الحسيني تقي الدين المكي المالكي (ت:832 هـ)،الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة ، تحقيق محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر، ط1، القاهرة،.2004

124-أبو الفداء، إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه بن أيوب(ت: 732هـ)،المختصر في أخبار البشر،المطبعة الحسينية المصرية،القاهرة(د،ت).

125-(-،-،-)،المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمد زينهم وآخرون، دار المعارف، ط1، القاهرة ،.1998

126-الفراء، أبو الحسن محمد بن القاضي بن يعلى محمد بن الحسين (ت:458 هـ)، الأحكام السلطانية، تحقيق محمد حامد الفقي،دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، 1421هـ/ 2000 م.

127-(-،-،-)،طبقات الحنابلة ، صححه وعلق عليه أحمد عبيد ، المكتبة العربية، ط1، دمشق ، 1350 هـ .

128- ابن الفرضي،عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي أبو الوليد(ت:403 هـ) تاريخ علماء الأندلس ،عنى بنشره وصححه ووقف على طبعه السيد عزت العطار الحسيني ، مكتبة الخانجي ، ط 2، القاهرة ، 1408 هـ / 1988 م.

129-ابن فرحون ،إبراهيم بن علي(ت:799 هـ) الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، تحقيق محمد أبو النور، دار التراث ، القاهرة ،.1973

130-(-،-،-)،الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب،دار الكتب العلمية،بيروت،(د،ت).

- 131- الفسوي، أبو يوسف يعقوب بن سفيان (ت: 347 هـ) ، المعرفة والتاريخ ، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، (د،ت).
- 132- ابن الفوطي، كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أمد الشيباني البغدادي(ت: 723 هـ) ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، تحقيق مهدي النجم ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت ، 2003 م .
- 133- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: 276 هـ)، الإمامة والسياسة ، تحقيق طه محمد الزيني ، دار المعرفة ، بيروت، (د،ت) .
- 134- ابن قدامة، موفق الدين أبو محمد عبد الله بن محمد المقدسي(ت: 620 هـ) ، المغني، مكتبة القاهرة ، القاهرة، (د،ت).
- 135- القرشي، محي الدين أبو الوفاء الحنفي(ت: 775 هـ) ، الجواهر المضية في طبقات الحنيفة ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 2 ، الجيزة ، 1413 هـ / 1993 م .
- 136- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت: 682 هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت ، (د،ت).
- 137- القزويني ،محمد بن يزيد، كتاب تاريخ الخلفاء ، تحقيق مديحة الشراوي، مكتبة الثقافة الدينية ، ط1، القاهرة، 2000 .
- 138- الفلقشندي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد(ت: 821 هـ)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق يوسف الطويل ،دار الفكر، ط1 ، دمشق ، 1987 .
- 139- (-،-)، صبح الأعشى، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، 1340 هـ / 1922 م .
- 140- ابن قنفذ، أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب الشهير القسنطيني (ت: 810 هـ) الوفيات ،تحقيق عادل نويهض، دار الأفق الجديدة، ط4، بيروت، 1983 .
- 141- الكتاني، محمد بن جعفر بن إدريس الحسني أبو عبد الله الفاسي(ت: 1345 هـ)، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة ، نشر بعناية محمد المنتصر بن محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني ، دار البشائر ، ط3 ، بيروت ، 1993 .
- 142- الكتبي ، محمد بن شاكر (ت: 764 هـ)، فوات الوفيات ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ، (د،ت).

- 143- ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774 هـ)، البداية والنهاية ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ،دار هجر للنشر والتوزيع والإعلان ، ط1، الجيزة ،.1997
- 144- الكندي ،أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب المصري(ت: 350هـ) ، كتاب الولاية والقضاة ، صححه رفن كست ، مطبعة الآباء اليسوعيين، 1908 م .
- 145- ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني(ت: 273 هـ)، سنن ابن ماجه،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، (د،ط) ،القاهرة ،(د،ت).
- 146- مسلم ،بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري(ت: 261 هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ،(د،ت).
- 147- المقرئ،شهاب الدين أحمد بن محمد بن يحيى أبو العباس التلمساني(ت: 1041 هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، ط1، بيروت ، 1997.
- 148-(-،-،-)،أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، تحقيق مصطفى السقا وآخران ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، 1358 هـ / 1939 م .
- 149- المقرئ،أحمد بن علي بن عبد القادر(ت: 845 هـ) ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1997 .
- 150-(-،-،-)، المواعظ والاعتبار بالخطط والآثار،دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،1418 هـ / 1997م.
- 151-(-،-،-)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق جمال الدين الشيال وآخرين ، مطبعة المجلس الأعلى ، القاهرة ،.1996
- 152- المنذري،عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله زكي الدين أبو محمد الشافعي(ت: 656 هـ) ، التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، (د،ت) .
- 153- بن المواز، أحمد بن عبد الواحد بن محمد، خطوة الأعلام في التعليم والتربية في الإسلام، تحقيق أحمد طالبي، مطبعة كرا فيك أصالة ، ط1، الرباط، 2004.

- 154- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري (ت: 711 هـ) لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، 1414 هـ .
- 155- (-،-)، مختصر تاريخ دمشق، تحقيق سكيئة الشهابي، دار الفكر، ط1، دمشق، 1988 .
- 156- النعيمي، عبد القادر بن محمد دمشقي (ت: 978 هـ)، الدارس في تاريخ المدارس، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت ، 1990 .
- 157- ابن نقطة، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (ت: 629 هـ) كتاب التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر الدكن ، ط1، الهند، 1983 .
- 158- النهروالي، قطب الدين بن علاء الدين الحنفي (ت: 988 هـ) : تاريخ المدينة ، تحقيق محمد زينهم محمد عزب ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، (د ، ت) .
- 159- النووي، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف بن مري دمشقي (ت: 676 هـ)، تهذيب الأسماء واللغات، القسم الأول الجزء الأول، دار الكتب العلمية، بيروت، (د، ت).
- 160- النويري ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت: 734 هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2004 .
- 161- (-،-)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2004 .
- 162- ابن هبة الله، محمد بن محمود بن الحسن (ت: 643 هـ): الدرر الثمينة في تاريخ المدينة ، اعتناء لجنة من كبار العلماء والأدباء ، منشورات مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ، 1956 .
- 163- ابن هداية الله ، أبو بكر الحسيني (ت: 1041 هـ)، طبقات الشافعية ، تحقيق عجاج نويهض ، منشورات دار الأفاق الجديدة ، ط3، بيروت، 1402 هـ / 1982 م .
- 164- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن أيوب الحميري (ت: 218 هـ)، السيرة النبوية، تحقيق محي الدين عبد الحميد، القاهرة، (د، ت).
- 165- (-،-)، السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون ، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، مصر، ط2، 1375 هـ / 1955 م .
- 166- الهمذاني، أبو الفضل بديع الزمان: رسائل أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني ، مطبعة الجوائب بالأستانة العلية ، ط1، الأستانة ، 1298 هـ .

167- بن واصل، جمال الدين محمد بن سالم(ت:697 هـ) ،مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق جمال الدين الشيال،نشر عن مخطوطات كمبردج وباريس واستانبول، (د،ت) .

168-ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس أبو حفص زين الدين المعري الكندي(ت:749 هـ) تتمة المختصر في أخبار البشر المعروف بتاريخ ابن الوردي ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1996.

169-اليافعي،أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليميني المكي(ت: 767 هـ)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق خليل منصور ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت ، 1997 .

170- اليعقوبي،ابو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح(ت:284 هـ)، تاريخ اليعقوبي، مكتبة الغرى ، النجف ، 1358 هـ / 1939 م.

171-(-،-)،البلدان، دار الكتب العلمية ، ط1، بيروت ، 1422 هـ .

172- اليونيني ،قطب الدين موسى بن محمد(ت:729 هـ) ، ذيل مرآة الزمان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد، ط1 ، الهند ، 1375 هـ / 1955 م .

3-المراجع

1- أسكان،الحسين، تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط(1-9 هـ/7-15 م)، منشورات مركز الدراسات التاريخية والبيئة،المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية،الرباط، 2004.

2- الأهواني، أحمد فؤاد، التربية في الإسلام، دار المعارف،(د،ط) ،القاهرة، (د،ت).

3-الباشا،حسن،مدخل إلى الآثار الإسلامية،دار النهضة العربية،القاهرة،(د،ت).

4- بالكامل،البيضاوية، البيمارستانات وأدوارها التطبيقية والتعليمية، الرباط، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي جامعة محمد الخامس، أفريل 1989 .

5- بدوي، أحمد أحمد،الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ،دار النهضة،القاهرة،(د،ت).

- 6-بدوي، عبد المجيد، التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس حتى سقوط بغداد، دار الوفاء، ط2، المنصورة، 1408 هـ.
- 7- البرهاوي، رعد محمود، خدمات الأوقاف في الحضارة العربية الإسلامية إلى نهاية القرن العاشر الهجري، المجمع العلمي، بغداد، 2002.
- 8- البغدادي، إسماعيل باشا، هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1955.
- 9- بودرع، عبد الرحمن، مكانة مكة المكرمة والمجاورة فيها في كتابات العلماء، مطبعة الخليج العربي، ط1، تطوان، 1431هـ/2010م.
- 10-البوزيري، محمد، مكونات العملية التعليمية في الفكر التربوي الإسلامي، مطبعة النجاح الجديدة، ط1، الدار البيضاء، 2007.
- 11-التازي، عبد الهادي، القرويين جامعا وجامعة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1972.
- 12- التل، عمر سليم القادر، متصوفة بغداد في القرن 6 هـ/12 م، دار المأمون، ط1، عمان، 2009.
- 13- الجبوري، يحيى وهيب، بيت الحكمة ودور العلم في الحضارة الإسلامية، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 2006.
- 14- جرجي، زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت، (د،ت).
- 15-جواد مصطفى وأحمد سوسة، دليل خارطة بغداد قديما وحديثا، مطبعة المجمع العراقي، 1958.
- 16-جواد، مصطفى، الربط الصوفية البغدادية وأثرها في الثقافة الإسلامية، الدار العربية للموسوعات، ط1، بيروت، 2006.
- 17- الحارثي، عدنان محمد فايز، عمارة المدرسة في مصر والحجاز في القرن (9هـ/15م) دراسة مقارنة، مطابع جامعة أم القرى، مكة، 1979.
- 18- الحربي، أبو إسحاق إبراهيم بن ديسيم: المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، منشورات دار اليمامة، الرياض، 1969.
- 19- حسين، أمين، العراق في العصر السلجوقي، بغداد، 1965.

- 20- حسين، محمد سليمان، التراث العربي الإسلامي دراسة تاريخية ومقارنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د،ت).
- 21- حمادة ، ماهر محمد، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسي الأول مؤسسة الرسالة ، ط2، بيروت ، 1981.
- 22- حمدي، عبد المنعم، ديوان المظالم نشأته و تطوره واختصاصاته، دار الشروق، ط1، بيروت، 1981.
- 23- خالد، بن عبد الرحمن القاضي، الحياة العلمية في مصر الفاطمية، الدار العربية للموسوعات، ط1، بيروت، 2008.
- 24- خالد داود الزرو ، الحياة العلمية في الشام ، دار الأفاق الجديدة ، ط1، بيروت، 1971 .
- 25- الخطيب، حنيفة، الطب عند العرب، دار الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1986 .
- 26- خفاجي، محمد عبد المنعم، الأزهر في ألف عام، عالم الكتب، بيروت، ط2 ، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ، 1408هـ/1988م.
- 27- خلوصي، محمد ماجد عباس، عمارة المساجد ، مطابع سجل العرب، القاهرة، 1998 .
- 28- الدباغ، مصطفى: بلادنا فلسطين، دار الطليعة، ط4، بيروت، 1409هـ/1988 م .
- 29- الدهاس، فواز علي بن جنيدب، المدارس في مكة في العصرين الأيوبي والمملوكي، دار القاهرة ، ط1، القاهرة ، 2006.
- 30- دياب ، محمود ، الطب والأطباء في مختلف العهود الإسلامية، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة (د،ت).
- 31- الديوه جي، سعيد، تاريخ الموصل ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1982.
- 32- (-،-) - التربية والتعليم في الإسلام، مطابع جامعة الموصل، الموصل، (د،ت).
- 33- الرجوب، محمد علي، الإدارة التربوية في المدارس في العصر العباسي (132/656 هـ)، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن، 2003.
- 34- الرحيم ، عبد الحسين مهدي، الخدمات العامة في بغداد (400-656هـ/1009-1258 م) ، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1 ، بغداد ، 1978.

- 35- رضوان، أحمد مصلح الليث ، الحياة العلمية في بلاد الشام خلال القرنين الخامس والسادس الهجري ، إصدارات دار الثقافة ، صنعاء، 2004 .
- الريحاني، عبد القادر، العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها في سورية، دمشق، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1979.
- 36- الرسيوني، أحمد، الوقف الإسلامي مجالاته و أبعاده، مطبعة المحمدية، المملكة المغربية ، 1422هـ / 2001 .
- 37- زامباور، المستشرق ،معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي ، إخراج وترجمة زكي محمد حسن بك وآخرون، دار الرائد العربي، بيروت ، 1400 هـ / 1980 م .
- 38- الزحيلي، وهبة، الفقه الإسلامي وأدلته، دار الفكر والطباعة والتوزيع والنشر، ط1، دمشق، 1991 .
- 39- أبو زهرة، محمد، محاضرات في الوقف، دار الفكر العربي، القاهرة، 1425هـ/ 2005 م .
- 40- الزهراني، ضيف الله يحيى، النفقات وإدارتها في الدولة العباسية من سنة (132 هـ/ 243 هـ)، مكتبة الطالب الجامعي، ط1، مكة، 1986.
- 41- زيغريد، هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون، وكمال الدسوقي، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، ط8، بيروت، 1993.
- 42- ساعاتي، يحيى محمود، الوقف وبنية المكتبة العربية استبطن للموروث الثقافي، مطبعة الفرزدق ، ط1، الرياض، 1986.
- 43- سالم، جمال محمد عريكي، فقهاء الشام في مواجهة الغزو الصليبي، (491 هـ- 690 هـ / 1097- 1291م) ، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، القاهرة ، 2006 .
- 44- سامح، كمال الدين، العمارة الإسلامية بمصر، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1991.
- 45- السامرائي، كمال، مختصر تاريخ الطب، ج1 ، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، 1984.
- 46- السباعي، مصطفى، من روائع حضارتنا، دار السلام، ط1، القاهرة، 1998.

- 47- أبو سديرة، السيد طه، الحركة العلمية في جامع عمرو بن العاص في عصر الولاية (21هـ/254هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1990.
- 48- سعد الدين، محمد منير، المدرسة الإسلامية في العصور الوسطى، المكتبة العصرية، ط1، بيروت، 1416 هـ / 1995 م .
- 49- سعيد إسماعيل علي، معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986.
- 50- سلام، حورية عبده، إقليم الموصل في العصر الأموي دراسة حضارية، دار العالم العربي، ط1، القاهرة، 2008 م.
- 51- سويسي، محمد، التعليم في الجناح الغربي من دار الإسلام وخاصة بإفريقية (القرن1هـ-القرن8هـ)، منشورات المركز الجامعي، تونس، 2005.
- 52- سيد أمير، علي، مختصر تاريخ العرب، ترجمة عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، ط2 بيروت، 1967.
- 53- السيد، عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، دار النهضة العربية، بيروت، (د،ت).
- 54- الشجاع، عبد الرحمن عبد الواحد، الحياة العلمية في اليمن في القرنين الثالث والرابع للهجرة، إصدارات وزارة الثقافة والسياحة اليمنية، صنعاء، 1425هـ/2004م.
- 55- شحادة، نزيه، صفحات من الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، ط1، بيروت، 2006 .
- 56- شكيب، أرسلان، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط، دار كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2012 .
- 57- شلبي، أحمد، تاريخ التربية الإسلامية، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، 1954 .
- 58- الشيخ، طه الولي، المساجد في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، (د،ت).
- 59- الصالح، محمد بن أحمد بن صالح، الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر، ط1، الرياض، 2001.
- 60- طرفة، عبد العزيز العبيكان، الحياة العلمية الاجتماعية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة، مطبعة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996 .
- 61- طوقان، قدري حافظ، العلوم عند العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، 1961م.

- 62- العارف ، عارف، المفصل في تاريخ القدس، مكتبة الأندلس، ط1، القدس، 1381هـ/1961م.
- 63- عبد الجليل، حسن عبد المهدي، الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي، مكتبة الأقصى، ط1، عمان، 1400هـ/1980م.
- 64- (-،-) المدارس ببيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي، مكتبة الأقصى، ط1، عمان، 1401هـ/1981م.
- 65- عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، العلماء والسلطة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2009.
- 66- عبد الحميد العلوجي، تاريخ الطب العراقي، بغداد ، مطبعة أسعد، 1967.
- 67- عبد العال، حسن، التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري، دار الفكر العربي، القاهرة، 1978.
- 68- عبد العال سالم مكرم : المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة ، ط2، مؤسسة الرسالة ، 1410هـ/1990م.
- 69- عبد الله ،عبد الرزاق مسعود السعيد ، الإسلام ومؤسساته التعليمية ، دار عمان للنشر والتوزيع ، ط1، عمان، 1421 هـ / 2000 م .
- 70- عثمان، محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، مطابع الرسالة، الكويت، 1988.
- 71- عزت، بلسم بصري ، أخبار الصوفية والزهاد من تاريخ بغداد ،دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2004 .
- 72- العسلي، كامل جميل ، معاهد العلم في بيت المقدس، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان ، 1402هـ/1981م.
- 73- العث، يوسف ، تاريخ عصر الخلافة العباسية ، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت، 1982م .
- 74- عطية الأبراشي، محمد، التربية الإسلامية وفلاسفتها، دار الفكر العربي، ط3، القاهرة ، (د، ت) .
- 75- العكش، إبراهيم علي، التربية والتعليم في الأندلس، دار الفيحاء، ط1 ، عمان ، 1986.

- 76- عماد ، عبد السلام رؤوف ، مدارس بغداد في العصر العباسي، مطبعة دار البصري، ط1، بغداد، 1966.
- 77- عمارة، طه عبد القادر، تاريخ عمارة وأسماء المسجد الحرام حتى نهاية العصر العثماني، منشورات مركز أبحاث الحج، جامعة أم القرى،(د،ت).
- 78- عبد الدائم، عبد الله ، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين ، دار العلم للملايين، ط 2 ، بيروت، 1979م.
- 79- العمري ، عبد الله منسي السعد ، تاريخ العلم عند العرب ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، ط1، عمان ، 1410هـ/1990م.
- 80- عنان، محمد عبد الله ، تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، القاهرة ، 1361 هـ / 1942 م .
- 81- عواطف، محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، الرياض، 1996.
- 82- عيسى، أحمد بك، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربي، ط2، بيروت، 1981.
- 83- عيسى، محمد عبد الحميد، تاريخ التعليم في الأندلس، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1982.
- 84- غازي رجب محمد، العمارة العربية في العصر الإسلامي في العراق، منشورات المكتبة الوطنية، بغداد، 1989.
- 85- الفاضل، العبيد عمر، الطب الإسلامي عبر القرون، دار المطبوعات الحديثة، ط1، جدة ، 1989 .
- 86- فالترهنس، المكايل و الأوزان الإسلامية، ترجمه عن الألمانية كامل العسلي، مطبوعات عمادة البحث العلمي الجامعة الأردنية ، ط2، عمان، 2001 .
- 87- فراج، عز الدين، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، القاهرة، دار الفكر العربي،(د،ت).
- 88- فرج، محمد الهوني ، تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1 ، مصراتة، 1986.
- 89- فروخ، عمر، تاريخ العلوم عند العرب، دار العلم للملايين ،بيروت 1390هـ/1970م.
- 90- فوزي، فاروق عمر، تاريخ العراق في عصر الخلافة العربية الإسلامية،

- (1-656هـ/622-1258م)، مكتبة النهضة ، بغداد، 1988.
- 91- محمود الحاج قاسم، الموجز لما أضافه العرب في الطب والعلوم المتعلقة به، مطبعة الإرشاد ، 1974م.
- 92- القدحات، محمد عبد الله أحمد، الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير (656/575هـ ، عمان، دار البشير، 2005 .
- 93- قرقوري، حنان، اللغة العربية والخط و أماكن العلم والمكتبات الترجمة وآثارها ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط1، بيروت ، 1427 هـ / 2006.
- 94- القطري، محمد، الجامعات الإسلامية ودورها في مسيرة الفكر التربوي ، دار الفكر العربي، القاهرة ، (د، ت).
- 95- كاشف، سيدة إسماعيل، مصر في عهد الإخشيديين، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ، 1950 .
- 96- كحالة، عمر رضا، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، دمشق ، ج1 ، المطبعة الهاشمية ، 1959 .
- 97- (-،-) - العلوم البحتة في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق، 1972م.
- 98- كرد علي ، محمد عبد الرزاق بن محمد، خطط الشام ، مكتبة النوري، ط3، دمشق ، 1403 هـ / 1983 م .
- 99- الكروي، إبراهيم سلمان، طبقات مجتمع بغداد في العصر العباسي الأول ، الإسكندرية ، مركز الإسكندرية للكتاب، 2008.
- 100- (-،-) البويهيون والخلافة العباسية، مركز الإسكندرية للكتاب، ط2، الإسكندرية ، 2008 .
- 101- كوركيس، عواد و مصطفى جواد، المدرسة المستنصرية أول جامعة في العالمين العربي و الإسلامي ، دار الوراق للنشر المحدودة، ط1 ، بيروت، 2008.
- 102- بن مارس، كمال، العلاقات الإقليمية والحروب الصليبية (الموصل حلب) من 464-583 هـ / 1071-1187 م، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط1، القاهرة ، 2004 .
- 103- ماسينيون، لويس ،آلام الحلاج شهيد التصوف الإسلامي ، ترجمة الحسين مصطفى حلاج ، شركة قدمس للنشر والتوزيع ، ط1، بيروت، 2004.

- 104-(-،-)، الإسلام والتصوف ، دار الشعب، القاهرة ، 1399هـ/1979م.
- 105- ماهر محمد، سعاد، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، مطابع الأهرام التجارية، القاهرة ، 1971.
- 106- محمد متولي، مصطفى، مدخل إلى تاريخ التربية الإسلامية ،دار الخريجي، الرياض، 1992.
- 107- محمد، بن عبد العزيز، الوقف في الفكر الإسلامي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، الرباط، 1996.
- 108- المحمداني، محمد جاسم وأسامة ناصر النقشبندي، المستنصرية في التاريخ، بغداد، منشورات الندوة العلمية لإتحاد المؤرخين العرب و الجامعة المستنصرية، 1986.
- 109- مراد، إبراهيم ، بحوث في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب ،دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت ، 1981 .
- 110- مريزن، سعيد مريزن عسييري، الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي، مكتبة الطالب الجامعي، ط1، مكة ، 1987.
- 111- المعاضيدي، سليمان عبد القادر، واسط في العصر العباسي (324هـ/ 656 هـ)، الدار العربية للموسوعات ، ط1، بيروت ، 2006 .
- 112- مصطفى جواد وأحمد سوسة، دليل خارطة بغداد قديما وحديثا، مطبعة المجمع العراقي، 1958.
- 113- معروف، ناجي ، تاريخ علماء المستنصرية ،ج1، مؤسسة دار الشعب ، ط3، القاهرة، 1986.
- 114- متفكر ،أحمد، مساجد مراكش عبر التاريخ من التأسيس إلى العهد العلوي، المطبعة والوراقة الوطنية ، ط3، مراكش، 1431هـ/2010م.
- 115- منير الدين، أحمد ، تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري، ترجمة سامي الصقار، دار المريخ ، الرياض، 1981.
- 116- مير سليم ،إسماعيل محمد أمين الباباني(ت: 1339 هـ)، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تحقيق محمد شرف الدين و رفعت بيكله الكيسني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د، ت).

- 117- ناصح ،علوان عبد الله، التكافل الاجتماعي في الإسلام، دار السلام ،ط5 ، 1983 .
- 118- ناصر الدين، أبو عبد الرحمن محمد بن الحاج بن نجاتي بن آدم الأسقودري الألباني (ت: 1420 هـ)، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي ، ط 2، بيروت، 1405 هـ/1985م.
- 119- النجار، عامر، في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، القاهرة، دار الهداية،(د،ت).
- 120- أبو النصر، محمد عبد العظيم، الأوقاف في بغداد العصر العباسي الثاني، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط1، القاهرة ، 2002.
- 121- نيل دي ، ما كنزي ، القاهرة الأيوبية ، دراسة طبوغرافية ، ترجمة عثمان مصطفى عثمان، مطبوعات المجلس الأعلى للثقافة ، ط1 ، القاهرة ، 2007.
- 122- هاينز هالم، الفاطميون وتقاليدهم في التعليم، ترجمة سيف الدين القصير، دار المدى للثقافة والنشر، ط1 ، دمشق، 1999م.

4-المقالات

- 1- إبراهيم حركات :الدراسة والتدريس في عهد الخلافة ،مجلة دعوة الحق ، العدد283 ،رمضان 1411هـ/يوليو 1991م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب.
- 2-أحمد أبو زيد: فضل الأوقاف في بناء الحضارة الإسلامية، مجلة التاريخ العربي، تصدر عن جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة ط1، 1996.
- 3- أمينة البيطار:التعليم في دمشق في القرن السادس الهجري،مجلة آداب الرافدين، الموصل،جامعة الموصل،العدد الحادي عشر، 1400 هـ/ 1979 .
- 4- تيسير شيخ الأرض:التعليم عند ابن خلدون،مجلة التراث العربي، العددان 16و15،السنة الرابعة، 1404هـ/1984 م ، دمشق.
- 5- رياض مصطفى شاهين: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية لبهاء الدين بن شداد ، دراسة تحليلية ، مجلة كلية الآداب بينها ،مصر ، العدد السابع ، 1422 هـ/ 2001 م.

- 6- السعيد بوركبة: آثار الوقف في الحياة المجتمعية بالمغرب عبر التاريخ، مجلة دعوة الحق، السنة الثانية والخمسون العدد 284، ذو الحجة 1411هـ/يوليو 1991م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.
- 7 فاضل خليل إبراهيم: أصول التدريس ومناهج التعليم في فكر ابن خلدون، المجلة الثقافية، العدد 42، رجب 1418هـ/نوفمبر 1997م، الجامعة الأردنية، المؤسسة العربية الدولية للتوزيع والنشر، عمان.
- 8- الماجد عبد الله بن علي: الحارث بن كلدة حكيم العرب، مجلة العرب، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر الرياض، ج7، السنة الثانية (محرم 1388هـ/1968م).
- 9- محمد الحجوي: الوقف الخيري في المغرب قديما وحديثا وأثره الثقافي والاجتماعي والاقتصادي، مجلة أوقاف العدد 4 السنة الثالثة 2003، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت.
- 10- محمد علي بن الصديق: إطلالة على التصوف المغربي وتاريخه، مجلة دعوة الحق، السنة الثانية والخمسون العدد 285، محرم 1412هـ/غشت 1991م، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب.
- 11- محمود علي عبد اللطيف: التيار الوظيفي في الفكر التربوي عند ابن خلدون، مجلة المعرفة، العدد 512 السنة 45، أيار 2006، وزارة الثقافة، سوريا.
- 12- مشعل عبد العزيز البكر: أهمية الوقف في الإسلام، مجلة أوقاف، العدد 7، السنة الرابعة، نوفمبر 2004م، الأمانة العامة للأوقاف، الكويت.
- 13- مصطفى زايد: من المؤسسات التربوية القديمة بالمغرب العربي، مجلة الدراسات النفسية والتربوية، العدد 9، أبريل 1989م، المغرب.

5- المعاجم والموسوعات:

- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض (ت: 379 هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، بيروت، (د،ت).

- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي(ت:666 هـ) ، مختار الصحاح، المكتبة العصرية ، الدار النموذجية ،ط5، بيروت، 1420هـ / 1999م.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله(ت: 538 هـ)،أساس البلاغة، تحقيق محمود باسل عيون السود ،دار الكتب العلمية ، ط1 ،بيروت ، 1998 م.
- الفيروزآبادي ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب(ت:817هـ)، القاموس المحيط،تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، بيروت ، 1426هـ / 2005م.

6-الرسائل الجامعية

- 1- أسماء يوسف أحمد آل ذياب: الرعاية الصحية والطبية في القرن الأول الهجري(1-101 هـ/622-719 م) ، رسالة ماجستير ، جامعة الشارقة، السنة الجامعية 2010-2011.
- 2- أيمن شاهين سلام : المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب جامعة طنطا، 1999.
- 3- حبيب مصطفى عز الدين : جوانب من التاريخ الحضاري للطب والصيدلة في الأندلس خلال عهدي المرابطين والموحدين، رسالة دكتوراه جامعة محمد الخامس ، 1998-1999.
- 4- حسين عبد العزيز حسين شافعي: الرباط في مكة المكرمة منذ البدايات إلى نهاية العصر الأيوبي، جامعة أم القرى، رسالة ماجستير ، المملكة العربية السعودية، 1995.
- 5- عائشة عبد الله باقاسي: مكة والمدينة من منتصف القرن الرابع الهجري حتى منتصف القرن السادس الهجري ، دراسة تاريخية وحضارية ، رسالة دكتوراه ،جامعة أم القرى، 1413-1414هـ .
- 6- علي حسين الشطشاط :تاريخ الجراحة في الطب العربي(من القرن 3-7هـ/9-13 م)، ج1، رسالة دكتوراه، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط ، المملكة المغربية ، 1997 .

- 7- محمد عبد العظيم يوسف: طغرل بك وتأسيس الدولة السلجوقية (429 - 455 هـ/1037-1663 م) رسالة ماجستير ، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، 1991 .
- 8- مؤمن أنيس عبد الله البابا: البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافة العباسية، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية ، غزة ، 2009.
- 9-رشاد عمر المدني : الحياة العلمية في فلسطين في مرحلة الصراع الصليبي الإسلامي ، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية بغزة ، فلسطين ، 1426 هـ / 2005م

المراجع باللغة الأجنبية

- 1-Arnold ,Sir, Thomas :
-The Caliphate.oxford.1941.
- 2-Brown,E.G:
-Literary History of Persia.Camb University1955.
- 3-Lane-Poole,Stanly:
-A History of Egypt in The Middle Ages. London
- 4-M.Hassan Hawary H.Rachad:
-Stèles Funeraires,Tome,1,le Caire 1932.
- 5-Wiet.G:
-Repertoire Chronologique D; Epigraphraphie Arabe,Tome 2

الفهارس

فهرس الأعلام

- أ -

- إبراهيم=النبي عليه السلام، 15، 16.
إبراهيم بن طهمان: 186 .
ابن الأثير=علي بن محمد الشيباني الجزري المؤرخ: 70، 85، 165، 235 .
أحمد بن إبراهيم التيمي: 58.
أحمد بن إبراهيم الشيرازي=الفيروزيادي: 39.
أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي: 108 .
أحمد بن ثابت الهمامي الواسطي: 144 .
أحمد بن حنبل: 8.
أحمد بن خالد: 107 .
ابن أبي أصيبعة: 235، 245 .
أحمد بن طولون: 28، 29، 203، 212، 213، 214، 215، 224، 225، 236، 237.
أحمد بن عبد الملك النيسابوري: 132 .
أحمد بن العجمي=شمس الدين أبو بكر: 65 .
أحمد بن محمد بن علي القرشي: 161 .
أحمد بن الناقد=شمس الدين أبو الأزهر وكيل الخليفة المستنصر: 148 .
الإدريسي: 105 .
آدم: 2.
الأرقم بن أبي الأرقم: 116.
أبو إسحاق الأسفراييني: 129 .
أبو إسحاق الشيرازي: 142 .
أسد الدين شركوه: 54.
أسلم بن سدره: 75.
إسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ=الأمير ركن الدين: 59.
إسماعيل بن علي بن المثني: 128 .
إسماعيل بن موهوب الجواليقي: 90 .

إسماعيل بن أبي الوقار التتوخي: 248 .

أبو الأسود الدؤلي: 95 .

الأشرف الغساني = إسماعيل بن العباس بن رسول: 68 .

ألب أرسلان = السلطان: 137، 143، 232 .

أحمد بن محمد النيسابوري: 143 .

أم هانئ: 14 .

أبو أيوب الأنصاري: 93 .

إقبال الشرايبي = شرف الدين: 148، 155 .

أهرن الطبيب: 199، 200 .

- ب -

البخاري = الإمام المحدث: 194 .

بدر بن حسنويه: 22 .

بدر الدين محمد بن أبي القاسم بن محمد الهكاري: 182 .

بدر الدين محمود بن الشكري: 58 .

بدر الدين بن المظفر: 245 .

بديع الزمان الهمذاني: 130 .

أبو البركات = إسماعيل بن أحمد بن محمود بن دوست: 37 .

البراندسي = أبو الحسن: 147 .

بشر بن عبد الملك: 75 .

أبو بصرة الغفاري: 93 .

ابن بطوطة = محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي الرحالة: 83، 118 .

أبو بكر البستي: 131 .

أبو بكر بن الحبير: 26 .

أبو بكر الصديق: 78، 197 .

أبو بكر الطريثي: 37 .

أبو بكر بن عمر الهمذاني: 56 .

البلاذري = أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داوود: 75 .

بنشفة = جارية الخليفة المستضيء: 45 .

بهاء الدين عبد المنعم: 47، 48 .

بهاء الدين يوسف بن رافع: 62 .

بهرورز الخادم=بهرورز بن عبد الله:40،41.
البيهقي=الإمام:132 .

- ت -

تاج الدين أبو القاسم الموصللي:149 .
تتش بن ألب أرسلان=السلطان:45.
تقي الدين بن الصلاح الشهرزوري:159 .
تياذوق الطبيب:199 .

- ث -

ثابت بن سنان:221 .

- ج -

جابر بن عبد الله:93 .ابن جبير= أبو الحسن محمد بن أحمد الرحالة:29، 32، 83، 95، 146،
172، 174، 175، 178، 212، 231، 234 .جبير بن علي الكسائي:95 .
جبرائيل بن بختشوع:202، 205 .
جمال الدين الجواد=ابو جعفر الوزير:23 .
جمال الدين بن تقي الدين المقدسي:120، 128، 142 .
جميلة بنت ناصر الدولة الحمداني:21، 29 .
الجهشياري=محمد بن عبدوس:84 .
جوهر الصقلي:95، 99، 244 .
ابن الجوزي= عبد الرحمن بن أبي الحسن المؤرخ:37، 38، 71، 146، 147، 231 .
جويرية بنت أبي سفيان :223 .

- ح -

الحارث بن كلدة:193، 197 .
ابن حازم:3.
الحاكم بأمر الله=ال خليفة الفاطمي:102، 215 .
أبو حامد الأسفراييني:89 .
الحاكم بن عبد الله:131 .
ابن الحبير:149 .
الحجاج بن يوسف:16، 77، 79، 82، 200، 225 .
ابن حزم= أبو محمد علي بن أحمد الظاهري:78 .

- حسام الدين محمد بن لاجين: 61 .
حسان بن محمد النيسابوري: 129 .
الحسن البصري: 88، 94، 190، 255 .
الحسن بن الحسين الرخجي البويهبي: 233، 242 .
الحسن الدوتائي: 232 .
الحسن بن زولاق المؤرخ: 94 .
الحسن بن الصباح: 64 .
الحسن بن عبد المطلب=أبو المظفر: 43 .
الحسن بن علي بن سعيد بن عبد الله: 234 .
الحكم المستنصر = الخليفة الأموي: 84، 117 .
ابو حنيفة=الإمام صاحب المذهب: 7، 70، 147، 184، 185 .
ابن حوقل= أبو القاسم النصيبي البغدادي: 81.

- خ -

- الخاتون=حرم الخليفة المستظهر: 41 .
خالد بن صفوان: 185 .
خالد بن يزيد: 199 .
خالد بن يحيى البرمكي: 84.
الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي: 39، 97 .
ابن الخطيب=لسان الدين: 108 .
ابن خلدون: 75، 9.
ابن خلكان: 127 .
الخليل بن أحمد الفراهيدي: 94 .
خمارتكين التنشي=مملوك السلطان تتش: 45، 323 .
خولة بنت الأزور: 223 .

- د -

- ابن الدبقي: 40.
الدجاجي=ابو الغنائم محمد بن علي: 28.
دحية بن محمد البلوي: 106 .
ابن دريد: 189 .
دعبل الخزاعي: 125 .

ابن دهنى الطبيب:203 .

- ذ -

الذهبي:128، 194 .

- ر -

ربيع بن عبد الله المارديني:57.

ربيع بنت معوذ بن عفراء: 223 .

رزىك بن الصالح طلائع بن رزىك:61.

الرشيد بن المزبل الحنبلي:175 .

- ز -

الزبيدي:3.

الزجاج = النحوي:189 .

الزمخشري:125 .

زهرة بن علي بن محمد بن إبراهيم:156 .

زمرد خاتون=أم الخليفة الناصر:24، 46، 110 .

الزوزني=علي بن محمود:39.

زيادة الله بن عبد الله الأغلبى:18، 244 .

زيد بن أسلم:3.

زيد بن صوحان بن صبرة:60، 116 .

زين الدين عبد الرزاق بن محمود:38.

ابن زين التجار:170 .

- س -

ابن الساعى = علي بن أنجب تاج الدين المؤرخ:44، 149 .

سالم بن أبي سالم:92 .

السبكي = تاج الدين بن عبد الوهاب:23، 128، 129، 139، 142 .

سبط ابن الجوزي:111، 147 .

سبط الخياط=أبو محمد عبد الله بن علي:32.

سيبويه=النحوي:94 .

ست الشام خاتون=بنت الأمير نجم الدين أيوب:64.

ست الشام أخت صلاح الدين الأيوبي:161 .

- ست الخدور بنت علي الرضا: 47، 111 .
 السحيمي = أحمد بن محمد بن علي الحسيني القلعاوي: 82.
 أبو السعادات بن الأثير: 54.
 أبو سعد المستوفي = شرف الملك: 147 .
 سعد بن معاذ: 195 .
 سعد بن أبي وقاص: 88، 193 .
 سعد الدين كمشتكين الخادم: 64.
 سعيد بن جبير: 95 .
 أبو سعيد النيسابوري = أحمد بن محمد بن دوست: 37، 38. سفیان بن أمية بن عبد شمس: 75.
 سفیان بن عيينة: 188 .
 سلجوقه خاتون: 24، 47.
 سليمان بن عبد الجبار بن أرتق: 156 .
 سليمان الكاتب: 213 .
 سليمان بن نعيم: 79.
 سنان بن ثابت بن قره: 204، 205، 219، 229 .
 سويد بن قيس التجيبي: 92 .
 سوريا: 133 .
 سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي: 53.

- ش -

- الإمام الشافعي: 80، 129، 172، 187 .
 شاور بن مجير: 61.
 شباشي الحاجب: 230 .
 شجاع الدولة صادر بن عبد الله: 130 .
 شجاع الدين فاتك: 62.
 شجاع بن محمد بن سيدهم = ابن الخياط المدلجي: 70.
 ابن شداد: 156، 157، 181 .
 شرف الدين بن عبد الرحمن: 65.
 شرف الدين بن العجمي الحلبي: 156 .
 شرف الدين بن محمد بن عروة الموصلية: 121 .
 شريح بن الحارث: 8.

- شمس الدين أبو القاسم الطرسوسي:62.
شمس الدين محمد بن أبي بكر:194 .
شمس الضحى شاهلنبي الأيوبية:52.
شمس الملك بن نظام الملك:223 .
شهاب الدين أحمد بن محمد:56.
شهاب الدين السهروردي:49.
شهادة بنت الأبري:45.
شيراكوه بن محمد الكامل:243 .

- ص -

- أبو صالح بن العجمي:64، 160 .
صارم الدين قايماز بن عبد الله:119 .
صباوة بن خمارتكين=الأصبهيد:148 .
صدقة بن الحسين بن وزير:43 .
صفي الدين عبد المؤمن بن فاخر البغدادي:155 .
صلاح الدين الأيوبي:54، 60، 61، 62، 133، 139، 140، 168، 169، 170، 172، 174،
179، 180، 181، 212، 216، 220، 238، 240، 246 .
ابن أبي الصيف=محمد بن إسماعيل اليمني:14.ض-
الضحاك بن مزاحم:82.

- ط -

- الطائع لله=الخليفة:21.
طاهر بن الحسين الخزاعي:48.
طغريل شهاب الدين أتابك:65.
طغرل بك=السلطان السلجوقي:214 .

- ظ -

- الظاهر بن صلاح الدين:160 .

- ع -

- ابن أبي عامر:106 .
العباس بن محمد بن الحسن=الصوفي الزاهد:50 .
ابن عباس=عبد الله:124 .

- عبد الرحمن بن إسماعيل = أبو شامة المقدسي: 67.
- عبد الرحمن بن حجيرة الخولاني: 94 .
- عبد الرحمن الداخل: 90، 105 .
- عبد الرحمن بن علوان الأسدي: 159 .
- عبد الرحمن بن مقبل: 148 .
- عبد الرحمن الناصر: 107 .
- عبد الرحيم أبو القاسم = حفيد أبي سعيد الصوفي: 38 .
- عبد الرحيم محمد البشكي: 132 .
- عبد العزيز بن مروان: 94 .
- ابن عذارى المراكشي = المؤرخ: 84، 118 .
- عز الدين بن مسعود: 54 .
- عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود: 165 .
- عبد العزيز بن دلف الناسخ الصوفي: 150 .
- عبد الله بن خالد: 16 .
- عبد الله بن خميس: 46 .
- عبد الله بن الزبير: 16، 223 .
- أبو عبد الله الرازي: 41 .
- عبد الله السفاح = الخليفة: 185 .
- عبد الله بن عامر: 35 .
- عبد الله بن منين: 92 .
- عبيد الله بن المظفر الباهلي: 224 .
- عتاب بن إبراهيم: 186 .
- عثمان بن عفان: 16، 35، 116 .
- عثمان بن عمر = أبو عمر الصوفي: 50 .
- عبد الصمد بن أبي الجيش: 53.
- ابن عقيل البغدادي: 110 .
- عبد الله بن علي بن الحسين = صفى الدين الوزير: 55.
- عبد الله بن قتادة: 3.
- عبد الله بن المبارك = الزاهد: 36، 90 .
- عبد الله بن محمد بن عبد الله: 41 .
- عبد الله بن عمرو بن العاص: 92 .

- عبد الله بن وهب:93 .
- عبد الملك بن مروان:17، 79، 199 .
- عبد المنعم الاسكندراني=ابن النظروني:49 .
- عبد الواحد بن الحسين السكري:23 .
- عبد الودود بن محمد بن المبارك:25 .
- العزير بالله= الخليفة الفاطمي:99، 100، 101، 102 .
- أبو عثامة المعافري:92 .
- عصمة الدين الخاتون :60 .
- عضد الدولة=البويهبي:21، 22، 229، 230 .
- عضد الدين أبو الفتوح المبارك:51 .
- عقبة بن غزوان:94 .
- علي بن أحمد البسطامي=أبو الحسن الصوفي:40 .
- علي بن بختيار بن عبد الله=أبو الحسن الكاتب البغدادي:44 .
- علي بن أبي بكر الهروي السائح:160 .
- علي بن حماد=الأمير حسام الدين الحاجب:247 .
- علي بن عثمان=ابن السايق:245 .
- علي بن السنار الكردي=وزير ظافر العبيدي:168 .
- علي بن أبي طالب:95 .
- علي بن عبد الله بن أحمد النيسابوري:131 .
- علي بن عبد الوهاب الإسكندري:57 .
- علي بن علم الدين:58 .
- علي بن عيسى=أبو الحسن الوزير:203، 221، 227 .
- علي بن محمد =ابن الأبري الدريني:42 .
- علي بن محمد بن الحسن:131 .
- علي بن النعمان=أبو الحسن قاضي القضاة:100 .
- علي بن يوسف القيمري=سيف الدين أبو الحسن:243 .
- عماد الدين زنكي:157، 166 .
- عماد الدين بن علي الموصللي:215 .
- ابن عمر=عبد الله بن عمر بن الخطاب:6، 15 .
- أبو عمر الزاهد:98 .
- عمر بن إبراهيم بن عثمان=أبو جعفر التركستاني:40 .

- عمر بن أحمد بن الصلايا:48 .
- عمر بن إسحاق الدورقي:56 .
- عمر بن الخطاب:5، 6، 7، 16، 77، 78، 82، 85، 88، 92، 198، 225 .
- عمر بن شاهنشاه:171 .
- عمر بن عبد العزيز:17، 85، 87، 93، 200، 226 .
- عمر الملا=معين الدولة:33 .
- عمرو بن العاص:88، 91 .
- عمرو بن عبيد:185 .
- عمرو الكندي المؤرخ:94 .
- عوض بن سلامة الغراد:44 .
- عون بن هبيرة:147 .
- عيسى بن محمد الحنفي الفقيه:183 .
- عيسى بن يونس السبيعي:98 .

- غ -

- الغزالي=أبو حامد:164 .
- الغزنوي علي بن الحسن:41، 42 .
- أبو الغنائم المطلبان:40 .
- غياث الدين غازي=الملك الظاهر:58 .

- ف -

- فاطمة بنت أنور شروان:56 .
- فاطمة الزهراء=بنت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم:99 .
- فاطمة الفهرية=أم البنين:103 .
- أبو الفتح بن أبي النجم:109 .
- أبو الفتح نصر بن فتيان:112 .
- أبو الفتح الأمين=المحب عبد الله محمد بن محمد:38 .
- فرج بن حديدة بطليوسي:106 .
- أبو الفرج بن رئيس الرؤساء:69، 70 .
- أبو الفرج بن سعيد الحمامي المؤدب:84 .
- فخر الدولة بن المطلب:31 .
- فخر الدين بن إياس:176 .

ابن الفرات:189 .
ابن الفوطي= كمال الدين بن آمد الشيباني المؤرخ:38، 52، 53 .

- ق -

القائم بأمر الله:37، 231، 233 .
أبو القاسم البلخي:79.
القاسم بن أبي الحديد المدائني:150 .
أبو القاسم الصوفي:39.
أبو القاسم بن طباطبا الحسني الشاعر:94 .
أبو القاسم بن قديد:94 .
ابن قتيبة:98 .
ابن قدامة:5 .
قراقوش بن عبد الله الأسدي=بهاء الدين:54، 55.
القاضي النعمان:100 .
قليج أرسلان بن مسعود السلجوقي:47، 57 .
قنبر=الأستاذ:61 .
أبو قيس بن عبد مناف بن زهرة:75.

- ك -

كافور الإخشيدي:215، 238 .
ابن كثير= أبو الفدا إسماعيل بن عمر القرشي المؤرخ:27، 68، 148، 121، 180، 230، 234،
236، 235،
الكسائي:97 .
كعب بن زهير:124 .
كعبة بنت سعيد الأسلمية:195 .
كمال الدين بن الشهرزوري:53، 163 .
الكميت بن زيد:82 .
الكندي= أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب:94 .

- ل -

لؤلؤ الخادم:60 .
الليث بن سعد:93 .
لويس ماسنيون:39.

- ابن ماجة:3،14.
- مالك بن أنس: 8، 19، 80، 186، 188، 190، 255 .
- ماسرويه الطبيب:199 .
- المأمون=عبد الله بن هارون الرشيد الخليفة:19، 48، 188، 218، 223 .
- مجاهد الدين قيمان:54،84.
- محمد بن إبراهيم=ناصر الدولة:131 .
- محمد بن أحمد=ابو عبد الله الشيرازي:29 .
- محمد بن أحمد بن إسحاق الوشاء:109 .
- محمد بن أحمد بن الحسين بن جردة:31.
- محمد بن جرير الطبري:93، 189، 226 .
- محمد البلخي الزاهد،48.محمد بن فضلان=محي الدين:148 .
- محمد بن حبان البستي:59 .
- ابن حبان التميمي:130 .
- محمد بن الحسن الأرموي:148 .
- محمد بن خلف الله=ابن الشمي:90 .
- محمد الشاطبي الرعيني:116 .
- محمد بن إسحاق بن علي الزوزني:133 .
- محمد بن عبد الرحمن بن هشام الأوقصي:19 .
- محمد بن عبد الله بن حمشاذ:129 .
- محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري:167 .
- محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان:229 .
- محمد بن عثمان =أبو التناء الزاهد:112 .
- محمد بن علي بن خلف=الوزير:241 .
- محمد بن أبي فراس=سراج الدين الهنايسي:149 .
- محمد بن محمود=المحب الحافظ:38.
- محمد بن المظفر=أبو الحسن:42 .
- محمود السلجوقي=السلطان:224 .
- محي الدين عبد الله بن شرف الدين بن عين الدولة:173 .
- مروان بن الحكم:199 .

- مسلم=الإمام المحدث صاحب الصحيح:70.
- مسلمة بن مخلد:93 .
- المستعصم بالله=ال خليفة العباسي:52، 68، 113، 149 .
- المستنصر بالله=ال خليفة العباسي:26، 51، 61، 112، 149، 150، 151، 152، 153، 208 .
- المستضيء بالله=ال خليفة العباسي:69.
- مسعود السلجوقي=السلطان:42.
- المظفر أبو بكر محمد بن عبد الله الأفتس:106 .
- ابو المظفر=حسن ابن الوزير هبة الله:30.
- مظفر الدين أبو الفتح سوسيان=ابن شملة:52 .
- مظفر الدين كوكبري:27، 222، 246 .
- مظفر الدين موسى العادل:119 .
- معاوية بن أبي سفيان:198، 199، 221 .
- معروف الكرخي=الزاهد:25، 46 .
- المعتصم=ال خليفة العباسي:203، 226 .
- المعتضد بن عباد:106 .
- المعتضد=أبو العباس،ال خليفة:20، 189، 228 .
- المعتمد على الله=ال خليفة:20 .
- المعز أيبك التركماني:174 .
- معز الدولة بن بويه:206 .
- المعز لدين الله الفاطمي:99، 101 .
- المقتدر بالله=ال خليفة:20، 189، 204، 219، 229 .
- المقتدي بأمر الله=ال خليفة العباسي:71، 207، 208 .
- المقتفي لأمر الله=ال خليفة:42 .
- المقدسي=شمس الدين:29 .
- المقريزي=أحمد بن علي بن عبد القادر:34، 60، 114 .
- المنصور=ابو جعفر الخليفة:18، 39، 184، 185، 186، 20، 226 .
- ابن منظور:124، 125 .
- المهدي بن تومرت:212، 245 ،
- المهدي بن جعفر المنصور=ال خليفة:18، 19، 28، 186، 201 .
- مهذب الدين بن عبد الرحيم بن علي الدخوار:162 .
- أبو موسى الأشعري:88 .

ميمونة بنت الحارث=زوج النبي صلى الله عليه وسلم:14 .

- ن -

الناصر لدين الله =ال خليفة العباسي:24، 25، 43، 47، 48، 49، 51، 59، 66، 67، 71، 253.

نجم الدين الخبوشاني=الزاهد:172 .

نجيب الدين أبو الفتح الشيباني الدمشقي الصفار الشاهد:120 .

النسائي:14.

نصر بن سبكتكين:128 .

نصر الدين بن عبد الرزاق:50، 112 .

نصر بن عبد الرزاق بن عبد القادر:148 .

نصر بن ناصر صدر المخزن:67.

النعمان بن حيون: 99 .

نفظويه=إبراهيم بن محمد:97، 98 .

نظام الملك:127، 128، 129، 131، 133، 134، 138، 139، 140، 141، 142، 143،

145، 146 .

ابن نقطة الزاهد=عبد الغني بن ابي بكر:30.

نور الدين محمود:26، 27، 33، 32، 62، 63، 84، 85، 119، 139، 140، 157، 164،

220، 234، 235، 236 .

نور الدين علي بن صلاح الدين الأيوبي:57.

الإمام النووي:159 .

- ه -

هارون الرشيد : 85، 98، 187، 201، 223، 229 .

هرثمة بن أعين:36.

ابن هبيرة=الوزير:69، 147 .

أبو هريرة:2.

هشام بن عبد الملك=الخليفة،19.

هبة الله الأرسوفي:170 .

هيبة الله بن محمد =ابن رواحة أبو القاسم زكي الدين:158 .

هيلانة أم قسطنطين:157 .

- و -

الواقدي:187 .

الوليد بن عبد الملك: 17، 13، 18، 200، 218، 225 .

- ي -

ياقوت الحموي: 50، 79، 97، 131، 133، 200، 232 .

يحي بن سعيد بن يحي المرخم: 224 .

يزيد بن حبيب: 93 .

يعقوب بن كلس=الوزير العبيدي: 100، 101، 102، 103 .

اليعقوبي=أحمد بن إسحاق المؤرخ: 90 .

يوسف بن عبد العزيز المايرقي: 167 .

يوسف الواسطي: 205 .

يونس=النبي عليه السلام: 29 .

فهرس الأماكن والبقاع

- أ -

أجباد: 58 .

إربل: 27، 63، 246 .

الأزهر: 95، 99، 100، 102، 101، 103 .

الإسكندرية: 57، 167، 198 .

إشبيلية: 96، 106، 108، 178 .

أصبهان: 128 .

أصفهان: 145 .

إفريقية: 36، 82، أمل: 128 .

الأندلس: 83، 90، 91، 99، 106، 107، 108، 117، 118، 142، 179 ،

أنطاكية: 198، 206، 217 .

أيرانشهر: 128 .

- ب -

باب إبراهيم: 20، 176 .

باب أربعين: 65 .

باب الأزج: 41، 43، 112، 232 .

- . باب البصرة:147 .
- . باب بني جمح:21 .
- . باب الخياطين:20 .
- . باب الساهرة:181 .
- . باب الشام:204 .
- . باب الطاق:147 .
- . باب عزرة:133 .
- . باب العمرة:176 .
- . باب الفتوح:171 .
- . باب القلعة: 119 .
- . باب القنطرة .
- . باب المراتب:31 .
- . باب المشرعة:53 .
- . باب النخالين: 175 .
- . باب النصر:60 .
- . بانياس:60 .
- . بركة الفيل:61 .

البصرة:12، 60، 88، 94، 116، 128 .
بعقوبا:51 ،

بغداد: 22، 23، 27، 28، 29، 30، 31، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 42، 44، 46، 47،
48، 49، 50، 52، 53، 57، 59، 66، 67، 68، 70، 71، 84، 90، 91، 112، 113، 117،
119، 128، 137، 139، 142، 143، 144، 147، 149، 151، 185، 203، 206، 207،
214، 216، 217، 225، 227، 228، 230، 231، 232، 241، 253 .
بلاد الروم:47 .
بلخ:127 .
بلم:81 .

- ت -

تونس القديمة:244 .

- ج -

الجزيرة العربية:34،78.

- الجيزة:55.
جزيرة الفيل: 172 .
جرجرايا:230 .
جيرون:158 .
جنديسابور:194، 198، 201 .

- ح -

- حران:198 .
حارة برجوان:171 .
الحجاز:74،208 .
الحزامية:57.
حلب:58، 60، 62، 64، 65، 156، 157، 159، 160، 163، 206، 218 ،
الحيرة:74،75.

- خ -

- خانقاه الأسدية: 61.
خانقاه البلاط:60.
خانقاه الخاتونية:60.
خانقاه ست الشام:64 .
خانقاه سعيد السعداء:115 .
خانقاه ابن شداد:62.
خانقاه الصلاحية:61.
خانقاه طغريل أتابك:65.
خانقاه ابن العجمي:65.
خانقاه القصر:62.
خانقاه كمشتكين:64.
خانقاه مظفر الدين كوكبري:63.
خراسان:133، 142، 208، 247 .
الخريبة:227 .

- د -

- دار الحديث الأشرفية:119، 120 .
دار الحديث الأشرفية البرانية:120 .

- دار الحديث الشقيقة:120 .
- دار الحديث العروية:121 .
- دار الخلافة،47.
- دار الذهب:43 .دار سعيد السعداء:61 .
- دار الغزل:169 .
- دار القفطي:57.
- دار معونة:170 .
- دجلة:40، 41، 43، 47، 56، 71 .
- درب دراج:54.
- درب الملاحين:148 .
- الدلوعية :158 .
- دمشق:54، 55، 57، 65، 91، 95، 109، 119، 130، 133، 158، 159، 160، 164،
- 175، 183، 199، 206، 217، 218، 225، 234، 235 .
- دور بني العديم:64 .

- ر -

- رأس العين:198 .
- رباط بنت الأبري:45.
- رباط البسطامي:40.
- رباط بنشفة:45.
- رباط التميمي:58.
- رباط ثقة الدولة:42.
- رباط الحريم: 150 .
- رباط أبو الحسن الكاتب:44.
- رباط الخاتون:56.
- رباط الخلاطية:47.
- رباط دار الحريم:48، 111 .
- رباط دار الروم:51.
- رباط دار الفلك:111 .
- رباط درب دراج:54.
- رباط الدورقي:56.

- رباط رئيس الرؤساء: 42،51 .
 رباط ربيع: 57.
 رباط زمرد خاتون: 59.
 رباط الزوزانية: 39.
 رباط زمرد خاتون: 46.
 رباط سوسيان: 52.
 رباط أبي سماحة: 56.
 رباط سيف الدين بن جندر: 58.
 رباط سيف الدين غازي: 53.
 رباط دار الشط: 113 .
 رباط ابن شكر: 55.
 رباط الشهرزوري: 53.
 رباط الشونيزية: 50.
 رباط شيخ الشيوخ: 37،38.
 رباط صدقة: 43. رباط ابن الصلايا: 48.
 رباط عبید الله العلوي: 52.
 رباط عز الدين بن النيار: 52.
 رباط عطيفة: 46.
 رباط عيتاب: 39 .
 رباط الغزنوي: 41.
 رباط الغراد: 44.
 رباط العميد: 49.
 رباطا فخر الدولة: 43.
 رباط القرويني: 56.
 رباط القيسرية: 50.
 رباط المأمونية: 46.
 رباط ابن محمود: 56.
 رباط المرزبانية: 49.
 رباط المغاربة: 57.
 رباط المقس: 54.
 رباط المنستير: 36 .

- . رباط النعال البغدادي، 112 .
- رباط النسوي: 45.
- رباط الموفق: 57.
- رحبة باب العيد: 61.
- الرحبة الكبيرة: 58.
- الرصافة: 28. الرها: 198 .
- الري: 128 .

- ز -

. الزياتين: 230 .

- س -

- . سبة: 179 .
- سوق السيوفيين: 171 .
- سوق الصاحب: 55.
- سوق المدرسة التنشبية: 45 .
- سوق المدرسة النظامية: 41، 142 .
- سوق العطارين: 180 .
- سوق الوراقين: 169 .
- سوسة: 36 .
- سنجار: 166 .

- ش -

- الشام: 34، 55، 60، 62، 78، 114، 115، 133، 139، 144، 155، 174، 220، 234،
- 235،
- الشامية البرانية: 62 .
- شيبان بن أحمد بن طولون: 213 .

- ص -

- الصالحية: 60، 243 .
- الصفا: 17 .
- صقلية: 81 .
- صندحنة: 180 .

- ط -

الطائف: 77، 193، 194 .

- ع -

عدن: 175 .

العراق: 99، 137، 143، 233، 247 ،

عرفات: 24 .

عسكر: 212 .

عين الكرش: 62 .

- غ -

الغرب: 57 .

غزنة: 84 .

- ف -

فارس: 78، 114، 137، 193 .

فاس: 91، 103 .

الفسطاط: 12، 91، 92، 171، 215، 237، 238 .

- ق -

القاهرة: 116، 144، 174، 183، 206، 212، 215، 216، 217، 218، 225، 240، 244 .

القدس: 91، 180، 181، 234 .

قراح القاضي: 43 .

قراح ابن أبي الشحم: 52 .

القرارة: 58 .

قرطبة: 84، 90، 106، 107، 108، 117، 178 .

قطريل: 229 .

قصر عيسى: 30، 51 .

القرويين: 104، 105 .

القيروان: 244 .

- ك -

الكعبة: 14، 16، 17، 18، 21، 24، 25، 26،

- . كنيسة القيامة:180 .
- . الكوفة:12، 22، 57 .
- . كلواذي:229 .

- م -

- . المارستان الأسفل:238 .
- . مارستان بجكم:229 .
- . مارستان بن بويه:229 .
- . المارستان التتشي:232 .
- . مارستان ابن طولون:237 .
- . المارستان الصاعدي :228 .
- . المارستان العضدي:38، 230، 231، 241 .
- . المارستان الفارقي:233 .
- . المارستان الفاطمي:244 .
- . مارستان ابن الفرات:229 .
- . مارستان عيسى الجراح:227 .
- . مارستان الموصل:234 .
- . المارستان الناصري:238، 248 .
- . المارستان النوري:235، 236 .
- . مارستان واسط:233 .
- . المارستان المؤيدي:233 .
- . محلة أسفريس:131 .
- . محلة الجعفرية:44 .
- . محلة الحريم الظاهري:48 .
- . محلة رحبة جامع القصر:45 .
- . محلة الزبيبة:30 .
- . محلة الظفرية:38 .
- . محلة قراح بني رزين:84 .
- . محلة القطيعة:44 .
- . المخرم:47 .

- . المدرسة الأصبهاذبية:148 .
- . المدرسة الأفضلية: 182 .
- . المدرسة البدرية:182 .
- . المدرسة البشيرية:149 .
- . المدرسة البيهقية:128، 132 .
- . المدرسة التقوية:171 .
- . مدرسة الجامع النوري:164 .
- . مدرسة أبي الحسن الشاري:179 .
- . المدرسة الحلاوية: 157 .
- . المدرسة الدخوارية :162 .
- . المدرسة الزجاجية :155، 156 .
- . مدرسة الزنجيلي:175 .
- . مدرسة ابن رشيق :173 .
- . المدرسة الرواحية:158، 159، 159، 160 .
- .مدرسة السيوري:133.
- . المدرسة الشامية الجوانية:161 .
- . المدرسة الشرايية:148، 155، 176 .
- . المدرسة الشرفية:160 .
- . المدرسة الصلاحية :179، 180 .
- . المدرسة العزية: 165 .
- . المدرسة الكمالية القضية:163 .
- . المدرسة المستنصرية:51، 116، 119، 144، 149، 151، 152، 153، 153، 155 ،
- . المدرسة الصادرة:130 .
- . المدرسة الصباحية:55 .
- . المدرسة الظاهرية:65 .
- . المدرسة الفائزية:173 .
- . المدرسة الفاضلية : 116 .
- . المدرسة المرشيدية:120 .
- . مدرسة بني المزيبيل:175 .
- . المدرسة المعزية:174 .
- . المدرسة المعظمية:183 .

- . المدرسة المقديمية: 117 .
- . المدرسة الميمونية: 181 .
- . المدرسة الناصرية: 170 .
- . المدرسة النحوية: 182 .
- . المدرسة النظامية: 137، 143، 144، 145، 146 .
- . مدرسة النقيب: 163 .
- . المدرسة النورية ، 165 .
- . المدرسة الهروية: 160 .
- . المدينة المنورة: 18، 21، 22، 24، 27، 86، 87، 91، 121، 164 .
- . المرید: 87 .
- . المروة : 17، 58 .
- . مرو: 36 .
- . المشرق: 9، 141، 143 .
- . مشهد ابن عروة: 121 .
- . المغرب: 32، 34، 105، 143، 177، 178 .
- . مصر: 18، 29، 32، 34، 55، 61، 78، 88، 91، 93، 94، 114، 116، 133، 139، 167 .
- . 168، 169، 170، 172، 173، 174، 203، 212، 213، 215، 224، 236، 237، 238 .
- . مقبرة الشونيزية: 50 .
- . المعلاة: 57 .
- . المقس: 55 .
- . مكة: 14، 15، 18، 19، 22، 24، 27، 46، 56، 57، 71، 75، 86، 91، 208، 223 .
- . منازل العز: 171، 175 .
- . منى: 24 .
- . المهديّة: 36 .
- . الموصل: 31، 32، 33، 53، 54، 57، 58، 84، 128، 163، 164، 165، 234 .

- ن -

- . نجران: 74 .
- . نسا: 45 .
- . نصيبين: 54، 164، 167، 198 .
- . نهر دجلة: 155 .

نهر عيسى: 40، 49، 53 .

نهر معلى: 31 .

نهر يزيد: 120 .

نيسابور: 37، 59، 127، 128، 130، 131، 133، 248 .

- ه -

هراة: 127 .

- و -

وادي القرى: 75 .

واسط: 43، 44، 56، 110، 118، 155، 243 .

- ي -

الياسرية: 230 .

يثرب: 74 .

اليمن: 19، 74 .

فهرس القبائل والجماعات

- أ -

الأتابكيون: 222 .

الأحباش: 74.الأرمن: 56.

الإسماعيلية: 100 .

الأمويين: 72، 95، 105 .

الأنباط: 74.

الأنصار: 84.

الأيوبيون: 136، 168، 190، 216، 254 .

- ب -

الباطنية: 64، 137، 139 .

البرامكة: 203 .

البلغار: 70.

البويهيون: 136، 143 .

- ت -

التتار: 65، 161 .

التمريون: 74 .

- ح -

الحشاشون: 64 .

- خ -

خيبر: 6 .

- ر -

الروم: 56، 74، 196 .

- ز -

الزنكيون: 136، 216 .

- س -

السلاجقة: 136، 137، 141، 143، 214 .

- ش -

الشيعة: 101 .

الشوام: 112 .

- ص -

الصليبيين: 169، 180 .

- ع -

بنو العباس: 18، 20، 71، 72، 98، 105، 149، 219، 220 ،

العجم: 56، 58، 177، 198 .

العبرانيين: 125 .

العرب: 56، 58، 74، 75، 105، 124، 125، 177، 193 .

- غ -

الغزنويين: 141 .

الغساسنة: 74 .

- ف -

الفاطميون: 99، 100، 102، 136، 168، 215، 238 .
الفرس: 74 .

- ق -

قريش: 74.

- ل -

اللخميون: 74.

- م -

المغاربية: 29، 57.

المغول: 45.

المعتزلة: 139 .

المكيين: 75، 76.

المهاجرين: 84، 87 .

الموحدون: 178، 245 .

- ي -

اليهود: 124 .

اليونانيين: 196 .

المقدمة	أ-ق.
المدخل: مفهوم الجراية والوقف في الدلالة والإجراء	2-9
الفصل الأول: الجراية على أماكن العبادة	11-72
أولاً: المساجد	12
1- الحرمين الشريفين	12
2- المساجد والجوامع	27
ثانياً: الأربطة	33
1- المعنى التاريخي للرباط في الإسلام	33
2- الجراية على الربط التعبدية	35
أ- أربطة بغداد	37
ب- أربطة الموصل	53
ج- أربطة مصر	54
د- أربطة واسط	55
هـ- أربطة مكة	56
ثالثاً: الخوانق	59

66	رابعاً: دور الضيافة الرمضانية.....
70	خامساً: دور ضيافة الحجيج.....
74-122	الفصل الثاني: الجارية على أماكن التعليم قبل نشأة المدارس.....
76	أولاً: كتاب تعليم القراءة والكتابة والقرآن الكريم.....
76	1-نشأة الكتاب في الإسلام.....
85	2-كتاتيب التعليم.....
86	ثانياً: المتعلمين بالمساجد.....
108	ثالثاً: الربط ذات الوظيفة التعليمية.....
113	رابعاً: الخوانق ذات الوظيفة التعليمية.....
116	خامساً: دور القرآن الكريم والحديث الشريف.....
124-191	الفصل الثالث: الجارية على المدارس.....
124	أولاً: مفهوم المدرسة الإسلامية.....
124	1-المعنى اللغوي للمدرسة.....
125	2-المعنى الإصطلاحي للمدرسة الإسلامية.....
127	ثانياً:نشأة المدارس الإسلامية وأسباب ودوافع نشوئها.....
127	1-نشأة المدارس في الإسلام.....
134	2-أسباب نشأة المدارس في الإسلام.....
134	أ- الأسباب الدينية.....
136	ب-الأسباب السياسية.....
140	ج-الأسباب الثقافية.....
140	د-إعداد رجال الدولة العاملين في أجهزتها الإدارية.....
142	ثالثاً:خدمات الجارية على المدارس.....
143	1-مدارس العراق.....
143	أ-مدارس بغداد.....
155	ب-مدارس واسط.....
155	2-مدارس الشام.....
163	3-مدارس إقليم الجزيرة الفراتية.....

- أ-مدارس الموصل163
- ب-مدارس سنجار166
- ج -مدرسة نصيبين167.
- 4-مدارس مصر167.
- 5-مدارس مكة175.
- 6-مدارس المغرب177.
- 7-مدارس بيت المقدس179.
- رابعاً:الجراية على العلماء183.
- 1-موقف العلماء من الصلات المالية.....184.
- 2-الجراية على العلماء185.
- الفصل الرابع:الجراية على مرافق الرعاية الصحية في الإسلام193-250.**
- أولاً:تعريف البيمارستان195.
- ثانياً:نشأة البيمارستانات في الإسلام حتى نهاية العصر العباسي196.
- 1-العصر النبوي196.
- 2-العصر الراشدي197.
- 3-العصر الأموي198.
- 4-العصر العباسي201.
- 5-البيمارستانات في عهد الدولة الطولونية212.
- 6- البيمارستانات في عهد الدولة السلجوقية214.
- 7- البيمارستانات في عهد الدولة الإخشيدية214.
- 8- البيمارستانات في عهد الدولة الفاطمية215.
- 9- البيمارستانات في العهد الأيوبي والزنكي215.
- ثالثاً:أنواع البيمارستانات في الإسلامف.....
- 216.
- 1-البيمارستانات الثابتة217.
- أ-مارستان المجذومين218.
- ب-مارستان المسجونين219.

- ج-مارستان المجانين.....219.
- د-مارستان الغرباء.....220.
- 2- البيمارستانات المنقولة.....221.
- أ-مارستان السبيل(الحجاج).....222.
- ب - مارستان الجيش.....223.
- ج-مارستان الإسعاف.....224.
- رابعاً:خدمات الجراية على المرافق الصحية في الإسلام.....225.
- أ-العصر الأموي.....225.
- ب- العصر العباسي.....226.
- بيمارستانات بغداد.....227.
- بيمارستانات واسط.....233.
- بيمارستانات منطقة الجزيرة.....233.
- بيمارستانات الشام.....234.
- بيمارستانات
- مصر.....236.
- خامساً: مجانية العلاج والخدمات في البيمارستانات الإسلامية.....239.
- سادساً:مساهمة العلماء والصالحين في بناء البيمارستانات والجراية عليها.....245.
- 1
- الوزراء.....
-241.
- 2
- الأمراء.....
-243.
- 3- مساهمة العلماء والصالحين في بناء البيمارستانات والجراية عليها.....245.
- الخاتمة.....
-252.

.....قائمة المصادر والمراجع	289.-258
	-1
.....المخطوطات	258.
	-2
.....المصادر	274.-259
	-3
.....المراجع	284.-275
	-4
.....المقالات	285.
	5-المعاجم
.....والموسوعات	287.
	6-الرسائل
.....الجامعية	288.
	7-المراجع
.....الأجنبية	.289
.....الفهارس	.320-291

.....	فهرس الأعلام
	.306-291
.318-307	فهرس الأماكن والبقاع
	فهرس القبائل
.320-318	والجماعات
.....	فهرس المحتوى
	.322